

مؤسسة القديس أنطونيوس



المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية بالقاهرة
نصوص أبائية - ١٨٩ -

المقالات الثلاثة

ضد الآريوسيين

(الشهادة لألوهة المسيح)



نصوص أبائية - ١٨٩ -

ضد الآريوسيين



[إذا فالكلمة هو في الواقع وبالحقيقة واحد مع الآب في الجوهر. أما نحن فقد أُعطي لنا نتشبه بهذه الطبيعة كما سبق أن قيل لأنه أضاف مباشرة "أنا فيهم وأنت في، ليكونوا مكملين إلى (يو ١٧: ٢٣).

ولذا فالرب هنا يطلب لأجلنا شيئاً أعظم وأكمل. لأنه واضح أن الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه قد لبس جسدنا. وبقوله "وأنت أيها الآب في" فهو يعني "لأنني أنا كلمتك، وحيث إنك أنت في، بسبب كوني كلمتك، وأنا فيهم بسبب الجسد، ومنك

يتحقق خلاص البشر في، لذلك أسأل أن يصيروا هم واحداً، بسبب الجسد الذي في وبحسب كماله لكي يصيروا هم أيضاً كاملين إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم قد صاروا واحداً في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين في، يصيرون جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحداً (١٣: ٤) لأننا جميعاً، باشتراكنا فيه، نصير جسداً واحداً، لأننا نحصل على الرب الواحد في أنفسنا.]

الفصل ٢٥ / ١١

للقديس البابا
أثناسيوس الرسولي
بطريرك الأسكندرية العشرين

للقديس البابا أثناسيوس الرسولي

يطلب هذا الكتاب من:
+ المركز الأرثوذكسي للدراسات الأبائية تليفاكس: ٢٢٤١٤٠٢٣
E-mail: opcc2007@yahoo.com Website: www.patristiccairo.com
+ بيت التكريس لخدمة الكرازة ت: ٢٦٧٤٥٢١٩
+ المكتبات والكنائس بالقاهرة والأقاليم

التمن: ٤٠,٠٠ جنييه

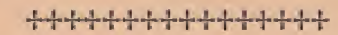
القديس أنثاسيوس الرسولى

- ✦ وُلِدَ عام ٢٩٧ م
- ✦ سَيِّمَ بطريركاً لكُرسي الأسكندرية ٣٢٨م.
- ✦ استمر على الكرسي الرسولى لمدة ٤٥ عاماً حتى تتيح فى سنة ٣٧٣م.
- ✦ من آباء مدرسة الإسكندرية العظام ومن معلّمى المسكونة كلها.
- ✦ دافع بكل قوة وحزم عن إيمان الكنيسة ضد الهرطقة الأريوسية التى أنكرت ألوهية السيد المسيح.
- ✦ نَقى خمس مرات عن كرسيه (جملتها ١٧ عاماً تقريباً) بسبب مواجهته للأريوسيين ومساندة الإمبراطور لهم.
- ✦ تعيد له الكنيسة القبطية فى ٧ بشنس - ١٥ مايو، وتحتفل بعبودته رفاته إلى مصر يوم ٢ بشنس - ١٠ مايو، ويوم ٣٠ توت - ١٠ أكتوبر تذكّار الآية التى صنعها الرب معه.



من كتاباته العديدة: (غير ضد الأريوسيين)

- ١- تجسد الكلمة.
- ٢- ضد الوثنيين.
- ٣- رسائله إلى سربايون عن الروح القدس.
- ٤- رسائله عن السيد المسيح.
- ٥- عن التجسد وضد الأريوسيين.
- ٦- الرسائل الفصحية.
- ٧- حياة القديس أنطونيوس.
- ٨- رسائله إلى مارسيلىفوس عن المزامير.
- ٩- دفاعه عن مجمع نيقية.
- ١٠- دفاعه عن هريرة.
- ١١- رسالة عن البتولية، وله رسائل أخرى كثيرة فى موضوعات متنوعة.



من كلمة قداسة البابا شنودة الثالث فى عشية عيد مرور ١٦٠٠ سنة على انتقال القديس العظيم أنثاسيوس الرسولى:

أمام أنثاسيوس يصمت الكل ويتكلّم هو ... لأنه لا يستطيع إنسان أن يقول كل شئ عن أنثاسيوس... من يقرأ كتابات أنثاسيوس يرى فيها اللاهوت الممزوج بالروحيات... فحين نقرأ له لا نستطيع أن ندرك هل هذه الكتابة لاهوت أم روحيات أم فلسفة أم تفسير للكتاب أم كل هذا معاً. لقد جمع بين اللاهوت والرهبة، بين العقل اللاهوتى العميق، وبين الروح النسكى الرهباني^(١)



قالوا عن القديس أنثاسيوس:

- ✦ من عظة للقديس غريغوريوس النزينزى فى عيد نياحة القديس أنثاسيوس الرسولى: حينما أمدح أنثاسيوس فأنا أمدح الفضيلة
- ✦ من كلمة قداسة البطريرك الأنطاكي مار أغناطيوس يعقوب فى احتفال الكنيسة بتذكّار مرور ١٦٠٠ سنة على انتقال القديس أنثاسيوس الرسولى:

بذل قدسنا مار أنثاسيوس جهوداً جبارة بنضاله المرير دفاعاً عن عقيدة ألوهية السيد المسيح، ولأنه كان راسخاً فى عقيدته رسوخ الرواسى ... لم يقلق ولم يتسرب اليأس إلى نفسه لكنه صمد وثابر وصبر رغم ما ألمّ به من صنوف المكاره، وكان يؤمن بأنه لابد أن يتكلل صبره يوماً بالظفر.

رأى علماء اللاهوت ودارسي الآباء:

- لقد صار أنثاسيوس معيار الأرثوذكسيين الحى.
- محبة أنثاسيوس للمسيح هى المفتاح لفهم حياة أنثاسيوس وكل كتاباته.
- إن أنثاسيوس هو الذى أمسك بدفة الكنيسة لينقذ تعليمها اللاهوتى من الانحراف وراء النظريات الفلسفية اليونانية عن اللوغوس إلى الالتزام بالأمانة المطلقة للنص الكتابى عن الله.
- كان له الفضل الأعظم فى نشر الوعى الكتابى فى الأوساط الرهبانية بمصر وأنه كان أكثر من اهتم بذلك بغيرة وبقدرة على الإقناع.
- إن التأمل - فى رأى القديس أنثاسيوس - ليس مجرد دراسة فكرية ولكنه يؤول بالضرورة إلى الممارسة العملية التقوية لجميع الفضائل.
- إن أعظم فضل لأنثاسيوس يتركز فى أنه دافع عن المسيحية التقليدية وحفظها من خطر التلوث بالفكر اليونانى الكامن فى هرطقة أريوس وأتباعه.
- لقد كان أنثاسيوس متمكناً فى العقيدة حتى لم يكن له مثيل فى ذلك، فإننى لا أجد أحداً فى القرن الرابع يضاهيه... ولاسيما فى عمق حاسته المسيحية التى كانت تدفعه تلقائياً إلى أن يكشف فى العقيدة عن الجانب الذى يجعلها متصلة بصميم الحياة الروحية، لإحياء النفوس وإنعاشها وتجديد حياتها الروحية واندفاعها نحو الصلاح.
- لن نتعلم من احد اخر افضل منه كيف يمكن ان تتبع من العقائد حتى اصعبها على الإدراك البشرى - ينباع مياه حية ودفعت روحية عالية. فالثالوث ليس عند ق أنثاسيوس مجرد حقيقة نظرية يلزمنا الإيمان بأن نقبلها بعقولنا دون أن يكون لها أثر فعال فى سلوكنا العملى، بل إن الثالوث عنده كل شئ فى الحياة الروحية كما فى العقيدة المسيحية على حد سواء.

- لقد ضرب أنثاسيوس جذوره عميقاً جداً فى تربة الكنيسة، وقد كان أنثاسيوس لا يعرف نفسه إلا فيها ، فكان ماضيه حاضراً دائماً أمامه وقد أخذ على عاتقه أن لا يقدم المسيح يسوع إلا متحدّاً بكنيسته من الداخل، وفى كلمة واحدة كان المسيح هو نفسه الكنيسة. لقد صارت الأرثوذكسية الجامعة متجسدة فى شخص أنثاسيوس.

(١) مجلة مدارس الأحد: العددان ٧٠٦ السنة ٢٧. يونيو ويوليو ١٩٧٣. القاهرة. ص ١٠٨.

مؤسسة القديس أنطونيوس

المركز الأرثوذكسيّ

للدراسات الآبائية

بالقاهرة

نصوص آبائية

- ١٨٩ -

المقالات الثلاثة ضد الأريوسيين

الشهادة لألوهة المسيح

للقديس البابا أثناسيوس الرسوليّ

بطريرك الإسكندرية العشريون

ترجمه عن اليونانية

أ. صموئيل كامل عبد السيد

مراجعة

د. نصحي عبد الشهيد بطرس

د. جوزيف مورييس فلتس

د. مجدي صموئيل

الطبعة الأولى

٢٠١٥

اسم الكتاب

: المقالات الثلاثة ضد الآريوسيين

اسم المؤلف

:البابا أثناسيوس الرسولي بطريرك الإسكندرية
العشرون.

اسم المترجم

:د. نصحي عبد الشهيد وآخرون

الطبعة الأولى

: ٢٠١٥ م

الناشر

: مؤسسة القديس أنطونيوس، المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية بالقاهرة ٨ (ب) ش إسماعيل
الفلكي، الدور الأول، محطة المحكمة، مصر
الجديدة تليفاكس: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-Mail:opcc2007@yahoo.com

. Web site:patristiccairo.com

رقم الإيداع

: ٢٠١٥ / ٢٢٤١٣

الترقيم الدولي

: I.S.B.N 978-977-487-032-3

المطبعة

: مطابع النوبار - العبور



قداسة البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

المحتويات

١١	مقدمة تاريخية ولاهوتية.....
١١	تاريخ المقالات:
١٢	محتويات المقالات:
١٣	مصادر المقالات والترجمة:
١٥	الآريوسية للبروفسور ب. ك خريستو.....
٣٥	الفصل الأول.....
٣٥	سبب الكتابة:
٣٦	الآريوسية مختلفة تمامًا عن الإيمان الحقيقي:
٣٧	الآريوسيون ليسوا مسيحيين:
٤٢	الفصل الثاني مقتطفات من ثاليا آريوس.....
٤٧	الفصل الثالث خطورة الموضوع.....
٤٩	الإيمان الصحيح عن الابن:



٥٤ الفصل الرابع

٥٤ الابن أزلّي وغير مخلوق

٦١ الفصل الخامس

٦١ البنوة الالهية غير البنوة البشريّة

٦٦ الفصل السادس

٦٦ الابن الوحيد والثالوث

٧٥ الفصل السابع

٧٥ اعتراضات الآريوسيين والردّ عليها

٨٣ الفصل الثامن

٨٣ الاعتراضات والردّ عليها (بقية)

٩٠ الفصل التاسع

٩٠ عبارة «غير المخلوق»

٩٨ الفصل العاشر

٩٨ عدم تغيّر الابن



الفصل الحادى عشر ١٠٢

شرح نصوص : أولاً: فيلبى ٩: ٢ ، ١٠ ١٠٢

الفصل الثانى عشر ١١٧

شرح نصوص : ثانياً: مزمور ٨٥: ٧ ، ٨ ١١٧

الفصل الثالث عشر ١٣٠

شرح نصوص : ثالثاً: عبرانيين ٤: ١ ١٣٠

الفصل الرابع عشر ١٥٣

شرح نصوص : رابعاً «كونه أميناً للذى أقامه» عب ٢: ٣ ١٥٣

الفصل الخامس عشر ١٧٠

شرح نصوص : خامساً: «جَعَلَ يسوع .. رباً ومسيحاً» أع ٢: ٣٦ ١٧٠

الفصل السادس عشر ١٨١

مقدمة لشرح أمثال ٨: ٢٢ «الرب قناني أول طريقه» ١٨١

إن الابن ليس مخلوقاً ١٨١

الفصل السابع عشر ١٩٢



مقدّمة لشرح أمثال ٨: ٢٢ «الرب قناني أول طريقه» ١٩٢

تابع : أن الابن ليس مخلوقاً..... ١٩٢

الفصل الثامن عشر..... ٢٠٢

مقدّمة لشرح : أمثال ٨: ٢٢ «الرب قناني أول طريقه» ٢٠٢

تابع : أن الابن ليس مخلوقاً..... ٢٠٢

الفصل التاسع عشر..... ٢٢٣

شرح نصوص : سادساً: «الرب قناني (خلقني) أول طريقه لأجل أعماله» ٢٢٣

الفصل العشرون..... ٢٣٤

شرح نصوص: سادساً «الرب قناني (خلقني) أول طريقه لأجل أعماله» ٢٣٤

الفصل الحادي والعشرون..... ٢٤٣

شرح نصوص: سادساً: ٢٤٣

«... أول طريقه لأجل أعماله» ٢٤٣

الفصل الثاني والعشرون..... ٢٦٧

شرح نصوص: سادساً: «أسسني قبل الدهر» ٢٦٧



الفصل الثالث والعشرون ٢٨٥

شرح نصوص (يو ١٤: ١٠) «أنا في الآب والآب فيّ» ٢٨٥

الفصل الرابع والعشرون ٢٩٥

شرح نصوص (يو ١٧: ٣) «أنت الإله الحقيقي وحدك» ٢٩٥

الفصل الخامس والعشرون ٣٠١

شرح نصوص (يو ١٠: ٣٠، يو ١٧: ١١) ٣٠١

الفصل السادس والعشرون ٣٢٥

مقدمة لشرح آيات من الأناجيل عن التجسّد ٣٢٥

الفصل السابع والعشرون ٣٤٠

شرح نصوص يو ٣: ٣٥، مت ١١: ٢٧ ٣٤٠

الفصل الثامن والعشرون ٣٤٩

شرح نصوص: مر ١٣: ٣٢، لو ٢: ٥٢ ٣٤٩

الفصل التاسع والعشرون ٣٦٦

شرح نصوص (مت ٢٦: ٣٩، يو ١٢: ٢٧) ٣٦٦



الفصل الثلاثون ٣٧٤

تكملة الاعتراضات والردّ عليها..... ٣٧٤

فهرس الآيات الكتابية الواردة بالهامش..... ٣٨٩

فهرس الكلمات الواردة بالنص..... ٤٠٨

مقدمة تاريخية ولاهوتية

كان الشغل الشاغل للقديس أثناسيوس، بل وعمل حياته كلها الذي من أجله كرّس كل وقته وكل قواه وكل جهوده هو «الشهادة لألوهة المسيح» التي اعتبرها بحق حجر الزاوية في بناء الإيمان المسيحي كله، والتي بدونها لم يكن يتصوّر حدوث أى فداء أو خلاص للإنسان.

ومن أجل هذه حقيقة «ألوهة المسيح»، صرف ق.أثناسيوس كل وقته وبذل كل طاقاته، ولأجل هذه الحقيقة أحتمل العزل من كرسيه البطريركي واحتمل النفي خمس مرّات، بلغت مدّتها معاً ما يقرب من العشرين عام، بل ولأجل هذا الحق كان مستعداً في أى لحظة أن يُسفك دمه بكل سرور.

وتعتبر «المقالات ضد الأريوسيين» هى الكتاب الرئيسى من بين «كتابات القديس أثناسيوس اللاهوتية»، التي يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد البدعة الأريوسية.

تاريخ هذه المقالات:

طلب القديس سراييون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصر له) في رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس، طلب منه ثلاثة أشياء هى:

١. تاريخ للأحداث الجارية (أي تاريخ البدعة الأريوسية وقتئذ).

٢. شرح ومناقشة للبدعة الأريوسية وردّ على أفكارها.

٣. تأريخ دقيق حول موت أريوس.



وفى رده على سراييون يكتب ق. أثناسيوس تأريخ لموت آريوس، ثم يرسل له بخصوص الطلبين الأول والثاني ما كان قد كتبه في رساله «إلى الرهبان ضد البدعة الآريوسية» (رسالة ٢: ٥٤)، حينما كان منفياً ومختبئاً في وسطهم (في الفترة ما بين ٣٥٨ - ٣٦٢م). وعلى هذا الأساس يعتبر علماء الباترولوجى أن القديس أثناسيوس يقصد بهذا كتابيه إلى الرهبان، وهما «تاريخ الآريوسيين»، «المقالات ضد الآريوسيين»، وبذلك يعتبرون أن التاريخ الذي كتب فيه القديس أثناسيوس هذه المقالات هو فترة نفيه الثالث، أى ما بين ٣٥٨-٣٦٢م. ويتضح من كلام القديس أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معاً مرة واحدة، إنما قدمها على فترات في تلك السنوات (مقاله ٢ فصل ١).

محتويات المقالات الثلاثة:

يقدم القديس أثناسيوس في المقالة الأولى، ملخصاً لتعليم البدعة الآريوسية كما جاءت في كتاب «الثالثاً» تأليف آريوس، ثم يقدم دفاعاً عن تعليم مجمع نيقية المسكونى الأول ضد الآريوسية، بأن المسيح ابن الله هو أزلي وغير مخلوق وغير متغير، وعن وحدة الجوهر أو المساواة في الجوهر الواحد الآب والابن، كما يفند اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسي. وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التي كان الآريوسيون يحرفون معناها للطعن في ألوهية المسيح، فيقدم شرحاً مفصلاً ودقيقاً للنصوص الكتابية مبرهنًا بواسطتها على صحة إيمان الكنيسة بألوهية المسيح. فتناول بالشرح هذه الآيات :-

أولاً - فيلبي ٩: ٢، ١٠ «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً».

ثانياً - مزمور ٤٥: ٧، ٨ «من أجل ذلك مسحك الله إلهك».

ثالثاً - عبرانيين ١: ٤ «صائراً أعظم من الملائكة».



وفى المقالتين الثانية والثالثة يُكمل شرح النصوص: (عبرانيين ٢: ٣)، (وأعمال ٢٦: ٢)، (وأمثال ٢٢: ٨) ونصوص من إنجيل يوحنا حول بَنُوَّة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى ١٨: ٢٨)، (يوحنا ٣: ٥٣)، (مرقس ١٣: ٣٢)، (لوقا ٢٢: ٥٢)، (متى ٢٦: ٣٩، يوحنا ١٢: ٢٧) حول نَجَسْد المسيح.

ومن الجدير بالذكر أن هذه المقالات قد صارت هي المصدر الرئيس الذي ظلَّ المدافعون عن ألوهية المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن. وقد استطاع ق. أثاسيوس بقدرته المتَّزنة الثابتة على الإمساك بالحقائق الأولية خاصة فيما يتعلَّق بوحدة جوهر الله، وببَنُوَّة المسيح الحقيقية الطبيعية للآب، وقدرته على النفاذ إلى اعتراضات الأريوسيين وتحليلها ودحضها، وبتتبعه للمنطق الأريوسي إلى نهاية نتائجها، استطاع ق. أثاسيوس أن يبيِّن أن الأريوسية هي في الواقع فلسفة متناقضة مضادة للعقل ومضادة للتقوى معاً.

وأهم ما يُلَفِت النظر في هذه المقالات هو تركيز القديس أثاسيوس الثابت والشديد علي «الجانب الخلاصى» وهو يدافع عن ألوهية المسيح. فهو يؤكد على الأهمية القصوى لألوهيته كي ننال نحن ثمر الفداء ونوال النعمة المخلَّصة، ولأجل معرفة الله التي تُوهَبُ لإنسان الخاطئ، بواسطة المسيح (انظر مقالة ١: ٣٥، ٤٩: ٥٠، ومقالة ٢: ٦٧، ٧٠، ٦٩).

فمن الواضح أن تعليم القديس أثاسيوس اللاهوتى إنما يركز على أساس عقيدة الفداء: أى أن شركتنا مع الله، ونوالنا التبني كأبناء لله ما كان ممكناً أن يتحقق لو لم يعطينا المسيح مما هو خاص به (مقالة ١: ١٦).

مصادر هذه المقالات والترجمة العربية:

أصل النص اليوناني ظهر في المجلد ٢٦ من مجموعة الآباء باليونانية لمبنى (MG) 526 - 12 : 26 .



ونفس النص اليوناني الذي تمّت عنه هذه الترجمة إلى العربية هو النص المنشور في «سلسلة آباء الكنيسة» E.II.E. تحت عنوان:

«كتابات أنثاسيوس الأسكندري الكبير، دار نشر الآباء، تسالونيكى، ١٩٧٤. مجلد ٢»

كما تمّت مقارنة الترجمة العربية، بالترجمة الإنجليزية التي أنجزها سنة ١٨٤٤ العالم الكاردينال نيومان Newman والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

وفى مقدّمة هذه المقالات الذي نشرته «دار نشر الآباء بتسالونيكى»، توجد مقدّمة هامة عن «آريوس والآريوسية» لعالم الآباء المعروف الأستاذ ب. خريستو P.Christou استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى، كانت قد نشرت أصلاً في المجلة اللاهوتية التى تصدرها الكنيسة اليونانية. وقام «الأستاذ صموئيل كامل» بتعريبها عن اليونانية.

ويسرّ «مركز دراسات الآباء» أن يقوم بنشر هذه المقالات الثلاثة، في مجلد واحد بعد أن تمّ مراجعتها وتقييحها.

وللمسيح إلهنا الحي المتجسّد لأجل خلاصنا كل مجد وسجود وتسبيح مع الآب والروح القدس الإله الواحد الآن وإلى كل الدهور.. أمين.

المركز الأرثوذكسى	٢١ يناير ٢٠١٥م
للدراستات الآبائية	١٣ طوبه ١٧٣١ش
د. نصحي عبد الشهيد	عيد عرس قانا الجليل



الأريوسية للبروفسور ب. ك خريستو

أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان^١

وُلِدَ آريوس فى ليبيا بعد منتصف القرن الثالث بقليل، ودرَسَ بمدرسة لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض الأشخاص الذين أرتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية. وهم الذين عضدوه ودفَعوا به للمُضى فى طريقه لأجل نشر أفكاره.

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا فى مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون بأسم «اللوكيانيين» أو «الاتحاد اللوكيانى». وهذا لا يمنع أن آريوس درَسَ أيضاً فى مدرسة الأسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية.

ويمكن أن يقال إن آريوس جمع فى تعليمه بين إتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والأسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه أسكندرى الفكر، فى حين أن المنتمين إلى مدرسة الأسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى التوجه.

إستوطن آريوس فى الأسكندرية حيث رسمه البابا بطرس كاهناً . وأظهر فى أول حياته ميولاً متعصبية متمردة لأنه قبل رسامته وبعدها كان منضماً للأسقف المنشق ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط).

^١ ترجمة أ. صموئيل كامل.



ولهذا السبب جُرد من رتبته الكهنوتية، إلا أنه فيما بعد أُعيد مرةً أخرى إلى رتبته على يد البابا أخيلالوس خليفة البابا بطرس. وما لبث أن عمل على تأييد انتخاب ق.الكسندروس بطريكاً للأسكندرية خلفاً البابا أخيلالوس. وإن كان آريوس نفسه قد أستطاع بتأثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير في المدينة.

إلا أنه بعد بضعة سنوات (حوالي عام ٣١٨م) اصطدم مع البابا الكسندروس بسبب الاختلاف حول تفسير نص في الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله. وكان البابا الكسندروس قد أعطاه - كما أعتاد البابا أن يفعل مع الكهنة - موضوعاً لبحثه. وفي الشرح الذي قدّمه آريوس حاول أن يُعبّر عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للإيمان المستقيم.

رأى ق. الكسندروس في تقرير آريوس محاولة للتقليل من شأن ابن الله وتحقيره... وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصرّ على رأيه وأعتبر أفكار ق. الكسندروس أنها ساييلية^٢. وبالرغم من هذا فإن البابا لم يتعجّل في اتخاذ أى إجراء ضد كاهنه. إلا أنه فيما بعد أضطر البابا أن يتخذ قراراً بالتشاور مع مجمع قسوس الكنيسة، أدان فيه آريوس بسبب بدعته وقطّعه من شركة الكنيسة.

رحل آريوس إلى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا وبعدها إلى آسيا الصغرى. وتمكّن من أن يجمع حوله عدداً من الأساقفة الذين وافقوه على آرائه، وكان من هؤلاء

^٢ نسبة إلى سايليوس صاحبة البدعة الساييلية المعروفة باسمه، والذي ظهر في روما أوائل القرن الثالث. والساييلية تعلّم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فتقول «أن الآب أعطى الناموس في العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه باسم الابن في التجسد، وبعد أن اختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد (المعرب).



«يوسابيوس أسقف نيقوميديا» اللوكيانى، و «أوسابيوس أسقف قيصرية» الأوريجانى. وكان الأساقفة الذين تجمّعوا حوله قد أيدوه وبرأوه في مجمع عقدوه، وطالبوا بأن يعود مرةً أخرى إلى الكنيسة.. وسرعان ما كتب آريوس أقراراً وافقوا عليه في مجمع عقدوه في نيقوميديا، وأرسله كرسالة إلى بابا الأسكندرية الذي رفضه، ودعا بالطبع إلى مجمع بالأسكندرية سنة ٣١٨م اعتمد إدانة آريوس.

وبعد ذلك بقليل، بسبب الاضطرابات التي نشأت نتيجة للمصادمات التي وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس، تمكّن آريوس من العودة مرةً أخرى إلى الأسكندرية. حيث أخذ يعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل ترويج أرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق العظات والأشعار... وقد ساعد على نشر آريوسيته ما كان يظهر به آريوس من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهي وحبّه للمجادلة، ولأنه كان يُجرى مجادلاته اللاهوتية مع الشعب فقد أنتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون من المسيحية في مسارحهم بسبب تلك المناقشات^٢.

وهكذا أثار هذا الموقف قلق قادة الكنيسة، كما أزعج الإمبراطور أيضاً، الذي رأى أن هذه المشاكل ستكون خطراً على السلام الذي حققه في الامبراطورية بجهود مضنية وكفاح مرير ولكنه لم يتوقع أن تكون خطراً على السلام على المدى البعيد. لذلك فهو إذ رأى أن هذه المعركة تبدو أمراً تافهاً لا يستحق أن يصدر بشأنه قراراً امبراطورياً، فانه اكتفى بأن أرسل «هوسيوس» أسقف قرطبة بأسبانيا إلى الأسكندرية بخطاب إلى رؤساء الأطراف المتنازعة^٣. ولكن هذه المحاولة لم

^٣ انظر يوسابيوس المؤرخ: حياة قسطنطين (٦١:٢) والتاريخ الكنسى لسقراط (٧:١).

^٤ يوسابيوس: المرجع السابق (٦٤:٢).



تأت بأية نتيجة. عندئذ دعا الإمبراطور إلى مجمع عام يعقد في نيقية عام ٣٢٥ والذي اشتهر باسم، «المجمع المسكوني الأول»...

وقد أدان هذا المجمع تعاليم آريوس وحرم أسقف نيقوميدية مع ثلاثة أساقفة آخرين لتأييدهم لتعاليم آريوس. أما آريوس فإنه في البدء أرسل إلى نيقوميديا مكبلاً بالقيود، ثم نفى بعد ذلك إلى الليريا... ألا أنه على الرغم من هذه التدابير فإن هذه المحاولة للتهدة لم تنجح، لأن أصدقاء آريوس استمروا في نشر مبادئه وتعاليمه... ولذا إقتنع قسطنطين - بواسطة العناصر المهادنة للأريوسية والمحبة لها، وتأثر بهم، مما جعله يستدعى آريوس من منفاه عام ٣٢٧. وبعد تحريض من أسقف نيقوميديا عرضوا صيغة اعتراف إيمان على الإمبراطور أخفوا عنه فيها حقيقة عقيدة آريوس. وكانت كنيسة نيقوميديا قد وافقت على هذه الصيغة في المجمع الذي عقد بها، إلا أن الأرثوذكسيين لم يستعجلوا في منح آريوس العفو، حتى أن ق. الكسندروس بابا الأسكندرية وق. أنثاسيوس الذي خلفه لم يقبلوه في الأسكندرية.

ولم يرغب قسطنطين حينئذ أن يؤزم المسائل أكثر بأن يفرض على بابا الأسكندرية بأن يقبل آريوس بل أنه في الواقع عندما طلب أنصار آريوس من الإمبراطور - برسالة محررة بلهجة شديدة - أن يتدخل لأجل تأمين عودة آريوس إلى الأسكندرية، غضب قسطنطين وأعاد أدانتهم بمرسوم آخر أسماهم فيه «بالبورفوريين» أي أنهم مشايعون لتعليم «بورفيريروس»^٥.

وبعد وساطات متعددة غيّرُوا مرةً أخرى من مشاعر قسطنطين ورحل آريوس إلى القسطنطينية حيث أعترف بالإيمان الأرثوذكسي أمام الإمبراطور وتمسك بأن

^٥ التاريخ الكنسي لسقراط (٩:١) بوفيريروس هو أحد فلاسفة «الأفلاطونية الجديدة» الوثنيين قرب نهاية القرن الثالث. هاجم المسيحية بعنف وخاصة هاجم ألوهية المسيح (المعرب).



لهيلاري»^{١١}، وهى الاعتراف الإجمالي الذي كان قد قدّمه لمجمع نيقوميديا الأول والذي عقده الآريوسيون المنفيون. وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة وأعتبر أن «الابن قد وُلِدَ قبل كل الدهور» وأضاف قائلاً : إلا أنه لم يكن موجوداً من قبل أن يولد.

(ج) إعراف الإيمان:

حُفِظَت هذه الرسالة فى التاريخ الكنسي لسقراط^{١٢} والتاريخ الكنسي لسوزومينوس^{١٣}. وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بإن الابن قد وُلِدَ قبل كل الدهور لأنه لو كتبت كلمة γεγεννημένος (المولود) بحذف حرف γ منها وصارت γεγεννημένος لتغيّر معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود.

(د) "ثالثاً":

حفظ ق. أنثاسيوس فى كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب^{١٤}. وكلمة «ثالثاً» معناها مآدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريباً بأبيات منظومة وبلحن يليق بالنساء فقط. وفى افتتاحيتها نجده يُظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتعرّض للحديث عن الله فيقول:

«بحسب إيمان مختارى الله... عارفى الله...

أبناء القديسين.. ذوى التعاليم الشرعية الثابتة.. الحاصلين على روح الله القدوس...

^{١١} «هيلاري عن الثالث» (١٢:٤، ١٥:٦-هـ).

^{١٢} «التاريخ الكنسي لسقراط» (٢٦:١).

^{١٣} التاريخ الكنسي لسوزومينوس» (٢٧:٢).

^{١٤} أنثاسيوس ضد الأريوسيين (١-٥:٦).



أنا نفسى تعلمت هذا .. ممن سبقونى وممن لديهم هذه الحكمة ..
ومن عارفى الله..

حسب كل أقوال الحكماء.. أتيت أنا مقتفياً أثر كل هؤلاء..
وأنا ذو السمعة الحميدة.. متمسكاً بنفس العقيدة..

ومتحمل كثيراً من أجل مجد الله.. ومتعلماً من الحكمة الإلهية..

وفىما عدا هذا، يبدو أنه كان لأريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة^{١٥}، (كما أشار بذلك ق. أثاسيوس) فى المجموعة التى تسمى «البحرية»، «الرحى»، «الرحلة».. الخ.

ووفقاً لما يقوله ق. أثاسيوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة داعرة مثل التى كان يكتب بها سوتيايادوس أشعاره القومية.. وكانوا يتغنّون بها فى مآدبهم بضجيج صخب وعبث..

تعاليم أريوس:

فى كل ما وصلنا من نصوص لتعاليم أريوس، لا يتضح لنا أنه يوجد تناسق فى هذه التعاليم، وحيث إن معظم كتاباته كانت دفاعية فإنها كانت مضللة تخفى الحقيقة. ويبدو هذا جلياً فى رسالته إلى أسقف نيقيوميديّة، وفى باقته الشعرية «ثالثاً». ولم تقتصر تعاليمه هذه على مدرسة واحدة، كما قال كثيرون. أى أنها لم تنطلق لا عن وحدانية الله كما عبرت عنها نصوص الكتاب المقدس والتى أعتقها الأنطاكيون المتطرفون الذين اعتقدوا بأن الابن تهدّب وتشكّل بهبوط قوّة إلهية مجردة على يسوع..، كما أنها لم تنطلق من فكرة الوجدانية التى أعتقها السكندريون المتطرفون الذين اعتقدوا بأن هذه الوجدانية الإلهية اتسعت لتحوى

^{١٥} ق. أثاسيوس عن مجمع نيقيّة ١٦ - فيلستورغيوس التاريخ الكنسى (٢:٢).



كل الكائنات الإلهية، بل أن تعاليمه نشأت عن وحدانية مبنية علي الفلسفة. وحيث إن آريوس كان موحدًا متطرفًا فإنه أراد أن يؤكد أن الله كان واحدًا وأنه في نفس الوقت متعالي. وهو يرى أن التمييز بين الآب والإبن سيناقض معنى الواحدية في الله كما أن خلقه الله للعالم «الشرير» سيناقض تعاليه.

وبحسب هذه الأفكار، فإن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقي وحده، الذي له الخلود وحده^{١٦}. وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر.. ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هي «الحكمة والكلمة».. وهذه التعاليم مأخوذة عن «الوحدانية الديناميكية» التي علّم بها بولس الساموساطي. ويعكس فكره اللاهوتي إعتقاد بالأكثر على «الآباء المدافعين». وتأثره بأفكار «الغنوسيين» إلي الحد الذي كان يعلم بأنه فيما أن الله كان واحدًا فهو لم يكن أبًا «الله لم يكن دائمًا أبًا. أما فيما بعد فقد صار أبًا»^{١٧}.

ويقول لقد صار الله أبًا عندما أراد أن يخلق العالم وعندئذ خلق كائنًا واحدًا. هذا الكائن أسماه الابن، ويسمى استعاريًا الكلمة أو الحكمة.

إذن فحسب تعاليم آريوس توجد حكمتان:

١- قوة الله الواحدة العامة.

٢- وكائن إلهي ذاتي واحد. وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذي جاء إلى الوجود من العدم ومن ثم فهو مخلوق. إذ يقول آريوس إن «كلمة الله ذاته خُلِقَ من العدم.. وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجودًا. وقبل أن يصير لم يكن موجودًا.. بل أنه هو نفسه أول الخليقة لأنه «صار» ويقول أيضًا «الله وحده كان

^{١٦} آريوس في رسالته إلى الكسندروس وجدت في كتاب أثناسيوس عن المجامع ١٦.

^{١٧} ثاليًا: انظر ق. أثناسيوس: ضد الأريوسيين ٥:١.



وحده دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة.. ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عندئذ بالضبط خلق شخصاً وهو الذي دعاه الكلمة والابن، وذلك كي يخلقنا بواسطته»^{١٨}. ولكي يؤيد تعاليمه استخدم نصاً خاصاً اقتبسه من سفر الأمثال: «الرب خلقتني أول طريقه..» (أم٢٢: ٨)، وكان أوريجانوس من قبل قد تحدّث عن «خضوع الابن»، كما تحدّث عن «ميلاد الكلمة الأزلي» وهنا أخذ آريوس الجزء الأول فقط من تعليم أوريجانوس، وذلك عندما اضطّر فيما بعد أن يقر «بالميلاد قبل الدهور» مفسراً ذلك بأنه يعنى فقط الزمن الذي سبق خلقه العالم.

فعند آريوس، يبدأ هذا العالم بخلق الابن، وحينئذ يبدأ الزمن أيضاً أن يوجد.. والابن هو المولود الأول ومهندس الخليفة.. ومن المستحيل عنده الإيمان بأن الابن إله كامل بل أنه يعتبر أن معرفة الابن محدودة لأنه لا يرى الآب ولا يعرفه.. والأمر الأكثر أهمية أنه يمكن أن يتحوّل ويتغيّر كما يتحوّل ويتغيّر البشر» وبحسب الطبيعة فإنه مثل جميع الكائنات، هكذا أيضاً الكلمة ذاته قابل للتغيّر والتحوّل بأرادته الذاتية المطلقة، إن رغب فإنه يمكنه أن يبقى صالحاً، حينئذ. وعندما يريد فإنه في استطاعته هو أيضاً أن يتحول مثلنا، حيث أن طبيعته قابلة للتغير»^{١٩}.

أن بولس الساموساطى استعمل اصطلاح «القدرة علي ان يكون كاملاً» الذي أتخذ منه آريوس كل تعبيراته.. ووفقاً لتعليمه أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة في الإنسان. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر إنسان كامل فقط وليس إله كامل.. وبالتالي فإن الابن يمكن أن يدعى الله بطريقة إستعارياً فقط. وهو نفس الاسم الذي يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضاً حينما يصلون إلى درجة كاملة من

^{١٨} المرجع السابق.

^{١٩} «تاليا» كما جاء في أثنايوس ضد الأريوسيين مقالة ٥: ١.



الروحانية والأخلاق.. وهنا يتضح كل التعاليم التي نادت بها هرطقة «التبني Adoptionism» عن المسيح.

النتيجة الأولى لهذا التعليم:

هو أن الإيمان بالثالوث يتلاشى ويذوب.. فلقد تحدّث آريوس بالطبع عن الثالوث إلا أنه اعتبره أنه قد صدر متأخراً ولم يكن أصلياً وأزلياً. لأنه وفقاً لتعليمه فإن الآب وحده كان إلهاً أزلياً.

أما النتيجة الثانية:

فهى أن الحياة الجديدة للإنسان التي صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة، لا تتشكل نتيجة تأليه الإنسان بل بواسطة سمو روحي وأخلاقي.. وبهذا يمكن للمرء أن يقول إن هذا الموقف قد اقتبسه آريوس من موقف المدافعين^{٢٠} الذين تأثروا بالفكر الفلسفي في عصرهم وبناء عليه فهموا تعاليم المسيحية. إلا أن موقف «المدافعين» يجد له مبرراً بسبب العصر الذي عاشوا فيه والعالم الذي كانوا يتوجهون إليه بالحديث. أما فيما يتعلق بآريوس فإن الموقف يظهر ركود أفكاره والتي حتى وإن كانت جريئة إلا أنها خالية من المرونة والعمق.

ونتيجة لتعاليم آريوس فإن كلمة الله مخلوق وقوله عن المسيح إنه إنسان مؤله بسبب كماله الروحي والخلقي، نجم نزاع شديد زعزع أركان الكنيسة والدولة الرومانية.. لأن البدعة الآريوسية لم يتم تنظيمها بطريقة سرّية مثل غيرها من البدع والهرطقات، بل انضم إلي صفوفها رجال رسميّن في الكنيسة وفي الدولة. وهددت بالاستيلاء على النظام الكنسي بأكمله.. ومن الجدير بالذكر أن

^{٢٠} هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين. وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحياناً ضد الهجمات اليهودية. خلال القرنين الثاني والثالث، ومن أشهر المدافعين يوستينوس. وتاتيان وأثيناغوراس وأوريجانوس (المعرب).



المصالحة السياسية قد استمرت حتى وقت موت آريوس وقسطنطين ومع هذا لم تنتج في الالتزام بتعليمات مجمع نيقية بل تحايلت عليها عن طريق تفسير الأريوسيين المتباين والمؤول بطريقة يشوبها الالتباس لهذه القرارات. ولم تأت تعاليمهم بأية نتائج، وذلك لأن زعماء الأرثوذكسية لم يقبلوا آريوس في الكنيسة بسبب اعترافاته المشتبه فيها. وفي الواقع تلاحظ أثناء هذه الفترة تقدّم ملحوظ في العمل الذي قاد أيضاً إلى تفوق طفيف للأريوسية. فقد عمل الأريوسيون - بواسطة سلسلة المجامع التي أشرفوا عليها بأنفسهم - علي تنحية وأبعاد القادة الأرثوذكسين من خصومهم بإتهامهم بإتهامات باطلة واهية، كان من بينهم ق. أوستاتيوس الأنطاكي عام ٣٣٠م. وق. أثناسيوس الأسكندري عام ٣٣٥م، وماركيلوس الانقيري عام ٣٣٦م.

هذا ولقد ساءت الأحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير، لأن حاكم الشرق قسطنديوس، فرض الأريوسية على المناطق التي كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام ٣٥٠م، فقد فرضها على جميع أنحاء الإمبراطورية.. وسحق هذا الحاكم نشاط معارضي ومقاوميه الأرثوذكسين وانشغل بإحلال أساقفة آريوسيين بدلاً من الأساقفة الشرعيين في أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب.

وبعد وفاة قسطنديوس انهار فجأة بناء الأريوسيين الشامخ، لأن يولييانوس الذي كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية، وعندئذ عاد المنفيون إلى أماكنهم وبدأت الأرثوذكسية في إعادة تنظيم شملها مما جعلها تسود وتتصر. وقد وصلت إلى أكبر درجة من السيادة أثناء حكم الإمبراطور الأرثوذكسي يوفيانوس...

الفرق الأريوسية:

كان البناء الأريوسي في عهد قسطنديوس - على الأقل - يبدو عظيمًا في الظاهر.. إلا أنه كان من البدء عملاً مزعزعا. وذلك ليس فقط لأنه حصل على



قوّته من عناصر كنسيّة منشقة، ولكن أيضاً لأن إتجاهه اللاهوتي لم يكن متحداً.. فإن جميع الآريوسيين رفضوا اصطلاحات مجمع نيقية.. ولكن ليس لأجل الأسباب عينها دائماً.. لذا فإن الخلافات فيما بينهم انكشفت وتحدّدت عند كثيرين منهم عن طريق موقفهم من اصطلاحات هذا المجمع.

ولقد استخدم آباء مجمع نيقية في قانون الإيمان إصطلاح «هوموأوسيوس» ὁμοούσιος «الواحد في الجوهر مع .. أو المساوي في الجوهر لـ..». وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب هما واحد. وأن هذا الجوهر هو كائن واحد أزلي.. وأضاف هؤلاء الآباء أنفسهم، بعد قانون الإيمان - بسبب الحرومات - نصاً قالوا فيه بأن الابن «ليس من هيبوستاسيس آخر» ἕτερος ὑποστάσεως أي « ليس من جوهر آخر».. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الأول الآريوسيين المتشددين، أما الإصطلاح الثاني فقد أغضب الآريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الآريوسيين Semi – arians) ويبدو أن القانون دبحه لاهوتي غربي من المحتمل أن يكون «هوسيوس» أسقف قرطبة. وكلمة «ὑπόστασις»^{٢١} «هيبوستاسيس» التي وردت فيه هي ترجمة للكلمة اللاتينية «Substantia» إلا أنه في الغرب - نظراً لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعني كلاً من «أوسيا» οὐσία أي الجوهر أو الكيان. وكلمة «هيبوستاسيس» ὑποστάσις أي القوام أو الأقوم- لذا أوضح آباء نيقية وحدة تطابق هذين الاصطلاحين لأنهم كانوا يخشون لو أنهم اعترفوا بأثنين هيبوستاسيس (أي قوامين) ، أن يتهموا بأنهم يقبلون الاعتراف بجوهرين أي يكونوا مثل الآريوسيين الذين نادوا بعدم وحدة الجوهر للآب والابن.

^{٢١} كلمة «هيبوستاسيس» Hypostasis اليونانية تعني القوام، أو الأساس — أو ما يقف عليه الشيء — “الدعامة” أو طبيعة الشيء، أو الشخص، أو أقوم (المعرب).



١. الأريوسيون المعتدلون:

كان الأريوسيون المعتدلون (Semi - Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس، وهم الذين قبلوا بتعاطف عن رضى تعليمًا واحدًا يركز على النظرية الأوريجانية الخاصة بخضوع الابن، هؤلاء أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن.. ورفضوا أيضًا اصطلاحي مجمع نيقيا واعتبروهما سابيليان، لأنهما لم يردا بين نصوص الإنجيل.. إلا أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى «التساوى في الجوهر ὁμοουσιος» لكن بتعبير مخالف.. لهذا تمسكوا بالتعبير «ομοιον κατά πάντα τῷ πατρι» «مماثل للآب في كل شيء»^{٢٢}.

وبعد موت يوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقرا وجورجيوس اللاوديكي بتبظيم هؤلاء الأريوسيين المعتدلين. وتميز هؤلاء بالوضوح أكثر عن الأريوسيين الآخرين، في مجمع ميديولانوس عام ٣٥٥م حيث أنهم قبلوا «تماثل الجوهر» أو التشابه في الجوهر «ὁμοιοτητα» الأمر الذي من أجله أطلق عليهم اسم «ομοιουσισαντοι» وكانوا يختلفون عن القائلين «بالتساوى في الجوهر» «ὁμοουσισαντους» أي «الهوموأوسيين» قليلًا، حيث الفرق في اللغة بين الاثنين هو حرف (i).

٢. الأريوسيون المتشددون:

هؤلاء كانوا على عكس المعتدلين. وهؤلاء المتشددون كانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين الذين قبلوا تعليم «بدعة التبني».. وكان يرأسهم في البدء يوسابيوس النيقوميدي. وفيما بعد يوسابيوس القسطنطيني. وهذا الفريق تشدد في الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر.. وإن كانوا أحيانًا يخفون آراءهم لأسباب تكتيكية. إلا أنهم كانوا متشددين.. وبعد موت يوسابيوس هذا في عام ٣٤١، برز بين صفوفهم «ايتيوس» الأنطاكي الذي اندفع إلى التمسك بتعاليم أريوس الأشد تطرفًا من أجل

^{٢٢} أوسابيوس: رسالة إلى كنيسته في كتاب «التاريخ الكنسي لسقراط».



تكوين فريق أريوسى جديد. وهذا الفريق الجديد تشكّل بطريقة أكثر تنسيقاً على يد تلميذه «يونوميوس». كما أن المنتمين إلى هذا الفريق وضعوا مناهج وأساليب متكاملة.. وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات. بما فيها الله أيضاً.. وزعموا أن جوهر الله هو فى عدم الولادة أما جوهر الابن فهو فى كونه مولود.. ومن ثمّ فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط لم يكونا شبيهين بل نقيضين تماماً.. ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب بفرادة خاصة وحده، اعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلاً من ثلاثة غطسات.

١- بسبب التباين بينهم، تشكل فريق ثالث بإيحاء من الإمبراطور قسطنطينوس. هو فريق «الاولميين» «τῶν ὁμοιωῶν» أى (الشبيهين) وهؤلاء استخدموا الإصطلاح «أوميوس ὁμοιος» (أى شبيه أو مثيل)، ألاّ أنه لم يكن لهم تعاليم لاهوتية خاصة بهم.. بل - بحسب الظروف - كانوا يناحزون لفريق أو لآخر. وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة «أوميوس ὁμοιος» فصار من الممكن أن تعنى أما «تشابه الجوهر» أو تشابه المشيئة.. وأتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولتتاس المورصى وكذلك أكاكىوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم فى المجمع الذى أنعقد فى سرميوس عام ٣٥٩م.

مواجهة الأريوسية:

هز الأريوسيون أرجاء الكنيسة بسبب الطريقة التى ظهرها بها، حيث إنهم - على وجه الخصوص - نشروا وفرضوا أفكارهم بكل ضرب من ضروب البدع الغريبة على ذلك العصر. فهم لم يستعينوا فقط بالعظات الدينية، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية، كما تأمر بذلك «تعاليم الرسل» بل كما سبق أن قيل أيضاً، فإنهم استخدموا كذلك اشعارهم الغنائية التى كانوا يتغنون بها فى كل مناسبة. أما سلاحهم الأكثر مضاء



وصلاية، فكان استغلالهم للقوى السياسية التي أقحموها للتدخل . لأول مرة . في شئون الكنيسة الداخلية. وهكذا أبعادوا خصومهم بوسائل عنيفة وأرغموا ق. أثاسيوس على أن يبارح كرسيه خمس مرات وفي مرتين منها أقاموا أساقفتهم على هذا الكرسي.. وكان تفوقهم الساحق أكثر ثباتاً واستقروا في أنطاكية، بعد عزل الأسقف يوستاتيوس عام ٣٣٠م. وفي عام ٣٦٠ أقاموا هناك صديقهم ميليتيوس الذي ما لبث أن أعرب في الحال عن اتجاهه إلى قانون إيمان نيقيا..

أما في آسيا فكان نفوذهم أقل، ولو أن موقفهم هناك كان أكثر هدوءاً، الأمر الذي لأجله كان موقف الأرثوذكسيين مرناً..

وفي القسطنطينية . على مدى أربعين سنة . خلف أربعة أساقفة أريوسيين الواحد الآخر.. وهكذا صار ق. غريغوريوس الثيولوجوس أسقفًا للقسطنطينية استقر في بيت صغير للصلاة (Chapel)، لأن الأريوسيين كانوا قد استولوا على جميع الكنائس، ولكن ق. غريغوريوس خلّص القسطنطينية منهم.. وفي الغرب حصلوا على نجاح محدود حيث استولوا فقط على بعض مراكز هامة قليلة مثل المديولانيين وذلك لعدة سنوات قليلة فقط.. إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى كرسي أسقفية روما.

وكانت حالة المسيحية في ذلك العصر تثير الحزن والأسى. فبينما أعطيت لها الفرصة لأول مرة لكي تمد كرازتها في كل مكان، اضطرت قادتها أن يهملوا ذلك قهراً. واضطروا للإنشغال بأمور عقائدية دقيقة.

كانت شوارع الأسكندرية تعج باستمرار بالأساقفة الذين، أما كانوا يفدون نحو مناهم وأما كانوا يتوجهون للاشتراك في المجامع العديدة وفي وسط هذه المحازفات والمخاطر أظهرت قيادة الأرثوذكسية شجاعة مقترنة بدبلوماسية تجاه مضطهديهم، كما أظهرت تمسكاً شديداً بالتقليد والإيمان المسلّم.. فكانوا إما ينادون بعقائدهم وينفون بسببها وإما كانوا يحافظون على هذه العقائد ويمكنون



في أماكنهم كي يصونوا الإيمان الأرثوذكسي الذي لا يخمد، ومن حول هؤلاء كانت خلايا المؤيدين المخلصين تصارع وتتصادم من أجل عقيدة مجمع نيقية.

ولقد تحملت مسؤولية الدفاع عن هذه العقيدة أولاً، مجموعة من القادة الكنسيين مثل البابا الكسندروس السكندري. ويوستاتيوس الأنطاكي، وهوسيوس القرطبي.

ثم بعد ذلك بقليل وقع عبء الدفاع عن عقيدة نيقية على أكتاف القديس أثناسيوس الكبير الذي أدار النضال طيلة خمسين عاماً تقريباً.. مُعضداً أيضاً من الآباء الآخرين أمثال كيرلس الأورشليمي وسرابيون أسقف تيميس، وديديموس الضرير، وهيلاريوس البكتافي وأخيراً الآباء الكبادوكيين العظام: باسيليوس أسقف قيصرية وغريغوريوس الثيولوجوس وغريغوريوس النيسي، وهؤلاء اللاهوتيين هما قاموا - باستنادهم على حجج وبراهين من الكتاب المقدس والتقليد الأصيل - بتجريد تعاليم آريوس اللاهوتية من غطاءها المتستر بالكتاب المقدس. وكشفوا أن الآريوسية إنما هي دراسة فلسفية جافة وعقيمة تُظهر الله بدون حياة أو حركة..

كما كشف ق. أثناسيوس الكبير أن تعاليم آريوس أدت إلى أمرين غير لائقين: أولهما: أنه لاشيء التعليم بالثالوث القدوس، وفتح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة، إذ أنه سمح بعبادة المخلوق.

وثانيهما: أنه قلب «بناء الخلاص» كليّة. فالمخلص الذي أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه فيه ملء اللاهوت،

ما دام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الإنسان. وعليه فكيف يكون من الممكن أن الكلمة الذي يؤله الإنسان لا يكون واحداً في الجوهر مع الله؟ إن قمة براهين ق. أثناسيوس هي أن المسيح لم يصر أبناً لله كجزءاً لكماله الأدبي بل على العكس فإنه هو الذي ألّٰهنا. فيقول ق. أثناسيوس «إذن فالمسيح لم يكن انساناً وفيما بعد



صار إلهاً، بل أنه كان إلها ثم صار إنساناً لكي يؤلفنا» (المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة ٣٩).

وعلى الرغم من صرامته وحزمه لم يكن ق. أثاسيوس متصلباً بل كان يعرف كيف يتدبر الأمر بتفهم وتسامح . وعندما تخلّص من الضغط السياسي الخطير عرض المشكلة بحذر ويقظة أكثر وأعاد فحص الموقف كله وعندئذ تحقق من قصور وعجز بعض الحجج وسعى لكي يجد لها علاجاً.. فالمطابقة المشار إليها سابقاً بين الاصطلاحين «أوسيا» (أى الجوهر). و«هيبوستاسيس» (أى القوام) كانت مقبولة في الغرب بدون اعتراض، ولكن في الشرق رأى كثير من اللاهوتيين أن فيها خطر البدعة «السابيلية». وأدرك ق. أثاسيوس هذه الحيرة وقام بحركة توفيق فعالة أثناء مجمع الأسكندرية عام ٣٦٢م حيث أقر بأن كل مَنْ لا يرغب في الإقرار بصيغة «الهوموأوسىوس» (أى المساواة أو الوحدة فى الجوهر)، ولكنه يقبل في نفس الوقت بوحدة «الآب والابن فإنه يوجد على الطريق المستقيم». وقام بخطوة العودة للتقليد الشرقي فيما يخص للثالوث مع التفريق بين معنى الاصطلاحين «أوسيا»، و«هيبوستاسيس» مع إضافة معنى «طريقة الوجود الخاص بالكيان» إلى «الهيبوستاسيس». وهكذا فإن الله يكون من جوهر واحد ولكنه يوجد في ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو أشخاص (بروسويا)، وهذه الصيغة توسع فيها أكثر الآباء الكبادوكيين بعد ذلك. ومن ذلك الوقت فتح الباب أمام جماعة «الهوميواوسيين» «ομοιουσιανους». كما أن غالبية الذين رجعوا وانضموا إلى أتباع مجمع نيقيا الأرثوذكسيين، وصلوا أيضاً بعد ذلك إلى قبول مبدأ «الهوموأوسىوس» «ομοουσιος» (التساوي أو الوحدة في الجوهر) ولكن البعض من هؤلاء لم يكونوا على استعداد لقبول الاعتقاد بمساواة الروح فى الجوهر أيضاً (أى مع الآب والابن) . ولهذا السبب تضمن قانون الايمان في مجمع نيقية، مجرد عبارة «وبالروح القدس» بدون أية خاصية أو صفة أخرى، وكان هؤلاء يعتقدون بشئى فقط في الله بدلاً من الثالوث. ولهذا أطلق عليهم أسم «أعداء الروح» ولأنه



كان يتزعمهم «مقدونيوس» الذي جرّده «الأوميون» «ὁμοίων» من رتبته لهذا أطلق عليهم أيضاً اسم «المقدونيون». وهؤلاء حُكم عليهم بواسطة مجمع أنطاكية سنة ٣٧٩م. والمجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية سنة ٣٨١م. ولكي يتجنّب الآباء أى مخاطر جديدة أو أى إساءة فهم للأمور، فإنهم لم يستخدموا فى هذا المجمع الأخير أى اصطلاحات مثيرة، مثل «الهومواوسيوس» «ὁμοουσιος» بل استخدموا عبارات متبينة وهى عبارات توضح «المساواة فى الكرامة» وهم فى هذا قد أتبعوا السياسة الحكيمة التي كان يسير عليها ق. باسيليوس الكبير. ثم أصدر الامبراطور ثيئودوسيوس قراراً بوضع حد لهذا الصراع داخل إمبراطوريته، فكانت النهاية الحاسمة، مما أدى إلى الاعتراف بشكل دينى واحد وهو المسيحية الأرثوذكسية التي أقرها «داماسوس» أسقف روما. «وبطرس» بابا الأسكندرية. وبالتالي أنضم غالبية الآريوسيين إلى الكنيسة، أما البقية الذين تخلفوا فقد انضموا على التوالي إلى بدع وهرطقات أخرى، وخاصة النسطورية، وهى البدعة التي حاولت أن تنقص من ألوهية المسيح بطريقة أخرى.

المقالة الأولى

(الفصول ١-١٣)

الفصل الأول

مقدمه

سبب الكتابة :

١- بقدر ما نأت وابتعدت الهرطقات عن الحقيقة، بقدر ذلك ابتدعت واستتبعت لنفسها جنوناً وخبلاً بات جلياً واضحاً. وصار كفر وتجديف هؤلاء الناس ظاهراً بيئاً للجميع منذ القدم. لأن خروج الذين ابتدعوا أمور الخداع هذه، عنا - من الممكن أن نثبتته ونوضّحه كما كتب المغبوط يوحنا^{٢٣}، فإن فكر مثل هؤلاء القوم لم يكن له وجود قط قبل ذلك، كما أنه لا يتفق مع ما نعتقده نحن الآن ونؤمن به. ولذلك أيضاً فكما يقول المخلص، فإن الذين لا يجمعون معنا هم يفرقون مع الشيطان^{٢٤}، متعقبين النائمين، حتى إذا نفثوا فيهم سمهم المهلك يضمنون اشراكهم معهم في الموت. وحيث إن واحدة من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة - التى ظهرت الآن كتمهيد لحد المسيح (المسيح الدجال) - وهى التى - تسمى الأريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن اخواتها من الهرطقات الأخرى الأقدم منها، قد فضّحت جهاراً، ولذلك فإنها - مثل أبيها - الشيطان - تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرةً أخرى إلى فردوس الكنيسة لكى تظهر - بغير وجه حق - كأنها تعاليم مسيحية، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب. وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط

^{٢٣} ١يو ٢: ١٩.

^{٢٤} لوقا ١١: ٢٣.



بالسمع بل أيضاً - مثل حواء - أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم - بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المرّ حلواً^{٢٥} وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة. ولهذا أعتقدتُ - بعد أن طلبت مني - أنه صار ضرورياً أن أحطم قوّة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن اكشف عن نتانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكي يتجنّبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضاً لكي يندم الذين خدعوا بها، فيتوبوا. ولكي يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا، والكذب ليس حقيقة، هكذا فليست الآريوسية بدعة حسنة، لكن بعض هؤلاء أيضاً الذين يسمون مسيحيين، كثيراً ما يُخدعون لأنهم لا يقرأون الكتب المقدسة، ولا يعرفون المسيحية قط، ولا يدركون الإيمان بها.

الآريوسية مختلفة تماماً عن الإيمان الحقيقي:

٢. أي شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقي. حتى أنهم يقولون بأنه لا يوجد شيء رديء فيما يعلمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا في الحقيقة، أنهم يعتبرون قيافا مسيحياً. وأيضاً لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئك الذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلص، أنهم ما اقترفوا أي أثم، وهم يمدحون هيمينائيس والاسكندر^{٢٦} على أن اعتقادهما قويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما.

^{٢٥} إش ٢:٥.

^{٢٦} قارن ١ تيمو ٢:٢ و ٢ تيمو ٢:٢٠ هيمينائيس والاسكندر هما اثنان من المعلمين المبتدعين في المسيحية الأولى، اللذين حرهما بولس الرسول من الخدمة في الكنيسة لأنهما آمنا وعلمنا بأن قيامة الأموات العامة قد صارت.



إلا أن المسيحي لا يحتمل سماع كل هذه الأشياء، كما أن ذلك الذى يجرؤ أن يتحدث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك.

فبالنسبة للآريوسيين يُعتبر آريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل مانى عند المانويين، وفى مقابل موسى والقديسين الآخرين عندهم سوتيداس^{٢٧} الذى كان يهزأ بالامميين (الوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا^{٢٨}.

لأن آريوس وهو يكتب الثالثيا^{٢٩}. كان يقلّد الأسلوب النسائى المنسوب إلى سوتيداس. وكما أبهرت ابنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك آريوس سحّر الرقص واللهو فى التشهير والإفتراء على المخلص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموّه ويضلّل عقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكى يبدّل اسم ربّ المجد إلى شبه صورة إنسان زائل^{٣٠}. وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً من لقب المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعاً على كفرهم.

الآريوسيون ليسو مسيحيين:

فلا تدعهم إذن يجدون لأنفسهم عذراً. ولا تدعهم يتهكّمون مفترين على هؤلاء الذين هم ليسوا فى الحقيقى مثلهم. فيسمون المسيحيين بأسماء معلّمهم، لكى

^{٢٧} سوتيداس شاعر يونانى قدم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلادلفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سُمى بالشاعر الداعر.

^{٢٨} ابنة هيروديا، كانت قد أجهت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها طلبت منه أن يقدّم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى ١٤: ١-١٢، مر ٦: ١٧-٢٩.

^{٢٩} الثالثيا هى أشعار وقصائد ألفها آريوس بهدف نشر هرطقته بما فيها من تعاليم خاصة.

^{٣٠} روا ٢٣: ١.



يظهروا هم أيضاً بهذه الطريقة أنهم مسيحيون^{٣١}. ومرة أخرى لا تدعهم يمزحون، وهم يستحون من اسمهم الذى جلب عليهم مثل هذا العار والخزى، فلو كانوا حقاً يخلون فليغطوا عريهم أو فليتنحوا عن ضلالهم. لأنه لم يحدث قط فى أى وقت، أن أتخذ الشعب المسيحي أسماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم، بل اتخذوا اسم الرب وحده الذى به نؤمن. ولذلك فنحن أيضاً الذين اتخذنا تعاليمنا من الرسل المغبوطين الذين خدموا انجيل المخلص، فإننا لم نتسبب إلى أسمهم ولم ندع به، بل نسمى فقط باسم المسيح، لذلك فنحن مسيحيون وهذا هو لقبنا. أما أولئك الذين ينتمون إلى آخرين ويأخذون منهم العقيدة التى يعترفون بها، فإنهم من الطبيعي بالنسبة لهم أن يحملوا أسماءهم أيضاً، لأنهم قد صاروا ملكاً لهؤلاء المعلمين.

٣. وحيث إن لنا الإيمان اليقيني بالمسيح، لذلك فأنا ندعى مسيحيين. وقديماً عندما طردَ ماركيون وألقى بعيداً لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حُرِمَ من الكنيسة ظلوا مسيحيين، فى حين أن الذين تبعوا ماركيون وشايعوه لم يسموا بعد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين. وهكذا أيضاً فالنتينوس وباسيليديس ومانى وسيمون الساحر، فإنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين، والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضاً ميليتيوس عندما طرده وحرّمه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يُطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشئ أيضاً

^{٣١} يبدو أن القديس أناسيوس يشير إلى أن البعض كان يطلق على المؤمنين المستقيمي الرأى اسم أناسيوس، لكى يجدوا هذا مبرراً لأنفسهم وهم يسمون أتباعهم بأسمائهم، وأن يعتبروا أنفسهم مسيحيين.



حينما حَرَمَ ألكسندروس المطوَّب الذكر آريوس، فإن الذين ظلُّوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع آريوس، فإنهم تخلَّوا - لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس - عن اسم المسيح ومن ثم أُطْلِقَ على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسيَّة لهم نفس الميزة. فإن أحداً من أولئك لم يُطْلَقَ عليه اسم أثناسيوس، كما أن أثناسيوس لم يطلق عليه اسم أى واحد من أولئك المرتبطين به، ولكنهم - وفقاً للوضع المؤلف - يسمون جميعاً مسيحيين. لأنه وإن كان لدينا سلسلة متتابعة من خلفاء المعلمين ... وقد صرنا نحن تلاميذ هؤلاء، ولكن حيث إننا نتعلَّم منهم أمور المسيح وكل ما يختص به، لذلك فمما لا شك فيه، فأنا مسيحيون وهكذا ندعى. أما أولئك الذين يتبعون الهرطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فإنهم حتماً يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة، وهكذا فإنه حتى بعد أن مات آريوس، رغم أن عدداً كبيراً خلفه فى هرطقته، إلا أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فإنهم يسمون آريوسيون.

والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة - ولا يزالون يدخلون فيها حتى الآن، فإذا يهجرون ضلالة الأوثان، فإنهم لا يُدعون بأسماء الذين علِّمهم أصول الإيمان، بل يُدعون باسم المخلَّص، وصاروا يدعون مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهرطقة والذين يتركون الكنيسة ويتبعون الهرطقة، فإنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعاً لذلك يتخذون اسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قط، بل صاروا خلفاء لجنون آريوس وخبَّله.



٤. كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الأريوسية؟ أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وهم قد انفصلوا عن الإيمان الرسولي ونبذوه وصاروا مبتدعين شروراً جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فأنهم يسمون ثاليا آريوس حكمة جديدة؟ وما يقولونه يُثبت حقاً أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهذا السبب أيضاً فإن الإنسان ليدهش، أنه في حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثر عدداً حول العهدين القديم والجديد، فليس في أى منها شئ مما ابتدعه كتاب الثاليا، بل حتى لا يوجد شئ منها عند كبار الأمميين وعظمائهم... ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنّون وهم ثمالى وسكارى بين قرقة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبثهم ولهوهم ليثيروا ضحك الآخرين.

إن آريوس الغريب، في الواقع لم يقلد أحداً وقوراً، وإذا كان يجهل كتابات الرجال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيراً من الهرطقات الأخرى. ولا يوجد له منافس في مجال الهزل والسخرية غير سوتياس^{٣٢} وحده. لأنه ماذا كان في وسعه أن يعمل سوى أن يرغب في التحول ضد المخلص، بأناشيده الراقصة، معبراً بثرثرته الموقته وطنطنته البغيضة عن كفره وإلحاده، مستخدماً في ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه من تلك الأقوال التي تتضح بعد نضح الروح وفساد الذهن، وذلك كما تقول الحكمة تماماً «يعرف المرء من الكلمة الصادرة عنه»^{٣٣} ولأن الضلال لم يكن سهواً، بل هو متعدّد الوجوه، ومُتعمّد أيضاً، فهو مثل الثعبان الذي يلتف حول نفسه

^{٣٢} انظر ص (٢) هامش (٢).

^{٣٣} انظر ابن سيراخ ٢٩: ١٩.



صَاعِدًا هَابِطًا، وَلَكِنَّهُ - (أَيَّ آرْيُوس) قَدْ سَقَطَ فِي ضَلَالِ الْفَرِيسِيِّينَ عِنْدَمَا أَرَادُوا مَخَالَفَةَ الشَّرِيعَةِ، فَأَنَّهُمْ تَظَاهَرُوا بِأَنَّهُمْ غَيُورُونَ عَلَى أَقْوَالِ الْنَامُوسِ، وَعِنْدَمَا أَرَادُوا إِنْكَارَ الْوَهْيَةِ الرَّبِّ الْمُنْتَظَرِ، بَيْنَمَا كَانَ هُوَ نَفْسَهُ حَاضِرًا بَيْنَهُمْ ... فَإِنَّهُمْ إِدْعَوُا بِأَنَّهُمْ يَسْتَشْهَدُونَ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ أَثْبَتُوا بِذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجِدُّونَ بِقَوْلِهِمْ: «لِمَاذَا وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا»^{٣٤}، وَتَقُولُ «أَنَا وَالْآبُ مَعًا وَاحِدًا». هَكَذَا أَيْضًا آرْيُوسُ الْمَرْزُوفُ وَالَّذِي حَذَوْهُ سَوْتِيَادَسُ، فَإِنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ اللَّهِ، مُسْتَخْدِمًا كَلِمَاتِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَلَكِنَّهُ أَثْبَتَ مِنْ كُلِّ النَّوَاحِي أَنَّهُ كَافِرٌ وَذَلِكَ بِإِنْكَارِهِ الْوَهْيَةَ الْإِبْنِ، مُعْتَبِرًا أَيَّاهُ مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ.

^{٣٤} يور ١٠: ٣٣.

الفصل الثانى

مقتطفات من ثاليا آريوس^{٣٥}

٥- إن بدء ثاليا آريوس عبارة عن أقوال ركيكة جوفاء. وقد أتخذت لها أسلوبًا أنثويًا وهى هكذا: «حسب إيمان مختارى الله الذين لهم أدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصفّون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلّمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة، أناس مدهشون من المعلمين لأُمور الله، وعمومًا فإنهم يعتبرون من الحكماء. وقد أقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على دربهم. وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلمًا لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاه من الله»^{٣٦}.

أن مثل هذه الثروة الجوفاء يتشّدق بها فى الثاليا، والتي ينبغى تجنبها والابتعاد عنها، إذ هى مليئة بالكفر والضلال، إذ قد جاء فيها «لم يكن الله أبًا فى كل حين بل كان هناك وقت حين كان الله وحده، ولم يكن أبًا بعد، بل قد صار أبًا فيما بعد... والابن لم يكن موجودًا دائمًا. لأن كل الأشياء قد خُلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجودًا، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة» ويقول أيضًا: «لأن الله كان وحده؛ ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا،

^{٣٥} راجع ص ٢ هامش (٤).

^{٣٦} ما بين الأقواس بخط مختلف هو نص الثاليا.



فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كي يخلقنا بواسطته» ولذلك فهو يقول أن هناك حكمتان: الأولى مستقلة وموجودة مع الله. أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقط في هذه الحكمة الأولى، لأنه يقول « إن الحكمة جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة وبمشيئة الله الحكيم».

وهكذا يقول أيضاً: « إنه توجد كلمة أخرى في الله غير الابن. وأيضاً إن الابن قد سمى كلمة وأبناً بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة».

التعليم الآتي أيضاً إنما هو أحد الأفكار الخاصة بهرطقتهم كما يتضح من مؤلفاتهم الأخرى إذ يقولون «إنه توجد قوَّات كثيرة، أحداها هي قوَّة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوَّة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوة من تلك التي تدعى قوَّات. والتي تعتبر أحداها هي قوَّة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية، أما المسيح فليس هو قوَّة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوَّة من تلك التي تدعى قوَّات، والتي تُعتبر أحداها أيضاً «الجرادة» و «الدودة». وهي ليست قوَّة وحسب بل أعلن عنها أيضاً أنها قوَّة عظيمة^{٣٧}. أما القوَّات الأخرى المتعددة فهي مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: «ربَّ القوَّات»^{٣٨}. والكلمة نفسه أيضاً، مثل كل القوَّات، متغيَّر بحسب طبيعته، ويبقى صالحاً بإرادته الحرَّة. إلى أي وقت يريده، ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحوَّل مثلنا، إذ أنه ذو طبيعة متغيِّرة». ويقول أيضاً «بما أن الله عرف بسبق علمه بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد، مقدِّماً وهو المجد الذي حصل عليه بعد ذلك كإنسان، بسبب الفضيلة.

^{٣٧} انظر (يوئيل ٢: ٢٥) حيث يشير إلى الجراد والطيار بلقب "جيش الله العظيم".

^{٣٨} مز ١٠٢: ١٠.



ولهذا فإن الله - بسبب أعماله التي كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل - خلقه بمثل هذه الصورة التي صار عليها الآن».

٦- بل أن آريوس قد تجاسر مرة أخرى أن يقول إن « الكلمة ليس إلهًا حقيقياً، وحتى إن كان يدعى إلهًا لكنه ليس إلهًا حقيقياً. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهًا بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه في الجوهر. هكذا الكلمة أيضاً يعتبر غريباً عن جوهر الآب وذاتيته ومختلفاً عنه، بل هو ينتمي إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة. وهو نفسه أحد هذه المخلوقات».

وفضلاً عن ذلك، فإن آريوس كما لو كان قد صار خليفة للشيطان ووارثاً لتهوّره ووقاحته، فقد ذكر في «الثاليا» ما يلي: « وحتى الابن، فإنه لا يرى الآب» وأن «الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تماماً بصورة كاملة. ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضاً بقدر طاقتنا الذاتية». كما يقول «إن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل أن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به. وأن كل من الآب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة. وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر» وهو نفسه يدعى «أنهم غير متشابهين تماماً في الجوهر والمجد بلا نهاية». ويقول «إنه فيما يتعلق بتشابه المجد والجوهر فإن الكلمة يعتبر مختلفاً تماماً عن كل من الآب والروح القدس».

وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن « الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب إطلاقاً».

هذه إذن مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت في كتابات آريوس الهزلية.



٧. فَمَنْ هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم فى الثالیا، ولا يبغض آريوس وهو يقوم بتمثيله هذه؟ وبينما هو يدعو باسم الله ويتحدث عنه، فَمَنْ لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدّمت المشورة للمرأة؟ وَمَنْ لا يرى - وهو يقرأ ما كتبه - تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحية وهى تحاول إغواء المرأة؟ فَمَنْ لا يفزع من هول هذه التجاديف؟ فكما يقول النبى «السماء تنذهل، والأرض تقشعر»^{٣٩} من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذا لم تحتمل تلك الإهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعاً والتى احتملها هو نفسه من أجلنا، بإرادته. فإنها أستدارت وحجبت أشعتها، وجعلت ذلك اليوم بلا شمس. وأزاء تجديفات آريوس، كيف لا تتمرد حياة البشرية فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم، هرباً من سماع هذه التجديفات، ومن رؤية وجه كاتبها؟

وبالأحرى كيف لا يصرخ الرب ذاته ضد هؤلاء العديمي التقوى، بل والجاحدين أيضاً بتلك الكلمات التى سبق ونطق بها على لسان هوشع النبى «وَيْلٌ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ هَرَبُوا عَنِّي. تَبّاً لَهُمْ لِأَنَّهُمْ أَذْنَبُوا إِلَيَّ. أَنَا أَفْدِيهِمْ وَهُمْ تَكَلَّمُوا عَلَيَّ بِكَذِبٍ»^{٤٠}. وبعد ذلك بقليل «وَهُمْ يُفَكِّرُونَ عَلَيَّ بِالشَّرِّ». «وعادوا الى العدم»^{٤١}؟

لأنهم بعد أن أبتعدوا عن كلمة الله الذى هو كائن، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن. فسقطوا فى العدم ومن أجل ذلك السبب أيضاً، فإن المجمع المسكونى^{٤٢} طردَ، آريوس الذى علّم بهذه الأمور، من الكنيسة وحرّمه، إذ لم

^{٣٩} إر ١٢: ٢.

^{٤٠} هو ١٣: ٧.

^{٤١} هو ١٦: ٧ س.

^{٤٢} يقصد مجمع نيقية المسكون الأول الذى أُنْعقد سنة ٣٢٥ م.



يحتمل المجمع كفره وجحوده. ومنذ ذلك الحين، فقد أعتبر ضلال آريوس، هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لُقّب بعدو المسيح، وممهّداً للمسيح الدجال.

ولكن رغم أن هذا الحكم ضد الآريوسية، يعتبر في ذاته كاف جداً لأن يجعل الناس يهربون بعيداً عن هذه الهرطقة الكافرة، إلا أنه، كما سبق أن قلت، يوجد البعض من الذين يُدعَوْنَ مسيحيين، يعتبرون - عن جهل أو عن تظاهر بالجهل - أن هذه الهرطقة لا تختلف إلا قليلاً عن الحق، ولذلك يسمون الذين يعترفون بها، مسيحيين.

لذلك هيأ بنا إذن بكل ما عندنا من جهد، لنكشف القناع عن حيل الآريوسية وخداعها بأن نضع أمامهم بعض أسئلة، حتى أنه بعد أن تُدحض آراؤها، فأنهم سينفضّون من حولها ويهربون كما لو كانوا يهربون من وجه أفعى.

الفصل الثالث

خطورة الموضوع

٨ فلو أن استعمالهم لبعض كلمات من الكتاب الإلهي، في الثاليا، يحوّل - بحسب ظنهم - التجديف والكفر الذي في الثاليا الى كلمات مديح وثناء، فإنهم حينما يرون يهود هذه الأيام وهم يقرأون الشريعة والأنبياء فبلا شك يلزمهم على هذا الأساس أن ينكروا المسيح مثل أولئك اليهود. وربما لو استمعوا إلى المانويين^{٤٣} وهم يترنّمون ببعض مقتطفات من الإنجيل، فإنه سينكرون مثلهم الشريعة والأنبياء.

فإن كانوا يتلملون ويثرثرون هكذا، بسبب جهلهم.. إذن فليعلموا من الكتب المقدسة، أن الشيطان - وهو مبتكر الهرطقات ومؤلفها - يستعير أقوال الكتب المقدسة كغطاء يتستّر من ورائه لكي ينفث سمومه الخاصة به ليخدع البسطاء، وذلك ليخفي الرائحة العفنة الكريهة الكامنة في شرّه الخاص. وهكذا خدع حواء، وهكذا حاك الهرطقات الأخرى، وهكذا الآن أيضاً فإنه حتّ آريوس لكي يدعى أنه يحتج ضد الهرطقة ويقاومهم وبهذه الطريقة فإنه يدخل هرطقته هو في غفلة من الجميع.

^{٤٣} المانويين: هم أصحاب بدعة ماني (٢١٦م - ٢٧٦م) الكاهن من بلاد فارس والذي كان يعلم بوجود إلهين إله الخير وإله الشر والذي تأثر بأنكار الغنوسيين.



ومع ذلك فإن هذا الداهية الخبيث لم يتمكن من الإفلات. فلأنه كفر بالله الكلمة. فإنه أفرغ كل ما لديه في الحال، وانكشف أمام الجميع جهله بالهرطقات الأخرى أيضاً، وأنه لم يكن في عقيدته أى شئ مستقيم، ولذلك كان ينافق ويرأى.

لأنه كيف يمكن أن يتكلم بإستقامة عن الآب، وهو ينكر الابن الذى يكشف الآب ويعلنه؟ أو كيف يمكن أن يعتقد اعتقاداً قوياً فيما يخص الروح القدس، بينما هو يفترى على الكلمة الذى يهب الروح ويعطيه؟ ومن سيق به عندما يتحدث عن القيامة، ما دام هو شخصياً ينكر المسيح، الذى صار البكر من الأموات، من أجلنا؟ وكيف لن نخدع فيما يخص حضوره بالجسد، وهو يجهل كلية الميلاد الحقيقى للابن من الآب؟ فإنه هكذا أيضاً حدث مع اليهود حينما أنكروا الكلمة وقالوا «ليس لنا ملك إلا قيصر»^{٤٤}، فإنهم فقدوا كل شئ دفعة واحدة وبقوا بدون نور المصباح وبدون رائحة الطيب، وبدون معرفة النبوة، وبدون الحق ذاته، وهم حتى الآن، لا يفهمون شيئاً، كمن يسيرون في الظلام. لأنه من سمع بمثل هذه التعاليم في أى عصر من العصور حتى الآن، أو من أين أو ممن سمع هؤلاء هذه الأمور، أولئك المنافقون والمأجورون لنشر الهرطقة؟ ومن علم هؤلاء مثل هذه العقيدة حينما كانوا يلقنونهم دروس الدين؟ ومن قال لهم بعد أن انصرفوا عن عبادة الخليفة، تعالوا من جديد لتعبدوا المخلوق والمصنوع؟ وإن كان هؤلاء أنفسهم يعترفون بأنهم قد سمعوا بمثل هذه التعاليم لأول مرة الآن، فليكفوا إذن عن إنكارهم بأن هذه الهرطقة إنما هي غريبة، ولم يتسلموها عن الآباء. والذى لم يأت

^{٤٤} كرو ١٩: ١٩.

^{٤٥} يوح ١٩: ١٥.



من الآباء بل أبتدع الآن لن يكون شيئاً آخر، سوى ما تنبأ به المغبوط بولس بقوله «فى الأزمنة الأخيرة ينحرف البعض عن الايمان القويم تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين فى نفاق الكذابين الموسومة ضمائرهم الذاتية»^{٤٦}. وأيضاً «مرتدين عن الحق».

الإيمان الصحيح عن الابن:

٩. ها نحن إذن نتحدث بحرية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهية، ونضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفس جوهره، وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقى الوحيد لله وهو ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً، ولكنه مولود حقيقى من ذات جوهر الآب، ولهذا فهو إله حق إذ هو واحد فى الجوهر $\delta\mu\omicron\upsilon\sigma\iota\omicron\varsigma$ مع الآب الحقيقى.

أما بالنسبة للكائنات الأخرى، التى قال لها: «أنا قلت: أنتم آلهة»^{٤٧}، فإنها حصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها للكلمة عن طريق الروح القدس لأنه هو رسم جوهر الآب، هو نور من نور، وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب. لأن هذا ما قاله الرب أيضاً: «من رآنى فقد رأى الآب»^{٤٨}. فهو موجوداً على الدوام، وهو كائن كل حين، ولم يكن قط غير موجود، وكما أن الآب أزلي، هكذا أيضاً فإن كلمته وحكمته يجب أن يكون أزلياً.

٤٦ اتى ٤: ١، ٢٠١٤.

٤٧ مز ٨: ٦.

٤٨ يوح ١: ٩.



ثم فلنر إذن ما يتشدد به هؤلاء مما يقدمونه لنا من مزاعم مما جاء فى الثالیا الذمیة

دعهم أولاً یقرأونها مقلدین أسلوب كاتبها، کى يتعلموا - حتى وإن كانوا یسخرّون من الآخرين - إلى أى ضلال قد انحدرُوا. وبعد ذلك فلیقولوا، ولكن ماذا فى وسعهم أن یقولوا عنه سوى: «إن الله لم یکن دائماً أباً. ولكنه صار أباً فیما بعد. والابن لم یکن موجوداً دائماً، لأنه لم یکن موجوداً قبل أن یولد، وأنه لیس من الآب، ولكنه هو أيضاً خُلِقَ من العدم، وهو لیس من نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع؟» وأن «المسیح لم یکن إلهاً حقیقیّاً، بل هو نفسه صار إلهاً بالمشاركة. والابن لم یعرف الآب معرفة تامة، والكلمة لم یر أباه بصورة كاملة. والكلمة لم یفهم ولم یعرف أباه على وجه الدقة. ولم یکن هو نفسه. الكلمة الحقیقی الوحید للآب، ولكن بالأسم فقط یدعى كلمة وحكمة، وهو بالنعمة فقط یدعى ابناً وقوّة. وهو لیس غیر قابل للتغیّر مثل الآب، ولكنه متغیّر بالطبیعة کالمخلوقات. وهو قاصر عن إدراك معرفة الآب إدراكاً كاملاً».

غریب أمر هذه الهرطقة حقّاً، إذ لیس هناك أى احتمال فى استقامة تعالیمها، بل هى تتخیّل أنه لا وجود لذلك الذى له وجود فى الواقع، بل تتشر على الملأ مهاترات کفریة تماماً بدلاً من الأقوال الورعة التقیّة. إذن، إن قام أحد الناس بالتصدى لبحث تعالیم الفریقین وتساءل إلى إیمان أى منهما یحاز وأى منهما یتکلم الكلام اللائق عن الله أو بالأحرى دع هؤلاء الذین یحرّضون على الکفر بنفاق، یقولون: بماذا یجب أن یجاب عندما یسأل إنسان عن الله، (لأن «الكلمة کان الله»)، فإنه من الإجابة على هذه السؤال سيعرف کل ما یتعلّق بکلتا المسألتین، أى ماذا یجب أن یقوله الشخص: هل «کان» أم «لم یکن»؟ هل هو «دائم» أم «صار من قبل» هل هو «أزلیّ» أم «منذ متی، وحتى متی». هو هو «اله حق» أم «بالوضع والمشاركة



والاختلاق» هل هناك مَنْ يقبل القول بأنه (أى الكلمة) «واحد من بين المخلوقات» أم أنه «مشابه الآب». وأنه «غير مشابه للآب حسب الجوهر». أم أنه «مشابه للآب وخاص به» وأنه «مخلوق» أم أن «به قد خُلقت المخلوقات».

إنه «هو ذاته كلمة الآب»، أم أن هناك «كلمة آخر» بالاضافة إليه، وأنه تكون عن طريق هذا الكلمة الآخر وعن طريق حكمة أخرى.. وأنه إنما لُقِبَ حكمة وكلمة بالاسم فقط، وأنه صار شريكاً لتلك الحكمة وتالياً لها.

١٠. فأقوال مَنْ أذن، هى التى تعتبر لاهوتية وتوضح أن ربنا يسوع المسيح هو إله وابن الآب؟ هل هى تلك الأقوال التى تقيأتموها أنتم، أم تلك التى قلناها نحن ولا نزال نقولها من الكتب المقدسة.

إذن فإن كان المخلص ليس إله وليس كلمة وليس ابناً فإنه يكون من الجائز لكم (فى هذه الحالة) أن تقولوا ما تريدون كما هو جائز للوثنيين واليهود فى أيامنا.

أما إن كان هو كلمة الآب والابن الحقيقى. وإله من إله، و «الْكَاثِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ»^{٤٩}، فكيف لا يكون لائقاً أن نزيل ونمحو الأقوال المغايرة والثاليا الآريوسية، كصورة للشرور، تلك المليئة بكل أنواع الإلحاد والكفر؟ والتى عندما يسقط فيها أحد، «فإنه لا يعرف أن الأشباح سيهلكون بواسطتها، وأنه سيلتقون بها فى عمق الهاوية»^{٥٠} أنهم يعرفون هذا الأمر، وهم أنفسهم فى الواقع كمخادعين يخفون هذه الأمور لأنهم لا يملكون الشجاعة أن

^{٤٩} رو ٩: ٥٠.

^{٥٠} أم ٩: ١٨ س.



ينطقوا بها علناً، ولكنهم يقولون أشياء أخرى قريبة منها، لأنهم أن تكلموا علناً فسوف يلامون، وإن تعرضوا للشبهة (بسبب الانحراف) فإن الجميع سيتصدون لهم ببراهين من الكتب المقدسة. ولذلك، فبما أنهم أبناء هذا الجيل، فإنهم بدهاء، قد أوقدوا المصباح الذي اعتبروه خاصاً بهم، بزيت خام، ولكنهم خوفاً من أن ينطفئ بسرعة لأنه قد قيل «نُورُ الْأَشْرَارِ يَنْطَفِئُ»^{٥١}، فإنهم أخفوه تحت مكيال النفاق والرياء. ويدلون بأقوال مغايرة، مستعينين بحماية الأصدقاء مهديين بقسطنطيوس^{٥٢} وذلك حتى لا يرى، أولئك الذين ينضمون إليهم، نجاسة الآريوسية وتنانيتها وذلك بواسطة دهائهم وأقوالهم التي ينطقون بها. كيف إذن لا تكون هذه الهرطقة مستحقة للكرهية مرةً أخرى، بحسب هذا أيضاً، وهى فى الواقع تُخفى بواسطة مشاييعها أنفسهم. إذ أنها لا تتجاسر أن تظهر علناً وتتكلم بحرية. بل هى تترى ويُعتنى بها كالحية؟

لأنهم من أين جمعوا لأنفسهم تلك الترهات؟ أو ممن حصلوا إذن على مثل هذه الأقوال التي يتجاسرون على التشدد بها؟ فليس فى وسعهم أن يحددوا الشخص الذى سبق أن تسلّموا منه هذه الأقوال. لأنه مَنْ من الناس، سواء كان يونانياً أو بربرياً يجسر أن يقول عن ذلك الذى يُقر ويُعترف به أنه إله، بأنه واحد من المخلوقات، وأنه لم يكن موجوداً قبل أن يُخلق؟ وَمَنْ هو ذلك الذى يؤمن بالله، ولا يصدق الله القائل «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ»^{٥٣} ويزعم بأن الابن ليس ابناً بل مخلوقاً؟ بل أن مثل هذه التعاليم سوف تثير سخط الجميع أكثر ضدهم.

^{٥١} أي ١٨: ٥٠.

^{٥٢} كان الإمبراطور قسطنطيوس يحمى الآريوسيين ولذلك فإنه نفى أناسيوس مرتين فى عامى ٣٤٠م، ٣٥٦م.

^{٥٣} مت ١٧: ٥٠.



فإنهم لم يتخذوا براهينهم حتى من الكتب المقدسة، لأنه سبق أن كشفنا مراراً، كما سنكشف الآن أيضاً بأن هذه التعاليم مخالفة وغريبة عن الأقوال الإلهية، إذن، إذ لم يتبق إلا أن نقول بأنهم قد أصابهم الجنون بعد أن تلقوا هذه التعاليم من الشيطان (لأنه هو وحده الذى يزرع مثل هذه التعاليم). لذلك هياً بنا لنقاومه، لأنه سيكون لنا صراع ضده عن طريقهم. وبمشيئة الرب، بعد أن يعجز كالمعتاد بواسطة البراهين، فإنهم سيصابون بالخزي عندما يرون ذلك الذى زرع هذه الهرطقة فيهم، خالياً من أية قوة، فيتعلمون، ولو متأخراً، أنه بما أنهم آريوسيون، فهم ليسوا مسيحيين.

الفصل الرابع

الابن أزلّي وغير مخلوق

١١. قد قلتم واعتقدتم حسب اقتراح (الشيطان) عليكم، بأنه «كان وقت لم يكن فيه الابن موجوداً»، ولأن ثوب أفكار بدعتكم هذا، هو الذى يجب أن ينزع أولاً، إذن قولوا لنا أيها المهاترون عديمي التقوى، ما المقصود بالوقت الذى لم يكن فيه الابن موجوداً؟ فإن كنتم تشيرون بهذا إلى الآب فإن تجديدكم يكون أعظم. لأنه من غير اللائق أن يقال عنه «كان فى وقت ما» أو أن يشار إليه بكلمة «وقت»، لأنه كائن دائماً وهو موجود الآن. وحيث إن الابن أيضاً موجود فهو (الآب) أيضاً موجود، وهو نفسه الكائن، وأبو الابن. فإن كنتم تقولون إن الابن كان موجوداً مرة، حينما لم يكن موجوداً، فالجواب هو أن هذا كلام صبيانى أحمق. إذ كيف يكون هو نفسه موجوداً وغير موجود؟ وإذ تجدون أنفسكم فى حيرة أمام هذا التضارب فى الأقوال، فإنكم ستضطرون ان تقولوا، إنه كان هناك «وقت ما» حينما لم يكن الكلمة موجوداً، لأن هذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان «ΠΟΤΕ»^{٥٤} الذى تستخدمونه. والقول الذى سجلتموه بعد ذلك هو «الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد»، هو مساو تماماً لقولكم «كان هناك وقت ما لم يكن موجوداً» فسواء هذا القول أو القول الآخر، فكلاهما يعنى أنه كان هناك زمن سابق على الكلمة. إذن من أين أتيتم بهذه الأقوال؟ لماذا تزمجرون كالأمم وتقولون

^{٥٤} ΠΟΤΕ ظرف زمان غير محدد يعنى أبداً أو إطلاقاً، أي أن الحدث لم يحدث بالمرّة في أي زمن.



كلمات فارغة زائفة ضد الربّ وضد مسيحه^{٥٥} لأنه لم يسبق لأى سفر من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيراً مثل هذه التعبيرات عن المخلص، بل بالأحرى تقول عنه «الدائم»، «الأزلي» والمشارك دائماً مع الآب فى الوجود لأنه «فى البدء كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{٥٦} ويقول عنه سفر الرؤيا ما يلى «الْكَاثِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي»^{٥٧} فَمَنْ يَسْتَطِيعُ إِذْنُ أَنْ يَنْتَزِعَ الْأَزْلِيَّةَ مِنْ ذَلِكَ «الْكَاثِنِ». «والذى كان»^{٥٨} ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلم عن اليهود فى الرسالة الى أهل رومية قائلاً «وَمِنْهُمْ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ، الْكَاثِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهًا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ». وحين كان يتكلم مع الأمميين قال «لَأَنَّ مِنْذُ خَلَقِ الْعَالَمِ ثَرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَا هَوْتُهُ»^{٥٩} وما هى قُوَّةُ اللَّهِ؟ بولس نفسه يعلم فى مرة أخرى قائلاً «الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ»^{٥٩} وهو بالتأكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات، كما كنتم تتهمسون كثيراً فيما بينكم قائلين إن «الأب هو قُوَّتُهُ الْأَزْلِيَّةُ» ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لم يقل «إنَّ اللَّهَ ذَاتَهُ هُوَ الْقُوَّةُ» بل إن «القُوَّةُ هِيَ قُوَّتُهُ». فمن الواضح الجليّ للجميع أنه استخدم الهاء فى «قُوَّتُهُ» (ضمير الاضافة فى الغائب المفرد) ولم يستخدم «هو» (ضمير الغائب المفرد فى حالة الفاعل) ولكنه ليس غريباً (عن الاب) بل هو (الابن)

٥٥ مز ١: ٢.

٥٦ يو ١: ١.

٥٧ رؤ ٤: ١.

٥٨ رو ١: ٢٠.

٥٩ ١كو ٢٤: ١.



خاص به ذاته^{٦٠}. أقرأوا أيضاً سياق الكلام «وأرجعوا إلى الرب»، «وَأَمَّا الرَّبُّ فَهُوَ الرُّوحُ»^{٦١} وسترون أن هذا النص يشير إلى الابن.

١٢. لأنه (بولس) وهو يتحدث عن الخليقة، فإنه يستمر أيضاً في الكتابة عن قوة الخالق في خليقته، تلك القوة التي هي «كلمة الله»، والذي من خلاله (بواسطته) قد خَلَقَ كل شيء. فلو أن الخليقة تقدر بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن، فالتفتوا لئلا تسقطوا في الغواية، فتظنوا أنه بدون الابن أيضاً قد خُلِقَت الخليقة. ولكن إن كانت الخليقة قد خُلِقَت عن طريق الابن، وأنه «فيه تَثَبَّتْ (تقوم) كل الأشياء في الوجود»^{٦٢} فإن الذي يتأمل الخليقة بطريقة مستقيمة، فلا بد أن يرى أيضاً بالضرورة الكلمة الذي خلقها، ومن خلال الكلمة يبدأ أن يدرك الآب وإن كان حسب قول المخلص «وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»^{٦٣} وحينما سأل فيلبس «أرنا الآب» لم يقل له، انظر الخليقة، بل قال له «من رَأَى فقد رَأَى الْآبَ». فإن بولس بصواب وأدراك، يتهم اليونانيين بأنهم، بينما يرون تناسق الخليقة ونظامها فإنهم لا يدركون الكلمة خالقها (لأن المخلوقات تُعلن عن خالقها)، لكي يدركوا الإله الحقيقي من خلال المخلوقات، ويكفوا عن عبادة المخلوقات، ولذلك قال بولس «قدرته السرمدية ولاهوته» لكي يشير بذلك إلى الابن. وحينما يقول القديسون «الكائن قبل الدهور»، «والذي به صنع الدهور» فإنهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليته، وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه.

^{٦٠} أي أن القوة منسوبة للآب وخاصة به. ولكنه لم يقل إن الآب نفسه هو القوة ذاتها. بل أن الابن هو قوة الآب (المعرب).

^{٦١} ٢ كور ٣: ١٧.

^{٦٢} ١ كور ١: ١٧.

^{٦٣} مت ١١: ٢٧.



ولذلك يقول إشعياء «إِلَهُ الدَّهْرِ الرَّبُّ، خَالِقُ أَطْرَافِ الْأَرْضِ»^{٦٤} وقالت سوسنة «أَيُّهَا الإِلَهُ الْأَزَلِيُّ»^{٦٥}. أما باروخ فكتب «قد صرخت إلى الأبدى مدى أيامى»^{٦٦}. وبعد قليل يقول «لأننى أنا أعتمدت فى رجائى على الأبدى، لأجل خلاصكم، وغمرنى فرح من لدن القدوس»^{٦٧}. لذلك يقول الرسول أيضاً وهو يكتب للبرانيين، «الَّذِي، وَهُوَ بِهَاءٍ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»^{٦٨} وداود ينشد فى المزمور التاسع والثمانين قائلاً «فليكن بهاء الرب إلها علينا»^{٦٩}، وأيضاً «بُنُورِكَ نَرَى نُورًا»^{٧٠}، فَمَنْ يَكُنْ حَمَقًا لدرجة أنه يشك فى أن الابن كائن على الدوام؟ لأنه مَنْ رَأَى نُورًا قَطْ بدون بريق وميضه، حتى يقول عن الابن إنه «كَانَ هُنَاكَ وَقْتُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَوْجُودًا»، أو «إِنَّ الْابْنَ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا قَبْلَ أَنْ يُولَدَ»؟ وما قيل فى المزمور الرابع والأربعين بعد المائة، موجهاً قوله للابن «مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ»^{٧١} فلا يجوز لأى شخص، أن يتخيل أى فترة - مهما كانت وجيزة - لم يكن فيها الكلمة موجوداً. لأنه إن كانت كل فترة زمنية تقاس من خلال الدهور، والكلمة هو ملك وصانع كل الدهور، لذلك فبالضرورة، حيث إنه لا توجد قبله أية فترة زمنية من أى نوع، فإنه يعتبر ضرباً من الجنون أن يقال «كَانَ هُنَاكَ وَقْتُ عِنْدَمَا لَمْ يَكُنْ الْأَزَلِيُّ مَوْجُودًا». وأن

^{٦٤} إش ٢٨:٤٠.

^{٦٥} دانيال (سوسنة ٤٢).

^{٦٦} باروخ ٢٠:٤.

^{٦٧} باروخ ٢٢:٤.

^{٦٨} عب ٣:١.

^{٦٩} مز ١٧:٨٩ (س).

^{٧٠} مز ١٠:٣٥ (فى ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز ٩:٣٦).

^{٧١} مز ١٣:١٤٤ (أى مز ١٣:١٤٥).



«الابن هو من عدم» حيث إن الرب نفسه يقول «أنا هو الحق»^{٧٢} ولم يقل «صرت الحق»، بل هو يكرّر دائماً «أنا هو» فيقول «أنا هو الراعي»^{٧٣} و «أنا هو النور»^{٧٤} ومرة أخرى يقول «ألستم أنتم تقولون أنى أنا الرب والمعلم وحسناً تقولون، لأنى أنا هو»^{٧٥} ومنّ عندما يسمع مثل هذا القول، من الله، والحكمة وكلمة الآب، متحدثاً عن ذاته، يظل حائراً بخصوص الحقيقة، ولا يؤمن فى الحال، بأن عبارة «أنا هو» تعنى أن الابن أبدى، وأزليّ قبل كل الدهور.

١٣. مما سبق ذكره يتضح أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبرهن أنه أزليّ. أما ما يتفوّه به الآريوسيون متشدقين بالألفاظ: «لم يكن»، «من قبل»، «متى؟» فإن الكتب المقدسة تشير بهذه الألفاظ الى المخلوقات، وهذا سيتضح مرة أخرى مما سنذكره فيما يلى: فمثلاً، عندما تحدّث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة، قال «كل خضرة الحقل لم تكن بعد فى الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل فى الأرض»^{٧٦} وجاء فى التثنية «حينَ قَسَمَ العَلِىُّ لِلْأُمَمِ»^{٧٧}. وكان الرب يقول عن نفسه «لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ، لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي.»^{٧٨} وَقُلْتُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ»^{٧٨}

٧٢ يوحنا ٨: ١٢.

٧٣ يو ١٠: ١٤.

٧٤ يوحنا ٨: ١٢.

٧٥ يو ١٣: ١٣.

٧٦ تكوين ٢: ٥ (الترجمة السبعينية).

٧٧ تث ٨: ٣٢.

٧٨ يو ١٤: ٢٨، ٢٩.



أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان «قبل خَلَقُ الأرض، قبل صنع الأعماق، وقبل تدفق ينابيع المياه، وقبل أن ترسخ الجبال، وقبل جميع التلال، ولدنى»^{٧٩} وأيضاً «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»^{٨٠} ويقول عن إرميا «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ»^{٨١} وداود يرثى قائلاً «يَا رَبُّ، مَلَجَأُ كُنْتُ لَنَا فِي دَوْرٍ فَدَوْرٍ. مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوَلِّدَ الْجِبَالَ أَوْ أَبْدَأْتَ الْأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ أَنْتَ اللَّهُ»^{٨٢}. وفى سفر دانيال «فَصَرَحَتْ سُوسَنَةُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «أَيُّهَا الْإِلَهُ الْأَزَلِيُّ الْبَصِيرُ بِالْخَفَايَا، الْعَالَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ»^{٨٣}.

وهكذا إذن يظهر أن الألفاظ «لم يكن فى وقت ما». و «قبل أن يصير»، و«عندما» ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التى جُبلت من العدم. ولكنها غريبة تماماً بالنسبة للكلمة. فإن كانت الكتب المقدسة تستخدم هذه التعبيرات عن المخلوقات، بينما تقول عن الابن إنه «الدائم»، إذن فى محاربي الله، إن الابن لم يصر من العدم، ولا يحسب فى عداد المخلوقات اطلاقاً، بل هو صورة الآب وهو الكلمة، ولم يكن قط غير موجود، بل هو موجود على الدوام، وهو الشعاع الأزليّ لنور هو أزليّ. لماذا إذن تتخيلون أن هناك أزمنة سابقة على الابن؟ أو لماذا تجدّفون على الكلمة بأنه لاحق وتالى للدهور وهو الذى به قد صارت الدهور؟

^{٧٩} أم ٢٣: ٨ - ٢٥ (السبعينية).

^{٨٠} يو ٥٨: ٨.

^{٨١} إرميا ١: ٥.

^{٨٢} مز ٨٩ (٩٠): ١ - ٢.

^{٨٣} دانيال (سوسة ٤٢).



لأنه كيف يوجد زمن أو دهر بالمرّة. بينما لم يكن الكلمة قد ظهر بعد حسبما تقولون أنتم، وهو الذى به قد «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٨٤}، أو إن كنتم تقصدون زمنًا ما، فلماذا لا تقولون جهارًا إنه «كان هناك زمن لم يكن فيه الكلمة موجودًا». ولكن بينما أنتم تهريون من استخدام تعبير «الزمن»، لكي تخذعوا البسطاء، ولكنكم من ناحية أخرى لا تخفون أفكاركم الخاصة الخاص على وجه الاطلاق، ولكن - حتى لو أخفيتموها فإنكم لا تستطيعون أن تفلتوا من إنكشاف أمركم، لأنكم لا تزالون تقصدون الأزمنة عندما تقولون «كان مرّة حينما لم يكن موجودًا»، وأيضًا «لم يكن موجودًا قبل أن يولد».

الفصل الخامس

البنوة الالهية غير البنوة البشرية

١٤- وهكذا بعد برهنا هذه الامور وأثبتناها، فإنهم لا يزالون يجدفون أكثر قائلين: «إن لم يكن هناك وقت ما، لم يكن فيه الابن موجوداً، بل هو أزلياً في وجوده مع الآب، إذن فلا يعود يسمى بعد ابناً بل أخاً للآب». يا لكم من حمقى، مغرمين بالتشاحن والمخاصمة! لأنه إن كنا نقول إنه هو وحده كائن أزلياً مع الآب، دون أن نقول - في نفس الوقت - إنه ابن، لكان هناك بعض العذر لتوقيهم ولتدقيقهم المصطنع هذا، ولكن إن كنا في نفس الوقت الذي نقول فيه إنه أزلياً، فإننا نعرف أيضاً أنه ابن من أب فكيف يكون ممكناً أن يعتبر المولود أخاً للذي ولده؟ فإن كان إيماننا هو بالآب والابن، فأى رابطة أخوية توجد بينهما؟ إذ كيف يمكن أن يدعى الكلمة أخاً لذلك الذي (أى الآب) هو أيضاً كلمة له؟ إن هذا الاعتراض ليس من قوم يجهلون حقيقة الأمور، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة. ولكن هذه الحجة إنما هي حجة يهودية، آتية من قوم «بمسيئتهم يعتزلون الحقيقة» كما يقول سليمان^{٨٥}. فالآب والابن لم يولدا من أصل سابق عليهما في الوجود، حتى يمكن اعتبارهما أخوين، ولكن الآب هو أصل الابن وهو والده. والآب هو أب، وهو لم يكن ابناً لأحد، والابن هو ابن وليس بأخ.

فإن كان هو يُدعى ابناً أزلياً للآب، فحسناً يقال. لأن جوهر الآب لم يكن ناقصاً أبداً، حتى يضاف إليه (ابنه) الخاص به فيما بعد. وأيضاً فإن الابن لم يولد

^{٨٥} أمثال ١: ١٨ (س).



(من الآب) كما يولد إنسان من إنسان، حتى يعتبر أنه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب، بل هو مولود الله، ولكونه ابن الله الذي هو من ذاته (من ذات الله) الموجود من الأزل، لذلك فإنه هو نفسه (أى الابن) موجود من الأزل. فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون فى زمن معين، بسبب أن طبيعتهم غير كاملة، أما مولود الله فهو أزليّ، بسبب الكمال الدائم لطبيعته، فإذا لم يكن ابناً، بل مخلوقاً وُجد من العدم، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولاً، وبعد ذلك إذ يتصورونه مخلوقاً، يمكنهم أن يصيحوا قائلين « كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق » أما أن يكن هو ابناً - كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة - فإن « الابن » ليس شيئاً آخر سوى أنه المولود من الآب. والمولود من الآب هو كلمته وحكمته وبهاؤه. وما يجب أن نقوله، هو أن الذين يعتقدون أنه « كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً » أنهم يسلبون الله كلمته، ويعلمون بمذاهب معادية كليّة لله معتبرين أن الله كان فى وقت ما بدون الكلمة الذاتى وبدون الحكمة وكان النور فى وقت ما بدون بهاء، وكان النبع جافاً مجذباً.

حقاً أنه يتظاهرون أنهم يخشون ذكر اسم « الزمن »، بسبب أولئك الذين يعيرونهم، ويقولون، بأن (الابن) كان قبل الأزمنة إلا أنهم يحددون أوقاتاً معيّنة، فيها يتخيلون عدم وجوده، مبتدعين أزمنة ويا لسوء ما ابتدعوا - فإنهم بذلك ينسبون لله انه عديم الكلمة (أى عدم العقل) وبذلك فإنهم يكفرون كفرّاً شنيعاً.

١٥ - وحتى إن اعترفوا معنا، باسم « الابن » وذلك لأنهم لا يريدون أن يدانوا علناً من الجميع، إلا أنهم ينكرون أن الابن هو المولود الذاتى لجوهر الآب وبينون إنكارهم على أساس أن الابن - بحسب كلامهم - يوجد، بلا شك، من جوهر يتجزأ وينقسم الى أقسام. وهذا الكلام لا يقل بالمرّة عن إنكارهم أنه ابن حقيقى، وإنما هم يلقبونه بلقب ابن، بالاسم فقط. أفلا يرتكبون خطأ جسيماً حينما



يتصورون أفكاراً جسديّة وينسبون لها لغير الجسدى (اللاجسدى). وبسبب ضعف طبيعتهم الخاصة ، فإنهم ينكرون طبيعة الآب وذاتيته؟

لقد حان الوقت لهؤلاء الذين لا يفهمون كيفيّة وجود الله ولا ماهية هيئة الآب ، أن ينكروه أيضاً ، لأن هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية. وأن أناساً يفكرون بمثل هذه الطريقة أنه لا يمكن أن يكون هناك ابن لله ، فإن هذا أمر يستحق العطف والثناء. ولكن يلزم أن نستمر في سؤالهم وفضح أفكارهم.

إذن فإن كان الابن - كما تقولون - تكوّن من العدم ، ولم يكن موجوداً قبل أن يولد ، فإنه - على ذلك - يدعى ابناً وإلهاً وحكمة بحسب المشاركة فقط مثله مثل كل الأشياء الأخرى ، فإن كل هذه الأشياء الأخرى (أى المخلوقات) قد تكوّنت وتقدّست وتمجّدت بالمشاركة أيضاً. إذن فهناك حاجة ملّحة أن تقولوا لنا ، مَنْ هو الذى يشاركه (الابن) ، ما دامت كل الأشياء الأخرى لها شركة فى الروح (القدس) ، أما هو - فبحسب قولكم - لمن يستطيع أن يكون (الابن) مشاركاً؟ هل للروح؟ بل كما قال هو ذاته حقّاً بالأحرى إن الروح نفسه يأخذ من الابن^{٨٦} ومن غير المعقول القول بأن هذا (الابن) يُقدّس من ذلك (الروح) ، ولا يتقبى بعد ذلك بالضرورة إلا أن نقول إن الآب هو الذى يشاركه الابن. إذن مَنْ هو يمكن أن يشارك الابن ، ومن أين هو؟ فلو أن هذا (المشارك فيه) كان شيئاً من الخارج ، مُدبراً من الآب ، فلن يكون فى الإمكان أن يشارك الابن الآب ، بل يشارك ذاك الذى هو من خارج الآب. ولن يكون الابن بعد ذلك ، ثانياً بعد الآب ، إذن أن ذاك الذى من خارج

^{٨٦} يوحنا ١٦: ١٤ .



سيكون سابقاً على (الابن) ذاته، ولن يكون ممكناً أن يدعى ابن الآب، بل ابناً لذلك الذي باشتراكه فيه دُعي ابناً وإلهاً.

وإن كان هذا أمر غير لائق وكفرى، إذ أن الآب يقول «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»^{٨٧} وأيضاً يقول الابن إن الله أبوه^{٨٨}، فيكون واضحاً إذن، أن ما يشترك فيه ليس من الخارج، وإنما هو من جوهر الآب، ومرةً أخرى، إن كانت هذه المشاركة، شيئاً آخر، غير جوهر الابن، سيحدث نفس الخطأ، إذ في هذه الحالة - سيكون هناك شئ في الوسط بين ما هو من الآب وبين جوهر الابن أياً كان هذا الشئ.

١٦. وإذ يتضح أن مثل هذه الأفكار غير اللائقة إنما هي بعيدة عن الحقيقة، لذلك فمن الضروري أن نقول إن ما هو من جوهر الآب الذاتى كليّة، إنما هو الابن. لأن القول بأن الله يشترك فيه كليّة هو نفس القول بأن الله يلد، وأن الله يلد، ماذا يعنى هذا القول سوى أنه يلد ابناً؟

وكل الأشياء تشترك في الابن بحسب النعمة النابعة من الروح. ويتضح من هذا أن الابن نفسه ليس مشاركاً لشيء ما، وأما ما يُشترك فيه من الآب، فهذا هو الابن. لأنه بإشتراكنا في الابن، يقال عنا أننا نشارك في الله، وهذا ما قاله بطرس: «لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ»^{٨٩} وكما يقول الرسول أيضاً «أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكُلُ اللَّهِ»^{٩٠} وأيضاً «لأننا نحن هيكل الله الحي». وعندما نرى الابن فإننا نرى الآب، لأن إدراك الإبن ومعرفته، إنما هي معرفة الآب، لأن الابن هو

^{٨٧} متى ٥: ١٧.

^{٨٨} يوحنا ١٨: ٥.

^{٨٩} بط ٤: ١.

^{٩٠} ١ كو ٣: ١٦.



مولود من ذات جوهره. وكما أن الله يُشْتَرَك فيه. فلا يستطيع أحد أن يقول أن هذا (الاشتراك فيه) هو تغيّر وتقسيم لجوهر الآب (لأنه قد صار أمراً واضحاً ومعتزلاً به أن الله يُشْتَرَك فيه، والاشتراك في الله هو نفسه الولادة (هو نفسه أن الله يلد) .[. وهكذا يتضح أن المولود ليس بتغيّر ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفرة (أى من عدم الإيمان) أن يكون لله ولد، مولود من ذات جوهره وحينما نقول إنه «ابن» و «مولود» فلا يعني هذا تغيّراً ولا تقسيماً لجوهر الله بل بالاحرى، نحن نعترف أنه ابن الله الوحيد الجنس، الأصل والحقيقى، وهذا هو ما نؤمن به.

فإن كان المولود من جوهر الآب إنما هو الابن . كما أوضحنا وأثبتنا . فليس هناك أدنى شك، بل هو أمر ظاهر جلى لكل أن هذا المولود هو نفسه، حكمة الله وكلمته والذى به ومن خلاله خَلَقَ (الآب) كل الأشياء وصنعها. وهذا المولود هو بهاء الآب الذي ينير به كل الأشياء، والذى به يُعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يُعلن لهم. وهذا المولود هو أيضاً شكله (أى رسمه المُعَبَّر) وصورته التى فيها يُرى ويُعرف، لذا فإنه «هو والآب واحد»، ولأن مَنْ يرى الابن فإنه يرى الآب أيضاً.

وهذا (المولود) أيضاً هو المسيح، الذى به قد افْتُدِيتْ كل الأشياء، وبه أيضاً خُلِقَتِ الخليقة الجديدة^{(٤٦)٩}. وأيضاً فإذا كان الابن هكذا، فلا يكون ملائماً . بل أن هذا يكون خطراً جسيماً . أن يقال إنه «مخلوق من العدم» أو إنه «لم يكن موجوداً قبل أن يولد» لأن مَنْ يتكلّم هكذا عن المولود من ذات جوهر الآب، يكون قد جدّف مسبقاً على ذات الآب، إذ أنه يعتقد عن الآب بمثل هذه التعاليم التى يخادع بها فى تخيلاته عن المولود منه.

الفصل السادس

الابن الوحيد والثالث

١٧. ومع أن هذا وحده كاف لدحض وهدم الهرطقة الآريوسية، ولكن عدم أرثوذكسيتها يمكن أن يظهر أيضاً مما يأتى :

إن كان الله خالقاً وصانعاً، وهو يخلق مخلوقاته بواسطة الابن، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأية طريقة أخرى، سوى باعتبارها مخلوقة بواسطة الكلمة، أفلا يكون تجديفاً - إذ بينما أن الله هو الخالق - أن يأتى أحد فيقول إن كلمته الخالقة وحكمته، لم يكن موجوداً فى يوم ما؟ فإن هذا مشابه للقول، بإنه حتى الله لم يكن خالقاً، إذ أنه لا يملك كلمته الخالق الذاتى، الذى هو منه، بل ما يخلق به، إنما يكون (فى هذه الحالة) قد جُلبَ إليه من خارجة، ويكون غريباً عنه، ويكون غير مماثل له حسب الجوهر.

وبعد ذلك، فليقولوا لنا - أو بالأحرى ليتهم يرون من هذا، مقدار ضلالهم وعدم تقواهم فى قولهم «كان وقت عندما لم يكن موجوداً» وأيضاً «لم يكن موجوداً قبل أن يولد» - لأنه إن لم يكن الكلمة دائماً أزلياً مع الآب، فلا يكون الثالث أزلياً، بل واحد مفرد فى البداية، وفيما بعد صار ثالثاً بالإضافة، وهكذا بمرور الزمن - حسب رأيهم - فقد تزايدت المعرفة عن الله وتشكّلت. وأيضاً إن لم يكن الابن مولوداً من ذات الآب، بل قد خُلِقَ من العدم، إذن يكون الثالث قد تكوّن من العدم، وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالث، بل واحد مفرد. وهكذا يكون الثالث فى وقت ما ناقصاً، ثم فى مرة أخرى يكون كاملاً، فيكون ناقصاً قبل سيورة الابن، ويكون كاملاً حينما صار الابن، وهكذا (على أساس هذا الكلام)، تُحسَب الخليقة مع الخالق، والذى لم يكن موجوداً



فى وقت ما يُحسَب مساوياً مع الله الذى هو كائن على الدوام، ويمجّد معه. وما هو أردأ من هذا حقاً، أن الثالوث يوجد غير متماثل مع ذاته إذ يكون مكوناً من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها.

وهذا القول ليس شيئاً آخر سوى أن الثالوث أصله مخلوق. إذن ما كنه هذه العقيدة عن الله، التى لا تتماثل حتى مع ذاتها بل تسير الى الاكتمال عن طريق الاضافات مع مرور الأيام، ففى وقت ما لا يكون موجوداً هكذا، وفى وقت آخر يكون موجوداً هكذا ١٩.

وهكذا يكون طبيعياً أنه يمكن أن ينال اضافة جديدة، ويستمر (فى نوال الاضافة) بلا نهاية، كما حدث مرّة فى البدء وأتخذ أصله بطريق الاضافة. وبالتالي يكون هناك إذن شك أنه يمكن أن يحدث فيه تناقص، لأن الأشياء التى تضاف وتزاد، من الواضح، أنها يمكن أيضاً أن تُطرح وتُنقص.

١٨. ولكن، حاشا لله، أن يكون الأمر هكذا، فالثالوث ليس مخلوقاً، بل هو أزليّ، بل يوجد لاهوت واحد فى ثالوث، وهناك مجد واحد للثالوث القدوس. وأنتم تتجاسرون على تمزيقه الى طبائع مختلفة، ومع أن الآب أزليّ، فإنكم، تقولون عن الكلمة الجالس معه إنه « كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً»، ومع أن الابن جالس مع الآب، إلا أنكم أنتم تريدون أن تبعدوه عنه. فالثالوث منشئ وخالق وأنتم لا تتورعون أن تحطوا من قدره إلى مستوى المخلوقات التى وجدت من العدم. أنكم لا تخجلون أن تساووا بين الكائنات التى فى حالة العبودية، وبين رفعة الثالوث، وأن تضعوا الملك ربّ الصباؤوت فى مرتبة واحدة مع رعاياه. كفوا عن التفكير فى خلط الأشياء التى لا يمكن أن تتحد معاً، أو بالاحرى كفوا عن التفكير فى مزج الأشياء غير الموجودة مع ذلك الذى هو الكائن. ليس ممكناً أن تقولوا هذه الأقوال على زعم أنكم تقدّموا مجدّاً وكرامة للربّ، بل العكس، فإنتم تجلبون له عاراً وهواناً، لأن من لا يكرم الابن فإنه لا يكرم الآب أيضاً. لأنه



أن كان التعليم عن الله الآن كاملاً على أساس ادراكه كثالوث، ستكون هذه الديانة (العبادة) هي الحقيقية والوحيدة، وسيكون هذا هو الصلاح والحق، وما يجب أن يكون أمر دائماً هكذا، حتى لا يكون الصلاح والحق هي أشياء قد صارت فيما بعد، ويكون كمال اللاهوت يحدث من طريق الاضافة. فمن اللازم، أن يكون هذا التعليم هكذا كان منذ الأزل، لأنه إن لم يكن أزلياً (كتالوث)، فليس من الواجب أن يكون هكذا الآن (ليس من الواجب أن يكون ثالثاً الآن حسب افتراضهم). ولكن ما هو خلاف ذلك - كما تدعون أنتم أنه هكذا من البدء - فإنه لا يكون حتى الآن ثالثاً.

ولا يستطيع أحد من المسيحيين أن يحتل مثل هؤلاء الهرطقة لأنه يناسب الأمميين أن يتحدثوا عن ثالث مخلوق، يضعونه في مساواة مع المخلوقات، إذ من خصائص المخلوقات أنها تقبل النقص والزيادة.

أما إيمان المسيحيين فإنه يعرف الثالوث المبارك على أنه غير قابل للتغير، وأنه كامل وإنه هو هكذا أزلياً وعلى الدوام، فإيمانهم لم يضاف شيئاً أكثر إلى الثالوث، ولم يعتبر أنه كان في وقت ما، ناقصاً، لأن أيّاً من هذه الأمرين إنما هو ضلال، ولذلك فإن إيمانهم يعرف الثالوث بصورة نقيّة ولا يخلطونه مع المخلوقات، مقدّمًا السجود للثالوث غير المنقسم، وحافظاً له وحدته اللاهوتية وإيمانهم يتجنب تجديدات الآريوسيين، ويعترف ويعرف أن الابن موجود على الدوام مع الآب لأنه أزلي، والذي له كلمته الأزلي أيضاً.

لذا فلنفحص هذا الأمر مرة ثانية الآن.



١٩. إن كان يقال عن الله إنه ينبوع حكمة وحياة، كما جاء فى سفر إرميا، « تَرْكُونِي أَنَا يَنْبُوعُ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ »^{٩٢} وأيضاً « كُرْسِيٌّ مَجْدٌ مُرْتَفَعٌ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ هُوَ مَوْضِعٌ مَقْدِسِنَا، أَيُّهَا الرَّبُّ رَجَاءُ إِسْرَائِيلَ، كُلُّ الَّذِينَ يَتْرَكُونَكَ يَخْزُونَ. الْحَائِدُونَ عَنِّي فِي التُّرَابِ يُكْتَبُونَ، لِأَنَّهُمْ تَرَكَوا الرَّبَّ يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ »^{٩٣} وقد كُتِبَ فى باروخ، « إِنَّكَ قَدْ تَرَكَتَ يَنْبُوعَ الْحِكْمَةِ »^{٩٤}. وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع، بل هما خاصة له، ولم يكونا أبداً غير موجودين، بل كانا دائماً موجودين. والآن فإن الابن هو كل هذه الأشياء وهو الذى يقول « أَنَا هُوَ الْحَيَاةُ »^{٩٥}، وأيضاً « أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الدُّكَاءَ »^{٩٦}. كيف إذن لا يكون كافراً مَنْ يقول « كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجوداً؟ » لأن هذا مثل الذى يقول تماماً « كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافاً خالياً من الحياة ومن الحكمة ». ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعاً، لأن الذى لا يَلِدُ من ذاته لا يكون ينبوعاً. يا لكثرة السخافات التى فى هذا القول لأن الله يَعْدُ الذين يصنعون مشيئته أنهم سيكونون كينبوع لا تتضب مياهه اطلاقاً، كما يقول إشعياء النبى « وَيَقُودُكَ الرَّبُّ عَلَى الدَّوَامِ، وَيُسَبِّعُ فِي الْجُدُوبِ نَفْسَكَ، وَيُسَبِّطُ عِظَامَكَ، فَتَصِيرُ كَجَنَّةٍ رَيًّا، وَكَنَبْعِ مِيَاهٍ لَا تَنْقَطِعُ مِيَاهُهَا »^{٩٧} فبينما أن الذى يقال عنه، والذى هو فى الحقيقة ينبوع الحكمة، يتجاسر هؤلاء ويجدفون عليه قائلين

٩٢ إرميا ١٣: ٢.

٩٣ إرميا ١٣: ١٧، ١٢: ١٣.

٩٤ باروخ ١٢: ٣.

٩٥ يو ٦: ١٤.

٩٦ أم ١٢: ٨.

٩٧ إش ٥٨: ١١.



أنه عقيم ومجذب من حكمته الذاتية. إلا أن أقوالهم هذه الصادرة عنهم، إنما هي أقوال زائفة، أما الحقيقة فتشهد بأن الله هو ينبوع الأزلي لحكمته الذاتية، ولما كان ينبوع أزلياً، فبالضرورة يجب أن تكون الحكمة أزلية أيضاً، لأنه من خلال هذه الحكمة خُلِقَت كل الأشياء، كما يرتل (يزمر) داود في المزامير «كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٩٨} ويقول سليمان «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الْأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ»^{٩٩}.

ونفس هذه الحكمة هو الكلمة، «وبه» كما يقول يوحنا «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{١٠٠}.

وهذا الكلمة هو المسيح، لأنه يوجد «لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الْآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ»^{١٠١} فإن كانت كل الأشياء قد خُلِقَت به. فهو لا يمكن أن يكون بين جميع هذه الاشياء. فالذي يتجاسر أن يقول عن (ذلك) «الذي به خُلِقَت جميع الأشياء»، إنه واحد من بين جميع هذه الأشياء، فبالتأكيد أنه يفكر نفس هذه الأفكار عن الله نفسه «الذي منه جميع الأشياء» وإن كان أحد يتحاشى هذا القول كأمر شنيع، ويستبعد الله عن جميع الأشياء حاسباً إياه، آخر، فإنه يواصل نفس القول أيضاً بأن «الابن» الوحيد الجنس الذي من ذات جوهر «الآب»، هو آخر مختلف عن جميع الأشياء.

^{٩٨} مز ١٠٣: ٢٤ (السبعينية) مز ١٠٤: ٢٤ في الطبعة الشائعة.

^{٩٩} أم ٣: ١٩.

^{١٠٠} يو ١: ٣.

^{١٠١} ١ كور ٨: ٦.



ولكونه ليس واحداً من بين الجميع، فليس من الصواب أن نقول عنه « كان وقت ما لم يكن فيه موجوداً »، و « لم يكن موجوداً قبل أن يولد ». لأن مثل هذه الأدعاءات تليق أن تقال عن المخلوقات أما « الابن » نفسه فمثله مثل « الآب »، وهذا الابن هو مولود الآب من ذات جوهره. وهو « كلمته » الذاتى وهو « حكمته » الذاتية. وهذه هى علاقة « الابن » الذاتية نحو « الآب » وهذا عينه يدل على أن « الآب » هو « أب الابن ». لكى لا يقول أحد عن الله أنه كان « بدون كلمة : $\alpha\lambda\omicron\gamma\omicron\varsigma$ »^{١٠٢} فى وقت ما. ولا يقول عن « الابن » أنه لم يكن له وجود فى وقت ما، لأنه ماذا يكون « الابن » بالنسبة لله إن لم يكن منه؟ أو ماذا يكون « الكلمة » و « الحكمة » إن لم يكونا من ذاته على الدوام؟

٤. متى إذن، كان الله موجوداً بدون ما هو خاص به ذاتياً؟ أو كيف يظن أحد أن ما هو خاص به ذاتياً إنما هو غريب عنه ومن جوهر مختلف؟ لأن الأشياء الأخرى كمخلوقات ليس لها مشابهة قط مع الخالق حسب الجوهر، بل هى من خارجة، قد خُلِقَتْ بنعمته ومشيتته بالكلمة ولأجل الكلمة. ولذلك فإنها يمكن أيضاً أن تتوقف (عن الوجود) يوماً ما، إن أراد الخالق ذلك، لأنه هكذا هى الطبيعة الخاصة بالمخلوقات.

كيف لا يكون من الجسارة والكفر أن يقول أحد عن مَنْ هو من ذات جوهر الآب (وهذا هو الذى سبق أن اعترفنا به أنه هو الابن)، إنه جاء من عدم، وإنه « لم يكن موجوداً قبل أن يولد » بل أضيف عَرَضاً، ويمكن ألا يكون موجوداً فى وقت ما فى المستقبل؟

^{١٠٢} $\lambda\alpha\gamma\omicron\varsigma$ تعني « كلمة » وأيضاً « عقل »، $\alpha\lambda\omicron\gamma\omicron\varsigma$ تعني انه بدون كلمة أي غير عاقل.



فالشخص الذى يفكر بإمعان فى هذا الأمر، فإنه سيميز أنه يحدث أنقص لكمال وملء جوهر الآب، وهو سيرى أيضاً بوضوح أكثر شناعة وعدم معقولية هذه الهرطقة، إذا فكر بأن الابن هو صورة وبهاء الآب، وهو رسمه وهو حقيقته.

لأنه بما أن النور موجود هكذا صورته أيضاً، أى بهأؤه وكيانه الحقيقى وهو رسمه الذى يُعبر عن تعبيراً كاملاً.

وأيضاً بما أن الآب كائن هكذا تكون حقيقته (أى الابن)، أما أولئك الذين يقيسون صورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن فليعتبروا مدى هوة الضلال التى ينحدرون إليها.

لأنه أن لم يكن الابن موجوداً قبل أن يولد، فلا يكون الحق موجوداً فى الله دائماً، وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول لأنه بما أن الآب كائن فالحق كائن فيه دائماً والذى هو الابن الذى قال «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»^{١٠٣}، والكيان الموجود يجب أن يكون فى نفس الوقت هو الرسم المُعبر والصورة، لأن صورة الله ليست مرسومة من الخارج، بل أن الله نفسه هو والدها، والتى فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها، كما يقول الابن نفسه «كنت أنا بهجته»^{١٠٤}.

فمتى إذن، لم يكن الآب يرى نفسه فى صورته؟ أو متى لم يكن يبتهج، حتى يتجاسر أحد ويقول إن «الصورة هى من عدم». «ولم يكن الآب مبتهجاً قبل أن تُخلق الصورة»؟ وكيف يستطيع الخالق والصانع أن يرى نفسه فى جوهر مخلوق وصائر؟ فمثلاً يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته.

^{١٠٣} يو ٦: ١٤.

^{١٠٤} أم ٨: ٣٠ (السبعينية).



هـ. هَلَمْ بنا إذن لنرى خصائص الآب بتدقيق لكى ندرك أن الصورة هى صورته الذاتية.

فالآب هو أزلئى، غير مائت، قدير، نور، ملك، ضابط الكل، إله، رب، خالق، وصانع.

فإن لم تكن هذه الخصائص موجودة (فى الصورة) - كما يظن الآريوسيون - إن الابن مخلوق وليس أزلئاً (ففى هذه الحالة) لن تكون هذه هى صورة الآب الحقيقية، ولن يكون أمامهم سوى أنهم يرفعوا برقع الحياء، ويقولون، إن كلمة «الصورة» التى تُطلق على الابن ليست علامة مميزة لجوهر مماثل، إنما هى فقط مجرد اسم له.

ولكن، مرّة أخرى، فإن هذا، يا أعداء المسيح، ليس بصورة وليس رسماً، لأنه أى شبه بين المخلوقات التى هى من عدم وبين ذلك الذى أَحْضَرَ الأشياء من عدم الى الوجود؟

لأنه كيف يمكن أن يكون ما هو غير كائن، شبيهاً بذلك الذى هو الكائن حقيقة، إذ أنه كان فى وقت ما ناقصاً عنه لكونه لم يكن موجوداً، ولأنه كان له مكان داخل نظام الأشياء المخلوقة؟

لأن الآريوسيين، وهم يرغبون أن يكون الابن هكذا، يستحسنون تعليقات ابتكروها لأنفسهم قائلين: إن كان الابن هو مولود الآب وصورته، وأنه شبيه بالآب فى كل شئ، يلزم إنه كما أن الابن قد وُلِدَ منه، هكذا لا بد أن يَلِدُ هو أيضاً، ويصير هو أيضاً أباً لابن.

وأيضاً فإن الذى يُولَد (من الابن) يلزم أن يَلِدُ هو أيضاً وهكذا إلى ما لا نهاية، فهذا هو ما يجعل المولود شبيه بالذى ولده.



حقاً أن أعداء الله هؤلاء، إنما يخترعون تشنيعات وافتراءات إذ أنهم لكى لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب، فإنهم يتصورون صفات جسدية وأرضية فيما يخص الآب ذاته، ناسبين إليه التقسيمات والتوالد، والحمل إذن فإن كان الله مثل الإنسان، فإنه يكون والدًا كالإنسان، لكى يكون الابن أيضاً والدًا لابن آخر، وهكذا على التوالى وهكذا يصير الواحد من الآخر - حتى يزداد عدد الآلهة بالتعاقب، كما يظنون.

فلو أن الله ليس مثل الإنسان (وهو فى الحقيقة ليس مثله)، فلا ينبغى أن تطبق الخصائص الإنسانية عليه على الله.

لأن الحيوانات غير الناطقة، وكذلك البشر، إنما يتوالدون على التوالى الواحد من الآخر، منذ بدء الخليقة، والمولود الذى وُلِدَ من أب، هذا الأب هو وُلِدَ (من أب) ومن الطبيعى أن يصير هذا المولود أيضاً والدًا لغيره، متخذًا خاصية الولادة فى داخله من أبيه، تلك الخاصية التى تَكُونُ هو نفسه بها. ولهذا من الممكن أن يُطلق على مثل هؤلاء الناس اسم أب أو اسم ابن بالصفة الخصوصية. إذ لا يكمن فيهم إطلاقاً ما هو خاص «بالأب» (أى صفة الأبوة)، وما هو خاص «بالابن» (أى صفة البنوة). لأنه (أى الابن) هو نفسه ابن لوالده، وفى نفس الوقت هو أب للمولود منه.

ولكن الأمر ليس كذلك فيما يخص الألوهة لأن الله ليس مثل الإنسان، لأن الآب هو ليس من أب، ولذلك فهو لا يلد آخر يصير أباً فيما بعد، والابن أيضاً لا يخرج من الآب بالتوالد. وهو (أى الابن) ليس مولوداً من أب سبق له أن وُلِدَ، لذلك فهو (أى الابن) لم يُولَدَ لكى يلد.

لذلك ففيما يخص اللاهوت وحده، فإن الآب هو أب بصفة مطلقة، والأبن هو ابن بصفة مطلقة، وفى هذين وحدهما، وحدهما فقط، يَظَلُّ: الآب أب دائماً، والابن ابن دائماً.

الفصل السابع

اعتراضات الأريوسيين والرّد عليها

٢٢. إذن فالذى يبحث متسائلاً، لماذا لا يكون الابن والدًا لابن؟ فليبحث أولاً، لماذا لم يكن للآب والد؟ ولكن كلا هذين الأمرين بعيد عن الصواب، وملئ بكل أنواع الكفر والجحود. لأنه كما أن الآب هو دائماً أب، وأنه لا يستطيع أن يصير ابناً فى يوم من الأيام، هكذا بنفس الطريقة، فإن الابن هو دائماً ابن، ولن يصبح أباً فى يوم من الأيام. لأنه فى هذا بالأحرى يثبت ويتضح أنه رسم الآب وصورته، ويظلّ باقياً كما هو بدون تغير، لكنه قد حصل على ذاتيته من الآب ومماثلته له.

أما أن كان الآب يتغير، فإن الصورة أيضاً ستتغير فى هذه الحالة. فإنه هكذا تظلّ الصورة والبهاء ثابتة تجاه ذاك الذى ولدها.

فإن كان الآب غير متغير ويبقى هكذا دائماً كما هو، فمن الضروري أيضاً أن تبقى صورته كما هى ولن تتغير.

إذن فالابن هو ابن من الآب، ولذلك فهو لن يصير شيئاً آخر سوى ذاك الذى هو من جوهر الآب الذاتى.

إذن فمن العبث أن يخترع الحمقى هذا (الاعتراض) أيضاً وهم الذين يرغبون فى فصل وأبعاد «الصورة» عن الآب، لكى يساواوا الابن بالمخلوقات.



وبناء على ذلك، فإن مشايعى آريوس - وضعوا الابن بين مصاف المخلوقات - بحسب تعليم يوسابيوس^{١٠٥} معتبرين كأنه مثل الأشياء التى خُلِقت بواسطته، وبذلك فانهم ابتعدوا عن الحقيقة.

وهم فى بداية اختراعهم لهذه الهرطقة، كانوا يجولون معبأين بكلمات خداع ماكرة، جمعوها معاً، بل وهم إلى الآن، عندما يلتقى بعضهم مع الصبية، ويسألونهم، ليس من الكتب المقدسة طبعاً، بل من «فضلة قلوبهم» يتقياون قائلين: «مَنْ هو ذاك الذى خَلَقَه الكائن من الكائن هل هو ذلك غير كائن أم هو الكائن؟» فهل إذن قد خلقه (الابن) وهو كائن أم وهو غير كائن؟. «وهل يوجد واحد فقط غير مخلوق ἀγέννητον أم اثنان غير مخلوقين؟». «وهل هو ذو أرادة حرّة، ولا يتغيّر بإختياره الذاتى، رغم أنه من طبيعة متغيرة؟» لأنه ليس كالحجر يظلّ ثابتاً بلا حركة من ذاته، ثم يتقدّمون بعد ذلك الى النسوة الغريرات، ويخاطبوهن أيضاً، بكلمات مختّنة قائلين: «هل كان لك ولد قبل أن تلديه؟» فكما أنه لم يكن لك ولد هكذا أيضاً ابن الله لم يكن موجوداً قبل أن يولد» وهكذا فان عديمى الشرف يتلاعبون بمثل هذه الأقوال وهم يسخرون مشبهين الله بالبشر، زاعمين أنهم مسيحيون ويبدلون مجد الله «بشبه صور الإنسان الذى يفنى»^{١٠٦}.

^{١٠٥} كان يوسابيوس أسقفًا لنيقوميديّة وكان زميلاً لآريوس فى مدرسة لوسيان بأنطاكية وظلّ صديقاً له على الدوام. وأخذ على عتقه أن يقوم بتأييد آريوس تأييداً مطلقاً بعد أدانته بواسطة المجمع المسكونى الأول (نيقية ٣٢٥) وعمل بجِد عملاً متواصلًا لأجل قبول آريوس من جديد فى الكنيسة وعلى الرغم من عدم نجاحه فى ذلك، فان الآريوسية تدين له بأنّها لم تتلاش وتختف فوراً بل ظلّت كخطر داهم حسيم لفترة طويلة على الكنيسة.

^{١٠٦} انظر روا: ٢٣.



٢٣. ومثل هذه الأقوال المفردة فى الغباء والحماقة كان يجب ألاَّ يردُّ أحد عليها، إلاَّ أنه، لكى لا تبدو هرطقتهم وكأنها أمر أكيد، فإنه يكون من الواجب أن نفندھا، خاصة من أجل النساء الغريرات اللاتى أنخدعن منهم بسهولة.

وما داموا يقولون هذه الأقوال، فينبغى عليهم أن يسألوا المهندس أيضاً هكذا «هل تستطيع أن تبنى بدون استخدام المواد الضرورية؟» فكما أنك أنت لا تستطيع فهكذا الله أيضاً لم يكن ليستطيع أن يخلق كل شئ بدون استخدام المواد الضرورية.

أو كان من الواجب أن يسألوا كل إنسان «هل يمكنك أن تكون موجوداً بغير مكان؟ فكما أنك لا تستطيع هكذا فإن الله أيضاً يوجد فى كل مكان». ليتهم يواجهون السامعين، وعندئذ سيخجلون منهم.

أو فلماذا عندما يسمعون أن لله ابناً، ينكرون هذا الأمر، مفسرين هذا الإنكار بما يحدث بينهم؟

فى حين أنهم إن سمعوا أن الله يخلق ويصنع، لا يعودوا يعارضون ذلك؟ وكان يجب عليهم فى حالة الخلق أيضاً أن يفهموها بحسب ما يحدث بين البشر، وأن يزودوا الله مقدماً بالمادة اللازمة، وبذلك فإنهم ينكرون أن الله هو الخالق، وتبعاً لذلك فإنهم يصلون إلى التمرغ فى الوحل مع المانويين.

فإن كانت الفكرة عن الله تسمو فوق هذه الأفكار فإن من يسمعها يؤمن ويعرف أن الله موجود ليس كما نوجد نحن، بل أنه موجود بكونه هو الله، وإنه يخلق لا كما يخلق الناس، بل هو يخلق بكونه هو الله. ومن هذا يتضح أنه يلد ليس كما يلد الناس، بل هو يلد بكونه هو الله. لأن الله لا يقتدى بالبشر، بل الأحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لأن الله - على وجه الخصوص - هو وحده حقاً الآب لابنه الذاتى، أما الآباء (البشريون) فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم، من



اللَّهُ «الَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَعَلَى الْأَرْضِ»^{١٠٧} وإن كان ما يقولونه يبقى بدون تحقيق أو مراجعة، فإنه سيظنون أن كلامهم معقول، وأما عند مراجعة كلامهم بفهم واع، فسنجد أن كلامهم هذا يستدعي الضحك والسخرية الشديدة.

٢٤. أول كل شيء، فإن أول سؤال من أسألتهم هذه، يعتبر لا معنى له بل هو غامض، لأنهم لا يوضحون، مَنْ هو الذى يسألون عنه، حتى يجيب عليه مَنْ وَجَّه إليه السؤال، فهم يقولون بسذاجة «الكائن، هو ذلك الذى لا يكون موجوداً».

إذن، فمَنْ هو الكائن، وما هى الأشياء غير الكائنة أيها الآريوسيون؟ أو مَنْ هو «الكائن» وَمَنْ هو «غير الكائن»؟ وَمَنْ الذى يقال عنه «كائن» أو «غير كائن»؟ إذ أنه فى وسع ذلك الذى هو الكائن أن يصنع الأشياء غير الكائنة، والأشياء الكائنة، والأشياء التى كانت من قبل.

إذن فالنجار والصائغ والفخارى، كل منهم بحسب فنه الخاص، يشكل المادة الموجودة قبلاً، صانعاً منها الشكل الذى يريده.

والله ذاته، إله الكل، إذ قد أخذ من تراب الأرض الذى كان موجوداً، جعل منه الإنسان فى الحال، وهذه الأرض نفسها التى خَلَقَ منها الإنسان لم تكن موجودة من قبل، ومن ثَمَّ أتى هو بها الى الوجود بواسطة كلمته الذاتى.

فإن كانوا يتساءلون هكذا عن الأمور، فإنه يتضح أن الخليقة لم تكن موجودة قبل أن تُخلَق، فى حين أن البشر (أى النجار والصائغ والفخارى)، يشكلون المادة الموجودة قبلاً، وهكذا يظهر كلامهم مفككاً غير مترابط. ولذا فإن كل من الكائنات وغير الكائنات يمكن أن تُخلَق كما سبق أن قلنا.



ولكن إن كانوا يتحدثون عن الله وعن كلمته، فليضيفوا على سؤالهم ما ينقصه، ودعهم يسألون هكذا: «هل كان الله، الذى هو كائن، موجوداً فى وقت ما، بدون كلمة؟» وكونه هو نور، فهل كان بلا ضياء (هل كان مظلماً)؟ أم أنه كان هو دائماً أبا الكلمة؟

أو بمعنى آخر: «هل خلق الآب الذى هو كائن، الكلمة غير الكائن، أم أن الكلمة الذى هو مولود من جوهره الذاتى، كان دائماً موجوداً عنده فى داخله؟»

وهذه الأسئلة تجعلهم يعرفون أنهم إنما يتجاسرون ويقحمون أنفسهم فى اختراعات ومغالطات عن الله وعن ذلك الذى هو منه. فمن يستطيع أن يحتّمل سماعهم وهم يقولون إن الله كان فى وقت ما بدون كلمة؟ لأنهم يسقطون ثانية ويهوون فيما هم عليه من ضلالات سابقة وبالرغم من محاولاتهم للتهرب من هذا وإخفائه بمغالطاتهم ودهائهم المضلل، لكنهم لم ينجحوا فى ذلك.

فلا يرغب أحد إطلاقاً أن يسمعهم وهم يشكّكون قائلين إن الله لم يكن أباً دائماً، بل صار أباً فيما بعد، لكى يتخيلوا أن كلمته أيضاً، لم يكن موجوداً فى وقت ما.

إذ أنه توجد براهين كثيرة سبق ذكرها، تدحض وتكذب أقوالهم، فما هو يوحنا يقول «كَانَ الْكَلِمَةُ»^{١٠٨} وهذا بولس يكتب أيضاً «الَّذِي، وَهُوَ بِهِاءٌ مَجْدٍ»^{١٠٩} وأيضاً «الْكَاثِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلَهَا مُبَارَكًا إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ»^{١١٠}.

١٠٨ يو ١:١.

١٠٩ عب ٣:١.

١١٠ رو ٩:٥.



٢٥. كان من الأفضل لهم أن يهدأوا ويصمتوا، ولكن بما أنهم لا يصمتون، فلا يتبقى إلا أن يقوم أحد بالردّ بجرأة على سؤالهم الوقح. فريما عندما يرون أنفسهم وهم مقيدون بنفس هذه السخافات والضلالات، فقد يتوقفون عن الصراع ضد الحق.

وإننا ندعو الله بشدة أن يترآف علينا، ويأتى لمعونتنا لكي نتمكن من الردّ عليهم عندما يتساءلون ويقولون: «هل الله الكائن قد صار إلى الوجود فى حين أنه لم يكن موجوداً؟ أم أنه كان موجوداً قبل أن يصير إلى الوجود؟ فإن كان هو كائن، فهل هو صنع نفسه أم أنه جاء من العدم وأظهر نفسه بغتة؟». إن مثل هذا التساؤل لهو سخيّف ومنافٍ للعقل، بل أكثر من ذلك فهو ليس منافياً للعقل فقط بل هو ملئٌ بالتجديف أيضاً، إلا أنه فى الواقع لا يختلف عما هو عندهم. لأن أقوالهم الأخرى (أى جوابهم على السؤال) مليئة بكل أنواع الكفر وعدم التقوى. لأنه إن كان أحد يتساءل عن الله بهذا الأسلوب، فيُعتبر هذا تجديفاً وكفراً شنيعاً، فإنه يُعتبر أيضاً تجديفاً أن يسأل أحد نفس هذه الأسئلة عن كلمته. فلأجل دحض مثل تساؤلهم الأحقق وغير المعقول هذا، فمن الضروري إذن أن نجيب هكذا: إن الله كائن وهو كائن منذ الأزل، وحيث إن الآب كائن دائماً، فإن بهاءه أيضاً الذى هو كلمته، هو أزلى كذلك، وأيضاً فإن الله الكائن، عنده الكلمة من ذاته وهو أيضاً كائن.

فلا الكلمة أتى الى الوجود فيما بعد، أى بعد أن لم يكن موجوداً من قبل، ولا الآب كان فى وقت ما بدون كلمة. لأن التجاسر المتهور على الابن يؤدى إلى التجديف على الآب، كما لو كان قد ابتدع لنفسه من خارجه حكمة وكلمة وابناً. لأنك أن استخدمت واحدة من هذه (الألقاب الثلاثة)، فإنما هى تعنى المولود من الآب كما سبق أن قيل.



ولذلك فإن سؤالهم هذا يعتبر متناقضاً، ولأنهم ينكرون الكلمة، فمن الطبيعي أن يكون سؤالهم مناقضاً للعقل والمنطق.

وكما أنه عندما يرى أحدهم الشمس، فيأخذ في التساؤل عن بهائها ويقول: «هل ما هو كائن (أي الشمس)، قد صَنَعَ ما هو غير موجود أم ما هو موجود» فمثل هذا الشخص الذي يسأل هكذا يُعتبر أنه لا يفكر تفكيراً سليماً، بل يُعتبر خرقاً فاقد اللب، لأنه يتصور أن ما هو صادر بكيّيته عن النور، أنه من خارج النور، ويتساءل عنه قائلاً متى؟ وأين؟ وعندما؟ فإن كانت (الشمس) قد صُنِعت، فإنه يتصور مثل هذه الأشياء عن الابن وعن الآب، ويأخذ في التساؤل عنهما بنفس الطريقة ولكن تساؤله يكون بجنون أعظم بكثير، متصوراً أن الآب جلب إليه الكلمة من خارج ذاته، ويقول عن الذي هو بطبيعته مولود، إنه مخلوق، وهو يجادل بذهن مبطل قائلاً « إنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد» فليسمعوا الجواب على سؤالهم، بأن الآب الكائن قد صنع الابن الكائن، لأن «الكلمة صَارَ جَسَداً»^{١١١}. وبينما هو ابن الله فقد جعله ابن الإنسان أيضاً عند انقضاء الدهور، إلا إذا قالوا حسب تعليم الساموساطي^{١١٢}، أنه لم يكن موجوداً قبل أن يصير إنساناً، ويكفيهم هذا ردّاً منّا على سؤالهم الأول.

٢٦. يا معشر الآريوسيين، وأنتم تذكرون نفس أقوالكم، خبرونا: «هل الذي هو كائن، في حاجة إلى مَنْ هو غير كائن، أم إلى مَنْ هو كائن، لأجل خَلْقِهِ كل

^{١١١} يو: ١٤: ١٤.

^{١١٢} كان بولس الساموساطي أسقفاً لانتاكية (٢٦٠ - ٢٦٨) وأدين في عام ٢٦٨م بعد سلسلة من المحاكم التي من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتر أن المسيح كان مجرد إنساناً عادياً ثم صار إلهاً بسبب جدارة عظمة شخصيته التي استحقتها بسبب التثبي (ولذلك) سُمّي مشايعوه باسم أصحاب التثبي وهكذا أنكر الساموساطي تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.



الأشياء؟» لأنكم قلتم إنه صاغ لنفسه الابن كأداة لكي يخلق بواسطته كل الأشياء. أيهما أفضل، أذن هل الذي يحتاج أم الذي يسد الاحتياج؟

أم أن كلا منهما يستكمل احتياج الواحد للآخر؟ لأنه بقولكم مثل هذا الكلام فإنكم تثبتون ضعف الخالق، إن كان لا يقوى وحده على أن يخلق كل الأشياء بل يبتكر لنفسه أداة من الخارج، كما لو أن نجاراً أو صانع سفينة لا يستطيع أن يعمل أى شئ بدون مطرقة أو منشار. هل هناك، إذن، ما هو أكثر كفرة من هذا؟ أو ما الذي يدعو عموماً للانشغال بمثل هذه الأمور المخيفة، إذا كان ما سبق أن قيل يكفي لاثبات أن اقوالهم ما هى إلا محض وهم وخيال.

الفصل الثامن

الاعتراضات والرّد عليها (بقية)

وأما من جهة تساؤلهم الآخر الشديد فى سخافته و حماقته وهو التساؤل الذى وجهوه الى النسوة الغريرات وحتى بخصوص هذا التساؤل، فلم يكن ينبغى أن يجاب عليه من أحد بما سبق أن قلناه فقط، فإنه لا يجب مقارنة الولادة التى من الله بالولادة فى طبيعة البشر.

ولكن جدير بنا أن نردّ عليهم بهذا الأسلوب لكى يدينوا أنفسهم بخصوص هذا الأمر، ولذلك نقول: إنه من المؤكد، لو أنهم سألوا الوالدين عن أبنتهم، دعهم يفكرون من أين جاء الطفل المولود. لأنه إن لم يكن للوالد ولد قبل أن ينجبه، فإنه حتى بعد الحصول عليه، لم يكن حصوله عليه طبعاً من خارجه ولا غريباً عنه بل هو من ذات جوهره ومطابق لصورته، حتى أن هذا (الآب) يرى فى ذاك (الولد) وذاك (الولد) يرى فى هذا (الآب).

فإن كانوا ينتقون عنصر الزمن من الأمثلة البشرية عن الولادة فلما لا يأخذون بالمثل من هذه الأمثلة البشرية، أن الأبناء يُولدون بحسب طبيعة آبائهم ومن ذاتهم، بدلاً من أن يعملوا (أى الآريوسيين) كالحيات التى تتقّى من الأرض، ما يلائم فقط أن يصير سمّاً.

فكان إذن من الواجب، أنهم حينما يتباحثون مع الوالدين قائلين لهم: «هل كان لك ولد قبل أن تتجبه؟» كان ينبغى أن يضيفوا ويقولوا: «إن كنت قد حصلت على ولد، فهل أنت اشتريته من الخارج كما تشتري بيتاً أو أى ممتلكات أخرى؟» وحينئذ فإنهم يجيبونك قائلين «إنه ليس من خارجى، بل هو من ذاتى، لأن



الممتلكات هي من خارج وتتقل من واحد إلى آخر، أما الابن فهو منى من ذات جوهرى ومطابق له، حيث إنه لم يأت إلى من آخر، بل هو قد وُلِدَ منى، ولهذا السبب فإنى بكل كيانى موجود فيه، بينما أظُلُّ أنا نفسى كما أنا».

لأن هذا هو واقع الحال، حتى إن اختلف الوالد (عن الله الآب) من ناحية الزمن، لأنه كإنسان قد أتى الوجود في الزمن، ولكنه هو أيضاً كان يمكن أن يكون عنده ابنه موجود معه دائماً، لو لم تمنعه طبيعته من ذلك، أى لو كانت القدرة الإنجابية لا تعوقه عن ذلك.

حقاً أن لاوى كان لا يزال فى صلب جده الأكبر (إبراهيم)^{١١٢} قبل أن يُولَد هو، وقبل أن يُولَد جده (اسحق). إذن حينما يبلغ الإنسان هذه السن الملائمة، التى تمكّنه فيها الطبيعة من الإنجاب، فإن المرء يصير حالاً، أباً لابن يولد منه، ما دامت الطبيعة لا تعوقه.

٢٧. ولذلك إن كانوا عندما يسألون الوالدين عن الأولاد، ويعرفون منهم بأن الأولاد الذين بالطبيعة ليسوا من خارج، بل هم من والديهم، دعهم إذن يعترفون أيضاً بخصوص كلمة الله بأنه من الآب كليّة.

وعندما يجادلون بخصوص الزمن، دعهم يقولون ما الذى يمنع الله من أن يكون هو أبو الابن على الدوام. دعهم يقولون ما الذى يمنعه من ذلك (لأنه ينبغي البرهنة على أنهم كافرين مما يسألون عنه وهم ساخرون)، لأنه قد تمّ الاقرار والاعتراف بأن كل مَنْ هو مولود إنما يأتى من أب.

^{١١٢} انظر عب ٥: ٧-١٠.



إذن فهمُ مثلما سألوا النساء عن الأزمنة، دعهم أيضاً يسألون عن الشمس بخصوص اشعاعها، وعن اليبنوع بخصوص الماء الذى يتدفق منه، وذلك لكى يحكموا كلفةً على أنفسهم، عندما يفكرون بشيء من هذا القبيل عن الله، وذلك حتى يتعلموا أنه بالرغم من أن كل هذه الأشياء مولودة، إلا أنها كائنة دائماً مع تلك الأشياء التى خرجت منها.

فإن كان مثل هؤلاء الوالدين لهم مع أبنائهم، قرابة بالطبيعة، وأيضاً «وجود دائم» معهم، فإذا كانوا يظنون أن الله أقل من المخلوقات. فلماذا لا يصرحون بكفرهم علانية؟ ولكن إن كانوا لا يتجاسرون أن يقولوا هذا علانية، بينما أن الابن يُعترف به بأنه ليس من خارج (الآب)، بل هو مولود بالطبيعة من الآب، وأنه لا يوجد أى شئ يعوق الله (لأن الله ليس مثل الإنسان، بل هو أعظم من الشمس، بل بالحرى فإنه إله الشمس)، فيتضح من ذلك أن الكلمة هو من الآب وأنه موجود معه دائماً، والذى بواسطته قد أحضر الآب إلى الوجود كل الأشياء التى لم تكن موجودة من قبل ولأن الابن إذن لم يأت من العدم بل هو أزليٌّ ومن الآب، فإن هذا يثبت الأمر نفسه.

أما سؤال الهرطقة الموجه للوالدين. فإنه يكشف خبثهم وسوء نيتهم. فأنهم عرفوا ما هو بحسب الطبيعة، والآن قد تم فضحهم بخصوص موضوع الزمن.

٢٨. ولادة الله لا يجب أن تقارن بولادة البشر، وكذلك لا يجب إعتبار ابن (الله) جزءاً من الله، أو إعتبار أن الولادة تعنى أى ضعف أو تقسيم على الإطلاق. وإذ نحن نكتفى بما سبق لنا قوله، فإننا الآن نعيد نفس الكلام وهو أن وجود الله ليس كوجود الإنسان.



فإن البشر يكدون نتيجة تغيير ما في طبيعتهم، حيث أن لهم طبيعة غير ثابتة، وهم ينتظرون إلى الوقت (للولادة)، نظراً لضعف طبيعتهم ذاتها، ولكن لا يمكن أن نقول هذا الكلام بالنسبة لله، لأن الله غير مركّب من أجزاء. بل بسبب كونه غير منقسم أو متغير. كما أنه بسيط غير مركّب^{١١٤}، لذلك فهو أبو الابن دون حدوث تغيير فيه ودون انفصال. وهذا الأمر يوجد بشأنه دليل وبرهان قاطع من الكتب الإلهية.

لأن كلمة الله هو ابنه، والابن هو كلمة الآب وحكمته، فإن الكلمة والحكمة ليس مخلوقاً، وليس هو جزءاً من ذلك الذي له كلمته (أى الآب)، ولا هو مولود نتيجة تقسيم أو انفصال. فكلّا (اللقبان) وحدّهما الكتاب وأعطاهما لقب «ابن» بصورة مؤكدة، لكي يُبشّر به أنه المولود الطبيعي والحقيقي للجوهر، وذلك حتى لا يظن أحد أن المولود هو مولود بشرى بينما الكتاب يقصد جوهره، ولهذا يقول الكتاب أيضاً إنه الكلمة والحكمة والبهاء، وذلك لكي ندرك من هذا أن الولادة بلا تقسيم أو انفصال، وأنها أزليّة ولائقة بالله. إذن فأى تغيير أو انفصال هناك، أو أى جزء من الآب يكون الكلمة والحكمة والبهاء؟ وهذا ما يمكن لهؤلاء الحمقى أن يتعلّموه ويفهموه أيضاً. لأنهم كما يسألون النساء عن الابن أيضاً يجب أن يسألوا الرجال عن الكلمة. وذلك لكي يعرفوا أن القول الذي ينطقون به لا يسبب تغييراً لهم. ولا هو جزءاً من عقلهم. فإن كانت كلمة البشر بمثل هذه الكيفية، رغم أنهم يخضعون للتغيير وعدم الثبات، ورغم كونهم متجزئين، فلماذا يفكرون في التغيير والإنقسام بالنسبة لله غير الجسدى وغير المنقسم لكي عن طريق التظاهر بتوقير الله، ينكرون ولادة الابن الحقيقية والطبيعية؟

^{١١٤} تعبير أن طبيعة الله هي طبيعة بسيطة غير مركبة تعني أنه غير منقسم إذ أن التركيب هو بداية الإنقسام.



إن ولادة الله ليست نتيجة انقسام أو تغيير. وما سبق يكفي لإثبات هذا، خاصة وقد تمَّ الآن إثبات أن الكلمة ليس مولودًا بحسب الضعف أو التقسيم. فليسمعوا أيضًا نفس الكلام عن الحكمة فإن الله ليس مثل الإنسان، ولا يتخيَّلوا عنه شيئًا بشريًّا. لأن البشر خلقوا لتقبُّل الحكمة، أما الله، فهو لا يشترك في شئ، بل هو نفسه أب لحكمته الخاصة، التي يلقب المشتركون فيها عادة بلقب حكماء. والحكمة نفسها أيضًا ليست تقسيم أو تغييرًا، وهى ليست جزءًا ولكنها المولود الذاتى للآب، لذلك فهو دائمًا أب، وخاصية الآب ليست خاصية أضيفت لله فيما بعد، وذلك لكى لا يعتبر أنه خاضع للتحوُّل، لأنه إن كان من الصلاح أن يكون الله أبًا، ولكنه لم يكن دائمًا أبًا إذن، فواعجبى ألا يكون الصلاح موجودًا فى الله دائمًا!.

٢٩. يقولون «ها هو الله كان على الدوام خالقًا، وإن قدرته على الخلق ليست إضافية بالنسبة له، فهل إذن لأن الله خالق، تكون مخلوقاته أزليَّة، وهل يكون من الصواب أن نقول عن هذه المخلوقات أنها كانت موجودة قبل أن توجد؟» يا لجنون الآيسيين، فأى مشابهة هناك بين الابن والخليقة، حتى يقولوا عن مَنْ هو خاص بالآب نفس ما يقولونه عما يخص المخلوقات؟! وكيف يُصَرَّ هؤلاء على جهلهم بعد ما تبَيَّن مما سبق الفرق العظيم بين المولود والمخلوق؟ لذلك فمن الضرورى أن نعيد نفس الكلام ونقول إن الخليقة هى من خارج الخالق، كما سبق القول، فى حين إن الابن هو المولود الذاتى من الجوهر، لذلك فليس هناك حاجة لوجود الخليقة دائمًا، لأن الخالق يصنعها حينما يشاء، أما المولود فلا يخضع فى وجوده للمشيئة، بل هو خاص بذات الجوهر، فالصانع يُلقَّب صانعًا ويكون كذلك، حتى لو لم تكن له مصنوعات بعد، أما الأب فلا يلقب أبًا ولا يكون كذلك ما لم يكن له ابن موجود.



أما إن كانوا يبحثون الأمر بفضول وحب استطلاع قائلين: « لماذا لا يخلق الله على الدوام، وهو القادر أن يخلق دائماً»، فإن جسارتهم هذه جسارة المجانين، لأن «لأن مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟»^{١١٥} أو «كيف تقول الجبلة للخزاف، لماذا صنعتي هكذا؟»^{١١٦} ولكن لكى لا نصمت عن الرد على منطقهم الضعيف هذا، فليسمعوا: إنه بالرغم من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق، إلا أنه ليس فى استطاعة المخلوقات أن تكون أزليّة، لأن هذه المخلوقات وُجِدَتْ من العدم ولم تكن موجودة قبل أن تُخلَق. فكيف يمكن إذن لهذه المخلوقات التى لم تكن موجود قبل أن تُخلَق، أن تكون موجودة مع الله الكائن على الدوام؟

ولذلك فإن الله وهو يهتم بما فيه منفعة الخلائق، فإنه قد خَلَقَ كل الأشياء، عندما رأى أن هذه الأشياء يمكنها أن تبقى بعد أن تُخلَق.

وكما أنه قادراً من البدء، أن يُرسل كلمته فى أيام آدم أو فى أيام نوح، أو فى أيام موسى، ولكنه لم يرسله إلا فى آخر الدهور، لأنه رأى أن هذا نافع لكل الخليقة، هكذا أيضاً فإنه خَلَقَ المخلوقات عندما أراد، وعندما كان هذا نافعاً لهم.

أما الابن - فلكونه غير مخلوق، بل هو من ذات جوهر الآب - فإنه موجود دائماً.

ولأن الآب موجود دائماً، فلا بد أن يكون الذى هو من ذات جوهره، موجود دائماً أيضاً، والذى هو حقاً كلمته وحكمته.

١١٥ رو ١١: ٣٤

١١٦ رو ٩: ٢٠



أما الخلائق، وإن لم تكن قد وُجِدَتْ بعد، فإن هذا لا يُنْقِص من شأن الخالق، لأن له القدرة أن يَخْلُقُ عندما يشاء، أما المولود فإن كان غير كائن على الدوام مع الآب، فإن هذا يُنْقِص من كمال جوهره. ولأجل هذا فإن المخلوقات قد خُلِقَتْ عندما شاء هو من خلال كلمته. أما الإبن فهو - على الدوام - المولود الذاتي لجوهر الآب.

الفصل التاسع

عبارة «غير المخلوق»

٣٠. إن أقوالنا هذه تبهج المؤمنين، ولكنها تحزن الهرطقة الذين يرون هرطقتهم وقد دُحضت وأبطلت، بهذه الأقوال.

وأيضاً فإن سؤالهم ذلك الذى يقولون فيه «هل هناك واحد فقط غير مخلوق (ἀγένητον) أم أشنان؟»، يثبت أن تفكيرهم ليس مستقيماً، بل هو مربى وملى بالغش والخداع. فإنهم لا يسألون هذا السؤال من أجل إكرام الآب، بل من أجل إهانة الكلمة. فلو أن أحد الناس وهو يجهل خبثهم ودهاءهم أجابهم بأن غير المخلوق هو واحد، ففى الحال ينفثون سمومهم قائلين: «إذن فالابن ينتمى إلى المخلوقات، وحسناً ما قلناه بأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد»، وهكذا فإنهم يخلطون كل الأشياء وبهذا يثيرون الإضطرابات، وذلك لكى يفصلوا الكلمة عن الآب، ويحسبوا الذى هو خالق الكل، أنه من بين المخلوقات.

إنهم يستحقون الإدانة والتدريد بهم، أولاً: لأنهم بينما يلومون الأساقفة الذين اجتمعوا فى نيقية^{١١٧} بسبب استخدامهم لعبارات ليست من الكتاب المقدس - رغم أنها ليست عبارات مضادة للإيمان بل قد وُضعت بهدف فضح كفرهم، فقد وقَّعوا هم أنفسهم فى نفس الأمر، أى أنهم نطقوا بعبارات ليست من الكتاب المقدس وابتدعوا إهانات ضد الرب، «وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ مَا يَقُولُونَ وَلَا مَا يُقَرَّرُونَ»^{١١٨}.

^{١١٧} الآباء الأساقفة الـ ٣١٨ الذين اجتمعوا فى الجمع المسكون الأول فى نيقية، والذى أدين الهرطقة الآريوسية.

^{١١٨} ١ تيمو ١: ٧



لذلك فليسألوا إذن، اليونانيين، الذين سبق أن سمعوا منهم ما قالوه (لأنه ليس من الكتب المقدسة بل من اختراعهم) وذلك لكي يسمعوهم أيضاً، كم للفظ (غير المخلوق - غير الصائر) من معان عديدة، وعندئذ سيتعلمون أنهم لا يعرفوا حتى أن يسألوا السؤال الصائب، ولا حتى بخصوص الأشياء التي يتحدثون عنها.

لأنى أنا أيضاً - بسببهم - قد سألت وعرفت أن (عبارة)، «غير المخلوق» (غير الصائر) يقصد بها ذلك الذى لم يصير له وجود، ولكنه من الممكن أن يصير. وذلك مثل الخشبة التي لم تكن قد صارت سفينة بعد ولكنها من الممكن أن تصير كذلك. وأيضاً فإن «غير المخلوق» (أو غير الصائر)، هو ذاك الشئ الذى لم يصير بعد، وليس من الممكن أن يصير أبداً، مثل المثلث الذى لا يمكن أن يصير مربعاً أو العدد الزوجى أن يصير فردياً. ذلك لأن المثلث لم يصير قط مربعاً ولا يمكن أن يكونه أبداً، كما لم يحدث قط أن صار العدد الزوجى فردياً ولا يمكن أن يكونه.

وأيضاً يُقصد بكلمة «غير الصائر - (غير المخلوق)» «ما هو موجود، دون أن يصير من أحد، وليس له والد بالمرّة».

وقد أضاف أيضاً أستيريوس^{١١٩} السفسطائي الخبيث، وهو المدافع عن هذه الهرطقة فى مقالته قائلاً: «بأن غير المخلوق - (غير الصائر)، هو الذى لم يُخلق ولكنه كائن دائماً».

^{١١٩} كان أستيريوس مثل آريوس وأوسابيوس النيقوميدى، تلاميذ لوكيانوس الأنطاكي. وقد تبع أستيريوس التعاليم الآريوسية وكتب لهم دستور عقيدتهم، وقد لعب دوراً هاماً فى نشر الآريوسية بواسطة رحلاته المستمرة التي كان يقوم فيها بالدعاية للآريوسية.



فكان ينبغي إذن حينما يسألون السؤال، أن يضيفوا ما المعنى الذى يفهمون به كلمة غير المخلوق - (غير الصائر)، حتى أن الذى يسألونه يستطيع أن يجيب الإجابة الصائبة.

٣١. إن كانوا يحسبون أنهم يسألون السؤال الصائب، بقولهم «هل هناك واحد فقط غير مخلوق (غير صائر) أم اثنان؟» فإنهم أولاً سيسمعون الجواب - بإعتبارهم جهلة - أن الأشياء غير المخلوقة (غير الصائرة) كثيرة، وليس لها وجود، كما أن الأشياء التى يمكن أن تُخلق (أن تصير) هى أكثر جداً، وغير الكائن ليس فى إمكانه أن يصير كما سبق أن قيل.

أما إن كانوا يسألون عن نفس الموضوع، على غرار أستيريوس بأن غير المخلوق (غير الصائر) هو الذى لم يُخلق ولكنه كائن دائماً، فليسمعوا لا مرة واحدة بل مرّات كثيرة، بأنه من الممكن أيضاً أن يقال عن الابن، إنه غير مخلوق (غير صائر) بحسب هذا المعنى المقبول عندهم، لأنه لا يُحسب بين الأشياء المخلوقة، ولا هو مخلوق بل بالعكس فإنه كائن منذ الأزل مع الآب، كما سبق أن أتضح وذلك رغم تقلباتهم (أى تقلبات الأريوسيين) الكثيرة، والتى ليس لها من هدف سوى أن يتكلموا ضد الرب قائلين « أنه وُجدَ من العدم»، وأنه «لم يكن موجوداً قبل أن يُولَد».

وهكذا فبعد أن خُذِلوا من كل ناحية، فإنهم أخذوا يسألون أيضاً بخصوص ذلك المعنى الذى يكون بمقتضاه «غير المخلوق (غير الصائر) هو ذلك الذى يكون موجوداً، بدون أن يكون مولوداً من أحد، وليس له أب خاص به» لهذا فأنهم سيسمعون منا أيضاً أن المقصود «بغير المخلوق» (غير الصائر) هو بهذا المعنى واحد فقط وهو الآب ولن يحصلوا على أى شئ أكثر مما سمعوه.

لأن القول بأن الله «غير مخلوق» (غير صائر) بهذا المعنى، لن يبرهن القول بأن الابن مخلوق (صائر)، وفقاً للبراهين السابقة. إذ يتضح أن الكلمة هو مثل ذاك الذى



وَلَدَهُ. وتبعاً لذلك، فإن كان الله غير مخلوق (غير صائر)، فصورته - أى كلمته وحكمته ليس بمخلوق بل هو مولود. لأنه أى مشابهة هناك بين المخلوق (الصائر) وغير المخلوق (غير الصائر)؟ (لأنه ينبغى ألا نكل من تكرار نفس الكلام).

فإن كانوا يريدون أن يجعلوا المخلوق مشابهاً لغير المخلوق فيكون أن مَنْ يرى هذا كَمَنْ يرى ذاك، فليس بعيداً عليهم إذن أن يقولوا، إن غير المخلوق هو صورة خلأثقه، وبذلك تكون كل الأشياء قد اختلطت فى أذهانهم، وبذلك يساوون بين المخلوقات وغير المخلوق، وهذا يعتبر إلغاء لغير المخلوق وقياسه بقياس المخلوقات. وكل هذا إنما يفعلونه فقط لكى يحطوا من قدر الابن ويحسبونه فى عداد المخلوقات.

٣٢. ولكنى أظن أنهم لا يرغبون أن يستمروا مداومين على مثل هذه الأقوال، إن كانوا حقاً يشايعون أستيريوس السفسطائى. فإنه رغم اهتمامه بالدفاع عن الهرطقة الأريوسية بقوله إن غير المخلوق (غير الصائر) هو واحد، فإنه يناقضها مؤكداً أن حكمة الله أيضاً غير مخلوق وليس له بداية وهاك بعض المقاطع مما كتبه: «لم يقل المغبوط بولس إنه كرز بالمسيح على أنه القوّة التى لله والحكمة التى لله^{١٢٠}» ولكنه بدون استعمال أداة تعريف قال، قوّة الله وحكمة الله، وهكذا كرز بأن قوّة الله الذاتية، التى هى من طبيعته، والكائنة معه أزلياً، إنما هى قوّة أخرى. وبعد قليل أيضاً يقول «ولكن قوّته الأزلية وحكمته التى يوضح منطق الحق إنها حقاً بلا بداية وغير مخلوقة (غير صائرة)، إنما هى واحدة بالتأكيد». لأنه وإن كان لم يفهم كلمات الرسول فهماً سليماً بظنه أن هناك حكمتان، ولكنه مع ذلك بقبوله القول بحكمة مشاركة معه فى الوجود دائماً،

^{١٢٠} اللغة اليونانية تستعمل أداة التعريف قبل المضاف وقبل المضاف إليه والمقصود "قوة الله وحكمة الله" (المعرب).



فهو يقول إن غير المخلوق (غير الصائر) ليس واحداً بعد، بل إن هناك غير مخلوق (غير صائر) آخر معه لأن المُشارِك في الوجود لا يتشارك في الوجود مع نفسه بل مع آخر. ولذلك فليكن أولئك المشايعون لاستيريوس عن التساؤل: «هل غير المخلوق (غير الصائر) واحداً أم اثنان وإلا فإنهم سيضطدمون به في هذا الأمر ويرتابون فيه. ومن الناحية الأخرى، فإن كانوا يقاومونه في ذلك أيضاً فليكنوا عن الاعتماد على كتابه، لئلا ينهشوا بعضهم بعضاً ويفنوا بعضهم بعضاً. هذا هو ما قالوه بسبب جهالتهم، وماذا يستطيع أى شخص أن يقول أزاء مكرهم هذا؟ ومن هو الذى لن يكره بحق أولئك المتهوسين إلى هذه الدرجة؟

فما داموا لا يتجاسرون أن يقولوا صراحة «إنه من العدم». وإنه «لم يكن موجوداً قبل أن يولد». لذلك اخترعوا لأنفسهم عبارة «غير مخلوق» (غير صائر)، لكي يقولهم عن الابن إنه «مخلوق» (صائر)، وسط السذج البسطاء، فإنهم يقصدون نفس تعبيراتهم السابقة تلك وهى «إنه من العدم» وإنه «لم يكن موجوداً قط قبل أن يولد». لأنهم يعنون بهذه العبارات «الأشياء الصائرة والمخلوقة».

٣٣. فلو كانت لديهم الثقة في ما يقولونه، لكان من الواجب عليهم أن يظلوا ثابتين على موقفهم، ولا يتغيروا بطرق متنوعة، ولكنهم يرفضون ذلك، ظانين أنه يمكنهم أن ينجحوا بسهولة، إذا هم أخفوا هرطقتهم تحت ستار كلمة «غير المخلوق» (غير الصائر) وفي الواقع فإن لفظة «غير المخلوق» هذه، لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الابن^{١٢١}. ولو أنهم يتذمرون - بل بالنسبة إلى المخلوقات، وهكذا يمكن أن يرى نفس الشئ في كلمة «ضابط الكل»، وكلمة «رب القوات». فلو أن الآب يضبط ويسود كل الأشياء من خلال الكلمة، والابن يملك مملكة الآب

^{١٢١} لأن هذا يعنى حسب تفكيرهم — إن الابن سيصير مخلوقاً، ويصبح من ضمن المخلوقات وهذا ما كان يهدف إليه المراطقة.



وتكون له السيادة على الكل، حيث إنه هو كلمة الآب وصورته فيكون واضحاً إذن أن الابن لا يُحَسَّب من بين الكل، ولا يسمى الله «ضابط الكل»، «والرب» بالنسبة إلى الابن، بل بالنسبة إلى المخلوقات التي (تكوّنت) عن طريق الابن، وهي تلك التي يضبطها ويسودها بواسطة الكلمة. وهكذا فإن لفظة «غير مخلوق» لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الابن ولكن بالنسبة إلى المخلوقات التي خلقت عن طريق الابن، وإن هذا لصواب، حيث إنه ليس مثل المخلوقات. بل هو خالقها وصانعها بواسطة (من خلال) الابن. كما أن لفظة «غير مخلوق» تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى المخلوقات، هكذا أيضاً فإن كلمة «الآب» تعلن عن الابن. فإن مَنْ يُسمي الله صانعاً وخالقاً وغير مخلوق، فإنه يرى ويفهم الأشياء المخلوقة والمصنوعة، أما الذي يُسمى الله أباً فإنه في الحال يُدرك الابن ويعرفه. ولذلك فقد يدesh البعض من حبهم للجدال مع عدم تقواهم، لأنه بالرغم من أن لكلمة «غير المخلوق» معنى حسن - سبق أن أشرنا إليه - بحيث يمكن أن نذكر هذه الكلمة بورع وتقوى، أما هم فيتكلمون بها لأجل إهانة الابن بحسب هرطقتهم، وهم لم يقرأوا، أن الذي يُكرم الابن، إنما هو يُكرم الآب والذي لا يُكرم الابن، إنما هو لا يُكرم الآب^{١٢٢} لأنهم لو كان لديهم أى اهتمام - على وجه العموم - بتمجيد وتكريم الآب، لكان من واجبه بالأحرى، أن يعترفوا بأن الله أب ويلقبونه كذلك، بدلاً من أن يسمونه بهذه الطريقة (أى يدعونه غير المخلوق)، وكان هذا سيكون أفضل وأعظم.

أما أن يسموا الله «غير المخلوق» متخذين هذه التسمية من أعماله المخلوقة، كما سبق أن قلنا - وهكذا يلقبونه خالقاً وصانعاً فقط، ظانين أنهم بهذا يستطيعون أن يعتبروا الكلمة مخلوقاً حسب أهوائهم. أما الذي يدعو الله أباً، فإنه



يُسَمِّيهِ هَكَذَا نِسْبَةً إِلَى الْإِبْنِ بِدُونِ أَنْ يَنْكَرَ أَنَّهُ مَا دَامَ يَوْجِدُ ابْنَ، فَبِالضَّرُورَةِ فَإِنْ كُلُّ الْمَخْلُوقَاتِ قَدْ خُلِقَتْ عَنْ طَرِيقِ الْإِبْنِ. وَأَوَّلُكَ عِنْدَمَا يَسْمَوْنَ اللَّهَ «غَيْرَ الْمَخْلُوقِ» فَإِنَّمَا يَشِيرُونَ إِلَيْهِ فَقَطْ مِنْ جِهَةِ نِسْبَتِهِ إِلَى الْمَخْلُوقَاتِ، وَهُمْ بِذَلِكَ لَا يَعْرِفُونَ الْإِبْنَ مِثْلَهُمْ مِثْلَ الْإِمَمِيِّينَ. أَمَّا الَّذِي يَدْعُو اللَّهَ أَبًا، فَإِنَّهُ يَسْمِيهِ هَكَذَا نِسْبَةً إِلَى الْكَلِمَةِ. وَالَّذِي يَعْرِفُ الْكَلِمَةَ، فَإِنَّهُ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ يَعْرِفُ أَنَّهُ الْخَالِقُ، وَيَفْهَمُ أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ قَدْ كَانَ (قَدْ صَارَ) ^{١٢٣}.

٣٤. لِذَلِكَ فَإِنَّهُ بِالْحَقِّ سَيَكُونُ أَكْثَرُ تَقْوَى، لَوْ أَنَّهُمْ أَشَارُوا إِلَى اللَّهِ (الْآبِ) مُبْتَدِئِينَ مِنَ الْإِبْنِ، وَهَكَذَا يَلْقَبُونَهُ أَبًا، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَسْمَوْنَهُ نِسْبَةً إِلَى أَعْمَالِهِ فَقَطْ فَيَلْقَبُونَهُ «غَيْرَ الْمَخْلُوقِ». لِأَنَّ هَذَا اللَّقْبَ (الْأَخِيرَ) يَشِيرُ فَقَطْ إِلَى كُلِّ خَلِيقَةٍ - كَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْتُ - وَعَمُومًا فَإِنَّ هَذَا اللَّقْبَ يَشِيرُ إِلَى كُلِّ الْأَعْمَالِ الَّتِي خُلِقَتْ بِإِرَادَةِ اللَّهِ مِنْ خِلَالِ الْكَلِمَةِ. فِي حِينٍ أَنْ لَقَبَ الْآبِ يَفْهَمُ وَلَهُ دَلَالَتُهُ فَقَطْ بِالنِّسْبِ إِلَى الْإِبْنِ. وَيَقْدَرُ مَا يَخْتَلِفُ الْكَلِمَةُ عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودَاتِ، فَبِمِثْلِ هَذَا الْقَدْرِ بَلْ وَأَكْثَرُ، يَكُونُ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَ أَنْ يَدْعَى اللَّهَ «أَبًا»، وَبَيْنَ أَنْ يَدْعَى «غَيْرَ الْمَخْلُوقِ». لِأَنَّ هَذَا اللَّقْبَ (الْأَخِيرَ) غَيْرُ مُسْتَقَى مِنَ الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ بَلْ وَيُشِيرُ الرِّبِيَّةَ وَالشُّكَّ، لِأَنَّهُ يَحْوِي فِي الْوَاقِعِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةً، لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ فِي حَالَةِ التَّسَاوُلِ عَنْ هَذَا اللَّقْبِ، فَإِنَّ الْفِكْرَ يَنْتَابُهُ الْحَيْرَةُ وَالْإِضْطِرَابُ، أَمَّا لَقَبُ «الْآبِ» فَهُوَ لَقَبٌ بِسِيطٍ مُسْتَقَى مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ، وَهُوَ لَقَبٌ أَكْثَرُ صَوَابًا وَحَقًّا، وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى «الْإِبْنِ» فَقَطْ.

أَمَّا لَقَبُ «غَيْرَ الْمَخْلُوقِ» فَهُوَ كَلِمَةٌ مُوجُودَةٌ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ (الْإِمَمِيِّينَ) الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ «الْإِبْنَ». أَمَّا لَقَبُ «الْآبِ» فَقَدْ صَارَ مَعْرُوفًا إِذْ قَدْ أَنْعَمَ بِهِ الرَّبُّ (يَسُوعَ) عَلَيْنَا. لِأَنَّهُ قَدْ عَرِفَ - فِي الْوَاقِعِ - ابْنُ مَنْ هُوَ، عِنْدَمَا قَالَ «أَنَا فِي الْآبِ



وَالْآبَ فِي»^{١٢٤} وَأَيْضًا «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{١٢٥} وَأَيْضًا «أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ»^{١٢٦} ، وَلَا يَوْجَدُ فِي أَحَدِ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَى إِشَارَةٍ بِتَلْقِيبِ الْآبِ بِلَقَبِ «غَيْرِ الْمَخْلُوقِ» بَلْ حِينَ عَلَّمْنَا أَنْ نَصَلِّيَ ، لَمْ يَقُلْ حِينَما تَصَلُّونَ قُولُوا : أَيُّهَا الْإِلَهِ غَيْرِ الْمَخْلُوقِ ، بَلْ بِالْحَرَى قَالَ «فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا : أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»^{١٢٧} وَهُوَ بِهَذَا قَدْ أَرَادَ أَنْ يَرْكُزَ عَلَى أَسَاسِ إِيْمَانِنَا عِنْدَمَا أَمَرْنَا أَنْ تَكُونَ مَعْمُودِيَّتِنَا لَيْسَ بِاسْمِ «غَيْرِ الْمَخْلُوقِ» وَالْمَخْلُوقِ وَلَا بِاسْمِ «الْخَالِقِ» وَ «الْمَخْلُوقِ» بَلْ بِاسْمِ «الْآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُّسِ»^{١٢٨} لِأَنَّنَا وَإِذْ نَحْنُ مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ ، نَصِيرُ هَكَذَا مُكْتَمِلِينَ وَبِهَذَا نَصِيرُ أَبْنَاءَ ، وَإِذْ نَدْعُو اسْمَ الْآبِ ، فَإِنَّنَا مِنْ هَذَا (الاسْمِ) نَعْرِفُ أَيْضًا الْكَلِمَةَ الَّتِي هُوَ مِنْ ذَاتِ الْآبِ . إِذَنْ فَمَا يَجَادِلُونَ بِهِ بِخُصُوصٍ لَفْظَةَ «غَيْرِ الْمَخْلُوقِ» ، إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى عِثٍّ ، وَلَيْسَ هُوَ أَكْثَرُ مِمَّا هُوَ فِي خِيَالِهِمْ وَحْدَهُ .

١٢٤
يو:١٤:١٠

١٢٥
يو:١٤:٩

١٢٦
يو:١٠:٣٠

١٢٧
مت:٦:٩

١٢٨
مت:٢٨:١٩

الفصل العاشر

عدم تغيير الابن

٣٥. أما بخصوص قولهم إن الكلمة متغير، فإن مناقشة هذا الأمر غير ذات نفع، لأنه يكفي فقط أن أسجل ما يقولونه لتوضيح مدى جسارتهم وعدم تقواهم. فها هي الأقوال التي يهذون ويثرثرون بها متسائلين: «هل هو حر (في ذاته) أم هو ليس كذلك؟ هل هو صالح من تلقاء نفسه بحسب هذه الحرية الذاتية وهل يستطيع بذلك أن يتغير. إن أراد . لكونه من طبيعة متغيرة أم أنه مثل الحجر والخشب، لا يملك حرية الحركة والاتجاه إلى هذه الناحية أو تلك؟» «فليس غريباً على هرطقتهم أن يتكلموا ويفكروا بمثل هذه الأمور. ففي إحدى المرات اخترعوا لأنفسهم مثل هذه الأقوال التي تناسب المخلوقات، وحيث إنهم في مجادلته مع رجال الكنيسة يستمعون منهم عن كلمة الآب الوحيد الحقيقي، ومع ذلك يتجاسرون أن يتفوهوا عنه بمثل تلك الأقوال، فمن يستطيع اذن أن يرى أذنس من هذه العقيدة؟

ومن هو الذي بمجرد استماعه لهؤلاء، لا ينزعج ويصم آذانه . حتى إن لم يكن في وسعه أن يدحض أقوالهم . ويقف مشدوهاً من تلك الأقوال التي يرددوها هؤلاء، وهو يستمع إلى كلماتهم المبتدعة التي يعتبر مجرد النطق بها كفراً وتجديفاً؟ لأنه إن كان الكلمة متغيراً وقابلاً للتحوّل، ففي أي نقطة إذن سيتوقف (عن التغيير)، وماذا ستكون نهاية عملية تطوره هذه؟ وكيف يمكن أن يكون المتغير مشابهاً لغير المتغير؟ وكيف يمكن أن يُعتبر الذي رأى المتغير أنه قد رأى غير المتغير؟ وما هي الحالة التي يجب أن يصير إليها حتى يستطيع الواحد منا أن يرى الآب فيه؟



إذ يكون من الجليّ (حسب أفكارهم) أننا لن نرى الآب فيه فى كل الأوقات، إذ يكون الابن دائم التغير، ويكون من طبيعة متغيرة دائماً. ولأن الآب غير متغير وغير متحوّل، وهو دائماً هو نفسه كذلك (أى بدون تغير)، أما الابن فإن كان بحسب أفكارهم متغيراً، وهو ليس دائماً هو ذاته، بل تكون له طبيعة دائمة التغير، كيف يمكن أن يكون مثل هذا هو صورة الآب، وهو ليس مثله فى عدم التغير؟ وكيف يمكن أن يكون (الابن) فى الآب كليّة، إن كان هدفه وقصده مشكوكاً فيه؟ بل ربما بسبب كونه متغيراً، ودائم التقدم، فلا يكون كاملاً بعد.

ولكن فليتلاشى مثل هذا الجنون الذى للأريوسيين، أما الحق فليلمع ويبرق ليكشف أنهم مجانين.

لأنه كيف لا يكون كاملاً هذا الذى هو مساوٍ لله؟ أو كيف لا يكون غير متغير هذا الذى هو واحد مع الآب، وهو نفسه ابنه من ذات جوهره؟ ولأن جوهر الآب غير متغير، فبالضرورة يكون نتاجه الذاتى أيضاً غير متغير.

فإن كانوا يفترضون هكذا بنسبتهم التغير للكلمة. فليتعلّموا مدى الخطورة الكامنة فى فكرهم، لأن «مِنَ الثَمَرِ تُعْرِفُ الشَّجَرَةَ»^{١٢٩}، ولهذا أيضاً «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{١٣٠}، ولهذا أيضاً فإن معرفة الابن هى أيضاً معرفة الآب.

٣٦. ولذلك فإن صورة الله غير المتغيرة ينبغى أن تكون ثابتة غير متغيرة، لأن «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ»^{١٣١} وداود يقول مترنماً به: «أَنْتَ يَا رَبُّ

١٢٩ مت ١٢: ٣٣.

١٣٠ يوح ١٤: ٩.

١٣١ عب ١٣: ٨.



فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى،
وَكُلُّهَا كَثُوبٌ تَبْلَى، وَكَرْدَاءٌ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلَكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسَيُوكَ لَنْ
تَفْنَى»^{١٣٢}.

والرب نفسه يقول عن نفسه بواسطة النبي «انْظُرُوا الْآنَ! أَنَا أَنَا هُوَ»^{١٣٣} وأيضاً
لَا أَنْغَيِّرُ»^{١٣٤} وربما يقول أحد أن المقصود هنا هو الآب، ولكنه يناسب أن يُطلق هذا
على الابن أيضاً، وخاصة لأنه حينما يصير إنساناً، فإنه يظهر شخصيته كما هي
ويُظهر عدم تغيره، وذلك بالنسبة لأولئك الذين يتصورون أنه بما أنه اتخذ جسداً
فإنه قد تغير وصار آخرًا.

إن القديسين أصدق عهداً وأمانة من سوء نية عديمي التقوى، فكم بالاحرى
يكون الرب. فإن الكتاب - كما جاء في قراءة المزمور سالف الذكر - عن طريق
اشارته إلى السماء والأرض، يذكر أن طبيعة كل المخلوقات وكل الكائنات،
هي متغيرة ومتحوّلة وبإستبعاده الابن عنها (أى عن المخلوقات)، فإنه يبيّن بأنه (أى
الابن) ليس مخلوقاً على الإطلاق بل هو بالاحرى يغيّر الأشياء، بينما هو نفسه لا
يتغير. كما يعلم (الكتاب) بقوله «أَنْتَ أَنْتَ، وَسَيُوكَ لَنْ تَفْنَى»^{١٣٥} أنه (أى الابن)
لا يتبدّل ولا يتغير. وهذا حقاً أمر طبيعي، لأن الأشياء المخلوقة بما أنها نشأت من
العدم، ولكونها لم تكن كائنة قبل أن تخلق، لذلك فإن لها طبيعة متغيرة حيث
إنها عموماً قد خُلِقَتْ من العدم. أما الابن فإنه كائن في الآب وهو من ذات جوهر
الآب، لذلك فإنه غير متغير أو متبدّل مثل الآب نفسه. لأنه ليس من العدل أن يقول

^{١٣٢} مز ١٠٢: ٢٦-٢٨، وع ١٠٠: ١-١٢.

^{١٣٣} تث ٣٢: ٣٩.

^{١٣٤} ملاحي ٣: ٦.

^{١٣٥} عب ١: ١٢.



أحد أن من جوهر غير المتغير يُؤلد كلمة متغير، وحكمة قابلة للتحوّل. إذ كيف يمكن أن يكون هو الكلمة أن يكن قابلاً للتغير؟ أو كيف يمكن أن تكون حكمة تلك التى تكون قابلة للتحوّل؟ إلا إذا كانت عرضاً فى الجوهر. كما ربما يريدون أن يبيّنوا أنه هكذا: أى أنه فى حالة جوهر ما، تكون هناك نعمة ما أو ممارسة فضيلة بشكل عارض، وهكذا يسمون هذا أنه كلمة وابن وحكمة بحيث يكون قابلاً للانتقاص منه أو الاضافة عليه. لأنهم يعتقدون بمثل هذه الأمور وكثيراً ما تحدّثوا عنها، إلا أن عقيدتهم هذه ليست من الإيمان المسيحى لأنهم لا يظهرون أنه الكلمة وابن الله بالحقيقة، ولا (يُظهرون) أن الحكمة هى حكمة حقيقية.

لأن ما يتحوّل ويتبدّل وليس ثابتاً على نفس الحال الواحد كيف يمكن أن يكون حقيقياً؟.

بينما يقول الرب «أنا هو الحق»^{١٣٦}، فإن كان الرب نفسه يقول هذا القول عن ذاته وهو يشير بهذا الى وجوب عدم قابليته الذاتية للتغير، والقديسون تعلّموا نفس هذه الحقيقة وشهدوا بها، فإن كانت الأفكار عن الله تعرف هذا الأمر بورع وتقوى فمن أين إذن ابتدع هؤلاء الناس عديمو التقوى، هذه الآراء؟ نعم، أنهم من قلوبهم، يتقيأون هذا الفساد.

الفصل الحادى عشر

شرح نصوص: أولاً: فيلبى ١٠: ٩، ١٠

«لذلك رفعه الله أيضاً»

٣٧. لكن بما أنهم يتعلّلون بالأقوال الإلهية، ويفرضون عليها تفسيراً منحرفاً محرّفين أياها بحسب فكرهم الخاص، لذلك صار من الضروري أن نردّ عليهم من أجل أن تثبت صحة الأقوال الإلهية، ونوضح أنها تحوى الفكر المستقيم، بينما أولئك يفكرون تفكيراً ضالاً.

فهم إذن يقولون إن الرسول كتب يقول «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجُتَوَّ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ»^{١٣٧}. كما يقول داود «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ»^{١٣٨}. ويضيفون كما لو كانوا يقولون شيئاً حكيماً. هكذا لو أنه «لذلك» مُجَدِّ وحصل على نعمة، «ومن أجل ذلك» قد مُسِّحَ وحصل على أجر اختياره الحر. وبما أنه أنجز الأمر بمشيئته الحرّة، فإنه يكون بلا شك ذا طبيعة متغيّرة. وهذا ما تجاسر يوسابيوس وأريوس ليس فقط على قوله بل على كتابته

^{١٣٧} في ١٠: ٩، ١٠.

^{١٣٨} مز ٤٥: ٧، عب ١: ٩.



أيضاً. أما مَنْ يشايعونهما فإنهم لا يجفلون عن ترديد ذلك وسط السوق وهم لا يرون قدر الجنون الذى يحويه قولهم الآتي:

«لأنه إن حصل على ما كان لديه كأجر لاختياره الحر، فإنه لم يكن ليحصل عليه لو لم يكن عمله هذا عن احتياج وعوز، إذن بما أنه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمه وتحسنه، وبسبب هذا فمن الانصاف أن يلقب بلقب ابن ولقب إله، دون أن يكون ابناً حقيقياً لأن الذى يكون من شخص ما بحسب الطبيعة، فإنه يكون مولوداً حقيقياً، مثلما كان اسحق بالنسبة لابراهيم، ويوسف بالنسبة ليعقوب، والشعاع بالنسبة الى الشمس، أما الذين يدعون (أبناء) بالنسبة للفضيلة والنعمة، فإنهم يحصلون على النعمة التى يكتسبونها بدلاً من الولادة الطبيعية، وهم شئ آخر غير ما أُعطى لهم. وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم «ولدت بنين ونشأتهم. أما هم فتمردوا عليّ» (إش ٢: ١ س) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة، لذلك، فإنهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح، ويتبرأ منهم. ولكنهم مرة أخرى - عندما يتوبون فإنه الله الذى كان قد أعطاهم النعمة فى الأول، فإنه بنفس الطريقة، يعطيهم النور مرة أخرى ويدعوهم أبناء ثانية».

٣٨. فإن كانوا يقولون هكذا أيضاً عن المخلص، فيتبع هذا أنه لا يكون (مخلصاً) حقيقياً، وأنه ليس إلهاً. وليس ابناً ولا هو مثل الأب، ولا يكون له علاقة على الإطلاق مع الله الآب بحسب الجوهر بل بمجرد إعطاء نعمة له، أى أن يكون الله هو خالق له بحسب الجوهر مشابهاً فى ذلك كل المخلوقات. فإن كان هو هكذا، كما يقول هؤلاء، فيتضح أنه لم يكن له اسم «ابن» منذ البدء، إن كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على أعماله وتقدمه، أى أنه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدم آخر، بل بسبب ما أظهره عندما صار إنساناً، وأتخذ صورة عبد، لأنه عندئذ، حينما صار «مطيعاً حتى الموت» فإنه كما يقول النص



«مجدّه مجداً عالياً، وحصل على الاسم كنعمة، «لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة».

فماذا إذن كان قبل هذا (أى قبل أن يصير إنساناً)، إن كان الآن يرتفع، وقد بدأ الآن أن يُعبد، والآن دُعيّ ابناً عندما صار إنساناً؟ لأنه (بهذا) يبدو أن الجسد لم يترقّ قط، بل بالأحرى أنه هو الذى ترقى بواسطة الجسد، فإن كان قد مُجدّ مجداً عالياً وسمىّ ابناً عندما صار إنساناً - وذلك بحسب سوء نيّتهم - فماذا كان إذن قبل هذا؟ - فهناك حاجة ملّحة أن نسألهم مرّة أخرى - وذلك لكي تتضح النتيجة التى يصل إليها كفرهم، لأنه إن كان الرب هو الله وهو الابن وهو الكلمة، ولكنه لم يكن هكذا قبل أن يصير إنساناً، عندئذ كما قلنا - إما أنه كان شيئاً آخر غير هذه (الصفات)، ثم اشترك فيها بعد ذلك بسبب فضيلته، وإلاّ فأنهم مضطرون أن يقولوا البديل - (الأمر الآخر) الذى سيرتد على رؤوسهم وهو أنه لم يكن موجوداً قبل هذا، ولكنه كان إنساناً بالتمام حسب الطبيعة وليس أكثر، ولكن هذا الفكر ليس من الكنيسة، ولكنه فكر الساموساطى واليهود المعاصرين.

لماذا إذن، وهم يعتقدون مثل اليهود، لا يختتنون مثلهم، بل يتظاهرون بالمسيحية، بينما هم يحاربونها، لأنه لو كان غير موجود، أو لو كان موجوداً ثم رقيّ فيما بعد، فكيف خُلِقَت كل الأشياء بواسطته، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملاً^{١٣٩}؟ ومن الناحية الأخرى، إن كان هو قد ترقى الآن، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى؟ وإن كان قد حصل على العبادة بعد موته، فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له فى الخيمة، وموسى يسجد له فى العليقة وكما رأى



دانيال «أُلوَفُ أُلُوَفٍ تَخْدُمُهُ وَرَبَّوَاتُ رَبَّوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَّامَهُ»^{١٤٠}. وإن كان - كما يقولون - قد حصل علي الترقى الآن، فكيف يشير الابن نفسه إلى مجده الذاتى الذى يفوق الطبيعة والذى كان له قبل إنشاء العالم عندما قال «وَالْآنَ مَجْدُّنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»^{١٤١}، وإن كان - حسبما يقولون - قد مُجِّد الآن مجداً عالياً، فكيف «طأطأ السموات» ونزل قبل ذلك، وأيضاً «وَالْعَلِيُّ أَعْطَى صَوْتَهُ»^{١٤٢} لذلك فإن كان للابن ذلك المجد حتى قبل خَلْقَةِ العالم، وكان هو ربَّ المجد وهو العليُّ، ونزل من السماء وهو معبود على الدوام، فينتج من ذلك أنه لم يَتَرَقَّ بنزوله، بل بالأحرى هو نفسه الذى رقى الأشياء التى يعوزها الترقى. وإن كان قد نزل من أجل ترقيتها، لذلك فإنه لم يحصل على اسم ابن وإله كمكافأة، بل بالأحرى فإنه هو نفسه جعلنا أبناء للآب وألَّهُ البشر بكونه صار إنساناً.

٣٩. لذلك، فهو لم يكن إنساناً ثم صار فيما بعد إلهاً، بل كان إلهاً وفيما بعد صار إنساناً بالأحرى كى يؤلفها. لأنه إن كان عندما صار إنساناً قد سميَّ عندئذ ابناً وإلهاً، وإن كان الله قد دعا الشعوب قديماً، أبناء، وذلك قبل أن يصير هو إنساناً، وجعل الله موسى إلهاً لفرعون. والكتاب المقدس يقول فى مواضع كثيرة «اللَّهُ قَائِمٌ فِي مَجْمَعِ اللَّهِ. فِي وَسَطِ الْآلِهَةِ»^{١٤٣}، فمن الواضح إذن أنه قد دُعِيَ ابناً وإلهاً بعدهم. فكيف إذن خُلِقَتْ كل الأشياء عن طريقه، وكيف أنه هو كائن

١٤٠ دانيال ١٠:٧.

١٤١ يو ١٧:٥.

١٤٢ مر ١٣:١٨.

١٤٣ مر ٨:٢.



قبل كل الأشياء؟ أو كيف يكون هو «بَكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ»^{١٤٤}، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبناء وآلهة؟.

وهؤلاء المشاركون الأولون كيف لا يشاركون اللوغوس؟ وهذا التعليم ليس حقيقياً، بل هو بدعة المتهودين المعاصرين. فكيف إذن في هذه الحالة - يمكن لأى أحد على الإطلاق، أن يتعرّف على الله كأب؟ لأن من غير المستطاع أن يحدث التبني بغير الابن الحقيقى، وهو نفسه القائل: «وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الْآبَ إِلَّا الْإِبْنُ وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنَ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»^{١٤٥}.

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس، وقبله؟ هذا بالرغم أنه هو نفسه القائل لليهود أخوة هؤلاء المبتدعين. «إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ»^{١٤٦}.

فإن كان كل الذين دعوا أبناء وإلهة سواء على الأرض أم في السموات قد نالوا التبتى وصاروا متألهين من خلال اللوغوس، وإن كان الابن نفسه هو اللوغوس، فمن الجلى أن الجميع قد صاروا أبناء من خلاله، وكان هو قبل الجميع، وبالحرى فقد كان هو الابن الحقيقى وحده، وهو وحده إله حق من إله حق - ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته، وليس هو آخر غير هذه (الصفات) بل هو كل هذه (الصفات) بحسب الطبيعة وبحسب الجوهر، لأنه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه وبحسب صورة الآب غير المتغير، يكون اللوغوس أيضاً غير متغير.

^{١٤٤} كو ١: ١٥

^{١٤٥} مت ١١: ٢٧

^{١٤٦} يو ١٠: ٣٥



٤٠. ونحن إلى الآن، قد استعملنا أفكاراً حقيقية عن الابن للإجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة، ولكن يجمل بنا الآن إذن أن نستشهد بالأقوال الإلهية لكي نبرهن أيضاً بدرجة أكثر كثيراً على عدم تغير الابن وعدم تغير طبيعته الأبوية^{١٤٧} الثابتة، كما يتبرهن أيضاً مدى انحرافهم وضلالهم.

وإذن عندما كتب الرسول إلى أهل فيلبى يقول: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كِإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّلِيبِ لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ، لِكَيْ تَجُتَوَّ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الْأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبُّ، لِمَجْدِ اللَّهِ الْآبِ»^{١٤٨}. أية أقوال أوضح وأكثر بياناً من هذه الأقوال؟ إن الرب لم يكن أصلاً فى حالة وضعية ثم رقي، بل بالأحرى إذ كان إلهاً فقد اتخذ صورة عبد، وبإتخاذه صورة العبد. لم يرتق بل أذل (وَضَعَ) نفسه. إذن فأين هو أجر الفضيلة فى هذه الأمور؟ أو أى تقدّم أو ترقى يمكن أن يكون فى الإذلال؟ لأنه إن كان وهو الإله، قد صار إنساناً، وبتنازله من علوه لا يزال يقال إنه يُرَفَّع (أى يمجد مجداً عالياً). فمن أين يُرَفَّع وهو الله؟ ويتضح من هذا أيضاً، أنه بما أن الله هو الأعلى والأكثر رفعة من الكل، فبالضرورة أيضاً، أن يكون كلمته هو الأعلى والأكثر رفعة فوق الكل، وهذا الذى هو فى الآب ومثل الآب فى كل شئ، من أين إذن يمكنه أن يُرَفَّع عالياً أكثر من ذلك؟ إذن فهو ليس فى حاجة إلى أى ازدياد، وليس الأمر كما يفهمه الآريوسيون. لأنه وإن كان اللوغوس قد نزل من

^{١٤٧} أى الذى من الآب (المعرب)

^{١٤٨} فيلبى ٢: ٥-١١



أجل أن يُرفع عاليًا - وهكذا هو مكتوب - فأية حاجة كانت هناك على الإطلاق تدفعه لأن يذل نفسه، أى لكى يسعى للحصول على ذلك الشئ الذى كان لديه أصلاً؟ وما هى النعمة التى ينالها واهب النعمة؟ أو كيف نال هو «الاسم» للعبادة وهو الذى كان دائماً معبوداً باسمه؟ ومن قبل أن يصير هو إنساناً، كان القديسون حينئذ يتوسلون إليه قائلين «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ خَلِّصْنِي»^{١٤٩} وأيضاً «هَؤُلَاءِ بِالْمَرْكَبَاتِ وَهَؤُلَاءِ بِالْخَيْلِ - أَمَّا نَحْنُ فَاسْمَ الرَّبِّ إِلَهِنَا نَذْكُرُ»^{١٥٠}. وهو الذى كان يسجد له البطارقة (رؤساء الآباء)، إذ قد كُتِبَ عن الملائكة «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةٍ اللَّهِ»^{١٥١}.

٤١. فإن كان داود ينشد فى المزمور الحادى والسبعين قائلاً: «اسمه دائم قبل الشمس»، وأيضاً: «وقبل القمر الى أبد الأبد»^{١٥٢}. فكيف إذن ينال ما كان له دائماً حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى فى الجسد)؟ أو كيف يُرفع مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل)؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة، وهو الذى كان دائماً معبوداً من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن؟ إذن فهذا ليس بلغز بل هو سرُّ إلهى «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{١٥٣} وهو لأجلنا فيما بعد «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»^{١٥٤} وعبارة «رفَّعه» (مجدهً مجدداً عاليًا) التى نتحدث عنها الآن، لا تعن أن جوهر الكلمة قد

^{١٤٩} مز ١٠٤: ١.

^{١٥٠} مز ٢٠: ٧.

^{١٥١} مز ٩٧: ٧، عب ١: ٦.

^{١٥٢} مز ٧١ فى الترجمة السبعينية ويقابل مز ١٧: ١٧، مز ٧٢: ٥.

^{١٥٣} يو ١: ١.

^{١٥٤} يو ١٤: ١.



ارتفع، لأنه كان دائماً وهو لا يزال كائن في الله، ولكنها تعنى ارتفاع (أو ترفع) بشريته. إذن فهذه الأقوال لم تكن تقال من قبل إلاّ عندما صار الكلمة جسداً، لكي يصير واضحاً أن «أذل نفسه»، «وتمجدّ مجدّاً عالياً» إنما تشير إلى إنسانيته، لأنه حيثما تكون هناك حالة الإذلال تكون هناك الرفعة أيضاً. فإن كان بسبب اتخاذه للجسد قد كُتب «الإذلال» عنه، فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد، لأن الإنسان كان في مسيس الحاجة إلى هذا (التمجيد)، بسبب وضاعة الجسد. وبسبب الموت.

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب، وهو غير مائت، قد أتخذ صورة عبد، وكإنسان عانى الموت بجسده من أجلنا. لكي بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا، لأجل هذا السبب يقال عنه إنه كإنسان مُجدّ أيضاً نيابة عنّا ومن أجلنا، لكي كما بموته قد متنا جميعاً في المسيح، وعلى نفس المنوال أيضاً، فإننا في المسيح نفسه أيضاً قد مُجّدنا مجدّاً عالياً، مقامين من بين الأموات وصاعدين إلى السموات «حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَاقِبٍ لَأَجْلِنَا»^{١٠٥}، «لأنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدِ أَشْبَاهِ الْحَقِيقَةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنَهَا، لِيُظْهَرَ الْآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللَّهِ لَأَجْلِنَا»^{١٠٦}. فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها لأجلنا، رغم أنه من قبل هذا الحدث، كان هو دائماً الرب وخالق السموات، فتبعاً لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كُتبت أيضاً من أجلنا نحن.

وكما أنه وهو الذي يقدّس الجميع، يقول أيضاً أنه يقدّس نفسه للآب من أجلنا . ليس بالطبع لكي يكون اللوغوس مقدّساً . بل لكي بتقدّيس ذاته يقدّسنا جميعاً .

^{١٠٥} عب ٢: ٢٠

^{١٠٦} عب ٩: ٢٤



فى ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن أنه «تمجّد». ليس لكى يُمجّد هو (أى اللوغوس) نفسه - إذ أنه هو الأعلى - بل لكى هو ذاته «يصير برّاً» من أجلنا، أما نحن فللكى نتمجّد (نُرفع) فيه ولندخل إلى أبواب السماء، التى قد فتحها هو ذاته من أجلنا، حيث يقول السابقون «ارْفَعْنَ أَيْتُهَا الْأَرْتَاجُ رُؤُوسَكُنَّ، وَارْتَفِعْنَ أَيْتُهَا الْأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ»^{١٥٧}. وهنا أيضاً لم تكن الأبواب مغلقة أمامه هو إذ هو ربُّ وخالق كل الأشياء، بل بسببنا كُتِبَ هذا الكلام، نحن الذين أغلقت أمامنا أبواب الفردوس.

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية، بسبب الجسد الذى كان قد لبسه: «ارفعوا الأبواب»، كما يقال أيضاً: «ليدخل» كما لو كان إنساناً سيدخل. ولكن من الناحية الإلهية - حيث إن «اللوغوس هو الله» - يقال عنه أيضاً إنه «الرب» و «ملك المجد» وقد سبق الروح فقال فى المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفع التى صارت إلينا «لَأَنَّكَ أَنْتَ فَخْرُ قُوَّتِهِمْ، وَبِرِضَاكَ يَنْتَصِبُ قَرْنُنَا»^{١٥٨}، فإن كان الابن هو البرّ، إذن فهو لم يرتفع بذاته كما لو كان فى حاجة إلى الرفع، بل نحن الذين ارتفعنا (تمجّدنا) بسبب البرّ الذى هو (المسيح) ذاته.

٤٢. وهكذا أيضاً فإن عبارة «أعطاء اسماً» لم تكتب لأجل اللوغوس ذاته - فإنه حتى قبل أن يصير إنساناً فقد كان معبوداً أيضاً من الملائكة ومن كل الخليقة، بحسب ذاتيته الأبوية^{١٥٩} بل كُتِبَت هذه العبارة عنه بسببنا ولأجلنا. لأنه كما مات المسيح ثم رُفِعَ كإنسان، فبالمثل قيل عنه إنه أخذ كإنسان ما كان له دائماً كإله وذلك لكى تصل إلينا عطيةً مثل هذه النعمة، فإن اللوغوس لم يحط قدره بإتخاذ

^{١٥٧} مز ٢٤: ٧

^{١٥٨} مز ٨٩: ١٧

^{١٥٩} أى بحسب كونه الابن الذى من ذات الآب (المعرب).



جسداً حتى يسعى للحصول على نعمة أيضاً ، بل بالأحرى فإن الجسد الذى لبسه قد تألّه ، بل وأكثر من ذلك ، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر ، بدرجة أكثر .

فكما أنه كان يُعبد دائماً لكونه اللوغوس «الكائن فى صورة الله» . هكذا ظلّ هو نفسه كما هو وصار إنساناً ودعى يسوع . فليس أقل من أن كل الخليقة . تظلّ كما كانت دائماً . تحت قدميه ، وهى التى تجثو بركبها له بهذا الاسم (يسوع) . وتتعترف أن اللوغوس صار جسداً ، وأنه احتمل الموت بجسده ولم يحدث له كل هذا كإهانة لمجد ألوهيته بل «لمجد الله الآب» .

لأن مجد الله الآب هو : أن يوجد الإنسان الذى كان قد خُلِقَ ثم هلك ، وهو : أن يحيا الذى مات ، وهو : أن يصير الإنسان هيكلاً لله . ولأن القوات السماوية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائماً ، فإنهم الآن أيضاً يسجدون للرب باسم يسوع ، فهذه النعمة وهذا التمجيد العالى إنما هو لنا ، وإنه بالرغم من أنه صار إنساناً وهو ابن الله فإنه يُعبد . لذلك لن تُدهش القوات السماوية حينما ترانا نحن جميعاً . المتحدين معه فى نفس الجسد . داخلين إلى مناطقهم (السماوية) ، وهذا قطعاً . لم يكن ممكناً أن يحدث بأية طريقة أخرى ، اللهم إلاّ إذ كان هذا الذى كان موجوداً فى صورة الله ، قد أخذ لنفسه صورة العبد ، وأذل ذاته ، راضياً بأن يصل جسده حتى إلى الموت .

٤٣ . انظروا إذن ، كيف أن ذلك الذى يعتبر عند الناس ، جهالة الله بسبب تحقير الصليب ، قد صار أكثر الأشياء كرامة ، ذلك أن قيامتنا به معتمدة عليه ، وليس إسرائيل وحده الذى يعتمد عليه بل كل الأمم . كما سبق وأنبأ النبى : يتركون أصنامهم ويتعرّفون على الإله الحقيقى أبى المسيح ، وابتداعات الشياطين قد أُبطلت ، والإله الحقيقى وحده هو الذى يُعبد باسم ربنا يسوع المسيح . أما عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشرى ، ودعى يسوع ، والإيمان به كابن الله . والتعرّف على الآب بواسطة ، فهو أمر جليّ ، كما قلنا ، أنه ليس اللوغوس بسبب كونه لوغوس



هو الذى حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده فقد صرنا نحن أيضاً هيكل الله - وتبعاً لذلك قد جُعِلنا أبناء الله وذلك حتى يُعبدَ الرب فينا أيضاً، والذين يبصروننا يعلنون - كما قال الرسول «أَنَّ اللَّهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ»^{١٦٠}. وكما قال يوحنا أيضاً فى إنجيله «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قِيلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ»^{١٦١}. وكما كتب فى رسالته «وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فِيْنَا مِنَ الرُّوحِ الَّذِي أَعْطَانَا»^{١٦٢}.

إن ما يميز الصلاح الصائر منه إلينا، هو أننا نُمجّد بسبب وجود الرب العالى فينا، وأن النعمة قد أُعطيت له من خلالنا^{١٦٣} - بسبب أن الرب الذى هو مانح النعمة قد صار إنساناً مثلنا. والمخلص نفسه أذل نفسه بإتخاذه «جسد تواضعنا» وأتخذ صورة عبد، لابساً ذلك الجسد الذى كان مستعبداً للخطيئة.

وهو فى الحقيقة لم يحصل على شئ ممّا يرتقى به لأن كلمة الله ليس فى احتياج إلى شئ، لأنه كامل، بل بالأحرى نحن الذين نلنا منه الارتقاء. لأنه هو «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ»^{١٦٤}. إن الآريوسيين يركّزون بلا جدوى على أداة الربط: «لذلك» لأن بولس قال «لِذَلِكَ رَفَعَهُ اللَّهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ»^{١٦٥}. فهو بهذا القول لم يكن يعنى مكافأة لفضيلة ولا ارتقاء نتيجة

^{١٦٠} ١كو: ١٤: ٢٥.

^{١٦١} يو: ١: ١٢.

^{١٦٢} ١يو: ٣: ٢٤.

^{١٦٣} بسبب أن طبيعة المسيح البشرية التي هي مثل طبيعتنا في كل شيء ما خلا الخطية، قد حصلت علي النعمة بسبب أن الكلمة مانح النعمة قد صار إنسان.

^{١٦٤} يو: ١: ٩.

^{١٦٥} في ٢: ٨.



تقدّم داخلًى، ولكنه يقصد السبب فى العلو والتمجيد والارتفاع الذى صار فىنا. وما هو هذا السبب إلا أن يكون أن الذى كان فى صورة الله وهو ابن لآب نبيل، قد أدل نفسه وصار بدلاً منّا ومن أجلنا؟ فلو لم يكن الرب قد صار إنساناً، لما كان فى وسعنا أن نُفتدى (نتحرّر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الأموات، بل لبقينا أمواتاً تحت الأرض، ولما كنا لثُرفع (لنمجد) إلى السماء، بل لرقدنا فى الجحيم.

إذن، فمن أجلنا، ولمصلحتنا، كتبت هذه الكلمات «مجدّه مجدّاً عالياً»، «وأعطاه اسماً».

٤٤. أعتقد إذن أن هذا هو قصد النص الكتابى، وهو قصد كنسى تماماً. ولكن ربما كانت هناك طريقة أخرى لشرح النص لأعطاء معنى مطابق تماماً. أى أن النص لا يعنى تمجيد اللوغوس ذاته بإعتباره لوغوس (لأنه كما سبق أن قيل منذ قليل، أنه عال وأنه مثل الآب)، ولكن النص يشير إلى قيامته من بين الأموات بسبب تأنسه. فقلوه «أدل نفسه حتى الموت» ثم أضاف «لذلك مجدّه مجدّاً عالياً» راجعاً أن يبيّن أنه كإنسان كان يقال عنه أنه قد مات، ولكن لكونه الحياة رُفِعَ بالقيامة «الَّذِي نُزِّلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضاً فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ»^{١٦٦}. لأنه نزل بالجسد، إلا أنه قام لأنه هو نفسه كان إلهاً فى الجسد. وهذا أيضاً هو السبب الذى من أجله قد مهّد السبيل الى هذا المعنى باستخدام أداة الربط «لذلك»، والذى لا يعنى أجر فضيلة ولا ترقى، ولكنه يكشف السبب الذى بواسطته قد صارت القيامة. ولهذا السبب نفسه مات سائر البشر منذ آدم وحتى الآن، وظلّوا أمواتاً، أما هذا وحده فهو الذى قام من بين الأموات كاملاً متكاملأً. وهذا هو السبب الذى من أجله سبق الرسول نفسه وقال: إنه بالرغم من كونه إلهاً فقد صار إنساناً. أما

^{١٦٦} أف ٤: ١٠



سائر البشر فقد ماتوا لأنهم من نسل آدم. وقد كان للموت سيادة عليهم^{١٦٧}. أما هذا فهو «الإنسان الثاني الربُّ مِنَ السَّمَاءِ»^{١٦٨}، وذلك لأن «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا»^{١٦٩} ويقول إن مثل هذا الإنسان «من السماء» و «سماوى»^{١٧٠} ذلك لأن الكلمة «قد نزل من السماء»^{١٧١} ولهذا فلم يُقَهَّر (يمسك) من الموت.

فرغم أنه أذل نفسه، مسلماً جسده الخاص به حتى الموت، وذلك بسبب قبوله الموت، إلا أنه رُفِعَ رفعة عظيمة من الأرض، ذلك لأنه هو ابن الله فى الجسد. لذلك فإن ما يقال هنا «لذلك رفعه الله أيضاً» مساو أيضاً لما قاله بطرس فى سفر الأعمال «الَّذِي أَقَامَهُ اللَّهُ نَاقِضًا أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمَكِّنًا أَنْ يُمَسَّكَ مِنْهُ»^{١٧٢}. فكما كتب بولس «الذى إذ كان فى صورة الله قد صار إنساناً»، و «أذل نفسه حتى الموت ولذلك مجده الله مجداً عالياً». وبالمثل يقول بطرس، وحيث إنه إذ كان إلهاً قد صار إنساناً، فإن الآيات والعجائب كشفت أيضاً للناظرين أنه الله، ولذلك «فلم يكن ممكناً أن يمسكه الموت»^{١٧٣}.

والإنسان لم يكن يستطيع أن ينجح فى تحقيق هذا، لأن الموت هو خاص بالإنسان. ولهذا فإن الكلمة الله صار جسداً، لكى يحيينا بقوة بعد أن مات بالجسد.

^{١٦٧} روم ١٤:٥

^{١٦٨} ١ كو ١٥:٤٧

^{١٦٩} يو ١٤:١

^{١٧٠} ١ كو ١٥:٤٧، ٤٨

^{١٧١} يو ٦:٣٨

^{١٧٢} انظر أع ٢:٢٤

^{١٧٣} انظر أع ٢:٢٤



٤٥. وبما أنه يقال إنه «مجدّه ورفّعه»، وأن الله «أعطاه» فالهراطقة يظنون أن هذا نقيصة، أو عيباً خاصاً بجوهر اللوغوس. فمن الضروري أن نقول، بأى معنى تقال هذه الكلمات. إذ يقول إنه رُفِعَ وأُصْعِدَ من أقسام الأرض السفلى^{١٧٤}. لأن الموت صار خاصاً به أيضاً. وكلا الأمران يقالان عنه حيث إنهما خاصان به وليس بآخر غيره. إذن فالجسد الذى أقيم من بين الأموات هو الذى رُفِعَ إلى السموات. وحيث إن الجسد كان يخصه ولا يوجد للجسد كيان إلا باللوغوس نفسه، لذى فمن الطبيعى أنه بتمجيد وترفع الجسد يقال أيضاً إنه كإنسان قد إرتفع بسبب الجسد.

إذن فلو لم يكن قد صار إنساناً، لما كانت لتقال عنه هذه الأقوال. أما عبارة «الكلمة صار جسداً» فإنه كانت هناك ضرورة، أن يقال عنه إنه قام وتمجد كما يقال عن إنسان، لكى يكون هذا الموت الذى يشار به إليه، فداءً لخطية البشر، وأبطلاً للموت، أما القيامة والتمجيد فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه.

وفى كلتا الحالتين قال عنه «مجدّه الله مجدداً عالياً»، و «الله أعطاه» كى يبيّن بهذا أنه ليس الآب هو الذى صار بل كلمته هو الذى صار إنساناً، فإنه بحسب النمط البشرى، يأخذ من الآب ويتمجد منه. كما سبق أن قال.

فيكون واضحاً - ولا يستطيع أحد أن يشكك فى ذلك - أن تلك الأشياء التى يعطيها الآب، إنما يعطيها عن طريق الابن، ويكون عجباً، وأمرًا مثيرًا للاستغراب حقاً أن النعمة التى يعطيها الابن من لدن الآب، نفس هذه النعمة، يقال أن الابن ذاته قد قبلها، والرفعة التى حققها الابن من لدن الآب، بهذه الرفعة نفسها يُرَفَّع الابن نفسه.

^{١٧٤} «الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السموات لكى يملأ الكل» (أف ٩: ٤).



إذن فإذا هو ابن الله نفسه قد صار ابن الإنسان أيضاً، ولأنه هو اللوغوس فهو يعطى الأشياء من لدن الآب، لأن كل ما يصنعه ويعطيه الآب، إنما يصنعه ويعطيه من خلاله.

وكابن الإنسان فيقال إنه بحسب بشريته ينال ما يخصه من ذاته، بسبب أن جسده ليس سوى جسده الخاص به الذى هو بطبيعته يتقبل النعمة كما قد قيل.

وبحسب هذه الرفعة إذن، أخذ الإنسان فى داخله، وكانت هذه الرفعة من أجل تأليه الإنسان أما اللوغوس فله خاصية (التأليه) هذه بحسب الالهوية والكمال الأبوى الخاصين به.

الفصل الثانى عشر

شرح نصوص: ثانيًا: مزمور ٨، ٤٥: ٧

«من أجل ذلك مسحك الله إلهك»

٤٦. إن هذا الشرح كما كتبه الرسول، إنما يدحض هؤلاء العديمي التقوى، وما قاله المرتب له أيضاً نفس المعنى المستقيم الذى أساء هؤلاء فهمه، فى حين أن منشد المزامير يوضح التقوى لأنه هو أيضاً يقول «كُرسِيُّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. أَحَبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الْإِثْمَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ بِدُهْنِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُقَقَائِكَ»^{١٧٥}.

انظروا أيها الآريوسيون وميزوا الحقيقة هنا أيضاً. فالمرنم يقول، إننا جميعاً «شركاء» الرب فلو كان اللوغوس من العدم وكان هو واحداً من المخلوقات، لكان هو أيضاً واحداً من الشركاء، فماذا يجب أن يفهمه الواحد متاً، غير أنه آخر غير المخلوقات (مختلف عن المخلوقات) وأنه هو وحده كلمة الله الحق، وهو البهاء والحكمة التى تُشارك فيه جميع المخلوقات، وهى تتقدّس منه بالروح؟ ولذلك فهو هنا «يُمسح» لا لكى يصير إلهاً، لأنه كان إلهاً حتى قبل أن يُمسح، ولا لكى يصير ملكاً، لأنه قد كان هو المالك على الدوام، إذ أنه صورة الله كما يقول الوحي^{١٧٦}. بل إن هذا أيضاً (أى أنه مُسح) قد كتب من أجلنا. لأنه عندما كان الملوك - أيام أسرائيل - يُمسحون، فعندئذ فقط كانوا يصيرون ملوكاً، حيث

^{١٧٥} مز ٤٥: ٧-٨.

^{١٧٦} انظر ٢ كور ٤: ٤، كور ١: ١٥.



إنهم لم يكونوا ملوكاً قبل مسحهم، وذلك مثل داود وحزقيا ويوشيا وغيرهم. أما المخلص فهو على العكس، حيث إنه إذ هو الله، يزاوئ دائماً حكم مملكة الآب وهو نفسه مانح الروح القدس، إلا أنه يقال الآن إنه يُمسح. فهو كإنسان يقال عنه إنه يُمسح بالروح وذلك حتى يبنى فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تماماً مثلما وهبنا الرفة والقيامة. وهذا ما عناه هو نفسه عندما أكدَّ الرب عن نفسه في الإنجيل بحسب يوحنا «كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلَاجْلِهِمْ أَقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ»^{١٧٧}. وقد أوضح بقوله هذا إنه ليس هو المقدس بل المقدس. لأنه لم يُقدَّس من آخر بل هو يقدِّس ذاته. حتى نتقدَّس نحن في الحق. وهذا الذي يقدِّس ذاته إنما هو رب التقديس. كيف إذن حدث هذا؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى إنه: «كوني أنا كلمة الآب، فأنا نفسي أعطى ذاتي الروح حينما أصبح إنساناً. وأنا الصائر إنساناً أقدِّس نفسي (في الآب) لكي يتقدَّس الجميع في. وأنا الذي هو الحق. لأن (كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ)»^{١٧٨}.

٤٧. إذن فإن كان يقدِّس ذاته من أجلنا وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنساناً، فمن الواضح جداً أن نزول الروح عليه في الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في مسحته، ولكي يقال عنا «أَمَّا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللَّهِ، وَرُوحُ اللَّهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟»^{١٧٩} فحينما أغتسل الرب في الأردن كإنسان، كنَّا نحن الذين نغتسل فيه وبواستطه. وحينما أقتبل الروح، كنَّا نحن الذين صرنا

^{١٧٧} يوحنا ١٧: ١٨-١٩.

^{١٧٨} يوحنا ١٧: ١٧.

^{١٧٩} ١ كورنثوس ١٦: ٣.



مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السبب، فهو ليس كهارون. أو داود أو الباقين - قد مسح بالزيت هكذا - بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه - أى «بزيت الإبتهاج» - التى فُسرَّ أنه يعنى الروح - قائلاً بالنبي «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي»^{١٨٠}. كما قال الرسول أيضاً «كَيْفَ مَسَحَهُ اللَّهُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ»^{١٨١}. متى قيلت عنه هذه الأشياء - إلَّا عندما صار فى الجسد وأعتمد فى الأردن «ونزل عليه الروح»^{١٨٢}؟ وحقاً يقول الرب لتلاميذه إن «الروح سيأخذ مما لي»^{١٨٣}. و «أنا أرسله»^{١٨٤}. و «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُّوسَ»^{١٨٥}. إلَّا أنه فى الواقع هذا الذى يُعطي للآخرين ككلمة وبهاء الآب، يقال الآن إنه يتقدَّس وهذا من حيث إنه قد صار إنساناً، والذى يتقدَّس هو جسده ذاته.

إذن فمن ذلك (الجسد) قد بدأنا نحن الحصول على المسحة والختم، مثلما يقول يوحنا «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ»^{١٨٦}. والرسول يقول «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمُوعِدِ الْقُدُّوسِ»^{١٨٧}. ومن ثمَّ فإن هذه الأقوال هى بسببنا ومن أجلنا. فأى تقدم فى الإرتقاء، وأى أجر فضيلة أو عموماً أى أجر عمل للرب، يتضح من هذا؟

^{١٨٠} إش ٦١: ١.

^{١٨١} أع ١٠: ٣٨.

^{١٨٢} مت ٣: ١٦.

^{١٨٣} يو ١٤: ١٦.

^{١٨٤} يو ١٦: ٧.

^{١٨٥} يو ٢٠: ٢٢.

^{١٨٦} ١ يو ٢: ٢٠.

^{١٨٧} أف ١: ١٣.



فلو أنه لم يكن إلهاً، ثم صار إلهاً، ولو كان قد رُقِيَ إلى ملك وهو لم يكن ملكاً، فإنه يكون لقولكم بعض الظل من الإحتمال.

أما إن كان هو الله، ويكون «عرش ملكه أبدي» فيألى أى مدى يمكن أن يرتقى الله؟ أو ماذا ينقص هذا الذى هو جالس على عرش الآب؟ وكما قال الرب نفسه، إن كان الروح هو روحه والروح أخذ منه، وهو نفسه أرسل الروح^{١٨٨} إذن، فلا يكون اللوغوس بإعتباره اللوغوس والحكمة هو الذى يُمسح من الروح، الذى يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذى قد أتخذته، هو الذى يُمسح فيه ومنه، وذلك لكى يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنسان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأن يقول: «إن الروح لا يتكلم من نفسه»^{١٨٩} بل اللوغوس هو الذى يُعطي هذا (الروح) للمستحقين. فإن هذا يشبه ما سبق من قول، لأنه كما كتب الرسول «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ»^{١٩٠}. وبالمثل يرسم داود للرب إنه إله وملك أبدي، مُرسَل إلينا ومتخذاً جسداً الذى هو مائت لأن هذا هو المقصود فى المزمور بالقول «كُلُّ ثِيَابِكَ مَرْ وِعُودٌ وَسَلِيخَةٌ»^{١٩١} ويتضح نفس الشئ مما فعله نيقوديموس والنسوة اللاتى مع مريم حينما جاء نيقوديموس حاملاً «مَزِيَجَ مَرْ وِعُودٍ نَحْوُ مِئَةِ مَنَّا»^{١٩٢}. وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب^{١٩٣}.

^{١٨٨} انظر يوحنا ١٤: ١٦، يوحنا ١٦: ٧.

^{١٨٩} انظر يوحنا ١٣: ١٦.

^{١٩٠} في ٢: ٦: ٧.

^{١٩١} مز ٤٥: ٨.

^{١٩٢} يوحنا ٣٩: ١٩.



٤٨. فأى تقدم هو إذن بالنسبة لغير المائت عندما يتخذ ما هو مائت؟ وأى ارتقاء هو للأزلي عندما يلبس ما هو وقتى وأى أجر يمكن أن يكون بالنسبة لله والملك الأبدى الذى هو فى حضن الآب؟ ألا تدركون أن هذا قد صار وكُتِبَ بسببنا ومن أجلنا، لأنه إذ قد صار الرب إنساناً، لكى يصوغنا نحن المائتين والوقتيتين ويجعلنا غير مائتين ولكى يدخلنا إلى ملكوت السموات الأبدى؟ ألا تستحون وأنتم تزيفون الأقوال الإلهية؟ لأنه بنزول ربنا يسوع المسيح وأقامته بيننا، فإننا بالحقيقة قد ارتقيناً لأننا تحررنا من الخطيئة، أما هو فهو باقى هو هو ولا يتغير بصيرورته إنساناً (لأنه يلزم أن نكرر نفس القول)، بل كما هو مكتوب فإن «وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلَهِنَا فَتَثَبَّتْ إِلَى الْأَبَدِ»^{١٩٤}.

إذن، مثلما كان قبل تأنسه - إذ أنه كان اللوغوس، فإنه منح الروح للقديسين بإعتباره خاصاً به - وهكذا عندما صار إنساناً فإنه قدس الجميع بالروح وقال لتلاميذه، «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»^{١٩٥}، وقد أعطى (الروح) لموسى وللسبعين الآخرين^{١٩٦}. والذى به صلى داود للآب قائلاً: «وَرُوحَكَ الْقُدُّوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي»^{١٩٧}.

أما عندما صار إنساناً فقد قال «سأرسل لكم المعزى روح الحق»^{١٩٨}، وبالفعل أرسله، لأن كلمة الله منزّه عن الكذب. إذن فإن «يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ

^{١٩٣} لوقا ٢٤: ١.

^{١٩٤} إيش ٤٠: ٨.

^{١٩٥} يو ٢٠: ٢٢.

^{١٩٦} انظر عدد ١١: ١٦.

^{١٩٧} مز ٥١: ١١.

^{١٩٨} يو ١٥: ٢٦.



وإِلَى الْأَبَدِ»^{١٩٩} وحيث إنه يظلّ غير متغيّر وهو ذاته العاطى والآخذ: فهو يُعطي كونه هو كلمة الله، ويأخذ كونه هو إنسان، وتبعاً لذلك فليس اللوغوس - بإعتباره بالحقيقة لوغوس - هو الذى إرتقى، إذ كانت له دائماً، وله على الدوام - كل الأشياء. أما البشر - الذين يأخذون البداية منه وبسببه - فهؤلاء هم الذين يرتقون. لأنه حينما يقال بحسب الوجهة البشرية إنه الآن يُمسح - نكون نحن، الذين تُمسح فى شخصه، حيث إنه حينما اعتمد، نكون نحن الذين نعتمد فى شخصه. ويوضح المخلص بالأحرى كل هذه الأمور حينما يقول للأب: «وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِدًا، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»^{٢٠٠}. وتبعاً لذلك فإنه كان يطلب المجد أيضاً من أجلنا. وبسببنا أيضاً أستخدم كلمة «أخذ» وكلمة «أعطى» وكلمة «مُجدّ مجدّاً عالياً». وذلك لكى نأخذ نحن أيضاً، ولكى يُعطي لنا، ولكى تُمجدّ نحن فيه مجدّاً عالياً. وذلك كما يقدّس ذاته من أجلنا، لكى نتقدّس نحن فى شخصه.

٤٩- وإن كان هؤلاء - بسبب ما جاء فى المزمور «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللَّهُ إِلَهُكَ»^{٢٠١} يستخدمون التعبير «من أجل هذا» تحقيقاً لرغباتهم الخاصة، فليعرف هؤلاء الذين يجهلون الكتب المقدسة، والذين انكشف عدم تقواهم، أن تعبير «من أجل هذا» هنا أيضاً، لا يعنى أجر فضيلة أو سلوكاً خاصاً باللوغوس، بل يعنى السبب الذى من أجله نزل إلينا، ويعنى السبب فى مسحة الروح التى مُسحَ بها من أجلنا. لأنه لم يقل «من أجل هذا مسحك» لكى يصير هو إله أو ملك أو ابن أو لوغوس،

^{١٩٩} عب ١٣: ٨.

^{٢٠٠} يو ١٧: ٢٢.

^{٢٠١} مز ٤٥: ٧.



لأنه كان هكذا وهو دائماً هكذا من قبل أن يُمسح، كما سبق أن أظهرنا، بل بالأحرى، بما أنك أنت إله وملك، من أجل ذلك أيضاً مُسِحْتَ. حيث إنه لم يكن فى وسع أحد آخر أن يوحد الإنسان بالروح القدس، سواك أنت الذى هو صورة الله، تلك الصورة التى بحسبها خُلقنا منذ البدء، لأن الروح هو روحك أنت. وكل هذا حدث لأن طبيعة المخلوقات لا يركن إليها بخصوص هذا الأمر. ففى حين تمرد الملائكة، فإن البشر كانوا عصاة. لذلك كان الأمر يحتاج بالضرورة إلى تدخل الله - «لأن اللوغوس هو الله»^{٢٠٢}، وذلك لكى يحرر الذين صاروا تحت عبء اللعنة. فلو كان هو من العدم لكان واحداً بين الجميع وشريكاً لهم، ولما كان هو المسيح.

ولكن بما أنه إله لكونه ابن الله، فهو ملك أبدي، نظراً لأنه بهاء الآب وصورته. من أجل ذلك فمن اللائق أن يكون هذا هو المسيح المنتظر، الذى وعد الآب البشر به، كما كشف عنه لأنبيائه القديسين، لكى كما خُلقنا به، يصير به هكذا أيضاً خلاص الجميع من خطاياهم، ولكى تكون كل الأشياء تحت حكمه. وهذا هو سبب المسحة التى صارت له، وسبب «الحضور المتجسد للوغوس». وهذا السبب هو الذى تنبأ به مرنم المزامير مسبّحاً بألوهيته وملكوته الأبوى، عندما هتف قائلاً «كُرسِيُّكَ يَا اللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»^{٢٠٣}، ثم يعلن نزوله إلينا بقوله: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ بِدُهْنِ الْإِبْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ رُفَقَائِكَ»^{٢٠٤}.

^{٢٠٢} يوحنا ١: ١.

^{٢٠٣} مز ٤٥: ٦.

^{٢٠٤} مز ٤٥: ٧.



٥٠. لماذا يكون مثيراً للدهشة، أو بعيداً عن الإعتقاد، إن كان الرب، وهو واهب الروح، يقال عنه الآن إنه مُسَخَّ بالروح حينما تستلزم الحاجة ذلك، فإنه لا يرفض القول عن نفسه أنه هو أدنى شأناً من الروح - بسبب طبيعته البشرية - لأنه عندما قال اليهود إنه «يخرج الشياطين ببعزلبول»^{٢٠٥} فإنه لكي يكشف تجديفهم، أجاب وقال لهم «أنا بروح الله أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ»^{٢٠٦}. فهذا هوذا واهب الروح يقول الآن إنه يخرج الشياطين بالروح، وهذا القول لم يكن ليُقال لأى سبب آخر، سوى من ناحية الجسد. لأنه كما أن طبيعة الإنسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوَّة الروح، من أجل هذا كان كإنسان يقول «إنى بروح الله أُخرج الشياطين». وطبيعى أن التجديف الذى صار ضد الروح القدس، أعظم من التجديف الذى يكون ضد طبيعة البشرية، ولذلك قال: «كل مَنْ قال كلمة تجديف ضد ابن الإنسان يُغفر له مثل من قالوا: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنُ النَّجَّارِ»^{٢٠٧}. أما الذين يجدفون على الروح القدس، وينسبون أعمال اللوغوس للشيطان فهؤلاء سيكون لهم عقاب لا مناص منه. إذن فإن الرب قال مثل هذه الأقوال لليهود كإنسان، أما التلاميذ فقد بيَّن لهم ألوهيته وجلاله، مشيراً إلى ذاته أنه ليس أقل إطلاقاً من الروح بل مساوٍ له. وأعطاهم الروح وقال: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»^{٢٠٨} وأيضاً «أنا أرسله»^{٢٠٩}، و«ذاك يمجدني»^{٢١٠}، و «كل ما يسمع يتكلَّم به»^{٢١١}. وبالمثل إذن فإن الرب مانح

٢٠٥ مت ١٢: ٢٤.

٢٠٦ مت ١٢: ٢٨.

٢٠٧ مت ١٣: ٥٥.

٢٠٨ يو ٢٠: ٢٢.

٢٠٩ يو ١٦: ٧.

٢١٠ يو ١٦: ١٤.



الروح نفسه، لا يكف عن القول إنه بالروح يخرج الشياطين كإنسان، وبنفس الطريقة، حيث إنه هو ذاته واهب الروح، فإنه لا يتوقف عن القول: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي»^{٢١٢}، وذلك بسبب أنه قد صار جسداً^{٢١٣} كما قال يوحنا، لكي يتضح في هذين الأمرين، أننا نحن الذين نكون محتاجين لنعمة الروح لكي نتمجّد، وأنه ليس في وسعنا أن نخرج الشياطين بدون قوّة الروح.

بواسطة مَنْ إذن، وممن كان يجب أن يُمنح الروح إلّا بواسطة الابن. وهو الذي يعتبر الروح أيضاً روحه؟ ومتى كان في استطاعتنا نحن الحصول على الروح إلّا عندما صار اللوغوس إنساناً؟^{٢١٤} وهذا ما يتضح تماماً من قول الرسول، أننا لم نحصل على الفداء ولا على التمجيد مجدّاً عالياً، لو لم «يتخذ صورة عبد، ذاك الذي كان في صورة الله»^{٢١٥}.

هكذا يرينا داود أيضاً أنه ليست هناك طريقة أخرى، لكي نشارك الروح، ونتقدّس لو لم يقل اللوغوس ذاته، واهب الروح بأنه هو ذاته، مُسِيحٌ بالروح من أجلنا، ولهذا السبب طبعاً أخذنا الروح، إذ أنه هو الذي قيل فيه إنه قد مُسِيحٌ بالجسد. حيث إن جسده الخاص هو الذي تقدّس أولاً. وإذ قيل عنه كإنسان أن

^{٢١١} يو ١٦: ١٣.

^{٢١٢} إش ٦١: ١.

^{٢١٣} يو ١: ١٤.

^{٢١٤} انظر يو ١: ١٦.

^{٢١٥} في ٢: ٦-٧.



جسده قد أخذ هذا (الروح)، فالأجل هذا، فنحن نمتلك نتيجة لذلك، نعمة الروح،
آخذين أياها «من ملئه»^{٢١٦}.

٥١. وأما الآية الواردة في المزمور: «أَحْبَبْتُ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتُ الْإِثْمَ»^{٢١٧}، فهي ليست
مثلاً تفهمونها أنتم أنها تبين أن طبيعة اللوغوس متغيرة، بل بالأحرى فإنها تعنى أن
اللوغوس غير متغير. لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيرة والبعض تعدوا الوصية،
والبعض الآخر قد تمردوا، كما سبق أن قيل فإن أعمالهم ليست أكيدة، بل
يحدث كثيراً أن ذلك الذى هو صالح الآن، يتحول بعد ذلك ويصير شيئاً آخر.
فمثلاً هذا الذى يكون الآن عادلاً، وبعد قليل يكون ظالماً، لذا أيضاً، كان هناك
احتياج إلى واحد غير متغير، لكى يحصل البشر على عدم تغير بر اللوغوس،
كصورة ومثال لأجل تحقيق الفضيلة. أما مثل هذا التفكير فله أيضاً سبب معقول
للذين يفكرون بإستقامة، لأنه بما أن الإنسان الأول آدم^{٢١٨} تعرض للتغير، وبسبب
الخطية دخل الموت إلى العالم^{٢١٩}، من أجل هذا وجب أن يكون آدم الثانى غير
متغير، حتى ولو استمرت الحية تزاوّل عملها، فإن خداعها يضعف، أما الرب،
فلكونه غير متغير وثابت، تصير الحية عاجزة عن مساعيها ضد الجميع. لأنه مثلاً
سقط آدم فى العصيان، فإن الخطية «اجتاز الموت إلى جميع الناس»^{٢٢٠}، وهكذا

^{٢١٦} انظر يوا ١٦: ١٦.

^{٢١٧} مز ٤٥: ٧.

^{٢١٨} ١ كو ١٥: ٤٥.

^{٢١٩} رو ٥: ١٢.

^{٢٢٠} رو ٥: ١٢.



حينما صار الربُّ إنساناً، وحطم الحيَّةَ، فإن قوته العظيمة هذه قد إنتقلت إلى جميع الناس، حتى يقول كل واحد منَّا «لأنَّنا لَا نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ»^{٢٢١}.

ومن الصواب إذن، إن الرب، الذى هو دائماً بحسب طبيعته غير متغيِّر، وهو الذى يحب البرَّ، ويبغض الأثم، مُسِحَّ وَأُرْسِلَ هو ذاته، لكونه هو ذاته وهو باقٍ هو هو، بإتخاذهِ جسداً متغيِّراً، لكى يدين الخطيَّةَ فى الجسد^{٢٢٢}، ولكى يجعل ذات هذا الجسد حراً، ولكى يستطيع من الآن فصاعداً أن يتمم به حكم الشريعة، ولكى نستطيع أن نقول «نحن لسنا فى الجسد فى الروح، إن كان حقاً روح الله ساكناً فى داخلنا»^{٢٢٣}.

٥٢. أيها الآريوسيون، قد صار عبثاً مثل هذا الشك الذى صار فيكم، وعبثاً ما تدعونه وما تتعللون به من أقوال الإنجيل، لأن اللوغوس الذى هو كلمة الله إنما هو غير متغيِّر، وهو مستمر دائماً فى حالة واحدة، ليس كيفما أتفق، بل هو مثل الآب. لأنه كيف يكون مثله، أن لم يكن هو نفسه كذلك؟

أو كيف يكون كل ما هو للآب، هو للابن أيضاً^{٢٢٤} إن لم يكن للابن صفة عدم تغيِّر الآب ودوامه؟ وبما أنه غير خاضع للقوانين الطبيعية بأن ينحاز لواحد ضد آخر، فهو إذن لا يحب الواحد ويكره الآخر.

^{٢٢١} ٢كو٢: ١١.

^{٢٢٢} انظر رو٨: ٣.

^{٢٢٣} رو٨: ٩.

^{٢٢٤} انظر يو١٦: ١٥.



فلو أنه بسبب الخوف من السقوط ينحاز إلى واحد، فإنه حينئذ سينكشف من الجهة الأخرى، أنه متغيرٌ. ولكنه لكونه إله وكلمة الآب، فهو قاض عادل ومحِب للفضيلة، وبالأحرى هو مانح الفضيلة. إذن فهو عادل وقدس بطبيعته. فهذا يقال إنه يحب البرَّ ويبغض الإثم^{٢٢٥}. وهذا يعادل القول القائل إنه يحب الصالحين ويبغضهم. أما الظالمون فإنه ينفر منهم ويبغضهم لأن الكتب المقدسة تقول نفس القول عن الآب: «الرَّبَّ عَادِلٌ وَيُحِبُّ الْعَدْلَ»^{٢٢٦}. و «أَبْغَضْتُ كُلَّ فَاعِلِي الْإِثْمِ»^{٢٢٧}، و «الرَّبُّ أَحَبُّ أَبْوَابِ صِهْيُونَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ مَسَاكِينِ يَعْقُوبَ»^{٢٢٨}، و «أَحْبَبْتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عَيْسُو»^{٢٢٩}. وفي إشعياء كان صوت الرب أيضاً قائلاً «لَأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُحِبُّ الْعَدْلِ، مُبْغِضُ الْمُخْتَلِسِ بِالظُّلْمِ»^{٢٣٠} فينبغي إذن عليهم، إما أن يفسروا تلك الأقوال بنفس المعاني التي تعنيها هذه الأقوال أيضاً. لأن تلك الأقوال قد كتبت عن صورة الله. وإما فإنهم بإساءتهم تفسير هذه الأقوال كذلك، أيضاً، فإنهم سيضطرون إلى القول إن الآب هو متغيرٌ أيضاً.

ولكن بما أن مجرد سماع الآخرين يقولون هذا القول، هو أمر له أخطار كثيرة، لهذا فإننا نفكر بالصواب بقولنا إن «الله يحب العدل ويبغض الاختلاس والظلم». وهذا لا يعني أنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر، ويقبل ما هو مضاد، لدرجة أنه يفضل هذا ولا يفضل ذاك، فهذه هي سمة المخلوقات، بل يعني أنه

^{٢٢٥} انظر إيش ٦١: ٨.

^{٢٢٦} مز ١١: ٧.

^{٢٢٧} مز ٦: ٥.

^{٢٢٨} مز ٨٧: ٢.

^{٢٢٩} ملاحي ٣: ٢٠: ٣.

^{٢٣٠} إيش ٦١: ٨.



كقاض، يحب الأبرار ويعينهم ويعزف عن الأشرار. وتبعاً لهذا إذن، ينبغي أن نفكر بمثل هذه الأفكار عن «صورة الله» أيضاً بأنه هكذا يحب ويكره، لأن هذا ما يجب أن تكون عليه طبيعة «الصورة» مثل طبيعة الآب، حتى ولو كان الآريوسيون - لأنهم عميان - لا يرونها ولا يرون شيئاً آخر من الأقوال الإلهية.

وبسبب تناقص الأفكار في قلوبهم أو بالأحرى سوء أفكارهم وخبلهم. فإنهم يلوذون مرةً أخرى بنصوص الكتب المقدسة، التي عادة لا يشعرون بها، فلا يدركون معناها الصحيح - ولكنهم جعلوا من عدم تقواهم الذاتى قاعدة طابقوا عليها كل هذه الأقوال الإلهية وحرّفوها. وعند مجرد ذكر مثل هذا التعليم فإنهم لا يستحقون سماع شئ آخر سوى «تَضِلُّونَ إِذْ لَا تَعْرِفُونَ الْكِتَابَ وَلَا قُوَّةَ اللَّهِ»^{٢٣١}، وأن تشبثوا بكلامهم فمن الواجب أن نسكتهم بالقول «أَعْطُوا إِذَا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ، وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ»^{٢٣٢}.

^{٢٣١} مت ٢٢: ٢٩.

^{٢٣٢} انظر مت ٢١: ٢٢.

الفصل الثالث عشر

شرح نصوص: ثالثاً: عبرانيين ٤:١

«صائراً أعظم من الملائكة»

٥٣. ولكنهم يقولون إنه مكتوب في الأمثال «الرب أقامنى أول طريقه لأجل أعماله»^{٢٣٣}. وإنه في الرسالة الى العبرانيين يقول الرسول «صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم»^{٢٣٤}. ويقول بعد قليل «من ثم أيها الإخوة القديسون، شركاء الدعوة السماوية، لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع، حال كونه أميناً للذي أقامه»^{٢٣٥}. وفي سفر الأعمال «فلنعلم يقيناً جميع بني إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً»^{٢٣٦}.

هذه الأقوال يتفوهون بها في كل مكان، ولديهم أفكار معوجة عنها ومحرفين معناها، مدعين بها أن كلمة الله مخلوق ومصنوع، وواحد من المخلوقات وهكذا يخدعون الجاهلاء، متسترين تحت ستار هذه الأقوال التي يطرحونها.

ولكنهم بدلاً من المعنى الحقيقي، فإنهم يلقون بذور سم هرطقتهم الخاصة. لأنهم «لو عرفوا لما صلبوا رب المجد»^{٢٣٧}، ولما كانوا يحرفون معانى أقوال الكتاب الحسنة. إذن، فإن كانوا يتبنون أسلوب قيافا صراحة، فإنهم يكونون

^{٢٣٣} أم ٨: ٢٢.

^{٢٣٤} عب ١: ٤.

^{٢٣٥} عب ٣: ١-٢.

^{٢٣٦} أع ٢: ٣٦.

^{٢٣٧} ١ كو ٨: ١.



تبعاً لذلك قد قرروا أن يتهودوا ، حتى أنهم يجهلون المكتوب بأنه «حقاً سيسكن الله على الأرض»^{٢٣٨} دعهم لا يفحصون الأقوال الرسولية ، لأن هذا ليس من سمة اليهود.

ولكن من الناحية الأخرى ، إن كانوا يمزجون أنفسهم بالمانويين^{٢٣٩} الملحدين ، وينكرون أن «الكلمة صارَ جسداً»^{٢٤٠} ، وينكرون «حضوره المتجسّد» ، إذن فلا يكون من حقهم أن يستعملوا الأمثال ، لأن هذا كان غريباً بالنسبة للمانويين. ولكن أن كان بسبب إثارة المشكلة ، والريح الناتج من جشعهم ، وبسبب طموحهم وحبهم للشهرة ، لا يجسرون على إنكار أن «الكلمة قد صار جسداً» لأن هذا مكتوب حقاً ، عندئذ ، فإما أنهم من واجبهم أن يفسروا تلك الكلمات المكتوبة بخصوص «حضور المخلص في الجسد» ، تفسيراً صائباً ، وإما إن كانوا ينكرون القصد السليم ، إذن ، فلينكروا أن الرب قد صار إنساناً. لأنه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن «الكلمة قد صار جسداً». ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه ، ولذلك فإنهم يحرفون معناه.

٥٤. لأنه مكتوب «بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة»^{٢٤١} ، لذلك فمن الواجب أن نفحص هذا أولاً. والآن من الملائم كما نعمل في كل الأسفار الإلهية ، هكذا من الضروري أن نعمل هنا أيضاً. فيجب أن نفهم بأمانة: الوقت الذي كتب عنه

^{٢٣٨} انظر زكريا: ١٠: ١٠.

^{٢٣٩} كانت المانوية مماثلة للذهب الغنوسية (أى مذهب العارفين. وهم المسيحيون الذين يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان). وكانت المانوية تؤمن بالمبدأ الثنائي: فالعالم تحكمه قوتان مضادتان: النور والظلام، والخير والشر. الله والمادة وبحسب اعتقادهم أن المسيح قد صلب لأن لديه في داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة.

^{٢٤٠} يوحنا: ١٤: ١٠.

^{٢٤١} عب: ١: ٤.



الرسول، والشخص والموضوع اللذين كتب عنهما، لكى لا يجد القارئ نفسه - وهو يجهل هذه الأقوال أو غيرها، بعيداً عن المعنى الحقيقى. ولذلك فإن ذلك الخصى المحب للمعرفة - حينما عرف هذا توسّل إلى فيلبس قائلاً: «أَطْلُبُ إِلَيْكَ: عَنْ مَنْ يَقُولُ النَّبِيُّ هَذَا؟ عَنْ نَفْسِهِ أَمْ عَنْ وَاحِدٍ آخَرَ؟»^{٢٤٢} لأنه كان يخشى أن يحيد عن المعنى المستقيم، ويفهم الكلام عن شخص آخر من خلال قراءته. وأيضاً التلاميذ بسبب رغبتهم أن يعرفوا وقت حدوث ما قاله الرب توسلوا إليه قائلين «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا، وَمَا هِيَ عَلَامَةٌ مَجِيئِكَ»^{٢٤٣}. وأيضاً عندما سمعوا من المخلص ما قاله عن النهاية، أرادوا أيضاً أن يعرفوا زمنها^{٢٤٤}. وذلك لكى لا يضلّوا هم، وأيضاً لكى يتمكنوا من تعليم الآخرين. فإنهم بعد أن عرفوا فقد صححوا (أفكار) الذين كانوا على وشك الضلال من أهل تسالونيكي^{٢٤٥}.

لذا فعندما يكون لدى واحد من مثل هؤلاء معرفة كثيرة، عندئذ سيكون له فكر إيمان صحى ومستقيم. أما إذا أساء أحد فهم شئ من هذه، فإنه سينزلق فى الحال إلى الهرطقة. وهكذا ضلّ الذين يتبعون هيمنائيس والأسكندر^{٢٤٦}. لأنه برغم أن الوقت لم يكن قد صار بعد كانوا يقولون إن القيامة قد صارت بالفعل^{٢٤٧}. فى

^{٢٤٢} أع ٣:٤٨.

^{٢٤٣} مت ٢٤:٣.

^{٢٤٤} انظر مت ٢٤:٣٦.

^{٢٤٥} أساء أهل تسالونيكي فهم محتويات رسالة الرسول بولس الأولى الموجهة إليهم بخصوص مجئ المسيح الفجائى، وتركوا أعمالهم فى انتظار المجئ الثانى، لذلك أضطر الرسول أن يكتب إليهم الرسالة الثانية كى يهدئ خواطرهم، معلنا لهم العلامات التى ستسبق هذا المجئ.

^{٢٤٦} ٢ تيمو ٢:٢٠.

^{٢٤٧} انظر ٢ تيمو ٢:١٨.



حين أن الغلاطيين - بعد أن أكتمل الزمان - قد مالوا الآن إلى الختان^{٢٤٨} . أما من جهة الشخص ، فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن ، لأنهم يظنون أن هذه الآية «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَكْلِدُ ابْنًا ، وَيَدْعُوْنَ اسْمَهُ عِمَّاثُوتَيْل الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا»^{٢٤٩} تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وأنه عندما قيل «يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ»^{٢٥٠} فإنهم يظنون أنه يتكلم عن واحد من أنبيائهم . أما القول «كَشَاةٌ شَسَاقُ إِلَى الدَّبْحِ»^{٢٥١} ، فإنهم لم يتعلموا من فيلبس إلى مَنْ يشير ، بل ظنوا أنه يتكلم عن إشعياء أو عن نبي آخر من بين أنبياءهم

٥٥. لذا فإن أعداء المسيح أنزلقوا إلى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الأمور . فإنهم لو كانوا قد عرفوا تمامًا الشخص والموضوع والوقت المتعلق بالكلمة الرسولية ، لما جدّف أولئك الحمقى إلى هذا الحد - ناسبين الأمور الناسوتية إلى ألوهيته .

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا ، لو أنه فسّر بداية الفصل تفسيراً جيداً فإن الرسول يقول «اللَّهُ ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الْأَبَاءَ بِالْأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا ، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ ، كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ»^{٢٥٢} . وبعد قليل يقول «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ

^{٢٤٨} كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين ، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته إليهم - خاصة لأجل دحض وجهة النظر هذه .

^{٢٤٩} إش ٧: ١٤ ، مت ١: ٢٣ .

^{٢٥٠} تث ١٨: ١٥ ، أع ٣: ٢٢ .

^{٢٥١} إش ٥٣: ٧ .

^{٢٥٢} عب ١: ١-٢ .



تَطْهِيراً لِحَطَايَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي، صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمَقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ»^{٢٥٣}.

إن القول الرسولي إذن يشير إلى الزمن الذي فيه «كلمنا بواسطة ابنه»، عندما قد صار تطهير خطايانا أيضاً. فمتى «تحدث إلينا في شخص ابنه». ومتى قد صار «تطهير الخطايا»، ومتى قد صار إنساناً إلا بعد الأنبياء في الأيام الأخيرة؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منّا، وكان يتكلم عن الأزمنة الأخيرة. فإنه لا ينقطع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدث إلى الناس خلال الأزمنة الماضية، لأنه تحدث إليهم بواسطة الأنبياء. ولأن الأنبياء قد خدموا، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة^{٢٥٤}، والابن أيضاً نزل وجاء لكي يخدم^{٢٥٥}، لذا كان من الضروري أن يضيف. «صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار» رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التي يقدمها العبيد.

إذن، بعد أن ميّز الرسول بين الخدمة قديماً وحديثاً فإنه يقدم لليهود كاتباً وقائلاً «صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار»، لهذا فإنه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أي المخلوقات)، بقوله إنه قد صار «أعظم»، أو «أكثر كرامة»، وذلك لكي لا يظن أحد أنه يتكلم عن ما يخصه وما يخصهم - أنهم أبناء جنس واحد. بل قد قال إنه «أفضل» وذلك لكي يكون معروفاً، إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات. ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة. إذ يترنم داود قائلاً

^{٢٥٣} عب ١: ٣-٤.

^{٢٥٤} عب ٢: ٢.

^{٢٥٥} مت ٢٠: ٢٨.



«لأنَّ يوماً واحداً في ديارِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ»^{٢٥٦}. أما سليمان فيهتف قائلاً: «خُذُوا تَأْدِيبِي لَا الْفِضَّةَ، وَالْمَعْرِفَةَ أَكْثَرُ مِنَ الذَّهَبِ الْمُخْتَارِ. لَأَنَّ الْحِكْمَةَ خَيْرٌ مِنَ اللَّالِئِ وَكُلُّ الْجَوَاهِرِ لَا تُسَاوِيهَا»^{٢٥٧}.

لأنه كيف لا تكون الحكمة والأحجار المستخرجة من الأرض، مختلفة في جواهرها، وهى بطبيعتها شئ آخر؟ وأية علاقة توجد بين الديار السماوية، وبين المساكن التى على الأرض؟ أم ما وجه التشابه بين الأبديات والروحيات، وبين الأمور الوقتية والفاقية؟ لأن هذا هو المعنى الذى يقوله إشعيا «لأنَّهُ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ لِلْخَصِيَّانِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ سُبُوتِي وَيَخْتَارُونَ مَا يَسُرُّنِي وَيَتَمَسَّكُونَ بِعَهْدِي: إِنِّي أُعْطِيهِمْ فِي بَيْتِي وَفِي أَسْوَارِي نُصْباً وَاسْماً أَفْضَلَ مِنَ الْبَيْنِ وَالْبَنَاتِ. أُعْطِيهِمْ اسْماً أَبَدِيّاً لَا يَنْقَطِعُ»^{٢٥٨}.

إذن، فلذلك فليست هناك علاقة قرابة بين الابن والملائكة. وما دامت ليست هناك علاقة - فهذا فإن كلمة «أفضل» لا تذكر للمقارنة، بل بحصافة وفطنة بسبب اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة الملائكة. الرسول نفسه هو الذى فسر كلمة «أفضل» قائلاً إن هذا لا يكمن فى شئ آخر بل فى الفرق بين الابن والمخلوقات، كمن يقول إن هذا هو الابن، بينما المخلوقات هم العبيد. وكما أن الابن هو مع الآب «جالس عن يمينه»، هكذا فإن العبيد يظهرون أمامه، «وَيُرْسَلُونَ وَيَخْدُمُونَ».

٥٦. وبما أن هذه الأقوال مكتوبة هكذا، أيها الآريوسيون فسيبدل منها أن الابن ليس مخلوقاً، بل بالأحرى هو كائن آخر غير كل المخلوقات. فهو ابن ذاتى

^{٢٥٦} مز ٨٤: ١٠.

^{٢٥٧} أم ٨: ١٠-١١.

^{٢٥٨} إش ٥٦: ٤-٥.



للآب، وهو كائن في أحضانه. لأن ما هو مكتوب أيضاً: «صائراً» لا يعنى أن الابن مخلوق مثلما تظنون أنتم. لأنه لو كان قد قيل ببساطة «صائراً»، وسكت، لكان لدى الآريوسيين عذر، حيث إنه قد تكلم من قبل عن الابن موضعاً من خلال كل الفقرة أنه كائن آخر غير المخلوقات. لهذا لم يدون «صائراً» بمعنى مطلق، بل ربط «أعظم» بـ «صائراً» لأنه أعتبر أن هذا القول ليس مختلفاً، عالمًا أن مَنْ يقول «صائراً» عن مَنْ يُعترف به أنه ابن ذاتي، كمن يقول عنه إنه قد صنع، وإنه «أعظم»، ذلك لأن المولود لا يتغير، حتى وإن قيل عنه إنه قد صار، أو أنه قد وُجد.

أما المخلوقات فلأنها مخلوقة، فمن المستحيل أن يقال عنها إنها مولودة، إلا فيما بعد، أي بعد خلقها، حينما تشترك في الابن المولود. وفي هذه الحالة يقولون عنها أيضاً إنها قد ولدت، ليس بسبب طبيعتها الذاتية، بل بسبب مشاركتها للابن، في الروح. وهذا أيضاً تعترف به الكتب الإلهية، التي تقول عن المخلوقات «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٢٥٩}. «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٢٦٠}. أما عن الأبناء المولودين فيقول: «ولد لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات»^{٢٦١} «وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مِئَةٍ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ»^{٢٦٢} أما موسى فقال: «إن ولد بنون لأي شخص»^{٢٦٣}، لذلك فبسبب كونه مختلفاً عن المخلوقات، وهو المولود الوحيد الذاتي لجوهر الآب، فقد أحبط إدعاء الآريوسيين بخصوص لفظة «صائراً». لأنه، وإن كان على الرغم من خجلهم بسبب إحباطهم فإنهم يضطرون أن

٢٥٩ يوا:٣.
٢٦٠ مز:١٠٤:٢٤.
٢٦١ أيوب:١:٢.
٢٦٢ تك:٢١:٥.
٢٦٣ انظر خر:٢١:٤.



يقولوا ، إن الكلمات قد قيلت على سبيل المقارنة. ولهذا فإن الأقوال المقارنة هي من نفس النوع ، حتى أن الابن يكون من نفس طبيعة الملائكة ، فهم سيقعون في العار مقدماً لأنهم يحاكون ويؤكدون تعاليم فالنتينوس وكاربوكراتوس^{٢٦٤} وغيرهما من الهرطقة.

فالأول منهما قال إن الملائكة من نفس طبيعة المسيح ، أما كاربوكراتوس فيقول إن الملائكة هم الذين خلقوا العالم ، فربما يكون الاربوسيون قد تعلموا منهم أيضاً أن يقارنوا «كلمة الله» بالملائكة.

٥٧. ولكنهم بتخيلهم مثل هذه الأمور ، فإن المرئم يخلهم بقوله «من يكون شبيهاً بالرب من بين أبناء الله»^{٢٦٥}. «لَا مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الْآلِهَةِ»^{٢٦٦}. إلا أنهم - إن كانوا يريدون أن يعرفوا - سيسمعون الجواب ، بأن الأمور المتعلقة بالمقارنة إنما تكون بين المتماثلين في الجنس ، وليس بين غير المتجانسين.

إذن ، فليس في وسع أحد ، أن يقارن الله بالإنسان. كما أنه لا يمكنه مقارنة الإنسان بالخيال ، ولا الأخشاب بالأحجار نظراً لعدم تشابه طبيعتهما. لكن الله هو جوهر لا نظير له ولا يقاس بغيره. أما الإنسان فإنه يقارن بإنسان ، كما يقارن الخشب بالخشب ، والحجارة بالحجارة. وليس في وسع أحد أن يستخدم قط عن

^{٢٦٤} فالنتينوس هو الممثل الرئيسي للغنوسية في القرن الثاني وبحسب مذهبه يقول إن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء — أي الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الطريقة أساساً من إيريناؤس وهيبوليتوس. أما كاربوكراتوس ، فقد كان فيلسوفاً من الأسكندرية تأثر — أكثر من غيره من الغنوسيين — كثيراً بأفلاطون ، وكان يعلم بأن الله غير المولود هو أبو الملائكة والأرواح ، وبعض من هؤلاء الملائكة هم خالقوا العالم — وبحسب مذهبه ولد يسوع ابناً طبيعياً من مريم ويوسف رغم أنه أكثر برّاً من كل البشر.

^{٢٦٥} مز ٨٩: ١.

^{٢٦٦} مز ٨٦: ٨.



هذه الأشياء كلمة «أعظم» بل يستعمل كلمات مثل «نوعاً ما» و «أكثر». فمثلاً كان يوسف جميلاً نوعاً ما بين أخوته. وراحيل أكثر جمالاً من ليثه. وليس نجم «أفضل» من نجم. ولكنه يختلف نوعاً ما في المجد^{٢٦٧}. أما في حالة الأشياء غير المتشابهة. فعند مقارنة هذه الأشياء بعضها ببعض، فعندئذ يقال «أفضل» عن الأشياء التي لها نوعية مغايرة. مثلما سبق أن قيل عن الحكمة والأحجار الكريمة.

إذن فإن كان الرسول قد قال «إن الابن أرقى بكثير من الملائكة» أو هو «أعظم بدرجة أكبر» لكان لكم العذر أن تقارنوا الابن بالملائكة. أما الآن فبقوله إنه «أفضل» وإنه يختلف بدرجة كبيرة بقدر ما يختلف الابن عن العبيد، فإنه يبيّن أنه مختلف عن طبيعة الملائكة.

ومرة أخرى، عندما يقول إنه هو «الذي أسس جميع الأشياء»^{٢٦٨}. يبيّن أنه مختلف عن جميع المخلوقات. وبما أنه مختلف تماماً في جوهره عن طبيعة المخلوقات. فأى مقارنة أو مضاهاة لجوهرة يمكن أن توجد بالمقارنة مع المخلوقات؟ لأنهم إن استعادوا - إلى ذاكرتهم من جديد شيئاً من هذا. فلا شك أن بولس سيفندّها لهم عندما يقول: «لأنّه لِمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»^{٢٦٩} ويقول عن الملائكة «الصَّانِعُ مَلَائِكَتَهُ رِيحاً وَخُدَّامَهُ لَهَيْبَ نَارٍ»^{٢٧٠}.

٥٨. فها هو ذا إذن يستخدم فعل «يصنع» عن المخلوقات وهو يقول عنها إنها مصنوعة. أما بخصوص الابن فلم يستخدم كلمة «صنع» ولا «صيرورة» بل يقول عنه

٢٦٧ انظر ١كو١٥:٤١.

٢٦٨ انظر عب١:١٠.

٢٦٩ عب١:٥٠.

٢٧٠ عب١:٧.



إنه «الأبدى» و «الملك» «وكونه الخالق»، عندما تكلم قائلاً: «كُرسِيُّكَ يَا إِلَهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ»^{٢٧١}. «وَأَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى»^{٢٧٢}. ومن هذه الكلمات يمكنهم أن يفهموا - إن كانوا يريدون - أن الخالق هو آخر غير المخلوقات، أما المخلوقات فهي شئ آخر غير، وأنه هو الله. أما تلك المخلوقات فقد صنعت من العدم. لأن ما يقوله هنا «هذه ستبید»، لم يقله لأن الخليفة ستصير الى زوال. بل لكى يبين طبيعة المخلوقات من النهاية التى ستؤول إليها. لأن تلك التى لها قابلية الهلاك، حتى وإن لم تكن هلكت بعد - بسبب فضل ذاك الذى خلقها - إلا أنها قد خلقت من العدم - مما يشهد بأن هذه الأشياء لم تكن موجودة يوماً ما. من أجل هذا إذن، حيث إن مثل هذه الأشياء لها مثل هذه الطبيعة فإنه يقال عن الابن القول «أنت ستبقى» لكى تتضح أبديته. لأنه حيث إنه ليس فيه إمكانية الفناء، كما يحدث للمخلوقات - بل له الدوام إلى الأبد، فليس ملائماً أن يقال عنه: «لم يكن موجوداً قبل أن يولد». فإنه هو نفسه الكائن دائماً، والدائم مع أبيه. وحتى لو لم يكن الرسول قد كتب هذا فى الرسالة إلى العبرانيين إلا أنه فى رسائله الأخرى، بل كل الكتاب المقدس يحول دون تخيل مثل هذه التصورات عن «اللوعوس». وحيث إن الرسول كتب هذا، وكما قد اتضح من قبل، أن الابن هو مولود جوهر الآب، وأنه هو الخالق، وأن المخلوقات خلقت بواسطته، وأنه هو أيضاً «البهاء»، و «اللوعوس» و «الصورة» و «حكمة الآب» فى حين أن المخلوقات أخط من الثالث، وهم يساعدون ويخدمون. ولذلك فإن الابن مختلف فى النوع، ومختلف فى الجوهر بالنسبة إلى المخلوقات وبالأحرى فإنه هو من ذات جوهر الآب ومن نفس طبيعته

٢٧١ عب ١: ٨.

٢٧٢ عب ١: ١٠-١١.



لذلك فإن الابن نفسه لم يقل «أبى أفضل منى» حتى لا يظن أحد أنه غريب عن طبيعة الآب بل قال «أعظم منى»^{٢٧٣}، ليس من جهة الحجم ولا من جهة الزمن، بل بسبب ميلاده من أبيه ذاته، فإنه حتى عندما يقال «أعظم منى» أظهر مرة أخرى أنه من ذاتية جوهره (الذاتي)^{٢٧٤}.

٥٩. والرسول نفسه عندما قال «صائراً أفضل من الملائكة بمثل هذا المقدار». لم يقل هذا ليس لأنه أراد أولاً أن يقارن جوهر اللوغوس بالمخلوقات - لأنه لا يوجد وجه للمقارنة، أو بالأحرى فإن الواحد منهما غير الآخر تماماً. ولأنه وهو يرى «اللوغوس وقد اتى إلينا في الجسد»، والتدبير الصائر منه عندئذ، فإنه يوضح أن اللوغوس ليس مشابهاً للذين سبقوا أن جاءوا قبله. وهذا لكي يوضح أنه بقدر ما يختلف هو (اللوغوس) بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله، بقدر ما كانت النعمة الصائرة منه وبه أفضل من خدمة الملائكة. لأن العبيد كانوا مختصين فقط بالمطالبة بالثمار وليس أكثر^{٢٧٥}. أما الابن والسيد فكان يحق له أن يصفح عن ديونهم وأن يسلم الكرم إلى آخرين.

هذا إذن الذى يذكره الرسول بعد ذلك، يوضح اختلاف الابن عن المخلوقات قائلاً: «لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعناه حتى لا نتبعد عنه. لأنه إن كانت الكلمة التى نطق بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال جزاء عادلاً. فكيف ننجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟ هذا الخلاص الذى بدأ الرب التحدث

٢٧٣
يو ١٤: ٢٨.

٢٧٤
في مواضع أخرى من المقالات الأربعة فسر القديس أناسيوس هذه الآية وآيات أخرى مشابة بمعنى أن الآب أعظم من جسد الأبن. (المقالة ٧: ٣) (المغرب).

٢٧٥
مت ٢١: ٣٤.



به، ثم تثبت من الذين سمعوه»^{٢٧٦}. فإن كان الابن معدوداً واحداً من المخلوقات، لما كان أفضل منهم، ولما أختص مَنْ يعصاه بأعظم قدر من العقاب بسببه. لأنه في خدمة الملائكة لم يكن مسموحاً لأى واحد منهم أن يتمكن من معاقبة المخالفين سواء بأكثر أو بأقل، بل كانت الشريعة واحدة، وكان الحكم واحداً بالنسبة إلى المخالفين.

ولكن حيث إن اللوغوس ليس معدوداً بين المخلوقات بل هو ابن الآب، لذلك فبقدر ما كان هو أفضل، كلما كانت الأعمال الخارجة منه، أفضل ومغفيرة، وكلما وجب أن تكون العقوبة أشد. إذن دعهم ينتظرون النعمة الممنوحة عن طريق الابن. وليدركوا هذا المشهود له بواسطة الأعمال أنه مختلف عن المخلوقات وأنه وحده الإبن الحقيقى الذى فى الآب، والآب فيه.

والشريعة تُطبق بها بواسطة ملائكة، وهى لم تُكَمَّل أحداً، بسبب إحتياجنا إلى مجئ اللوغوس إلينا مثلما قال بولس^{٢٧٧}. أما مجئ اللوغوس فقد أكَمَّل عمل الآب^{٢٧٨}. وفى ذلك الوقت كان «لَكِنْ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى»^{٢٧٩} أما حضور اللوغوس فقد «أبطل الموت»^{٢٨٠} ولم نعد بعد «لأنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ»^{٢٨١}. عندئذ كان ينادى بالشريعة من دان إلى بئر

٢٧٦ عب ٢: ١-٢.

٢٧٧ انظر عب ٧: ١٩.

٢٧٨ يو ٤: ١٧.

٢٧٩ روم ١٤: ١٤.

٢٨٠ ٢ تي ١: ١٠.

٢٨١ ١ كور ١٥: ٢٢.



سبع، «وكان الله معروفاً في اليهودية»^{٢٨٢} وحدها. أما الآن فقد «في كل الأرض حَرَاجَ مَنْطِقُهُمْ»^{٢٨٣}. «لأنَّ الأرضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ»^{٢٨٤}. «والتلاميذ تلمذوا كل الأمم»^{٢٨٥}. «واليوم تمَّ المكتوب «وَيَكُونُ الْجَمِيعُ مُتَعَلِّمِينَ مِنَ اللَّهِ»^{٢٨٦}.

وفي ذلك الوقت كانت تلك الشواهد مجرد مثال، أما الآن فقد ظهرت الحقيقة نفسها. وهذا يُفسِّره الرسول مرةً أخرى بعد ذلك بشكل أوضح عندما يقول: «على قَدَرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدِ أَفْضَلَ»^{٢٨٧}. ومرةً أخرى يقول «وَلَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمَقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضًا لِعَهْدِ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدِ أَفْضَلَ»^{٢٨٨}، و «إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكْمَلْ شَيْئًا. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلَى اللَّهِ»^{٢٨٩}. ويقول مرةً أخرى «فَكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ أَمْثَلَةَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تُظْهَرُ بِهِذِهِ، وَأَمَّا السَّمَاوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِدَبَائِحِ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ»^{٢٩٠}. والآن إذن، فإن كلمة «أفضل» تشير كليةً إلى الرب، الذي هو أفضل من سائر المخلوقات ومميزاً عنها. ذلك لأن ذبيحته أفضل، والرجاء فيه أفضل. والوعود المعطاة بواسطته ليست لمجرد مقارنتها كعظيمة أمام أخرى صغيرة، بل لكونها

٢٨٢ مز١:٧٦.

٢٨٣ مز٤:١٩.

٢٨٤ إش٩:١١.

٢٨٥ مت١٩:٢٨.

٢٨٦ يو٤:٥٥، إش١٣:٥٤.

٢٨٧ عب٧:٢٢.

٢٨٨ عب٨:٦.

٢٨٩ عب٧:١٩.

٢٩٠ عب٩:٢٣.



مختلفة عن الأخرى بحسب طبيعتها. لأن مدبر هذه الأمور هو «أفضل» من المخلوقات.

٦٠. وأيضاً قوله «قد صار ضامناً»، أى الضمانة المعطاة منه لأجلنا. لأن اللوغوس قد «صار جسداً»، فإننا نعتبر «الصيرورة» أنها تشير إلى الجسد، لأن «الجسد مخلوق وهو مصنوع». وهكذا أيضاً كلمة «قد صار» فإننا نفسرها بحسب مدلوها الثانى وذلك بسبب صيرورته إنساناً، وعلى المعارضين أن يعرفوا أنهم ينزلقون بسبب سوء نيتهم هذه.

وليعرفوا إذن أن بولس الذى عرفه «كإين» و «حكمة» و «بهاء» و «صورة» الآب، لم يقصد أن جوهر «اللوغوس» قد «صار» بل تعتبر «الصيرورة» هنا لخدمة ذلك العهد الذى كان فيه الموت سائداً يوماً، وهو قد أبطل هذا الموت.

وبحسب هذا فإن الخدمة من خلاله قد صارت أفضل، إذ أيضاً «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة، ولأجل الخطيئة، دان الخطيئة في الجسد»^{٢٩١} نازعاً الخطيئة من الجسد، الذى كان أسيراً لها على الدوام لدرجة أنه لم يستوعب الفكر الإلهي. وإذا جعل الجسد قادراً على تقبل «اللوغوس» فإنه خلقنا حتى «لا نسلك بعد بحسب الجسد بل بحسب الروح». ونقول ونكرر نحن «لسنا في الجسد بل في الروح»^{٢٩٢}، وأن ابن الله جاء «إلى العالم لا لكى يدين العالم» بل لكى يفدى الجميع، «ويخلص به العالم»^{٢٩٣}. لأنه في السابق كان الناموس يدين العالم كمسئول، أما الآن فإن

٢٩١
رو ٨: ٣.

٢٩٢
رو ٨: ٩.

٢٩٣
يو ٣: ١٧.



اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه، وبتألمه لأجل الجميع بالجسد. وهب الخلاص للجميع. هذا ما رآه يوحنا فصاح قائلاً «لأنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا»^{٢٩٤}. فالنعمة أفضل من الناموس، والحقيقة أفضل من الظل.

٦١. إذن. فإن «الأفضل» - كما سبق أن قيل، لم يكن ممكناً أن يصير بواسطة أى شخص آخر بل بواسطة الابن «الجالس عن يمين أبيه». وما الذى يعنيه هذا سوى أصالة الابن وأن ألوهية الآب هذه إنما هى ألوهية الابن؟

فإن الابن وهو مالك ملكوت الآب، فإنه يجلس فى ذات العرش مع الآب، ونراه مرتبطاً بألوهية الآب. إذن فاللوغوس هو الله، و«الذى يرى الابن يرى الآب»^{٢٩٥}. وهكذا فهو إله واحد.

إذن فبجلوس الابن عن اليمين، لا يعنى بذلك أن الآب على يساره بل يعنى أن ما يكون يميناً وكريماً فى الآب، فهذا أيضاً يكون للابن. وهو يقول «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»^{٢٩٦}. ولذا فإن الابن وهو جالس على اليمين يرى الآب نفسه على اليمين، بالرغم من أنه بصيرورته إنساناً يقول «جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ. لِأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلَا أَتَزَعُّعُ»^{٢٩٧}. وهذا يوضح أيضاً أن الابن فى الآب، والآب فى الابن^{٢٩٨}. ولكون الآب على اليمين يكون الابن على اليمين. ومثلما يجلس الابن على اليمين يكون الآب فى الابن والملائكة يخدمون صاعدين ونازلين.

٢٩٤ يو ١: ١٧.

٢٩٥ يو ٩: ١٤.

٢٩٦ يو ١٦: ١٥.

٢٩٧ مز ٨: ١٦.

٢٩٨ انظر يو ١٤: ١٠.



أما عن الابن فيقول «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ»^{٢٩٩}. وعندما تقوم الملائكة بالخدمة يقولون «أُرسلت إليك»^{٣٠٠}. «الرب قد أوصى ملائكته»^{٣٠١}.

أما الابن فإنه يقول وهو فى الصورة البشرية: «الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي»^{٣٠٢} وإنه «أتى لكى يعمل»^{٣٠٣} ولكى «يخدم»^{٣٠٤} إلا أنه لكونه «اللوعوس» و «الصورة» يقول «أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ»^{٣٠٥}، «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{٣٠٦} «الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ»^{٣٠٧}. لأن الأشياء التى نراها فى تلك الصورة، فهذه هى أعمال الآب. ولهذا فإن ما سبق أن قيل كان ينبغى أن يُجمل الذى يصارعون ضد الحق. ولكن إن كانوا بسبب ما كُتِبَ «صائراً أفضل» يرفضون أن يفهموا أن «صائراً» إنما تقال عن الإبن فى حالة صيرورته إنساناً، أو تقال عنه بسبب الخدمة الأفضل التى صارت بالتجسد، كما قلنا، بل يفهمون بهذه العبارة أن اللوعوس مخلوق، فليسمعوا مرةً أخرى بإيجاز هذه الأقوال لأنهم قد نسوا ما كان قد قيل.

٦٢. لأنه لو كان الابن يُحسَب من بين الملائكة، واستُعملت كلمة «صائراً» عنه كما عن الملائكة، وإن كان لا يختلف عنهم فى شئ بحسب الطبيعة، ففى هذه

٢٩٩ عب ٦:١.

٣٠٠ لوقا ١٩:١٠.

٣٠١ انظر مز. ٩١:١١.

٣٠٢ يوحنا ٣:٣٦.

٣٠٣ يوحنا ٣:٣٦.

٣٠٤ يوحنا ٣:٣٦.

٣٠٥ يوحنا ١٠:١٤.

٣٠٦ يوحنا ٩:١٤.

٣٠٧ يوحنا ١٠:١٤.



الحالة، أما أن يكون الملائكة جميعاً أبناء، أو يكون هو ملاكاً. وهكذا فإما أن الجميع يجلسون عن يمين الآب، أو أن يقف الابن مع الملائكة «كأحد الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة»^{٣٠٨} مثله مثل الملائكة.

ولكن من الجهة الأخرى، إن كان بولس قد ميّز بين الابن والمخلوقات قائلاً «لأنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ قَطُّ: أَنْتَ ابْنِي»^{٣٠٩} لأن الابن قد خلق السماء والأرض، أما الملائكة فإنهم قد خُلِقُوا بواسطته. هو يجلس مع الآب، أم هم فيقفون ويخدمون، فليمن لا يكون واضحاً أنه لم يستعمل «صائراً» عن جوهر اللوغوس، بل عن الخدمة الصائرة منه؟.

فكما «اللوغوس» قد «صار جسداً»، فإنه حينما صار إنساناً، فإنه في خدمته «قد صار أفضل بمثل هذا القدر»، من الخدمة الصائرة من الملائكة. وبقدر ما يختلف الابن عن العبيد، والخالق عن المخلوقات، هكذا فليكنوا عن إعتبار كلمة «صائراً» أنها تقال عن جوهر الابن، لأن الابن ليس من بين المخلوقات، وليعلموا أن «صائراً» إنما تشير إلى خدمته، والتدبير الذي صار فعلاً.

أما كيف قد صار أفضل في الخدمة، إذ هو أفضل بالطبيعة عن المخلوقات فهذا يثبت مما سبق أن قلناه، وأعتقد أنه يكفي لتخجيلهم. ولكنهم إن استمروا في إنكارهم، ففي هذه الحالة يكون من المناسب أن نقاوم جسارتهم المتهورة، ونعارض أولئك بنفس الأقوال التي قيلت عن الآب ذاته. وهذا يؤدي أما إلى تخجيلهم لكي يكفوا ألسنتهم عن الشر، وأما أن يعرفوا إلى أي مدى سحيق وصل جنونهم.

٣٠٨ عب ١: ١٤.

٣٠٩ عب ١: ٥٠.



إنه مكتوب «لتكن لى إله معين. وبيت أحتمي به لكى تخلصنى»^{٣١٠} وأيضاً «وَيَكُونُ الرَّبُّ مُجَبَّاً لِلْمُنْسَحِقِ»^{٣١١}. وغيرها كثير مثلها فى الكتب المقدسة. فإن كانوا يقولون إن هذه الأقوال قد كتبت عن الابن وهو المحتمل أن يكون هكذا حقاً، فيجب عليهم أن يعرفوا بأن القديسين يطلبون اليه بإلحاح أن يكون معيناً لهم وبيت إحتماء لأنه ليس بمخلوق. ولذلك فإن «صائراً» و «صنع» ولفظ «قنى» من الواجب فهمها أنها تشير إلى حضوره فى الجسد، لأنه بتجسده قد «صار معيناً»، «وبيت حماية» عندما «حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ»^{٣١٢}، وهو الذى قال «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالتَّثْقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»^{٣١٣}.

٦٣- إلا أنهم إن قالوا إن هذه الأقوال إنما هى عن الآب، فهل سيحاولون أن يقولوا إن الله مخلوق بسبب ما جاء فى هذه الأقوال من عبارات «لتكن لى» أو «صار الرب»، نعم أنهم سيتجاسرون على ذلك مثلما يفكرون بنفس الأفكار عن اللوغوس. لكن حاشا أن يأتى قط مثل هذا التفكير إلى فكر أى واحد من المؤمنين، فالابن ليس من بين المخلوقات، كما أن المكتوب هنا «لتكن» «وصار» لا يعنى بداية الوجود، بل يعنى المعونة التى تعطى للمحتاجين إليها. لأن الله هو هو دائماً، أما الناس فقد صاروا بعد ذلك بواسطة اللوغوس، حينما أراد الآب ذاته. فإن الله لا يرى ولا يمكن الدنو منه بالنسبة إلى المخلوقات وخاصة بالنسبة للناس. إذن فعندما يتوَّسل الناس فى ضعفهم، ويطلبون العون وهم مطاردون، وعندما يصلون وهم مظلومون، فإن غير المنظور - لكونه محباً للبشر - يظهر لهم بجوده وإحسانه

٣١٠ مز ٣١: ٢.

٣١١

مز ٩: ٩.

٣١٢ ١بط ٢: ٢٤.

٣١٣ مت ١١: ٢٨.



الذى يقدمه بواسطة وفى شخص «كلمته» الذاتى. وحينئذ تكون علامات الظهور بحسب حاجة كل واحد فيظهر قوياً للضعفاء، ويظهر «ملجأ» للمطرودين. «وبيت حماية» للمظلومين ويقول «حينئذ تدعو فيجيب الرب. تستغيث فيقول: «هتدأ»»^{٣١٤}.

فإن معونة تأتى لأي واحد بواسطة الإبن، فإن ذلك الواحد يقول إن الله قد «صار» له معيناً، حيث إن المساعدة من الله قد صارت بواسطة اللوغوس، والجميع يعترفون بهذا ويتكلمون بالحق.

وكثيراً ما أعطى البشر معونة لبشر مثلهم، فهناك من يتعاطف مع من سلبت ثروته مثلما فعل إبراهيم مع لوط^{٣١٥}. وهناك من فتح داره للمطروء، كما فعل عوبديا لبنى الأنبياء^{٣١٦}. وهناك من أراح الغريب، مثلما أراح لوط الملائكة^{٣١٧}، وهناك من أعطى للمحتاجين، مثلما أعطى أيوب للذين سألوه^{٣١٨}. فلو قال واحد من هؤلاء الذين نالوا المعونة: «مثل هذا المعين قد صار لى»، ولو قال آخر «صار لى ملجأ». ويقول آخر «قد صار واهب»، فإنهم عندما يقولون لا يقصدون بداية وجود المحسنين إليهم ولا جوهرهم، بل يقصدون الإحسان الصائر إليهم من أولئك المحسنين. هكذا عندما يقول القديسون، عن الله إنه «قد صار» «ولتكن لى» فإنهم لا يعنون أى بدء للوجود، لأن الله ليس له بداية، وليس مخلوقاً، بل يقصدون الخلاص الذى صنعه هو للبشر.

٣١٤

إش ٥٨: ٩.

٣١٥

انظر تك ١٤: ١٣-١٦.

٣١٦

١ ملوك ١٨: ٤.

٣١٧

انظر تك ١٩: ٣.

٣١٨

انظر أيوب ٢٩: ١٥-١٦.



٦٤. فَإِنْ كَانَتْ الْأُمُور تَفْهَمُ هَكَذَا ، فَإِنَّهُمْ سَيَفْهَمُونَ هَكَذَا عَنِ الْاِبْنِ أَيْضًا ،
حِينَمَا يُقَالُ «قَدْ صَارَ» وَ «لَتَكُنْ» حَتَّى أَنَّهُ حِينَمَا نَسْمَعُ الْقَوْلَ «صَائِرًا أَفْضَلَ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ»^{٣١٩} ، «وَقَدْ صَارَ» ، فَحَاشَا أَنْ نَفْكَرَ فِي آيَةٍ بَدَايَةِ لُجُودِ اللُّوْغُوسِ ، وَلَا أَنْ
نَتَخَيَّلَ أَبَدًا مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْأَفْكَارِ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ . بَلْ يَجِبُ أَنْ نَفْهَمَ مَا يَقُولُهُ بُولْسُ أَنَّهُ
يُشِيرُ إِلَى الْخِدْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ الْخَاصِّ بِصِيرُورَتِهِ إِنْسَانًا . لِأَنَّهُ عِنْدَمَا «الْكَلِمَةُ صَارَ
جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا»^{٣٢٠} ، «جَاءَ لِكِي يَخْدُمَ»^{٣٢١} ، وَلِكِي يَهْبُ لِلْجَمِيعِ خِلَاصًا ، وَعِنْدَئِذٍ
صَارَ لَنَا خِلَاصًا ، وَصَارَ لَنَا حَيَاةً ، وَصَارَ فِدَاءً . عِنْدَئِذٍ فَإِنْ تَدْبِيرُهُ مِنْ أَجْلِنا «قَدْ صَارَ
أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» ، وَصَارَ طَرِيقًا ، وَصَارَ قِيَامَةً .

وَكَمَا أَنَّ الْقَوْلَ «لَتَكُنْ لِي إِلَهٌ مَعِينٌ»^{٣٢٢} لَا يُشِيرُ إِلَى صِيرُورَةِ جَوْهَرِ اللَّهِ ذَاتِهِ ، بَلْ
يُشِيرُ إِلَى مَحَبَّتِهِ لِلْبَشَرِ ، كَمَا قِيلَ ، هَكَذَا الْآنَ : «صَائِرًا أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ» وَ
«صَارَ» وَ «عَلَى قَدَرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِنًا لِعَهْدِ أَفْضَلِ»^{٣٢٣} ، لَا تَعْنِي أَنَّ جَوْهَرَ
اللُّوْغُوسِ مَخْلُوقٌ (حَاشَا) ، بَلْ يَقْصِدُ الْإِحْسَانَ الصَّائِرَ لَنَا بِتَأْنِسِهِ ، رَغْمَ جُحُودِ
الْهَرَاطِقَةِ وَمَشَاغِبَتِهِمْ بِسَبَبِ عَدَمِ تَقْوَاهُمْ .

٣١٩ عب ٤:١ .

٣٢٠ يو ١٤:١ .

٣٢١ مت ٢٨:٢٠ .

٣٢٢ مز ٢٣:١ .

٣٢٣ عب ٢٢:٧ .

المقالة الثانية
(الفصول ١٤-٢٢)

الفصل الرابع عشر

شرح نصوص : رابعاً:

«كونه أميناً للذي أقامه» عب ٢:٣

١ . كنت أحسب أن أولئك المنافقين، مجانين الآريوسية، سيقنعون بالأدلة السابقة، والتي سبق أن سُقَّتْها ضدهم^{٣٢٤}. وأنهم سيكتفون بالبراهين المتعلقة بالحقيقة، وأنهم عندئذٍ سيكفون عن الحديث ويندمون عن كل فكر ردئ أو كلام شرير تحدثوا به عن المخلص. إلا أنني لا أدري كيف أنهم لم يخلجوا، بل هم يتمرغون في الوحل كالخنازير ويلعقون قياهم كالكلاب، بل وأكثر من هذا فقد اخترعوا لأنفسهم بدعاً للكفر وعدم التقوى.

إذن فلأنهم لم يفهموا حتى ما كُتِبَ في الأمثال: «الرَّبُّ قَنَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقَدَمِ»^{٣٢٥}، ولا حتى ما قيل بواسطة الرسول: «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٣٢٦}، لذلك فهم يتجادلون بلا داع قائلين إن ابن الله هو «مصنوع»، و«مخلوق». وكان يكفيهم استيعاب الأمور وإدراكها مما سبق أن قلناه، ذلك إن لم يكونوا قد فقدوا عقلهم تماماً. لأن الحق يشهد أن الابن لم يوجد من عدم، وهو لا ينتمي مطلقاً إلى الأشياء المخلوقة لأنه حيث إن الابن هو إله، فلا يمكن أن يكون مصنوعاً، وليس من الصواب أن يقول أحد عنه إنه مخلوق. فالمخلوقات والمصنوعات

^{٣٢٤} كان أسلوب المجادلات والرد بالأدلة والبراهين هو الأسلوب المتبع بين الفلاسفة. أنظر كتاب «تجسّد الكلمة» للقديس أثاناسيوس الرسولي، ترجمة د. جوزيف موريس فلتس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الطبعة الثانية، أغسطس ٢٠٠٣، فصل ٢٥، وفصل ٥٠.

^{٣٢٥} أم ٨:٢٢.

^{٣٢٦} عب ٢:٣.



وحدها هي التي من المناسب أن يُقال عنها أنها من «العدم» وأنها لم تكن موجودة قبل أن تنشأ.

لكن يبدو أنهم يخشون أن يتخلَّوا عن أساطيرهم المبتدعة، ولذلك فهم يتعلَّلون على الدوام بالأقوال التي سبق ذكرها من الكتب الإلهية. ورغم أنها صحيحة، إلَّا أنهم يقومون بتحريف معناها. لذلك سوف نشرح مرَّةً أخرى معنى الأقوال التي أوردناها لكي نذكر بها المؤمنين ونوضح لهم بواسطة كل قول من هذه الأقوال أن هؤلاء لا يعرفون المسيحية على الإطلاق. لأنهم لو كانوا يعرفونها لما أغلقوا على أنفسهم في عدم الإيمان^{٣٢٧} كاليهود المعاصرين^{٣٢٨}. بل كانوا سيسألون فيخبرونهم أنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{٣٢٩}. وهكذا بمشيئة الآب صار الكلمة نفسه إنساناً، وهذا ما قاله عنه يوحنا بحق «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»^{٣٣٠}. وما قاله بطرس: «جعله رباً ومسيحاً»^{٣٣١}. والرب نفسه يتكلَّم على لسان سليمان ويقول: «الرَّبُّ قَتَانِي أَوَّلَ طَرِيقِهِ، مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقَدِيمِ»^{٣٣٢}. وبولس يقول: «صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»^{٣٣٣}، وأيضاً: «لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ»^{٣٣٤}، ومرَّةً أخرى: «مِنْ ثَمَّ أُيِّهَا الْإِخْوَةُ الْقَدِيسُونَ، شُرَكَاءُ

٣٢٧ انظر روم ١١: ٣٢.

٣٢٨ يستعمل القديس أنثاسيوس عبارة “اليهود المعاصرين” ليعبر بها عن الآريوسيين، انظر المقالة الأولى، المرجع السابق،

فقرة ٨ ص ٣٨، وفقرة ١٠ ص ٢٤.

٣٢٩

يو ١: ١.

٣٣٠

يو ١٤: ١.

٣٣١

أع ٢: ٣٦.

٣٣٢

أم ٨: ٢٢.

٣٣٣

عب ١: ٤.

٣٣٤

في ٢: ٧.



الدَّعْوَةُ السَّمَاوِيَّةُ، لَاحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَبِّيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالِ كَوْنِهِ أَمِينًا لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٣٣٥}، لَأَن كُلَّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَهَا قُوَّتُهَا الذَّاتِيَّةُ وَلَهَا مَضْمُونُهَا الَّذِي يَقُودُ إِلَى التَّقْوَى وَيُظْهِرُ أَلُوْهِيَّةَ الْكَلِمَةِ، وَأَن مَا قِيلَ عَنْهُ بِحَسَبِ بَشَرِيَّتِهِ قَدْ قِيلَ بِسَبَبِ أَنَّ الْكَلِمَةَ صَارَ أَيْضًا ابْنُ الْإِنْسَانِ.

ولكن رغم أن هذه الأمور كافية من تلقاء ذاتها لدحض أى اعتراض، إلا أنهم نظرًا لعدم فهمهم لقول الرسول، يعتقدون أن كلمة الله هو واحد من المخلوقات وذلك بسبب ما هو مكتوب «كونه أمينًا للذى أقامه». لهذا رأيت أنه من الضرورى أن أواصل هذا الكلام كي أخرجهم بمثل كلامى السابق مستمدًا مادة النقاش من أقوالهم نفسها.

٢ - فلو لم يكن هو الابن، لأمكن أن يُسمّى «مخلوقًا» وكل ما يُنسب إلى المخلوقات سيُنسب إليه، ولن يُلقب وحده «ابنًا» ولا كلمة ولا «حكمة» ولن يُلقب الله أيضًا «بالآب»، بل فقط «بالخالق» و «البارى» للأشياء «الصائرة» بواسطته. وستكون الخليقة هي صورة وملامح إرادته الخلاقة. ووفقًا لتعاليمهم فهو ذاته (الآب) لن تكون طبيعته مثمرة، وبذلك لن يكون لجوهره الذاتى أى «كلمة» ولا «حكمة» ولا «صورة» إطلاقًا. فلو لم يكن هو «ابنًا» فلن يكون «صورة». ولكن لو لم يكن هناك وجود للابن فكيف يمكن أن تقولوا إذن إن الله خالق؟ فالمخلوقات إنما قد خُلقت قطعًا بواسطة الكلمة و «الحكمة». وبغير الكلمة لما كان ممكنًا أن يوجد أى شئ. والآب كما يقولون عنده الكلمة الذى فيه وبواسطته يخلق كل شئ وإلا لكان الجوهر ليس خصبًا بل عقيمًا ومجدبًا حسب رأيهم - كالنور الذى لا يضيء وكالتنوع الجاف، فكيف لا يخلجون عندما يقولون إن الله لديه طاقة



خَلْقًا؟ وكيف لا يَحْمَرُّون خجلًا وهم ينكرون الذي هو بحسب الطبيعة ويريدون أن يجعلوا الذي بحسب المشيئة متقدمًا عليه؟.

فإن كانت الأشياء التي معه خارج جوهر الله والتي لم تكن موجودة من قبل - قد خلقها عندما شاء أن يجلبها إلى الوجود، وأصبح هو خالقها وصانعها، لكان هو - قبل ذلك بكثير - أبًا لمولود من جوهره الذاتي. لأنهم إن كانوا ينسبون لله أنه بالمشيئة يُوجد الأشياء غير الموجودة، فلما لا يقولون بأن في الله شئ أعلى من المشيئة، ألا وهو الطبيعة الخصبة، وأن يكون أبًا لكلمته الذاتي؟ وعلى ذلك فإن كان الأول الذي هو بحسب الطبيعة لم يكن موجودًا بحسب جنون أولئك، فكيف يمكن أن يوجد الثاني، الذي هو بحسب المشيئة؟ لأن الكلمة هو الأول، والخلقة هي الثانية. فالكلمة كائن موجود مهما تجاسر الكافرون وتمادوا في أفكارهم، وذلك لأن الخلقة قد صارت إلى الوجود بواسطته. فمن الواضح أنه إن كان الله هو الصانع، فعنده أيضًا كلمته الخلاق الذي هو ليس من خارجه بل من ذاته هو نفسه، وهذا ما ينبغي أن نكرره كثيرًا، فإن كان الله لديه المشيئة، وكانت المشيئة مبدعة وكافية لإيجاد الأشياء المخلوقة، فإن كلمته أيضًا يكون مبدعًا وخالقًا. ومما لا شك فيه أن الكلمة ذاته هو مشيئة الآب الحية، وقوته الجوهرية، وهو الكلمة الحقيقي الذي به تتكوّن جميع الأشياء وهو يضبطها جيدًا. ولن يتردد أحد في القول بأن ذلك الذي ينظم، هو سابق على التنظيم نفسه، وعلى الأشياء المنظّمة. وكما سبق أن قلنا، يكون عمل الله كخالق هو تالٍ لكونه أب. لأن الابن هو خاصته وهو حقًا من ذلك الجوهر الأزلي المطوّب. أما الأشياء المنظّمة فقد صارت إلى الوجود من مشيئته الذاتية، من خارجه، وقد خلّقت بواسطة ابنه الذي من ذات جوهره.

٣ - إذن فبما أن الحديث يوضح السخف الشديد للقائلين بأن الرب ليس هو ابن الله بل هو مخلوق، لذلك فمن الضروري أن نعترف نحن بأن الرب هو الابن. وإن



كان هو ابن - كما هو هكذا بالحققة - فالابن فجب أن فعرفر به أنه ففس من أار آفة بل هو الذى وكدف . لذا فلفم - كما سفق أن قلنا - أن فففوا عن أارف الأقوال الفف ففعملفا القفسون بفصوص الكلفة نففف . لأنهم ففأفمون عبارة «الذى أقامف» بفلاً من «الذى وكدف» ، لأنه لا علاقة لفذه الأمور بالألفاظ طالما أن الابن قد أعرفر به أنه من طفة آفة . فففس الألفاظ فف الفف فقلل من قدر طفة الأشياء ، بل بالأحرى فأن طفة الأشياء فف الفف فضى المعنى على الألفاظ وفرفها . لأن الألفاظ ففس سابقة على فواهر الأشياء بل أن الفواهر فف الأولى والألفاظ فأف فالة لفها . ولذلك فعنفا ففكون الفوفر «مصنوعاً» أو «مألوفاً» عنذل فأن الألفاظ: «صن» و«فار» و «ألف» ففال عنه بصفة خاصة وفقص به أنه «مصنوع» . ولكن ففنا ففكون الفوفر مولوداً وابناً ، عنذل فأن ألفاظ «صن» و «فار» و «ألف» لا ففأفم بفاسب مففومفا الأرفى ، ولا فعنى أنه «مصنوع» ، بل ففكون كلمة «صن» قد اسأفم بفلاً من «وكد» بفون أفففف . وفف آفان كفرة فلقب الآباء أبناءهم الففن ففجبونهم عبفداً لفم ، فون أن ففكروا أصالة طففففهم . وأفاناً ففاملون عبفدهم وفسمونهم أبناء فون أن ففقدوا فف امألاكهم منذ البفافة . إلا أنهم فف الحالة الأولى فسمون أبناءهم عبفداً من ألال سلطانهم كأباء ، وفف الحالة الفاففة فسمون عبفدهم أبناء بفوافع إنسانفة ، فسارة كانت ففعو إبراهم سفداً^{٢٢٦} رغم أنها لم فكن عبفة لفه ، بل كانت فوفة . وكان الرسول فصف أونسففموس العبف كأف لفلففمون الذى كان «سفداً»^{٢٢٧} ، أما بفشفع فرغم كونها أماف فقد ففأ ابنها عبفاً فأالة «عبفك سلففمان»^{٢٢٨} . وكذلك فافان النبف أفضاف بفأ أن وصل قال

^{٢٢٦} بط٣:٦ .

^{٢٢٧} فلففمون ١٦ .

^{٢٢٨} مل١٦:١ و١٩ .



لداود نفس كلامها بأن «سليمان عبدك»^{٣٣٩}. فهم لم يبالوا أن يقولوا عن الابن إنه «عبد»، لأن داود الذي سمع هذا القول كان يعرف طبيعة سليمان. وهم أيضاً بقولهم هذا لم يكونوا يجهلون أصالة سليمان. وكانوا يطالبون أن يكون وارثاً لأبيه، رغم أنهم كانوا يلقبونه عبداً، إذ كان هو ابناً لداود بالطبيعة.

٤. لذلك حينما نقرأ هذه الأقوال ونتمعن فيها جيداً، وعندما نسمع أن سليمان عبد، فلا يجب أن نظن أنه كان عبداً، بل هو ابن طبيعي وأصيل. وهكذا أيضاً في حالة المخلص المُعترف به حقاً أنه ابن، لكونه هو الكلمة بالطبيعة فعندما يقول القديسون عنه: «كُونِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٣٤٠} أو عندما يقول هو نفسه عن ذاته: «الرَّبُّ قَتَانِي»^{٣٤١} وأيضاً: «أَنَا عَبْدُكَ ابْنُ أَمَتِكَ»^{٣٤٢} ومثل هذه الأقوال كثير، فإن هذا لا يجب أن يجعل البعض ينكر أصالته من الآب، بل كما حدث في حالة داود وسليمان، هكذا فلنتأمل باستقامة فيما يخص الآب والابن. فإن كانوا عندما يسمعون أن سليمان عبد يعترفون به ابناً، أليس من العدل أن يلحقهم الدمار مرّات كثيرة لأنهم لا يحفظون للرب نفس اللقب؟! ولكنهم حينما يسمعون الكلمات «ابن»، وكلمة، و «حكمة» يسارعون إلى تحريف وإنكار البنوة الأصلية التي بالطبيعة أعنى ولادة الابن من الآب. وعندما يسمعون كلمات أو أقوالاً تخص ما هو مخلوق ففى الحال يتعجلون الظن أن «الابن» مخلوق بالطبيعة، وينكرون الكلمة، رغم أنه في استطاعتهم أن ينسبوا مثل تلك الأقوال كلها إلى بشريته. حيث إن الكلمة صار إنساناً. فكيف لا يكون هؤلاء مكروهين لدى الرب طالما أنهم هم

^{٣٣٩} مل ١: ٢٦.

^{٣٤٠} عب ٣: ٢.

^{٣٤١} انظر أم ٨: ٢٢.

^{٣٤٢} مز ١١٦: ١٦.



أَنفُسَهُمْ يَقِيسُونَ الْأُمُورَ بِمَعْيَارَيْنِ^{٣٤٣} : بِأَحَدِهِمَا يَفْسِّرُونَ الْأَقْوَالَ الْأُولَى وَبِالْآخَرِ يَجِدِّفُونَ عَلَى الرَّبِّ. بِالْوَاحِدِ يَفْهَمُونَ كَلِمَةَ «عَبْدٌ» حَسَبَ هَوَاهُمْ، وَبِالْآخَرِ يَرْكُزُونَ عَلَى كَلِمَةِ «الصَّانِعِ»^{٣٤٤} كَسَنَدٍ قَوِيٍّ لِهَرِطَتِهِمْ. وَهَذَا السَّنَدُ يَكُونُ كَقَصْبَةِ مَحْطَمَةٍ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ سَيِّدِينُونَ أَنفُسَهُمْ لَوْ عَرَفُوا أَسْلُوبَ الْكِتَابِ. فَقَدْ دُعِيَ سَلِيمَانُ «عَبْدًا» رَغْمَ كَوْنِهِ «ابْنًا». كَذَلِكَ أَيْضًا - وَنَكْرَرُ الْقَوْلَ - قَدْ يَقُولُ الْآبَاءُ عَنْ أَبْنَائِهِمُ الَّذِينَ أَنْجَبُوهُمْ إِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ وَمَصْنُوعُونَ وَصَائِرُونَ. فَقَدْ قَالَ حَزْقِيَا وَهُوَ يَصَلِّي: «لَأَنَّهُ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ سَأَصْنَعُ أَبْنَاءَ يَعْلَنُونَ: يَا إِلَهَ خِلَاصِي»^{٣٤٥}. فَهُوَ يَقُولُ «سَأَصْنَعُ» فِي حِينٍ أَنَّ النَّبِيَّ فِي نَفْسِ السَّفَرِ وَفِي سَفَرِ الْمُلُوكِ الرَّابِعِ^{٣٤٦} يَقُولُ هَكَذَا: «بَنِيكَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مِنْكَ»^{٣٤٧}، فَهُوَ يَسْتَعْمَلُ كَلِمَةَ «سَأَصْنَعُ» بَدَلًا مِنْ كَلِمَةِ «سَأَلِدُ»، وَيَقُولُ عَنِ الْمَوْلُودِينَ مِنْهُ إِنَّهُمْ «مَصْنُوعُونَ»، وَلَكِنْ لَا يَشْكُ أَحَدٌ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ إِنَّمَا يَخْصُ الْمِيلَادَ بِالطَّبِيعَةِ.

وَعِنْدَمَا وَلَدَتْ حَوَاءُ قَايِينَ قَالَتْ: «اَقْتَنَيْتُ رَجُلًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ»^{٣٤٨}. إِذْنِ فَقَدْ قَالَتْ «اَقْتَنَيْتُ» بَدَلًا مِنْ «وَلَدْتُ»، لِأَنَّهَا بَعْدَ أَنْ رَأَتْ الطِّفْلَ قَالَتْ إِنَّهَا «اَقْتَنَتْ». وَلَا يَظُنُّ أَحَدٌ أَنَّهَا بِسَبَبِ قَوْلِهَا «اَقْتَنَيْتُ» أَنَّهَا اشْتَرَتْ قَايِينَ مِنَ الْخَارِجِ، أَوْ أَنَّهَا لَمْ تَلِدْهُ مِنْ بَطْنِهَا. وَيَعْقُوبُ الْبَطْرِيَرِكُ قَالَ لِيُوسُفَ «وَالْآنَ ابْنَاكَ الْمَوْلُودَانِ لَكَ فِي أَرْضِ مِصْرَ

^{٣٤٣} انظر أم. ٢٠: ٢٣.

^{٣٤٤} يقول الآريوسيون عن المسيح إنه "مصنوع".

^{٣٤٥} إش ٣٨: ١٩ و ٢٠ (سبعينية).

^{٣٤٦} وهو سفر الملوك الثان في ترجمة دار الكتاب المقدس.

^{٣٤٧} ٢ مل ٢٠: ١٨.

^{٣٤٨} تك ٤: ١.



قَبْلَمَا أَتَيْتُ إِلَيْكَ إِلَى مِصْرَ هُمَا لِي. أَفْرَايِمُ وَمَنْسَّى»^{٢٤٩}. ويقول الكتاب عن أيوب: «وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةٌ بَنِينَ وَثَلَاثُ بَنَاتٍ»^{٢٥٠}، مثلما قال موسى أيضاً في الشريعة: «إن صار لأحد أبناء»، إن «صنع ولداً»^{٢٥١}.

٥ - هوذا مرةً أخرى يُقال عن المولودين أنهم «صائرون» و «مصنوعون»، إذ طالما أننا نعترف أنهم أبناء فالأمر لا يختلف إن قال أحد إنهم قد صاروا سواء قيل «اقتنيت» أم «صنعت» لأن الطبيعة والحق يجعلان المعنى قريباً منهما. ولهذا فبالنسبة لهؤلاء الذين الذين يتساءلون إن كان الرب «مخلوقاً» أو «مصنوعاً» فينبغي عليهم أولاً أن يبحثوا إن كان هو «ابناً»، و «كلمة»، و «حكمة». لأنه عندما تثبت هذه الأمور، فإن الظن بخصوص «المصنوع» و «المخلوق» سيتوقف ويُطرح خارجاً في الحال. لأن «المصنوع» لا يمكن أن يكون «ابناً» و «كلمة»، ولا الابن يمكن أن يكون «مصنوعاً»، فإن كانت الأمور تجري هكذا فيكون البرهان واضحاً للجميع أن العبارة التي تقول «للذي أقامه»، و «الذي صنعه» لا تخدم هرطقتهم بل بالحرى تدينهم. لأنه قد اتضح أن تعبير «صنع» قد استُخدم في الكتب الإلهية عن الأولاد الأصليين بالطبيعة، وهو كلمته وحكمته، فإنه حتى إذا قيل بخصوصه «صنع» أو «صار» فلا يُقال عنه كما لو كان كائناً مصنوعاً. إن القديسين استخدموا التعبير بلا تمييز. مثلما حدث بالنسبة لسليمان وابنا حزقيا - لأنه مع أن هؤلاء الأبناء وُلِدوا من آبائهم أنفسهم، فقد كُتِبَ عنهم: «صنعت»، و «خلقت» و «صار». إذن فإن أعداء الله الذين يتعلَّلون كثيراً بمثل هذه العبارات هم ملزمون الآن بعد هذا الذي قيل أن يتخلَّوا عما يتشددون به من أفكار بتجديفهم، وبهذا

^{٢٤٩} تلك ٥:٤٨.

^{٢٥٠} أيوب ٢:١.

^{٢٥١} انظر خر ٤:٢١ (س).



يعتقدون - بخصوص الرب - إنه ابن حقيقي وكلمة الآب وحكمته، وإنه ليس مصنوعاً أو مخلوقاً لأنه إن كان الابن مصنوعاً، فأية علة، وأية حكمة إذن هي التي أوجدته؟ لأن كل المخلوقات قد صارت بواسطة الكلمة والحكمة، كما قد كُتِبَ «كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صُنِّعَتْ»^{٣٥٢} وأيضاً «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٣٥٣}. فإن كان هو الكلمة والحكمة الذي به قد صار كل شيء، فينتج من ذلك أنه لا ينتمى إلى الأشياء المصنوعة ولا إلى الأشياء المخلوقة إطلاقاً، ولكنه هو مولود الآب.

٦ - تأملوا إذن إلى أى انحطاط وصل قولهم عن كلمة الله إنه مصنوع. فسليمان يقول في موضع ما في سفر الجامعة: «لأنَّ اللهَ يُحْضِرُ كُلَّ عَمَلٍ إِلَى الدَّيْنُونَةِ، عَلَى كُلِّ خَفِيٍّ إِنَّ كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا»^{٣٥٤}. وهكذا فإن كان الكلمة مصنوعاً أو فإنه وفقاً لكلهم، سيُقدَّم هو أيضاً كغيره للدينونة. فإين تكون الدينونة إذن، إن كان الديان نفسه يُدان؟ ومن هو الذي سيُعطي البركات للأبرار والعقوبات لغير المستحقين، عندما يقف الرب نفسه - حسبما تقولون - ليُدان مع الجميع. فبأية شريعة سيُدان واضع الشريعة نفسه؟ فإن من خصائص المخلوقات أنها تُدان أى تُثاب أو تُعاقب بواسطة الابن.

إذن، خافوا الديان، وافهموا ما سبق أن قاله سليمان. لأنه إن كان الله سيُحضر كل عمل إلى الدينونة، إلا أن الابن ليس من بين المدانين، بل هو بالأحرى الديان لكل المخلوقات. أفلا يكون واضحاً أكثر من الشمس أن الابن ليس مخلوقاً بل هو كلمة الآب، والذي به تصير المخلوقات وبه تُدان؟ وإن كانت عبارة: «كونه

^{٣٥٢} مز ١٠٤: ٢٤.

^{٣٥٣} يو ١: ٣.

^{٣٥٤} جا ١٢: ١٤.



أميناً»^{٣٥٥} تشيرهم من جديد ظانين أن لفظ «الابن» يُقال عنه كما يُقال عن جميع الناس، وأنه، لأجل أمانته، فهو ينتظر أجر أمانته. إذن حان الوقت ليتهموا موسى من جديد، لأنه قال «اللَّهُ أمين وحق»^{٣٥٦}. ويتهموا بولس الذي كتب «وَلَكِنَّ اللَّهَ آمِينَ الَّذِي لَا يَدْعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ»^{٣٥٧}. فالقديسون عندما يقولون هذا فإنهم لا ينسبون لله خصائص بشرية، بل يعترفون أن كلمة «أمين» في الكتاب المقدس لها معنيان: المعنى الأول أنه «مؤمن»، والآخر أنه «أمين». فالمعنى الأول يناسب البشر، والثاني يناسب الله. إذن لإبراهيم «مؤمن» لأنه قد آمن بالله، أما الله فهو أمين مثلما يرسم داود: «أمين هو الرب في كل أقواله»^{٣٥٨}. وهو أمين لأنه من المستحيل أن يكون الرب كاذباً. وعندما يقول بولس: «إِنْ كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ أَرَامِلُ»^{٣٥٩} فالمرأة هنا تُدعى مؤمنة بسبب استقامتها. وأيضاً «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ»^{٣٦٠} لأن ما قاله يستوجب الإيمان، لأنه حق، ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

إذن فعبارة «كونه أميناً للذي أقامه»، لا تدل على أنه يشابه الآخرين ولا تعنى أنه لكونه أميناً قد صار مقبولاً، بل إذ هو ابن الله الحق فهو أيضاً أمين، ويجب أن يوثق به فيما يقول وفيما يعمل. وهو نفسه ظلّ ثابتاً دون أن يتغير في تدبير تجسده وحضوره بالجسد.

^{٣٥٥} عب ٣: ٢٠.

^{٣٥٦} انظر تث ٣٢: ٤.

^{٣٥٧} ١ كو ١٣: ١٠.

^{٣٥٨} مز ١٤٤: ٣ (سبعينية).

^{٣٥٩} ١ تي ٥: ١٦.

^{٣٦٠} تي ٣: ٨.



٧ - هكذا إذن فإن مَنْ يواجه وقاحتهم يستطيع حتى من لفظ «صنع» أو «أقام»^{٣٦١} أن يدحض هؤلاء المضللين الذين يحسبون أن كلمة الله مصنوع أو مخلوق. وحيث إن القصد من هذا اللفظ هو قصد مستقيم - إذ أنه يوضح الوقت والمناسبة التي قيل فيها - فإنه بالضرورة يتضح من هذا اللفظ عدم تبصّر الهراطقة لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار وقت كتابته والحاجة إليه ، كما سبق أن قلنا ، فإن الرسول لم يقل هذه الأقوال لكي يسرد بالتفصيل ماذا كان قبل الخليقة ، ولكنه يتحدث عن الوقت الذي فيه : « صار الكلمة جسداً » ، لأنه كتب هكذا : «لذا أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية ، تأملوا يسوع رسول ورئيس كهنة اعترافنا كونه أميناً للذي أقامه (صنعه)»^{٣٦٢} . فمتى صار رسولاً إذن؟ ومتى صار رئيس كهنة اعترافنا؟ وبعدها بذل نفسه لأجلنا ، متى أقام الجسد من بين الأموات؟ ومتى جاء بهؤلاء الذين يتقدمون إليه بالإيمان ويقدمهم إلى الآب بعد أن يحررهم مكفرًا عنهم جميعاً أمام الله؟^{٣٦٣} فالرسول حينما قال «كونه أميناً للذي أقامه» لم يكن يشير إلى جوهر الكلمة ولا إلى ميلاده الطبيعي من الآب ، حاشا ، لأن الكلمة هو الذي يصنع وليس المصنوع. ولكنه قال هذا لأنه أراد أن يظهر نزوله إلى البشر ، ووظيفة رئاسة الكهنوت التي «صارَت». وهو ما يمكن لأي شخص أن يراه بوضوح من التاريخ الذي كُتب عن الشريعة وعن هارون. فإن هارون لم يُولد رئيس كهنة بل وُلد إنساناً ثم بعد فترة - عندما أراد الله - صار رئيس كهنة. وهو لم يصّر هكذا ببساطة ، ولم يُعرف من ملابسه العادية ولكن عندما ارتدى القميص ، والصدرة ، وجبة الرداء وهي الثياب التي صنعتها النساء بحسب أمر الله. وبهذه الثياب كان

^{٣٦١} انظر عب ٢:٣.

^{٣٦٢} عب ١:٣ ، ٢.

^{٣٦٣} انظر عب ١٧:٢.



يدخل إلى الأقداس ويقدم الذبيحة عن الشعب وبها أيضاً كان كوسيط لمعاينة الله ولتقديم ذبائح عن الناس^{٣٦٤}. وهكذا الرب أيضاً، فإنه «في البدء كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{٣٦٥}. وعندما أراد الآب أن يُقدِّم الفدية لأجل الجميع، وأن تُعطى النعمة للكل، عندئذٍ فمثلما ارتدى هارون الجبة - أخذ الكلمة جسداً من الأرض^{٣٦٦}، متخذاً له من مريم أمّاً بالجسد كما من أرض بكر حتى إذ يكون له - كرئيس كهنة - شئ يُقدِّمه، فهو يُقدِّم ذاته للآب ويطهرنا جميعاً من الخطايا بدم نفسه وبقيمنتنا من بين الأموات.

٨ - وهذا الأمر كانت له ظلال في القديم، فإن ما حققه المخلص في مجيئه، هو الأمر الذي كان هارون رمزاً له بحسب الناموس. فلقد كان هارون هو هو نفسه، ولم يتغير بارتدائه ثياب الكهنة، بل ظلّ كما هو، إنما قد ارتدى الثياب فقط. فإن قال شخص ما عندما يراه وهو يقدم القرابين «ها هوذا هارون قد صار اليوم رئيس كهنة» فلا يعنى بذلك أنه قد صار عندئذٍ إنساناً، إذ أنه كان إنساناً حتى قبل أن يصير رئيس كهنة، لكنه صار رئيس كهنة بسبب وظيفته متسربلاً بالثياب المصنوعة والمجهزة لوظيفة رئاسة الكهنوت. وبنفس الطريقة من الممكن أن يفكر أحد جيداً بخصوص الرب أنه لم يصير شخصاً آخر بعد أن اتخذ الجسد، بل ظلّ هو نفسه كما كان قبل أن يتسربل بالجسد. وإن عبارة «قد صار» و «قد صُنِعَ»، لا ينبغي أن تُفهم كما لو أن الكلمة باعتباره الكلمة قد صُنِعَ بل لكونه الكلمة فهو خالق، وفيما بعد صار رئيس كهنة مرتدياً جسداً مصنوعاً ومخلوقاً.

^{٣٦٤} انظر خر ٢٨ و ٢٩.

^{٣٦٥} يو ١: ١.

^{٣٦٦} كثيراً ما يكرر القديس أناسيوس هذه العبارة في كتاباته. انظر على سبيل المثال كتاب «تَجَسُّد الْكَلِمَةِ»، المرجع

السابق، فصل ٨: ٢.



وهو الذى يستطيع أيضاً أن يقدم تقدّمه لأجلنا، لذلك يُطلق عليه أيضاً «إنه قد صنّع». فإن لم يكن السيد قد صار إنساناً، إذن فليحارب الآريوسيون، أما إن كان «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»^{٣٦٧} فماذا يكون من الواجب أن يُقال عنه وقد صار إنساناً، إلّا «كَوْنُهُ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٣٦٨}. لأنه كما هو لائق بالنسبة للكلمة أن يُقال عنه «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»^{٣٦٩}، فإن ما يليق بالإنسان هو أن يُولد ويُخلق. فمن إذن يرى الرب وهو يمشى كإنسان - وقد ظهر من أعماله أنه إله^{٣٧٠} - ولا يتساءل قائلاً: «من الذى صنع هذا إنساناً؟» ومنّ أيضاً لا يجيب على هذا السؤال بأن: «الآب هو الذى صنعه إنساناً وأرسله إلينا كرئيس كهنة»؟ وما كتبه الرسول نفسه قائلاً: «كونه أميناً للذى أقامه (صنعه)» يوضح هذا المعنى ويحدد هذا الوقت، ويشير إلى هذا الشخص. وهذا يتضح أكثر عندما نقرأ ما كتبه الرسول قبل هذه الكلمات. إذ أن تسلسل الفكر الواحد وما جاء في هذا الفصل من الرسالة يشير إلى نفس الموضوع. فهو يكتب في رسالته إلى العبرانيين ما يلى: «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشتراك هو نفسه أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل أيام حياتهم تحت العبودية. لأنه حقاً ليس يمسك الملائكة، بل يمسك نسل إبراهيم. ومن ثم كان ينبغي أن يشبه اخوته في كل شئ، لكي يكون رحيماً ورئيس كهنة أميناً فيما لله. حتى يكفر عن خطايا الشعب. لأنه فيما هو قد تألم مجرباً يقدر أن

^{٣٦٧} يو: ١: ١٤.

^{٣٦٨} عب: ٣: ٢.

^{٣٦٩} يو: ١: ١٠.

^{٣٧٠} يشرح القديس أنطاسيوس هذه الحقيقة في الفصول ١٨ - ١٩ من كتابه «تَجَسُّدُ الْكَلِمَةِ» المرجع السابق ص ٥١ -



يعين المجريين»^{٢٧١}. وأيضاً «مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقُدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لَاحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ»^{٢٧٢}.

٩ - فمن الذي يقرأ كل هذه الفقرة ولا يدين الآريوسيين، ولا يُبدي إعجابه بالرسول المطوّب لأنه قد تكلم بالصواب. لأنه متى «صُنِعَ»، ومتى «صار» المسيح رسولاً إلا عندما اشترك هو نفسه «في اللحم والدم» بطريقة مماثلة لنا؟ ومتى صار «رئيس كهنة أو رحيماً وأميناً»، إلا عندما صار «مشابهاً لإخوته في كل شيء»؟ ولقد حدثت المشابهة عندما صار إنساناً لابساً جسداً نحن. ولذلك فعندما يقول بولس «كونه أميناً للذي أقامه» فإنه يتحدث عن تدبير تجسّد الكلمة وليس بخصوص جوهر الكلمة. إذن فلا يجب أن تتخدعوا وتقولوا إن كلمة الله مصنوع، لأنه بحسب الطبيعة هو ابن وحيد الجنس، ثم صار له «إخوة» عندما ارتدى جسداً شبيهاً بنا، والذي به بذل ذاته بذاته وحده وسُمّي «رئيس كهنة»، ودُعِيَ رحيماً وأميناً. فمن ناحية هو «رحيم» لأنه بذل نفسه عنا^{٢٧٣}، ومن ناحية أخرى هو «أمين» ليس لأنه مشارك لنا في الإيمان، وليس لأنه يؤمن بشخص ما مثلنا، بل لأنه هو الذي يجب أن نؤمن به في كل ما يقوله وما يفعله. ولأنه قدّم ذبيحة أمينة أبدية وليست زائلة. لأن الذبائح المقدّمة بحسب الشريعة ليست أمينة، إذ أنها تُقدم كل يوم. وهي أيضاً تحتاج إلى تطهير، أما ذبيحة المخلص فقد كانت مرة واحدة وأكملت (خلاص) الكل وظلّت أمينة لأنها باقية على الدوام.

^{٢٧١} عب ١٤: ١٨.

^{٢٧٢} عب ١: ٢٠.

^{٢٧٣} يذكر القديس أنثاسيوس أن السيد المسيح قد قدّم نفسه عنا ذبيحة خالية من كل عيب ببذله لجسده كتقدمة مناسبة لهذا رفع حكم الموت فوراً عن نظرائه البشر، انظر كتاب «تجسّد الكلمة»، المرجع السابق، فصل ١٠: ٩.



ولقد كان لهرودس خلفاء ، وعموماً فإن رجال الكهنوت بحسب الشريعة يحلون محلّ سابقيهم بمرور الوقت أو بسبب الموت. أما الرب فله «كهنوت لا يزول»^{٢٧٤}. لقد صار رئيس كهنة أميناً باقياً إلى الأبد، وقد صار أميناً حسب الوعد لكي يستجيب لأولئك الذين يقتربون إليه ولا يخدعهم. هذا ما يمكن أن نتعلمه من رسالة بطرس العظيم الذي يقول: «فَإِذَا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقِ آمِينَ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ»^{٢٧٥}، لأنه هو أمين وغير متغير، بل هو ثابت إلى الأبد. وهو يهب تلك الأشياء التي وعد بها.

١٠. ومن ناحية أخرى فإن تلك التي تُدعى آلهة عند اليونانيين دون أن تستحق هذا اللقب، هي ليست أمينة لا بحسب كيائها ولا بحسب وعودها إذ أنها ليست هي بعينها في كل مكان، بل هي آلهة محلية قد أفسدها الزمن واضمحلت من تلقاء ذاتها^{٢٧٦}، لذا يصرخ الكلمة ضدهم: إن الإيمان ليس قوياً فيهم بل هم «مياه خادعة» وأنه «لا إيمان فيهم»، أما إله الجميع إذ هو واحد في الواقع وبالحقيقة فهو إله حق وآمين وثابت إلى الأبد. وهو يقول: «انظروا إلى فترون إنى أنا هو هو»^{٢٧٧}، و «إنى ما تغيرت»^{٢٧٨}. ولهذا السبب فإن ابنه أمين وهو على الدوام غير متغير وغير مخادع لا في كيانه ولا في وعده. وكما كتب الرسول إلى أهل تسالونيكي قائلاً:

^{٢٧٤} انظر عب ٧: ٢٤.

^{٢٧٥} ١ بط ٤: ١٩.

^{٢٧٦} انظر كتاب «تجسد الكلمة»، المرجع السابق فصل ٤٥ حيث يوضح القديس أثناسيوس أن تجسد الكلمة أبطل أعمال الآلهة الكاذبة أضلت الإنسان.

^{٢٧٧} تث ٣٩: ٣٢.

^{٢٧٨} ملا ٣: ٦.



«أَمِينٌ هُوَ الَّذِي يَدْعُوكُمْ، الَّذِي سَيَفْعَلُ أَيْضاً»^{٣٧٩}. لأنه إذ يعمل ما وعد به فهو أمين في أقواله. ولهذا يكتب عن معنى اللفظ الذي يفيد عدم التغير «إِنْ كُنَّا غَيْرَ أَمَنَاءَ فَهُوَ يَبْقَى أَمِيناً، لَنْ يَقْرَأَ أَنْ يُنْكَرَ نَفْسَهُ»^{٣٨٠}. والرسول إذ يتحدث عن ظهور الكلمة في الجسد يقول: «كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٣٨١}، مبيناً أنه حتى بعد أن صار إنساناً فإن يسوع المسيح «هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الْأَبَدِ»^{٣٨٢}، أى لا يتغير. ومثلما أشار الرسول بواسطة رئاسة كهنوته إلى تأنس الرب عندما كتب في رسالته، فإنه لم يسكت طويلاً عن الحديث عن ألوهيته بل أشار إليها مباشرة، لكي يكون هناك أمان من كل ناحية وخاصة حينما يتحدث عن التواضع لكي نعرف على الفور رفعة وجلاله الذي من الآب. ولذلك قال: وموسى كان خادماً أما المسيح فهو ابن. كان الأول «أميناً في بيته» أما الثاني فكان «على بيته»^{٣٨٣} لأنه هو الذي أقامه وشيّدَه إذ هو ربه وخالقه، وكإله قد قدّسه.

ولما كان موسى إنساناً بالطبيعة. فإنه قد صار أميناً بسبب إيمانه بالله الذي تحدث إليه عن طريق الكلمة، أما الكلمة فلم يكن في الجسد كأحد المخلوقات، ولم يكن كمخلوق في مخلوق، بل هو كإله في الجسد، كخالق ومشيد وسط ما خلق بواسطته. وإن كان البشر قد لبسوا جسداً فلكنهم يكون لهم وجود وكيان. أما كلمة الله فقد صار إنساناً لأجل تقديس الجسد، وبينما هو رب فقد وُجدَ في هيئة عبد، لأن كل الخليقة التي وُجدت بالكلمة وُخلقت به هي عبدة له. وبهذا

^{٣٧٩} ٢٤:٥ تس.

^{٣٨٠} ١٣:٢ تي.

^{٣٨١} انظر عب ٣: ١ و٢.

^{٣٨٢} عب ١٣: ٨.

^{٣٨٣} انظر عب ٣: ٥ و٦.



يتضح أن ما قاله الرسول: « للذي أقامه (صنعه) » لا يُثبت أن الكلمة مصنوع، وإنما المصنوع هو الجسد المماثل لنا، الذي اتخذه، وبالتالي إذ قد صار إنساناً فقد دُعِيَ أحاً لنا.

١١ - فإن كان قد اتضح أنه حتى عندما يستعمل لفظ «صُنِعَ» منسوباً إلى الكلمة نفسه، فإنه يستعمله بمعنى «وُلِدَ»، فأية حيلة خبيثة سيتمكنون من تليفها زوراً في سبيل تحقيق غرضهم، في حين أن حديثنا قد ألقى الضوء على هذا اللفظ من كل ناحية، فقد اتضح أن الابن ليس مصنوعاً بل هو - بحسب الجوهر - مولود الآب، بينما بحسب تدبير التجسّد ومسرّة الآب الصالحة فإنه من أجلنا صُنِعَ وتشكّل كإنسان، ولذلك قيل بواسطة الرسول: « كونه أميناً للذي صنعه » وفي سفر الأمثال «قناني»^{٣٨٤} لأنه مادمنّا نعترف أنه قد صار إنساناً، فلا يوجد ما يمنع أن يُقال عنه كما سبق أن قيل إنه: «قد صار»، أو «قد صُنِعَ»، أو «قد خُلِقَ»، أو «تشكّل» أو «إنه عبد» أو «ابن أمّه» أو «ابن الإنسان»، أو إنه «تكوّن» أو «رجل» أو إنه «عريس» أو «أخ»، لأن كل هذه الألفاظ إنما هي الخصائص المعروفة عن البشر، وهي لا تتحدّث عن جوهر الكلمة بل عن صيرورته إنساناً.

الفصل الخامس عشر

شرح نصوص : خامساً:

«جَعَلَ يَسُوعَ .. رَبًّا وَمَسِيحًا» أَع ٢: ٣٦

وهذا المعنى نجده أيضاً في سفر الأعمال حيث يقول بطرس الرسول «اللَّهُ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبَتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبًّا وَمَسِيحًا»^{٣٨٥}. لأنه لم يُكتب هنا: «جَعَلَ ابْنًا لِدَاتِهِ» أو «جَعَلَ كَلِمَةً لِنَفْسِهِ» حتى يتخيلوا عندئذٍ مثل هذه الأفكار. فإن كان لم يغب عن بالهم أنهم يتحدثون عن ابن الله، فليبحثوا إن كان قد كُتِبَ في موضع آخر أن «اللَّهُ جَعَلَ لِدَاتِهِ ابْنًا» أو «خلق لنفسه كلمة» أو إن كان قد كُتِبَ صراحة في أى موضع أن «الكلمة مصنوع أو مخلوق»، عندئذٍ فليُنظر هؤلاء الجهلاء إن كان يمكن أن يجدوا شيئاً من هذا النوع. أما إذا لم يعثروا على شئٍ مثل هذا، بل هم فقط يتصيدون بعض التعبيرات المتفرقة مثل «صُنِعَ» و «قد صُنِعَ»، فإنى أخشى أنهم بعد قليل، عندما يسمعون كلمات مثل « في البدء خلق الله السماء والأرض» و «صنع الشمس والقمر» و «صنع البحر»^{٣٨٦}، فإنهم يقولون إنه السماء أو إنه هو النور الذي صار في اليوم الأول، وإنه أيضاً هو الأرض، وكل مخلوق من مخلوقاته. وبذلك فإنهم يتشبهون بالذين يُسمَّون بالرواقيين^{٣٨٧}. والرواقيون يعتبرون الله نفسه

^{٣٨٥} أَع ٢: ٣٦.

^{٣٨٦} تك ١: ١١-١٦.

^{٣٨٧} الرواقيون هم أتباع الفلسفة الرواقية نسبة إلى رواق بوليجنوس المزخرف بأثينا والذي اتخذه زينون (٣٣٦ — ١٠٢ ق.م.) مقراً له ليجتمع فيه مع أتباعه فدُعوا بالرواقيين وكانت فلسفة لرواقيين تدعو إلى السعى وراء الفضيلة والإصغاء إلى صوت الضمير وضبط العواطف والانفعالات، وكانوا يؤمنون أن كل الأشياء يودى إلى الخير. وقد اقتبس بولس الرسول عن شعرائهم في قوله: « كما قال بعض شعرائكم أيضاً لأننا أيضاً ذريتته » (أَع ١٧: ٢٨) وهى من قول الشاعر الرواقي أراتوس.



أنه منتشر في كل المخلوقات. أما هم فإنهم يضعون كلمة الله في مرتبة واحدة مع كل مخلوق من المخلوقات، خاصة أنهم قد وصلوا فعلاً إلى هذه الدرجة، وذلك عندما قالوا إنه هو من بين المخلوقات.

١٢ - وهنا يلزم أن يسمعوا نفس الكلام مرة أخرى. وليتعلّموا أولاً أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل أيضاً فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى ألوهيته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا، وكيف كُتبت هذه الأقوال؟ ومما لا شك فيه أن تدبير التجسّد الذي صنعه لأجلنا سيوجب على الذين يتساءلون، لأن بطرس عندما قال «جعله رباً ومسيحاً» أضاف في الحال «الذي صلبتموه أنتم»^{٣٨٨}، مما جعل الأمر واضحاً للجميع. ولعله يصير أيضاً واضحاً لهؤلاء، إن كانوا يتابعون معنى النص، إن كلمة «جَعَلَ» ليست عن جوهر الكلمة بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟ فكيف يمكن أن يتحدث عن ما هو جسدي في الكلمة سوى بقوله «جَعَلَ» (صنع)؟. وإلى جانب ذلك، فإن قوله هنا «جَعَلَ»، له معنى أرثوذكسي (أي مستقيم)، لأنه لم يقل كما سبق وأوضحنا «جعله كلمته»، بل «جعله رباً»، وليس هذا فحسب بل جعله «رباً لكم»، و «فيما بينكم». وهذا هو ما يعنيه بقوله «تبرهن». فبطرس نفسه كان يشير إلى هذا عينه باهتمام، عندما بدأ هذه العظة الأولى بقوله: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ، اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالِ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقَوَاتٍ وَعَجَائِبَ وَأَيَّاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ»^{٣٨٩}. وهذه الكلمة «صنع» التي استخدمها في نهاية حديثه شرحها في بداية حديثه بكلمة «تبرهن». لأنه من الآيات والعجائب التي كان الرب يصنعها، أثبت أنه ليس إنساناً عادياً، بل هو

^{٣٨٨} أع ٢: ٣٦.

^{٣٨٩} أع ٢: ٢٢.



الله الظاهر في الجسد، وأنه هو الرب وهو المسيح. وهذا ما قاله يوحنا في إنجيله «فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً لِنَفْسِهِ بِاللَّهِ»^{٣٩٠}. فإن الرب لم يصنع نفسه عندئذٍ إلهاً، ولا يمكن أن يُعقل أن يكون هناك إله مصنوع، ولكنه تبرهن أنه إله من خلال أعماله عندما قال «فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالْأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»^{٣٩١}. إذن فقد جعله الآب رباً وملكاً في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنا قبلاً عُصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه ربٌ وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكاً ورباً، بل ابتداءً أن يُظهر ربوبيته، وأن تمتد ربوبيته حتى على الذين يعصونه.

١٣ - وإن كانوا يعتقدون أن المخلص لم يكن رباً وملكاً، حتى قبل أن يصير إنساناً وقبل أن يحتمل موت الصليب، وأنه عندئذٍ بدأ أن يكون رباً، فليتهم يعرفون أنهم يرجعون من جديد إلى أقوال الساموساطي^{٣٩٢} بصراحة. ولكن، إن كان كما سبق أن اقتبسناه وذكرناه أن الرب ملك أزلياً، وأن إبراهيم كان يعبد كرب وموسى قال «فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء»^{٣٩٣}، وداود يقول في المزامير «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي»^{٣٩٤}. و

^{٣٩٠} يو ١٨:٥.

^{٣٩١} يو ١٠:٣٨.

^{٣٩٢} كان بولس الساموساطي أسقفًا لأنطاكية (٢٦٠ - ٢٦٨) وأدين في عام ٢٦٨ بعد سلسلة من المحامع التي من خلالها ظهر ضلال عقائده. وحسب تعليم هرطقته اعتبر أن المسيح كان مجرد إنساناً عادياً ثم صار إلهاً بسبب جدارة عظمة شخصيته التي استحقها بسبب التبت (ولذلك سُميَ مشايحوه بأصحاب تعليم التبت) وهكذا أنكر الساموساطي تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

^{٣٩٣} تك ١٩:٢٤.

^{٣٩٤} مز ١١٠:١.



«كُرْسِيُّكَ يَا اللَّهُ إِلَى دَهْرٍ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ»^{٣٩٥}، و «مُلْكُكَ مُلْكُ كُلِّ الدُّهُورِ»^{٣٩٦}. فواضح أنه كان ملكاً ورباً سرمدياً قبل أن يصير إنساناً لكونه صورة الأب وكلمته. وحيث إن الكلمة هو رب وملك أزلِّي فيتضح أيضاً أن بطرس لم يقل إن جوهر الابن قد صُنِعَ، بل أن ربوبيته علينا هي التي حدثت حينما صار إنساناً، وأنه بافتدائه الكل بالصليب، قد صار رب الجميع ومَلِكاً عليهم، وإن كانوا يجادلون بسبب أنه مكتوب «جَعَلَ» ولا يريدون أن يقرؤا بأن «جَعَلَ» تعني «أَظْهَرَ»، أو بسبب عدم فهمهم، أو بسبب ميلهم لمعاداة المسيح، فلم يسمعوا مرةً أخرى أن أقوال بطرس لها معنى مستقيم. لأن الذي يصير رباً لآخرين، فإنه يملك على الذين هم بالفعل تحت سلطانه الآن. أما إن كان الرب خالق الكل، وملك أبدي، فعندما صار إنساناً اقتناناً نحن أيضاً. وبهذا يصير واضحاً أن ما قاله بطرس لا يعني أن جوهر الكلمة مصنوع، بل يعني أن خضوع الكل له فيما بعد وأن ربوبيَّة المخلص هي التي قد صارت، على الكل. وهذا يوافق ما سبق أن قلناه. لأنه مثلما استشهدنا هناك بالأقوال التي تقول: «كُنْ لِي إِلَهاً مَعِيناً»^{٣٩٧} و «يَكُونُ الرَّبُّ مَلْجَأً لِلْمُنْسَحِقِ»^{٣٩٨}، واتضح أن هذه الأقوال لا تعني أن الله مخلوق، بل تشير إلى إحسانه المُقَدَّم منه لكل واحد، وهكذا فإن قول بطرس له نفس المعنى.

١٤. ولما كان ابن الله نفسه هو الكلمة فهو رب الكل. إلّا أننا خضعنا منذ البدء «لعبودية الفساد» و «لعنة الناموس»، ورويداً ورويداً، صنعنا لأنفسنا موجودات

٣٩٥ مز: ٤٥: ٦.

٣٩٦ مز: ١٤٥: ١٣.

٣٩٧ مز: ٣١: ٣.

٣٩٨ مز: ٩: ٩.



(معبودات) خدمناها^{٣٩٩}، كما قال الرسول المغبوط^{٤٠٠}، «استُعِيدْتُمْ لِلَّذِينَ لَيْسُوا بالطَّبِيعَةِ إِلَهَةً»^{٤٠١}، فَأَنكَرْنَا إِلَهَ الْحَقِيقِيِّ وَفَضَّلْنَا الْأَشْيَاءَ غَيْرَ الْمَوْجُودَةِ عَلَى الْحَقِّ. إِلَّا أَنَّهُ فِيمَا بَعْدَ مِثْلَمَا تَأَوَّهَ الشَّعْبُ الْقَدِيمُ مَتَضَجِّراً فِي مِصْرَ، بَعْدَ أَنْ ثَقَلَ كَاهِلُهُ، هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً الَّذِينَ لَدَيْنَا النَّامُوسُ الْمَغْرُوسُ فِي الضَّمِيرِ، وَبِحَسَبِ أُنَاتِ الرُّوحِ الَّتِي لَا يُنْطَقُ بِهَا^{٤٠٢} بِدَأْنَا نَصْرُخُ قَائِلِينَ: «أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهِنَا امْتَلِكْنَا»^{٤٠٣}. وَقَدْ «صَارَ لَنَا بَيْتٌ مَلْجَأً»، وَ «إِلَهٌ مَعِينٌ». هَكَذَا أَيْضاً قَدْ صَارَ الرَّبُّ بِالنِّسْبَةِ لَنَا، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا هُوَ بَدْءُ وَجُودِهِ، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ بِدَأْنَا نَأْخُذُهُ رَبًّا لَنَا. وَمَنْ ثَمَّ لِأَنَّ اللَّهَ صَالِحٌ وَهُوَ أَبُو الرَّبِّ، وَإِذْ تَحَنَّنَ وَأَرَادَ أَنْ يَصِيرَ مَعْرُوفاً مِنَ الْجَمِيعِ، فَقَدْ جَعَلَ ابْنَهُ الْذَاتِي يَلْبَسُ جَسَداً بَشَرِيّاً وَيَصِيرُ إِنْسَاناً وَيُدْعَى يَسُوعَ، لِكَيْ يَبْذُلَ نَفْسَهُ فِي هَذَا الْجَسَدِ لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، وَيَخْلُسَ الْجَمِيعَ مِنَ الضَّلَالِ بَعِيداً عَنِ اللَّهِ، وَمَنِ الْهَلَاكِ، وَيَصِيرُ هُوَ نَفْسَهُ رَبًّا وَمَلِكاً لِلْكَلِّ. لِذَلِكَ فَإِنْ صَيَّرْتَهُ رَبًّا وَمَلِكاً، هُوَ نَفْسُ مَا قَصَدَهُ بَطْرُسُ بِقَوْلِهِ «جَعَلَهُ رَبًّا، وَأَرْسَلَهُ مَسِيحاً»^{٤٠٤}. وَهَذَا مِثَابُهُ لِلْقَوْلِ إِنَّ الرَّبَّ إِذْ قَدْ جَعَلَ مِنْهُ إِنْسَاناً - لِأَنَّهُ أَمَرَ يَخْصُ الْإِنْسَانَ أَنْ يَكُونَ مَصْنُوعاً - فَهُوَ لَمْ يَجْعَلْهُ إِنْسَاناً فَقَطْ بَلْ جَعَلَهُ هَكَذَا لِأَنَّهُ يَكُونُ رَبًّا عَلَى الْجَمِيعِ وَيَقْدَسُ الْكُلُّ بِوَاسِطَةِ الْمَسْحَةِ. لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ الْكَلِمَةُ وَهُوَ فِي صُورَةِ اللَّهِ، اتَّخَذَ صُورَةَ عَبْدٍ، إِلَّا أَنْ اتَّخَذَهُ لِلْجَسَدِ لَمْ يَجْعَلِ الْكَلِمَةَ وَهُوَ رَبُّ بِالطَّبِيعَةِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا، بَلْ بِالْأُخْرَى فَإِنَّ الْكَلِمَةَ بِهَذَا الْحَدَثِ (اتَّخَذَ

٣٩٩ انظر القديس أنطاسيوس: ضد الآريوسيين فصل ١:٢.

٤٠٠ روم ١: ٢٥.

٤٠١ غل ٤: ٨.

٤٠٢ روم ٨: ٢٦.

٤٠٣ إش ١٣: ٢٦ (سبعينية).

٤٠٤ انظر أع ٢: ٣٦.



الجسد) قد حرّر كل البشريّة. فإن الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جعل إنساناً، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحاً، أى لكي يقدّس الجميع بالروح. وكما أن الله عندما صار إلهاً معيناً قائلاً: «وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً»^{٤٠٥}، فإنه لم يصرف في ذلك الوقت إلهاً أكثر من ذي قبل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يصير إلهاً، بل إن هذا هو الأمر الواقع دائماً، ولكنه صار هكذا للمحتاجين إليه حينما سرّ بذلك. وهكذا أيضاً المسيح إذ هو بالطبيعة رب وملك أزليّ، لم يصرف رباً عندما أرسل، ولم يبتدئ عندئذٍ أن يكون رباً وملكاً، بل هذا هو الأمر الواقع دائماً، إنما قد جعل هكذا بحسب الجسد. ولأنه صار فادياً للجميع، فقد صار رب الأحياء والأموات. ولذلك فإن كل الأشياء تخضع له، وهذا أيضاً هو ما يعنيه داود حينما يترنم: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»^{٤٠٦}. لأنه لا يجب أن يكون الفداء عن أى طريق آخر سوى عن طريق ذاك الذي هو رب بالطبيعة، لئلا بعد أن يكون الابن قد خلقنا فإننا ندعو لنا رباً آخر، أو نسقط في حماقة الآريوسية والوثنية بأن نعبد المخلوق من دون خالق جميع الأشياء^{٤٠٧}.

١٥ - هذا هو المعنى المقصود من هذا القول - وذلك على قدر فهمي المتواضع - لأن أقوال بطرس هذه الموجهة إلى اليهود، لها سبب حقيقي وصحيح لأن اليهود إذ ضلّوا عن الحق وزاغوا، مازالوا ينتظرون مجيء المسيح ظانين أنه لن يقاسى ألماً عندما يأتى، ويقولون ما لا يفهمونه: «نحن نعرف أنه عندما يأتى المسيح سيبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغي أن يُرفع»^{٤٠٨} وهم أيضاً لا يرون أنه الله الذي جاء في

٤٠٥ خر ٢٩: ٤٥.

٤٠٦ مز ١١٠: ١.

٤٠٧ رو ١: ٢٥.

٤٠٨ يو ١٢: ٣٤.



الجسد، بل إنه مجرد إنسان سامى مثل كل الملوك. ولذا وبخ الرب كليوباس والذي معه معلماً إياهما «أن المسيح ينبغي أن يتألم أولاً»^{٤٠٩}. وهكذا فعل أيضاً مع اليهود الآخرين معلماً إياهم أن الله أقام في وسطهم عندما قال: «إِنْ قَالَ إِلَهَةٌ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ،^{٣٦} فَالَّذِي قَدَّسَهُ الْآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ لِأَنِّي قُلْتُ إِنَّ ابْنَ اللَّهِ؟»^{٤١٠}.

١٦. ولأن بطرس قد عرف هذه الأمور من المخلص، فقد قوم أفكار اليهود في كلتا الحالتين وكأنه يقول: [أيها اليهود إن الكتب المقدسة تعلن أن المسيح قادم، وأنتم تظنونونه إنساناً بسيطاً كواحد من نسل داود، أما ما كتب عنه فيبين أنه ليس مثلما تقولونه أنتم، بل بالحرى يعلن أنه رب وإله، وغير مائت، وهو واهب الحياة لأن موسى يقول: «وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً قُدَّامَكَ»^{٤١١}، وداود يقول في المزمور المئة والتاسع: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ»^{٤١٢} وفي المزمور الخامس عشر «لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَوَايَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيكَ يَرَى فَسَاداً»^{٤١٣} لأن مثل هذه القوال، في الواقع لا تعود على داود، فهو نفسه يشهد قائلاً بأن الآتي هو ربه، وأنتم أنفسكم تشهدون أن داود قد مات ورفاته موجود لديكم. فإن كان المسيح يجب أن يكون هكذا كما تتحدث عنه الكتب، فأنتم أنفسكم يجب أن تعترفوا به لأن هذه الكلمات قد قالها الله، ولا يمكن أن يعترها أي كذب. فإن استطعتم أن تثبتوا أن هناك شخصاً مثل هذا قد

^{٤٠٩} لوقا ٢٤: ٢٦.

^{٤١٠} يو ١٠: ٣٥-٣٦.

^{٤١١} تث ٢٨: ٦٦، هكذا فهم الآباء هذا النص. راجع كتاب «تجسد الكلمة»، المرجع السابق فصل ٣٥.

^{٤١٢} ١: ١١٠ في الطبعة المتداولة.

^{٤١٣} مز ١٠: ١٦ في الطبعة المتداولة.



جاء قبل ذلك، وتستطيعون أن تبرهنوا أنه هو الله، من الآيات والمعجزات التي يكون قد صنعها، فيحق لكم أن تجادلوا. أما إن لم تتمكنوا من إثبات أن مثل هذا الشخص قد أتى، بل لا تزالون تنتظرونه، إذن فاعرفوا وقت مجيئه من نبوات دانيال. لأن ما قاله إنما يشير إلى الوقت الحاضر. فإن كان هذا الوقت الحاضر هو الوقت الذي سبق الإعلان عنه، وشاهدتم الأحداث التي وقعت بيننا الآن، فإن (يسوع) هذا الذي صلبتموه أنتم، هو المسيح نفسه، وهو المسيح المنتظر. لأن داود وكل الأنبياء ماتوا وقبورهم عندكم. أما القيامة التي حدثت الآن فإنها توضح أن ما قد كُتِبَ يخبر عنه.

لأن الصلب هو المقصود بالقول: «وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً قُدَّامَكَ»^{٤١٤} وجرحه بالحربة في جنبه هو تكميل للقول «كَشَاةٌ تُسَاقُ إِلَى الدَّبْحِ»^{٤١٥}. وقيامته - ليس هو وحده - بل قيامة الموتى القدامى من قبورهم (لأن غالبيتكم قد شاهدوهم)، هي ما يعنيه القول: «لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ نَفْسِي فِي الْهَآوِيَةِ»^{٤١٦}. و «ابتلع الموت بقوته» وأيضاً «وَيَمَسُّحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ»^{٤١٧}. لأن هذه العلامات التي حدثت فعلاً تثبت أن هذا الذي في الجسد هو الله، وأنه هو الحياة - وهو رب الموت. فالمسيح الذي هو واهب الحياة للآخرين لا ينبغي أن يسود عليه الموت. وهذا ما كان ممكناً أن يحدث لو كان المسيح إنساناً عادياً كما تعتقدون أنتم، بل هو بالحقيقة، ابن الله. لأن جميع الناس خاضعون للموت. من أجل هذا لا ينبغي لأحد أن يشك فيما بعد، بل ليعلم كل بيت إسرائيل تماماً، أن يسوع هذا، الذي رأيتموه إنساناً في مظهره الخارجي، وهو

^{٤١٤} تث ٢٨: ٦٦.

^{٤١٥} إش ٥٣: ٧.

^{٤١٦} مز ١٦: ١٠.

^{٤١٧} إش ٢٥: ٨.



يصنع آيات وأعمالاً مثل هذه - التي لم يصنع مثلها أحد قط - هو نفسه المسيح ورب الجميع. لأنه رغم أنه صار إنساناً ودُعِيَ باسم «يسوع» كما سبق أن قلنا، إلا أن قَدْرَهُ لم ينقص بالآلام البشرية. بل بالحرى، فإنه بصيرورته إنساناً قد برهن أنه رب الأحياء والأموات. «لأنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِالْحِكْمَةِ، اسْتَحْسَنَ اللَّهُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَهَالَةِ الْكَرَازَةِ»^{٤١٨}. وهكذا نحن البشر أيضاً، عندما رفضنا أن نعرف الله من خلال كلمته، ورفضنا أن نخدم سيدنا الطبيعي: كلمة الله، استحسن الله أن يُظهر ربوبيته الذاتية في الإنسان، وأن يجتذب الجميع نحو نفسه^{٤١٩}. ولم يكن من اللائق أن يصنع هذا بواسطة إنسان عادي حتى لا نصير عابدي بشر باتخاذنا الإنسان رباً، ولأجل ذلك فقد صار الكلمة نفسه جسداً، ودعاه الآب يسوع. وهكذا جعله رباً ومسيحاً. بمعنى أنك تقول: «جعله لكي يسود ويملك». ولأنه باسم يسوع - الذي صلبتموه - أنتم - تتحنى كل ركبة، فإننا نعترف أن الابن نفسه هو الرب والملك، ومن خلاله فقط نعترف أن الآب هو أيضاً الرب والملك].

١٧ - وعندما سمع غالبية اليهود هذه الأقوال رجعوا إلى أنفسهم، ثم اعترفوا بالمسيح كما هو مكتوب في سفر الأعمال^{٤٢٠}. ولأن مجانين الآريوسية^{٤٢١} قد أن يظلموا يهوداً، وأن يناضلوا ضد بطرس، لذلك هيّا بنا نقتبس لهم عبارات مماثلة، فربما يتحوّلون بهذه الطريقة عندما يتعلّمون أسلوب الكتب المقدسة. فقد اتضح مما سبق أن المسيح رب أزليٍّ وملك، ولا يشك أحد في هذا القول. فلأنه هو ابن

^{٤١٨} ١ كور ١: ٢١.

^{٤١٩} انظر كتاب «تجسّد الكلمة»، المرجع السابق فصل ٤٣.

^{٤٢٠} أ ع ٣٧: ٢.

^{٤٢١} راجع فصل ١٠: ١٤ ص ١٠.



الله، فإنه يلزم أن يكون مماثلاً له، ولكونه مماثلاً فهو قطعاً رب وملك معاً. فقد قال هو عن نفسه «الذي رآني فقد رأى الآب»^{٤٢٢}. أما وأن عبارة بطرس هذه: «جعلته رباً ومسيحاً»، لا تعني أن الابن مصنوع، فهذا ممكن أن نراه من بركة اسحق. رغم أن هذه الصورة باهتة نوعاً ما من جهة هذا الموضوع المطروح للبحث. وذلك عندما قال ليعقوب «كُنْ سَيِّدًا لِإِخْوَتِكَ»^{٤٢٣}، وقال لعيسو «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ»^{٤٢٤}.

إذن حتى لو كان لفظ «جعل» يشير إلى جوهر يعقوب وبدء وجوده فما كان ينبغي لهؤلاء أن يفكروا بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، لأن ابن الله ليس مخلوقاً مثل يعقوب. ومع ذلك فقد كان في وسعهم أن يستوضحوا الأمر ويعرفوه حتى لا يتمادوا أكثر في جنونهم. فإن فهموا هذه الأمور على أنها لا تخص الجوهر ولا بداية الوجود. على الرغم من أن يعقوب مخلوق ومصنوع بحسب الطبيعة. فكيف لا يكونون أكثر جنوناً من الشيطان، عندما يتجاسرون أن ينسبوا لابن الله تلك الأوصاف التي لا يتجاسرون أن يلصقوها بالكائنات المخلوقة بالطبيعة، ويقولون عنه إنه مخلوق؟ فإن قول إسحق «كن» و «جعلته» لا يعنى بداية خلقه يعقوب ولا جوهره، لأنه قال هذا بعد ثلاثين سنة أو أكثر من ميلاد يعقوب، ولكن سيادته على أخيه هي التي حدثت بعد ذلك.

١٨ - إذن فبطرس بالأحرى. ما كان يقصد بهذه الكلمات أن جوهر الكلمة مخلوق لأنه يعرف أنه ابن الله، إذ أنه قد اعترف قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ

^{٤٢٢} يوحنا ٩: ١٤.

^{٤٢٣} تك ٢٧: ٢٩.

^{٤٢٤} تك ٢٧: ٣٧.



الْحَيِّ»^{٤٢٥}، ولكنه يقصد بها ملكوته وسيادته التي تحققت وصارت فينا بحسب النعمة. وهو حينما قال هذا لم يصمت عن الحديث عن ألوهية ابن الله الأزلية التي هي أيضاً للآب. لأنه قد سبق وقال إنه قد سكب الروح علينا^{٤٢٦}، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء المصنوعة أن تُعطى الروح بسلطان، بل هو عطية الله. فالمخلوقات تتقدس بواسطة الروح، أما الابن فحيث إنه لا يتقدس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذى يُعطى الروح للجميع، لذلك فهو ليس مخلوقاً، بل هو ابن الآب الحقيقي. ورغم أنه هو واهب الروح، إلا أنه يُقال عنه أيضاً إنه قد صُنِعَ، وهذا يعنى أنه صُنِعَ رباً فيما بيننا من خلال بشريته، في حين أنه واهب الروح لأنه كلمة الله. لأنه كما كان ابناً على الدوام ولا يزال دائماً، فهو أيضاً رب وسلطان على الجميع، لكونه مثل الآب في كل شئ وله كل ما للآب كما قال هو نفسه^{٤٢٧}.

^{٤٢٥} مت ١٦: ١٦.

^{٤٢٦} أع ٢: ١٧.

^{٤٢٧} يوح ١٦: ١٥.

الفصل السادس عشر

مقدمة لشرح أمثال ٢٢:٨

«الرب قناني أول طريقه»

إن الابن ليس مخلوقاً

١٨. (تكملة) - هيا إذن فلنتأمل ما قيل في سفر الأمثال: «الرب قناني (خلقني) أول طريقه لأجل أعماله»^{٢٨}. رغم أننا إذ قد أوضحنا أن الكلمة ليس مصنوعاً، فهذا يدل أيضاً على أنه ليس مخلوقاً. فأن يُقال عنه إنه مصنوع هو نفس معنى أن يُقال عنه إنه مخلوق، لذا فإن البرهان على أنه غير مصنوع هو نفس البرهان على أنه ليس مخلوقاً. لهذا قد يُدهش البعض مما يخترعه هؤلاء من تبريرات لكفرهم، غير مستحين من البراهين التي أقمناها لكل نقطة على حدة. لأنهم قبل كل شيء، أخذوا يخدعون البسطاء بأسئلتهم مثل: «هل الكائن قد صَنَعَ من غير الموجود كائناً غير موجود أم كائناً موجوداً؟» وأيضاً «هل كان لك ابن قبل أن تلده؟». ولما اتضح أن كلامهم هذا فاسد وبلا أساس، أخذوا يخترعون هذا السؤال «هل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان؟» وبعد أن دحضت أفكارهم سرعان ما أضافوا «هل له إرادة حرّة؟ وهل طبيعته قابلة للتغير؟»^{٢٩}. ولكن بعد أن رفضت هذه أيضاً يقولون في الحال «صائراً أعظمَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِمَقْدَارٍ»^{٣٠}. وحينما دحضت الحقيقة هذا الإدعاء أيضاً، فهم الآن، وقد ساقوا كل تلك الأقوال معاً يظنون أنهم عن طريق لفظتي «مصنوع»، و «مخلوق» سيدعمون هرطقتهم. فإن هذا هو ما يعنونه

^{٢٨} (أم ٢٢:٨ سيعينية).

^{٢٩} انظر “ضد الآريوسيين”، المرجع السابق المقالة الأولى: الفصل العاشر.

^{٣٠} عب ١:٤.



أيضاً، فهم لم يتخلّوا عن خبثهم وسوء نيتهم، إذ هم يحوِّرون ويشكّلون هرطقتهم نفسها بأشكال متنوعة، لعلهم يستطيعون أن يخدعوا البعض عن طريق هذه الأشكال المتغيّرة، رغم أن كل ما سبق أن قلناه يثبت بطلان حجتهم. ولكن حيث إنهم ملأوا كل مكان بهذا القول المأخوذ من سفر الأمثال حتى يبدو هذا القول لدى كثيرين من الذين يجهلون العقيدة المسيحية أنه يعنى شيئاً ما، فإنه من الضروري أن نوضح هنا القول مثلما أوضحنا عبارة «كَوْنُهُ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ»^{٤٣١}، وبنفس الطريقة سنفحص لفظ «قنى» (خَلَقَ) كى يظهر للجميع أنهم في هذا الأمر - كما في غيره - لا يملكون شيئاً سوى الخيال.

١٩ - أولاً، يلزم أن نرى الإجابات التي أجابوا بها على المطوّب الذكر «الكسندروس»^{٤٣٢} في بادئ الأمر عندما ابتدعوا هرطقتهم، فقد كتبوا هكذا: «إنه مخلوق ولكن ليس واحداً من المخلوقات. إنه مصنوع ولكنه ليس واحداً من المصنوعات، إنه مولود ولكنه ليس واحداً من المولودين». إذن فليحذر كل واحد خبث هذه البدعة ودهائها، ذلك لأنها بعد أن عرفت مرارة انحرافها وضلالها، اضطرت أن تزين نفسها باستعمال ألفاظ تحتمل معاني مختلفة، فتقول «إنه مخلوق» وهذا ما تعتقده، ولكنها تظن أنها تستطيع أن تخفى ذاتها بقولها «ولكنه ليس كواحد من المخلوقات». فهم بكتاباتهم هكذا قد كشفوا كفرهم أكثر.

لأنه إن كان وفقاً لرأيكم أنه مخلوق، فكيف تتظاهرون بقولكم «لكن ليس كواحد من المخلوقات»؟ وإن كان هو «مصنوعاً» فكيف يكون «ليس كواحد من المصنوعات»؟ وفي كلامهم هذا يمكن أن نرى سم الهرطقة. لأنه

^{٤٣١} عب ٣: ٢.

^{٤٣٢} كان البابا ألكسندروس أسقفًا لكرسى الأسكندرية عندما ظهرت الهرطقة الآريوسية. وهو أول من تصدى لها. انظر المقدمة.



بقولهم «مولود» ولكن «ليس كواحد من المولودين» فإنهم يقدمون أبناء كثيرين ويقولون أن الرب أيضاً واحد من بينهم، فإنه حسب اعتقادهم ليس بعد «وحيد الجنس» بل إنه واحد بين أخوة عديدين، وإنه يسمى مولوداً وابتناً. فأيّة فائدة إذن من القول بأنه من ناحية مخلوق، ومن ناحية أخرى غير مخلوق؟ وأيضاً لو قلتم «ليس كواحد من المخلوقات» فإنى سأثبت أن مغالطتكم هذه خالية من الحكمة. فإنكم لا تزالون تقولون «إنه واحد من المخلوقات». والأشياء التي يمكن أن يقولها أحد الناس عن سائر المخلوقات، تفكرون بها أنتم هكذا عن الابن كجهلاء وعميان حقاً. فهل أى مخلوق من المخلوقات هو مثل الآخر حتى تتسبوا هذا للابن كشئ مُميز له؟ وكل الخليقة المريئة قد تكوّنت في ستة أيام، ففي اليوم الأول عمل النور الذي دعاه نهاراً، وفي اليوم الثاني كان الجلد، وفي اليوم الثالث بعد أن جمع الماء أظهر اليابسة، وأنبت فيها مختلف الثمار وفي اليوم الرابع صنع الشمس والقمر وكل النجوم، أما في اليوم الخامس فقد خلّق جنس الأحياء في البحر، والطيور في الهواء، وصنع في اليوم السادس ذوات الأربع التي على الأرض، وبعد ذلك الإنسان.

«لأنّ منذُ خلقِ العالمِ ثَرى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَا هَوْتُهُ مُدْرَكَةٌ بِالْمَصْنُوعَاتِ»^{٤٣٢}. فالنور ليس كالليل ولا الشمس كالقمر ولا غير العاقل كالإنسان العاقل، ولا الملائكة كالعروش، ولا العروش كالسلاطين، فكلها مخلوقات ولكن كل واحد حسب نوعه من المخلوقات، يوجد وَيَظَلُّ في جوهره الذاتي كما خلّق.



٢٠ - وعندئذٍ إما يُستثنى الكلمة من بين المصنوعات، وكخالق يُنسب إلى أبيه ويُعترف به أنه ابن بالطبيعة، أو أن يكون مجرد خليفة وعندئذٍ يُعترف به أن له وضعه الخاص الذي للمخلوقات الأخرى تجاه بعضها البعض. فليقل إذن عن كل هذه المخلوقات كما يُقال عنه، «خليفة ولكن ليس كواحد من المخلوقات. مولود أو مصنوع وليس كواحد من المصنوعين أو المولودين؟»، لأنكم قد قلتم إن «المولود» هو نفسه «المصنوع» عندما كتبتم: «مولود أو مصنوع». وبالإضافة إلى ذلك إن كان الابن يتفوق على سائر المخلوقات الأخرى بالمقارنة فإنه كمخلوق يظل مثل سائر المخلوقات. فإنه بالنسبة لتلك المخلوقات التي هي بطبيعتها مخلوقة، ممكن أن نجد البعض يتفوق على البعض الآخر «لأنَّ نَجْمًا يَمْتَّازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ»^{٤٢٤}. لأنه يوجد اختلاف بين سائر المخلوقات عند مقارنتها بعضها ببعض، ولكن ليس معنى هذا أن بعضها سادة، والبعض الآخر تخدم الأسمى منها، ولا يكون البعض علّة للمصنوعات والبعض الآخر ناتجاً منها. ولكن عموماً فإن جميع الأشياء لها طبيعة صائرة ومخلوقة، وكلها تعترف في ذاتها بخالقها كما يترنم داود: «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْفَلَكَ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»^{٤٢٥}. كما يقول أيضاً الحكيم زبابل: «كل الأرض تنادى والسماء تباركه، وكل المصنوعات تتزلزل وترتعد»^{٤٢٦}. فإن كانت الأرض تسبح الخالق والحق وتباركه وترتعد أمامه، وإن كان خالقها هو الكلمة، وهو ذاته يقول: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ»^{٤٢٧}، فتبعاً لذلك لا يكون الكلمة مخلوقاً، فهو الوحيد الذي من ذات الآب، والذي دبر كل الأشياء، وجميعها

^{٤٢٤} ١كو ١٥: ٤١.

^{٤٢٥} مز ١٩: ١.

^{٤٢٦} عزرا الأول ٣: ٣٦ (من الأسفار القانونية الثانية حسب النسخة اليونانية).

^{٤٢٧} يو ١٤: ٦.



تسبحه كخالق، كما يقول هو ذاته: «كنت عنده مدبراً»^{٤٣٨} و «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»^{٤٣٩}، إن تعبير «حتى الآن» يدل على أنه كائن ككلمة في الآب منذ الأزل، لأنه من خاصية الكلمة أن يعمل أعمال الآب ولا يكون خارجاً عنه.

٢١ - وإن كانت هذه الأشياء التي يعملها الآب يعملها الابن أيضاً، والأشياء التي يخلقها الابن هي مخلوقات الآب، ومع ذلك يكون عمل الابن هو عمل الآب وخلقها، فعندئذٍ إما سيصنع نفسه ويكون هو خالق نفسه (حيث إن الأعمال التي يعملها الآب هي الأعمال التي يعملها الابن)، وهذا أمر غير معقول ومستحيل. أو إن كان يخلق ويعمل مخلوقات الآب، فلا يمكن أن يكون هو عملاً ولا خليفة. لأنه إن كان هو علة خالقه، وفي نفس الوقت مصنوعاً = مخلوقاً (حسب قولكم) فإن هذا يجعل نفس الشئ يحدث في حالة المخلوقات كما حدث معه (أي تصير مخلوقة وخالقة في نفس الوقت) وإلا فإنه لا يكون قادراً أن يصنع على الإطلاق. لأنه كيف يكون قد صار من العدم - كما تقولون - ويكون في إمكانه أن يخلق ويجلب إلى الوجود الأشياء غير الموجودة؟ فإن كان وهو نفسه يقوم بالخلق، فمن الممكن أن يفهم أن هذا الأمر يحدث أيضاً لكل مخلوق حتى أنه يكون في وسع هذه المخلوقات أن تخلق. فإن كنتم تريدون أن يكون الأمر هكذا، فما الحاجة إذن إلى وجود الكلمة طالما أنه يكون في وسع المخلوقات الأقل منزلة أن تخلق المخلوقات الأسمى منها - أو إن كان في إمكان كل مخلوق - على وجه الإطلاق - أن يسمع مباشرة من الله منذ البدء «كن» و «فليُخلق»، وتكون هذه هي الطريقة التي تكونت بها سائر الأشياء ولكن هذا لم يُكتب، وليس ممكناً أن يُكتب هكذا لأنه ليس من الممكن أن يكون أحد المخلوقات علة خالقة، لأن كل الأشياء قد

^{٤٣٨} أم ٨: ٣٠ سيعينية.

^{٤٣٩} يو ١٧: ٥.



صارت بالكلمة، فلو كان الكلمة ذاته معدوداً بين المخلوقات كما كان في استطاعته أن يخلق كل الأشياء. بل ولا الملائكة أيضاً يستطيعون أن يخلقوا لأنهم هم أيضاً من بين المخلوقات^{٤٤٠}، حتى إن كان فالنتينوس^{٤٤١} وماركيون^{٤٤٢} وباسيليديس^{٤٤٣} يعتقدون بذلك وأنتم تتمثلون بهم. ولا الشمس لكونها مخلوق تستطيع أن تجلب إلى الوجود ما هو غير موجود، ولا يستطيع الإنسان أن يخلق إنساناً، ولا الحجر حجراً، ولا يتكاثر الخشب من خشب.

إنما هو الله «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبُطْنِ عَرَفْتُكَ»^{٤٤٤}. وهو الذي ثَبَّتَ الجبال، والذي ينمى الأشجار. أما الإنسان فلكونه قادراً على تحصيل المعرفة، فإنه يرتب هذه المادة ويصنفها، ويصنع أشياء من المادة الموجودة كما تعلم، ويكون راضياً بصناعته لها. ولأنه عرف طبيعة نفسه، فإنه عندما يحتاج إلى شيء، يعرف أن يطلبه من الله.

^{٤٤٠} عن حقيقة أن الملائكة من المخلوقات وبالتالي لا تستطيع فداء الإنسان انظر تَحْسُدُ الْكَلِمَةُ، المرجع السابق، فصل ٧/١٣.

^{٤٤١} فالنتينوس: يُعد من أبرز الكُتبة الغنوسيين وكثيراً ما كان يمزج ما هو شعري بما هو تأملي. وكان يعلم في روما بين سنتي ١٤٠، ١٦٠ م.

^{٤٤٢} ماركيون: هرطوقي عاش وعلم في القرن الثاني، رغم نشأته المسيحية إلا أنه اعتنق الفكر الغنوسي فيما بعد وأنكر العهد القديم وإنجيل لوقا ورسائل بولس الرسول.

^{٤٤٣} باسيليديس: هرطوقي غنوسي كان يعلم في ألكسندرية في أيام هادريان (١١٧ — ١٣٨ م).

^{٤٤٤} إر ١: ٥٠.



٢٢ - إذن فإن كان الله أيضاً يصنع ويشكّل شيئاً من المادة الموجودة سابقاً، كما تعلّم الفلاسفة اليونانية، فإن الله لن يُدعَ خالقاً بل فناناً، وهكذا فإن الكلمة سيعمل الأشياء بأمر من الله وفي خدمته^{٤٤٥}.

ولكن إن كان الله قد دعا الأشياء غير الموجودة إلى الوجود بواسطة كلمته الذاتى، فلا يكون الكلمة من بين الأشياء غير الموجودة والتي دُعيت (إلى الوجود)، وإلا فلنبحث عن كلمة آخر بواسطة دُعَى الكلمة نفسه أيضاً إلى الوجود - لأن كل الأشياء غير الموجودة قد صارت بالكلمة. وإن كان الآب يخلق ويصنع به، فلا يكون هو نفسه من بين الأشياء المخلوقة والمصنوعة، بل بالأحرى هو كلمة الله الخالق، ومن الأعمال الآب التى يعملها هو ذاته، يُعرف أنه «في الآب والآب فيه»، وأن «من رآه فقد رأى الآب»^{٤٤٦}، وذلك بسبب أن جوهر الابن هو جوهر الآب ومماثل له في كل شئ. فكيف إذن يخلق به إن لم يكن هو نفسه كلمته وحكمته؟ وكيف يمكن أن يكون كلمته وحكمته إن لم يكن هو مولود جوهره الذاتى، ولا يكون واحداً من المخلوقات مثل الأشياء الأخرى؟ وإن كانت كل الأشياء قد صارت من العدم، وهي كائنات مخلوقة، وإن كان الابن - حسب معتقداتهم - هو واحد من بين المخلوقات التى لم تكن موجودة في وقت ما، فكيف يكون هو وحده الذي يُعلن الآب وهو وحده الذي يعرفه؟

لأنه إن كان ممكناً له أن يعرف الآب بالرغم من كونه مخلوقاً، فإن جميع المخلوقات أيضاً إذن يمكنها أن تعرف الآب، بحسب قياس المخلوقات، لأن جميع المخلوقات أيضاً مصنوعة مثله. وإن كان من غير الممكن للمخلوقات أن ترى الآب

^{٤٤٥} وفي موضع آخر يؤكد القديس أناسيوس على حقيقة أن الله يخلق كل شئ بالكلمة من العدم وليس من مادة موجودة.

انظر كتاب «تجسّد الكلمة»، المرجع السابق فصل ٥ فقرة ٣.

^{٤٤٦} يوحنا ١٤: ٩.



وتعرفه لأن هذه الرؤية وهذه المعرفة تعلو على مستوى جميع المخلوقات، فאלله نفسه قد قال: «لأنَّ الإنسانَ لا يَرَانِي وَيَعِيشُ»^{٤٤٧}. أما الابن فقال: «وَلَا أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلَّا الابْنُ»^{٤٤٨}. إذن فإن الكلمة مختلفة عن المخلوقات، وهو وحده الذى يعرف الآب ويراه كما قال «لَيْسَ أَنَّ أَحَدًا رَأَى الآبَ إِلَّا الَّذِي مِنَ اللَّهِ»^{٤٤٩}، وأيضاً «ليس أحد يعرف الآب إلا الابن». وإن كان هذا لا يروق لآريوس، فكيف إذن عرفه (أى عرف الآب) هو وحده إن لم يكن هو نفسه من ذات الآب؟ وكيف يمكن أن يكون من ذات الآب لو كان مخلوقاً ولم يكن ابناً حقيقياً منه؟ لأنه يجب ألا نملّ من تكرار نفس الأقوال المتعلقة بالتقوى مراراً^{٤٥٠}. ولذلك فإنه يعدّ تجديفاً أن يعتقد أحد بأن الابن هو واحد من بين جميع المخلوقات. وأنه من التجديف والغباء أن يُقال «مخلوق ولكنه ليس كواحد من المخلوقات» و «مصنوع ولكنه ليس كواحد من (المصنوعات)»، و«مولود ولكنه ليس كواحد من بين المولودين». لأنه كيف لا يكون واحد من بين تلك المخلوقات لو أنه من وجهة نظرهم لم يكن موجوداً قبل أن يُولد؟ لأن خاصية المخلوقات والمصنوعات هي أنها تكون غير موجودة قبل أن تُخلق، وأنها تُوجد من العدم، حتى لو كانت هناك فروق بين المخلوقات بسبب اختلافها في المجد، فإن هذا الفرق بين الواحد والآخر يوجد في جميع المخلوقات ويتضح في كل المراتب.

^{٤٤٧} خر ٢٠: ٣٣.

^{٤٤٨} مت ٢٧: ١١.

^{٤٤٩} يو ٤٦: ٦.

^{٤٥٠} يُفضل القديس أناسيوس تكرار المعنى الذي يريد توضيحه باستخدام طرق متعددة من شرحه وهو ينه القارئ دائماً إلى عملية التكرار. انظر فصل ٨٠ وأيضاً تحسّد الكلمة، المرجع السابق فصل ٢٠/٣.



٢٣ - ولكن إن كان الهراطقة يحسبون الابن «مخلوقاً أو مصنوعاً ولكن ليس كواحد من المخلوقات» بسبب تفوقه عنها في المجد، لكان من الواجب أن تظهره الأسفار المقدسة وتميزه في درجة أسمى بالمقارنة بالمصنوعات الأخرى، فمثلاً كان يجب أن يُقال إنه أعظم من رؤساء الملائكة، وأنه أكثر كرامة من العروش، أو أكثر بهاءً من الشمس والقمر، وأعظم أيضاً من السموات. ولكن الواقع أن الكتب المقدس لا تذكره هكذا، بل إن الآب يُظهره أنه ابنه الذاتي والوحيد بقوله: «أَنْتَ ابْنِي»^{٤٥١}، و «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرَرْتُ»^{٤٥٢}. ولهذا صارت «الملائكة تخدمه»^{٤٥٣}. حيث إنه كان مختلفاً عنهم وهم يسجدون له ليس لكونه أعظم منهم في المجد، بل لأنه مختلف تماماً عن جميع المخلوقات بما فيهم أولئك الملائكة، لأنه بحسب الجوهر هو الابن الوحيد الذاتي للآب. فلو كانوا يسجدون له لمجرد أنه متفوق في المجد لكان من الواجب على كل كائن من الكائنات الأدنى أن يسجد للأسمى منه. لكن ليس الأمر هكذا، لأن المخلوق لا يعبد مخلوقاً آخر، بل أن العبد يعبد الرب، والمخلوق يعبد الله. لذا فعندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس، منعه الرسول بطرس قائلاً: «أَنَا أَيْضاً إِنْسَانٌ»^{٤٥٤}. وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملاك في الرؤيا منعه الملاك قائلاً: «انْظُرْ لَا تَفْعَلْ! لِأَنِّي عَبْدٌ مَعَكَ وَمَعَ إِخْوَتِكَ الْأَنْبِيَاءِ، وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ أَقْوَالَ هَذَا الْكِتَابِ. اسْجُدْ لِلَّهِ»^{٤٥٥}. وتبعاً لذلك فإن السجود يكون لله وحده، وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا رغم أنهم يفوقون

^{٤٥١} مر ٢: ٧.

^{٤٥٢} مت ١٧: ٣.

^{٤٥٣} مت ١١: ٤.

^{٤٥٤} أع ١٠: ٢٦.

^{٤٥٥} رؤ ٩: ٢٢.



غيرهم في المجد. فهم جميعاً مخلوقات وليسوا من الذين يُسجد لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب. فعندما أراد منح أبو شمشون أن يقدم ذبيحة للملاك، منعه الملاك قائلاً: «لا تقدم لي بل لله»^{٤٥٦}. أما الرب فإنه يُسجد له من الملائكة لأنه مكتوب: «وَلَتُسْجَدَ لَهُ كُلُّ مَلَائِكَةِ اللَّهِ»^{٤٥٧}. ومن كل الأمم، كما يقول إشعياء: «مصر تعبت لأجلك، وتجار الأثيوبيين، ورجال سبأ طوال القامة إليك يعبرون، وسيكونون عبيداً لك»، ثم يقول: «ولك يسجدون وإليك يتضرعون قائلين فيك وحدك الله. لا يوجد إله سواك يارب»^{٤٥٨}. وعندما سجد له التلاميذ قبل منهم السجود وأخبرهم مَنْ يكون هو قائلاً: «أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَقُولُونَ لِأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ»^{٤٥٩}، وحينما قال له توما: «رَبِّي وَالْهَي»^{٤٦٠}، سمح له بهذا القول، وبالأحرى قبله ولم يمنعه. لأنه كما يقول سائر الأنبياء، وكما يترنم داود: «هو رب القوات»^{٤٦١}، و «رب الصاباؤوت» الذي تفسيره «رب الجنود» وهو إله حق ضابط الكل حتى ولو مزّق الآريوسيون ثيابهم بسبب هذا.

٢٤. فهو ما كان ليسجد له، أو تُقال عنه تلك الأقوال لو أنه كان من بين المخلوقات. ولكنه الآن حيث إنه ليس بمخلوق، بل هو المولود الذاتي لجوهر الله المعبود، وهو ابنه بالطبيعة، لذلك فإنه يُسجد له ويُؤمن به أنه إله وأنه رب الجنود وله السلطان، وهو ضابط الكل مثل الآب، لأنه هو نفسه قد قال: «كُلُّ مَا لِلآبِ

^{٤٥٦} قض ١٣: ١٦.

^{٤٥٧} مز ٧٦: ٧، عب ١: ٦.

^{٤٥٨} إش ٤٥: ١٤ سبئية.

^{٤٥٩} يو ١٣: ١٣.

^{٤٦٠} يو ٢٠: ٢٨.

^{٤٦١} مز ٢٣: ١٠.



هُوَ لِي»^{٤٦٢}. لأنه من خاصية الابن أن يكون له ما للآب، وأن يكون هكذا حتى أن الآب يُرى فيه، وأن جميع الأشياء تصير به، وأن خلاص الكل به يتم وفيه يتحقق.

الفصل السابع عشر

مقدمة لشرح أمثال ٨: ٢٢

«الرب قناني أول طريقه»

تابع : أن الابن ليس مخلوقاً

وجيد هنا أن نسألهم هذا السؤال أيضاً لكي يكون دحض هرطقتهم أكثر وضوحاً.

رغم أن «كل الأشياء» مخلوقة، وأصلها كلها من العدم وحتى الابن أيضاً - حسب فكرهم - مخلوق ومصنوع، وهو واحد من الأشياء التي لم تكن موجودة قط. فلماذا نجد في نفس الوقت، أنه هو ذاته قد صُنعت به كل الأشياء، «وَيَغَيِّرُهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٤٦٣}؟ أو لماذا، حينما يكون الحديث عن «كل الأشياء» لا يفهم أحد أن الابن محسوب بين كل الأشياء، وإنما يفهم أن المقصود هو المخلوقات فقط؟ في حين أنه عندما تتحدث الكتب المقدسة عن الكلمة، فهي لا تعنى أنه معدود بين «كل المخلوقات»، بل تضعه مع الآب، إذ أن الآب يعمل ويحقق به العناية والخلاص للكل. فحسب فكرهم فإن نفس كلمة الأمر التي بها قد صارت كل الأشياء يمكن أن يوجد بها الابن أيضاً من الله وحده. ولكننا نقول إن الله لا يتعب من إصدار الأوامر ولا يضعف من خلق الأشياء كلها حتى يخلق الابن وحده فقط (كما يقولون)، وحتى بحسب احتياجه إليه كخادم ومعين لأجل خلق الأشياء

^{٤٦٣} يو ١: ٣.



الأخرى. لأن الله لا ولن يؤجل شيئاً مما يريد أن يصير، بل إنه فقط قد شاء، وكما شاء صار الكل في الحال، ولأن أحد لا يستطيع أن «يقاوم مشيئته»^{٤٦٤}.

إذن، لماذا لم توجد كل الأشياء إلاّ بأمر الله، ذلك الأمر الذي به قد وُجِدَ الابن أيضاً (حسب فكرهم) أو فليقولوا: لماذا قد صارت به كل الأشياء بالرغم من أنه هو أيضاً صائر؟ فيالحماقتهم عندما يقولون عنه: «إن الله عندما أراد أن يُوجد طبيعة مخلوقة، ورأى عدم قدرتها على احتمال لمسة يد الآب الشديدة، فإنه يصنع ويخلق أولاً واحداً مفرداً فقط، ويسمّيه ابناً وكلمة، كى عن طريقه كوسيط، يُوجد به كل الأشياء أيضاً». وهم لا يقولون هذا وحسب، بل أيضاً تجاسروا وكتبوا بيد كل من يوسيببوس وآريوس وأستيوريوس مقدم الذبائح (للاوثان).

٢٥ - أليس هذا برهان كافٍ على الكفر الذى مزجوا أنفسهم به بجنون متناه، وهم لا يستحون هكذا من أن يهذوا كالسكارى ضد الحق؟ لأنهم إن كانوا يؤكّدون أن الله قد صنع الابن فقط بسبب أنه تعب من خلق كل الأشياء الأخرى، فإن كل الخليقة ستصرخ^{٤٦٥} هازئة بهم باعتبار أنهم يقولون أشياء غير لاثقة بالله. أما إشعياء فقد كتب قائلاً: «الله الأبدى الذى صاغ أطراف الأرض لا يجوع ولا يكل. وليس هناك فحص لفهمه»^{٤٦٦}. أما إن كانوا يقولون إن الله يستكف أن يخلق الأشياء الأخرى، لهذا فقد صنع الابن فقط، وسلّم خلقه الأشياء الأخرى للابن كمساعد، فإن هذا يكون غير لائق بالله لأن ليس عند الله كبرياء. وهؤلاء يخجلهم الرب الذى في السموات عندما يقول: «أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ،

^{٤٦٤} انظر رومو ١٩:٩.

^{٤٦٥} استخدم القديس أناسيوس فعل «تصرخ» لوصف شهادة الخليقة على عظمة عمل الله فيها. انظر ضد الوثنيين فصول ١/٤، ٢٧/٣، ٣٤/٤، «تَحَسُّدُ الْكَلِمَةِ»، المرجع السابق ٣٢/٢.

^{٤٦٦} إيش ٤٠:٤٨ سبعينية.



وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ؟^{٤٦٧} ويقول أيضاً: «لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلَا لِأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّبَاسِ؟ أَنْظَرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ: إِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَجْمَعُ إِلَى مَخَازِنَ، وَأَبُوكُمُ السَّمَاءِيُّ يَقُوتُهَا. أَلَسْتُمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلَ مِنْهَا؟ وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعاً وَاحِدَةً؟ وَلِمَادَا تَهْتَمُّونَ بِاللَّبَاسِ؟ تَأَمَّلُوا زُنَاقَ الْحَقْلِ كَيْفَ تَنْمُو! لَا تَتْعَبُ وَلَا تَغْزُلُ. وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ عُشْبُ الْحَقْلِ الَّذِي يُوْجَدُ الْيَوْمَ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التُّورِ يَلْبَسُهُ اللَّهُ هَكَذَا، أَفَلَيْسَ بِالْحَرِيِّ جَدًّا يَلْبَسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الْإِيمَانِ؟^{٤٦٨}»

فإن لم يكن من غير اللائق بالله أن يعتنى بأصغر الأشياء إلى هذه الدرجة، مثل شعرة الرأس والعصفور، وعشب الحقل فإنه لا يكون من غير اللائق أن يخلق هذه الأشياء لأن الأشياء التي هي موضع عنايته، هي نفسها التي يكون هو خالقها بكلمته الذاتية. فإما أن تكون كل الأشياء ومعها الابن قد خلقت من الآب، والذين يقولون هكذا يواجهون سخافة وبطلاً شديدين، لأنهم لا يفرقون بين المخلوقات وبين عمل الخلق، ويعتبرون أن الخلق هو عمل الآب، بينما يعتبرون الأعمال (المخلوقات) أنها عمل الابن، وإما إن كانت كل المخلوقات قد خلقت بالابن - فينبغي ألا يُقال إن الابن واحد من بين المخلوقات.

٢٦ - ومن ثمَّ يكون من الممكن دحض حماقاتهم هكذا: فحتى لو كانت طبيعة الكلمة مخلوقة، فطالما يستحيل على هذه الطبيعة أن تُخلق مباشرة من الله، فكيف استطاع الابن وحده من بين جميع المخلوقات أن يُخلق من جوهر الله غير

^{٤٦٧} مت ٢٩: ١٠.

^{٤٦٨} مت ٢٥: ٦-٣٠.



المخلوق والفائق النقاء كما تقولون أنتم؟ فالضرورة تقتضى أنه إن كان الكلمة يستطيع ذلك فكل الطبيعة المخلوقة تستطيع ذلك أيضاً. ولكن إذا لم يكن هذا فى استطاعة كل الطبيعة المخلوقة، فإن الكلمة نفسه أيضاً لا يستطيع ذلك لأنه - حسب فكركم - هو واحد من بين المخلوقات.

ومرة أخرى إن كانت الطبيعة بسبب عدم قدرتها أن تحتل فعل الخلق المباشر من الله، احتاجت إلى وجود وسيط، فالكلمة أيضاً لكونه مخلوقاً ومصنوعاً (حسب قولكم) فإنه يكون هو نفسه فى حاجة إلى وسيط لخلقه بسبب كونه واحداً من الطبيعة المخلوقة التى لا تستطيع أن تحتل فعل الله، بل يحتاج إلى وسيط. وحتى لو وُجد هناك وسيط للكلمة فستكون هناك حاجة مرة أخرى لوسيط آخر لهذا الوسيط وهكذا باستمرار البحث والتتقيب سنجد حشداً عارماً من الوسطاء، وبذلك يكون من المستحيل أن تقوم للخليقة قائمة. إذ انها ستحتاج دائماً إلى وسيط، وهذا الوسيط لن يستطيع أن يُوجد بغير وسيط آخر لأنهم جميعاً من طبيعة مخلوقة وهي التى لا تستطيع - كما تقولون أنتم - أن تحتل فعل الخلق الذى هو عمل الله وحده.

إذن، ما أكثر حماقاتهم التى تجعلهم يعتبرون الأشياء التى وُجدت أنها لا يمكن أن تُوجد. أو ربما يتصورون أنها لم تكن قد وُجدت ماداموا لا يزالون يطلبون وسيطاً. لأنهم بحسب كفرهم وفكرهم الغبى لا يكون ممكناً بالكائنات أن تُوجد حيث إنها لا تجد الوسيط.

٢٧ - ولكنهم أيضاً يدعون قائلين: «هوذا بواسطة موسى قد أخرج الله الشعب من مصر، وبواسطته أعطى الشريعة بالرغم من كونه إنساناً، حتى يكون ممكناً أن تصير الأشياء المماثلة بواسطة ما يماثلها». فكان ينبغى وهم يقولون هذا أن يخفوا وجوههم من الخجل الشديد، فإن موسى لم يُرسل لكي يخلق ولا لى يدعو إلى الوجود تلك الأشياء التى لم تكن موجودة.



من أجل ذلك، ففيما يخص الخلق، لا يوجد مَنْ يقوم به سوى كلمة الله فقط، لأن «كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٤٦٩}، و «وَيَغْيِرُهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٤٧٠}. أما فيما يخص الخدمة، فليس هناك واحد فقط، بل يوجد كثيرون يستطيع الرب أن يرسلهم متى أراد، فهناك كثيرون من رؤساء الملائكة وكثيرون هم العروش والسلاطين والسيادات، «أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدُمُهُ وَرَبَّوَاتُ رَبَّوَاتٍ وَقُوفٌ قُدَّامَهُ»^{٤٧١}، وهم على استعداد أن يُرسلوا. وهناك أنبياء كثيرون واثني عشر رسولاً وبولس، بل وموسى أيضاً لم يكن وحده بل كان معه هارون أيضاً، وبعد ذلك كان معه «سبعون آخرون امتلأوا بالروح القدس»^{٤٧٢}. وموسى خَلَفَهُ يشوع ابن نون، وهذا خَلَفَهُ القضاة، وهؤلاء لم يخلفهم واحد بل كثيرون.

فلو كان الابن إذن مخلوقاً، وواحدًا من المخلوقات لكان من اللازم أن يكون هناك أنبياء كثيرون مثله، لكي يكون لله أيضاً خدام كثيرون من هؤلاء، كما أن له جمعاً غفيراً من أولئك الآخرين. وإن لم يكن في الإمكان أن يرى أحد هذا الرأي، فإن الكلمة واحد، لكن المخلوقات كثيرة. من هؤلاء لا يُفهم أن الابن يتميز على الجميع، وليس له أى وجه شبه بالمخلوقات، بل هو من ذات الآب. من أجل ذلك فلا يوجد عدد كثير من الكلمات، بل هناك كلمة واحد للآب الواحد، وصورة واحدة للإله الواحد. وهم يقولون: «ها هي شمس واحدة فقط وأرض واحدة». يا لهم من حمقى! فليقولوا أيضاً إن الماء واحد والنار واحدة، لكي نجيبهم بقولنا إن كل مخلوق بين المخلوقات هو واحد بحسب جوهره الخاص. أما من جهة الخدمة والعمل

^{٤٦٩} مز ١٠٤: ٢٤.

^{٤٧٠} يو ٣: ١.

^{٤٧١} انظر دا ١٠: ٧.

^{٤٧٢} عد ٢٥: ١١.



الموكلين إليه فليس كل مخلوق بمفرده كفاء ولا كافياً، لأن الله قال: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتَفْصِلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ، وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ»^{٤٧٣}. ثم قال: «فَعَمِلَ اللَّهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الْأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ، وَالنُّورَ الْأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ وَالنُّجُومِ. وَجَعَلَهَا اللَّهُ فِي جَلَدِ السَّمَاءِ لِتُثِيرَ عَلَى الْأَرْضِ وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ»^{٤٧٤}.

٢٨ . ها هي كواكب كثيرة: وليس فقط الشمس وحدها ولا القمر وحده، بل كل منهما واحد بحسب جوهره، إلا أن خدمة الكل واحدة ومشاركة وما ينقص الواحد يكمله الآخر. وهكذا يشترك الكل في سد الحاجة إلى النور. فالشمس لديها السلطان أن تظهر في فترة النهار فقط، والقمر خلال الليل، أما النجوم فيتم بها مع الشمس والقمر الفصول والسنين، فتكون لآيات^{٤٧٥} حسب الاحتياج المطلوب من كل منها. والأرض أيضاً ليست لكل شئ، بل للثمار وحدها، ولكي تكون موطناً للحيوانات التي تمشي عليها. أما الجلد فهو الذي يفصل بين مياه ومياه: لكي يكون مكاناً للكواكب. وهكذا كل من النار والماء قد صار مع كل الأشياء الأخرى لأجل تكوين الأجسام. وعموماً فليس هناك شئ واحد قائماً بمفرده. بل كل واحد من المخلوقات كما لو كان مع بقية المخلوقات كأعضاء بعضها لبعض، يشكّلون العالم معاً كأنه جسد واحد.

فإن كانوا يفترضون أن الابن أيضاً هكذا، فإنهم يستحقون أن يُرجموا من جميع الناس. لأنهم يظنون أن الكلمة جزء من الكل، جزء لا يكفي بدون الأشياء الأخرى أن يقوم بالخدمة المسلّمة له. فإن كان هذا كفر واضح، فدعهم يعترفون

^{٤٧٣} تك ١: ١٤.

^{٤٧٤} تك ١: ١٦-١٨.

^{٤٧٥} انظر تك ١: ١٤.



أن الكلمة ليس معدوداً بين المخلوقات، بل هو كلمة الآب الوحيد، الذاتى وهو خالق المخلوقات ولكنهم قالوا عنه: «إنه مخلوق ومعدود بين المخلوقات، وقد تعلّم فن الخلق كما من معلّم وفَتَى، وهكذا خدم الله الذى علّمه». لأن أستيريوس السفسطائى قد تجاسر على كتابة هذه الأقوال مثلما تعلّم أن ينكر الرب غير مُدرك للحماقة التى تترتب عليها. لأنه إن كان الخلق شئ يمكن أن يُكتسب بالتعليم، فليحذروا أيضاً لئلا يقولوا عن الله نفسه أنه ليس خالقاً بالطبيعة بل بالتعليم، فتكون النتيجة أنه يمكن أن يفقد خاصيته كخالق. وعلى ذلك فلو حصل حكمة الله على الخلق بالتعليم، فكيف يكون حكمة إن كان لا يزال فى حاجة إلى دروس؟ وماذا كان حاله قبل التعلّم؟ فإن كان ينقصه التعليم فإنه لا يكون حكمة، بل يكون شيئاً فارغاً، وليس حكمة بجوهره، ويكون قد اتخذ اسم الحكمة عن طريق الترقى ويظل هكذا حكمة على مدى الوقت مادام يحتفظ بما قد تعلّمه. فالذى لا يوجد فى طبيعة شخص ما، بل يكتسبه من خلال التعلّم فمن المكن أيضاً أن يُفقد فى وقت ما. ولكن من يقول مثل هذا الكلام عن كلمة الله فليس من بين المسيحيين، بل من بين الوثنيين.

٢٩ - لأنه إن كان عمل الخلق يمكن اكتسابه بواسطة التعلّم فإن عديمى العقل هؤلاء يقولهم هذا ينسبون الحسد والضعف إلى الله. فمن ناحية ينسبون إليه الحسد لأنه لم يعلّم الخلق لكثيرين، لكى مثلما يوجد كثيرون من الملائكة ورؤساء الملائكة، هكذا يوجد حوله أيضاً خالقون كثيرون. ومن ناحية أخرى ينسبون له الضعف لأنه عجز عن أن يقوم بالخلق وحده، بل احتاج إلى معين أو خادم وذلك بالرغم من البرهنة على أن الطبيعة المخلوقة يمكن أن توجد من الله وحده، إذ هم يقولون إن «الابن مخلوق وقد صار من الله وحده». ولكن الله ليس فى حاجة



إلى أحد ، حاشا لله . لأنه هو قال : «إني ممتلئ»^{٤٧٦} . والكلمة لم يصّر خالقاً ، بل إذ هو صورة الآب وحكمته فإنه يعمل أعمال الآب . والآب لم يجعل الابن من أجل عمل المخلوقات ، لأنه هوذا رغم وجود الابن يظل الآب عاملاً أيضاً كما يقول الرب نفسه «أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الْآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ»^{٤٧٧} .

فإن كان الابن قد وُجد - حسبما تقولون - لكي يخلق الأشياء التي جاءت بعده ، ومع ذلك يُرى الآب عاملاً حتى بعد وجود الابن ، فإن وجود مثل هذا الابن يكون - بحسب قولكم - لا لزوم له . وإلّا فلماذا يبحث الآب عن وسيط عندما شاء لأن يخلقنا كما لو أن مشيئته لم تكن كافية لخلق ما يبدو له حسناً؟ مع أن الأسفار المقدسة تقول : «كُلُّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ»^{٤٧٨} وأيضاً «مَنْ يُقَاوِمُ مَشِيئَتَهُ»^{٤٧٩} . لو أن مشيئته وحدها كانت كافية لخلق كل الأشياء ، فإن مرةً أخرى تكون حاجته لوسيط - وفقاً لقولكم - من نافلة القول . ولذا فإن المثل الذي تضربونه عن موسى وعن الشمس والقمر يتضح أن لا أساس له . وبناء على ذلك فإن هذا القول يلجم ألسنتكم . فإن كان الله - حسبما تعتقدون - عندما أراد أن يخلق الطبيعة المخلوقة وقد عقد العزم على ذلك - خطط أن يخلق الابن أولاً لكي يخلقنا بواسطته ، فتأملوا واعتبروا أي قدر من الكفر قد تجاسرتم أن تتطقوا به .

٣٠ - فبحسب كلامكم يظهر أولاً أن الابن قد جُعل من أجلنا ، ولسنا نحن من أجله ، بمعنى أننا لم نُخلق لأجله ولكنه قد صُنِعَ من أجلنا ، وبذلك يكون هو مديناً بالفضل لنا ولسنا نحن المدينين له ، كوضع المرأة بالنسبة للرجل . فالكتاب

^{٤٧٦} إيش ١: ١١ سبعينية .

^{٤٧٧} يو ٥: ١٧

^{٤٧٨} مز ١٣٥: ٦

^{٤٧٩} رو ٩: ١٩



يقول: «لأنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ»^{٤٨٠}. ولذلك إذن «فإنَّ الرَّجُلَ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدُهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ»^{٤٨١}. وهكذا فنحن صورة الله، وقد صرنا من أجل مجده، أما الابن فيكون - على أساس كلامهم - هو صورتنا وأنه وُجدَ من أجل مجدنا، ونحن قد جُعِلنا لكي نُوجد. أما كلمة الله - حسب اعتقادكم - فإنه لم يُجعل لكي يوجد، بل قد جُعِل ليكون أداة لأجل وجودنا حتى أننا لم نتكوّن منه بل هو الذي قد تكوّن لأجل وجودنا. أليس الذين يفكرون بهذه الأفكار يفوقون كل جنون وحماسة؟ لأنه لو أن الكلمة قد صار من أجل وجودنا فلا يكون سابق علينا سوى الله، لأن الله (في هذه الحالة) لم يخطط بخصوص وجودنا والكلمة كائن في داخله، ولكنه خطّط لأجل وجود كلمته. كما يقولون - ونحن في داخله. فلو كان الأمر كذلك، فلربما لم يكن الآب يريد الابن على وجه الإطلاق، لأنه خلقه - حسب قولكم - لا لأنه كان يريد بل لأنه كان يريدنا نحن، فقد خلقه من أجلنا، لأنه خطّط لوجوده بعد أن خطّط لوجودنا معاً.

لذا فإنه حسب أفكار الكافرين يكون الابن الذي خُلِق لكي يكون أداة لا لزوم له. لأن الذين كان ينبغي أن يخلقهم كانوا موجودين بالفعل، فإن كان الابن وحده قد صار من الله مباشرة بسبب قدرته على احتمال ذلك، أما نحن فقد صرنا من الكلمة بسبب عدم قدرتنا، فلماذا لا يخطط الله بخصوص وجوده أولاً - وهو القادر (أي الابن) على احتمال ذلك، بل يخطط بخصوصنا؟ ولماذا لا يفضل القادر على غير القادرين؟ ولماذا حيث إنه قد صنعه أولاً، لا يخطط بخصوصه أولاً؟ أما إن كان يخطط بخصوصنا أولاً، فلماذا لا يصنعنا نحن أولاً؟، مادامت مشيئته كفيلة بتكوين الكل؟ بل يخلق ذاك أولاً ومع ذلك فهو يُخطّط أولاً بخصوص وجودنا،

^{٤٨٠} ١ كور ١١: ٩

^{٤٨١} ١ كور ١١: ٧



ويريدنا أولاً قبل الوسيط. وحينما يريد أن يخلقنا ويخطط بخصوصنا فإنه يسمينا مخلوقات. أما هذا الذى يخلقه من أجلنا فيسميه ابنًا ووارثًا ذاتيًا؟ فكان ينبغي بالأحرى أننا نحن الذين من أجلنا قد صنعه، أن يسمينا أبناء. ولكن بلا شك فلأنه هو ابنه فإنه يفكر فيه أولاً ويريده وهو الذى به صنعنا جميعاً. هذه هى إفرزات الهراطقة وتقيؤاتهم.

الفصل الثامن عشر

مقدمة لشرح : أمثال ٨ : ٢٢

«الرب قناني أول طريقه»

تابع : أن الابن ليس مخلوقاً

٣١. لا يجب الصمت عن مبدأ الحق بل في الواقع ينبغي النطق به بصوت عالي. لأن كلمة الله لم يصر من أجلنا بل بالحرى نحن قد صرنا من أجله. وبه خلقت الأشياء^{٤٨٢}. وليس بسبب ضعفنا نحن كان هو قوياً وصائراً من الأب وحده، لكي يخلقنا بواسطة كأداة! حاشا! فالأمر ليس كذلك. لأنه حتى لو لم يستحسن الله أن يخلق المخلوقات، فالكلمة مع ذلك كان عند الله وكان الله فيه. وكان في نفس الوقت من المستحيل أن تكون المخلوقات بغير الكلمة لأنها قد صارت به. وهذا هو الصواب. وحيث إن الابن هو الكلمة الذي له جوهر الله بالطبيعة، وهو منه وهو فيه كما يقول هو نفسه، لذلك لم يكن ممكناً أن تصير المخلوقات إلا به. لأنه مثلما ينير النور كل شئ بأشعته وبدون إشعاعه ما كان شئ قد أضاء، هكذا أيضاً فإن الله قد خلق كل شئ بالكلمة كما بواسطة يد، وبدونه لم يخلق شيئاً.

فعلى سبيل المثال كما ذكر موسى «وَقَالَ اللَّهُ لِيَكُنْ نُورٌ»^{٤٨٣}، و «لِيَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ»^{٤٨٤}، و «لِيُثْبِتِ الْأَرْضُ»^{٤٨٥}، و «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ»^{٤٨٦}. وترنم أيضاً داود القديس

^{٤٨٢} كور ١ : ١٦

^{٤٨٣} تك ١ : ٣

^{٤٨٤} تك ١ : ٩

^{٤٨٥} تك ١ : ١١

^{٤٨٦} تك ١ : ٢٦



«هو قال فصارت هو أمر فخلقت»^{٤٨٧}. أما أنه «قال» فليس كما يحدث في حالة البشر عندما يتكلم المرء يستمع خادم ما وبمجرد علمه برغبة المتكلم يسارع إلى التنفيذ والعمل، لأن هذا يختص بالمخلوقات. أما بالنسبة للكلمة فلا يليق أن يفكر أحد هكذا عنه. لأن كلمة الله خالق وصانع وهو نفسه مشيئة الآب. من أجل هذا لم يقل الكتاب الإلهي بأن المستمع سمع وأجاب فيما يخص الكيفية التي يريد أن تكون عليها المخلوقات، بل قال الله «ليكن» ثم أضاف «وكان هكذا»^{٤٨٨}.

لأن ما رآه الله حسناً وأراد، فعله الكلمة وأتمه في الحال. أما عندما أمر الله آخرين سواء ملائكة أو عندما كلم موسى، أو عندما أمر إبراهيم، عندئذ فإن الذي استمع أجاب. فقال الواحد «كيف سأعرف»^{٤٨٩}. وقال الآخر: «أقم آخر»^{٤٩٠} وأيضاً «فإذا قالوا لي: ما اسمُهُ؟ فَمَاذَا أَقُولُ لَهُمْ؟»^{٤٩١}. وقال الملاك لذكريا «هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ»^{٤٩٢}. وسأل الملاك الرب «يَا رَبَّ الْجُنُودِ، إِلَى مَتَى أَنْتَ لَا تَرْحَمُ أُورُشَلِيمَ»^{٤٩٣}، وكان ينتظر أن يسمع «كَلَامَ طَيِّبٍ وَكَلَامَ تَعَزِّيَّةٍ»^{٤٩٤}. لأن كل واحد من هؤلاء يوجد عنده الكلمة الوسيط^{٤٩٥} وحكمة الله العارف بمشيئة الآب. ولكن

^{٤٨٧} مز ٢٣: ٩

^{٤٨٨} تك ١: ٣، ٦، ١١، ١٥

^{٤٨٩} تك ٨: ١٥

^{٤٩٠} خر ١٣: ٤

^{٤٩١} خر ١٣: ٣

^{٤٩٢} زك ١٧: ١

^{٤٩٣} زك ١٢: ١

^{٤٩٤} زك ١٣: ١

^{٤٩٥} يقصد القديس أنثاسيوس بتعبير "الوسيط" أن كلمة الله قبل تجسده كان هو الذي يعلن مشيئة الله للملائكة والأنبياء

كما هو وارد في هذه الفقرة.



عندما يعمل الابن ويخلق لن يكون هناك سؤال وجواب . لأن الآب موجوداً في الكلمة والكلمة في الآب . بل تكفى المشيئة فيصير العمل. ولفظة «قال» هذه كُتبت من أجلنا لكي نعرف مشيئته. ومن ناحية أخرى فعبارة «كان هكذا» تشير إلى العمل الذي تمّ بواسطة الكلمة والحكمة، الذي وجد فيه أيضاً مشيئة الآب. ونفس التعبير «قال الله» يشير إلى الكلمة لأنه يقول «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالُكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٤٩٦} و«بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ»^{٤٩٧}. و «وَرَبُّ وَاحِدٌ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ»^{٤٩٨}.

٣٢. من هذا ندرك أن الآريوسيين لا يحاربوننا من أجل هرطقتهم، بل يستعرضون أنفسهم أمامنا وهم يحاربون الألوهة ذاتها. لأنه إن كان الصوت القائل «هَذَا هُوَ ابْنِي»^{٤٩٩} هو صوتنا لكان اللوم الذي يستحقونه منا قليل. ولكن إن كان الصوت هو صوت الآب والتلاميذ سمعوه، والابن نفسه أيضاً يقول عن ذاته «قبل كل الجبال ولدني»^{٥٠٠}، ألا يكونون بهذا يحاربون الله مثل العمالقة الأسطوريين ولسانهم نحو عدم التقوى « سيف ماضٍ » كما يقول المرنم لأنهم لم يخافوا صوت الآب، ولم يحترموا كلمات المخلص، ولم يطيعوا القديسين، حيث كتب أحدهم «الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»^{٥٠١}. و«الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ»^{٥٠٢}،

^{٤٩٦} مز ١٠٤ : ٢٤

^{٤٩٧} مز ٣٣ : ٦

^{٤٩٨} ١ كو ٨ : ٦

^{٤٩٩} مت ١٧ : ٥

^{٥٠٠} أم ٨ : ٢٥

^{٥٠١} عب ١ : ٣

^{٥٠٢} ١ كو ١ : ٢٤



وترثم آخر «لأنَّ عِنْدَكَ يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ. بِثُورِكَ تَرَى ثُوراً.»^{٥٠٢} ، و«كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٥٠٣}. ويقول الأنبياء: «فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ»^{٥٠٤}. ويقول يوحنا «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»^{٥٠٥}، ويقول لوقا «كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّاماً لِلْكَلِمَةِ»^{٥٠٦}. كما يقول داود أيضاً «أَرْسَلَ كَلِمَتَهُ فَشَفَاهُمْ»^{٥٠٧}. وكل هذه الأقوال تفضح الهرطقة الآريوسية في كل مكان، بل توضح أيضاً أزليّة الكلمة، وأنه من جوهر الأب وليس غريباً عنه. لأنه متى رأى أحدهم نوراً بغير إشعاع؟ أو من يجرؤ أن يقول إن «رسم الجوهر شيء آخر غير الجوهر»؟ وألا يكون قد أصيب بالجنون بدرجة كبيرة ذلك الذي يفكر أيضاً أن الله في وقت ما كان بلا كلمة وبلا حكمة؟

لأن الكتاب وضع مثل هذه الأمثلة، ومثل هذه الصور - نظراً لعجز الطبيعة البشرية عن إدراك الله - وذلك لكي يمكننا بقدر المستطاع أن نكون فكرة ولو طفيفة وباهتة. كما أن الخليفة فيها أمثلة كافية لمعرفة وجود الله وعنايته، «فإنَّهُ بِعِظَمِ جَمَالِ الْمَبْرُوءَاتِ يُبْصَرُ فَاطِرُهَا عَلَى طَرِيقِ الْمُقَايَسَةِ»^{٥٠٨}. ونحن نتعلم من المخلوقات دون أن نطلب منها أن تتطق، بل إذ نسمع الكتب المقدسة فإننا نؤمن، وبرؤيتنا لنظام جميع الأشياء وانسجامها فإننا نعرف أنه هو خالق جميع الكائنات

^{٥٠٢} مز ٣٦: ٩

^{٥٠٤} مز ١٠٤: ٢٤

^{٥٠٥} أ ١: ٤

^{٥٠٦} يو ١: ١

^{٥٠٧} لو ١: ٢

^{٥٠٨} مز ١٠٧: ٢٠

^{٥٠٩} حكمة ١٣: ٥



وربها وإلهها. وندرك عنايته المذهلة وسيادته على الكل. وهكذا نفس الحال بالنسبة لألوهية الابن، فإن ما سبق ذكره من أقوال يكفي كشاهد على ألوهيته. فيكون من نافلة القول أو بالأحرى من الجنون أن يشك أحد، ويسأل بطريقة هرطوقية: كيف يمكن أن يكون الابن أزلياً أو كيف يمكن أن يكون من جوهر الآب وليس جزءاً منه؟ لأن ما ينتج من شيء يعتبر جزء منه، وما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً^{٥١٠}.

٣٣. هذه هي أفكار الهرطقة الشريرة ومغالطاتهم. وبالرغم من أننا سبق أن توصلنا إلى دحض ما في تعاليمهم من هراء، فإن المعنى الدقيق للآيات والأمثلة التي وضعها الكتاب هي نفسها تدحض مجمل عقيدتهم النكراء. لأننا نرى أن الكلمة موجود دائماً، ووجوده هو من الآب ومن جوهره وليس عنده سابق ولاحق. ونرى أيضاً أن الإشعاع هو من الشمس وهو خاص بها، وأن جوهرها لا يتجزأ ولا ينتقص، بل هو كامل. والإشعاع بالغ حد التمام والكمال بغير أن ينتقص جوهر النور، بل أنه مولود حقيقى منه. وبالمثل نرى أن الابن ليس من خارج الآب، بل هو مولود منه وأن الآب يبقى كاملاً و«رَسْمُ جَوْهَرِهِ»^{٥١١}، كائن دائماً ومحتفظاً بمماثلة الآب ومطابقة صورته حتى أن من يراه يرى فيه الجوهر الذى هو رسم له. ومن فاعلية الرسم ندرك ألوهية الجوهر الحقيقية. لأن هذا هو ما علّم به المخلص نفسه عندما قال: «الآبُ الْحَالُ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ»^{٥١٢}، و«أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»^{٥١٣}، و«أَنَا فِي الآبِ وَالآبُ فِيَّ»^{٥١٤}.

^{٥١٠} ولهذا يُقال إن جوهر الله مثلث الأقانيم هو جوهر بسيط غير مركب لأن التركيب هو بداية التقسيم وأقانيم الثالوث هي أقانيم كاملة لأن ما يمكن تقسيمه لا يمكن أن يكون كاملاً.

^{٥١١} أي من الابن انظر عب ١: ٣.

^{٥١٢} يوحنا ١: ١٤، ١٠، ١٢.



لذلك فلندع الهرطقة المحاربة للمسيح تحاول أولاً أن تفصل بين مكونات الأمثلة الموجودة في المخلوقات، وتقول إن الشمس كانت يوماً بدون إشعاع، أو أن هذا الإشعاع ليس من ذات جوهر النور، أو أنه من ذاته ولكنه - بمنطق التجزئة - يعتبر جزءاً من النور. ودع الهرطقة أيضاً تفصل الكلمة وتقول إنه غريب عن العقل، أو أنه كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً، أو أنه ليس من جوهره الذاتى، أو أنه جزء من العقل قابل للتجزئة. أما بالنسبة إلى «الرسم» و«النور» و«القوة» فدع الهرطقة هكذا تفصلها كما فعلت بالنسبة للكلمة و«الإشعاع» وعندئذ فلتتخيل بخصوصها كما تشاء. فإن كان مثل هذا التهور مستحيلاً عليهم فكيف لا يكون من الجنون المطبق أن يقحموا أنفسهم عبثاً فيما هو أسمى من الأشياء المخلوقة وأعلى من طبيعتها، وهم بذلك يحاولون المستحيل؟

٣٤. لأنه إن كانت الأشياء المخلوقة والجسدية لها مواليد دون أن تكون أجزاء من الجواهر التى ولدت منها دون أن تتغير طبيعتها ولا تنتقص من جواهر والديها، فكيف لا يكونون قد أصيبوا بالجنون وهم يتصورون وجود التجزئة والتغير في إله حقيقى غير جسدى ناسبين الإنقسام إلى إله غير منحول وغير متغير لكى يبلبلوا مسامع البسطاء ويضلوهم عن الحق؟

لأن مَنْ ذا الذى يسمع كلمة ابن ولا يتبادر إلى ذهنه أنه من ذات جوهر الآب؟ ومَنْ - عندما سمع أثناء تعلّمه أصول الإيمان في المرحلة الأولى أن الله له ابن وأنه قد صنع كل الأشياء بواسطة كلمته الذاتى - لم يدرك هذا الأمر بنفس الطريقة التى نفهم بها نحن الآن. ومَنْ - عند ظهور هرطقة الأريوسيين الشائنة - لم يندهش حالما

٣٠ : ١٠ : ٣٠

١٤ : ١٠ : ١٠



سمع ذلك الكلام الذى يقولونه، حيث إنهم يرددون كلاماً مخالفاً للحق وينفتون تعاليمًا مغايرة لتلك التعاليم التى سبق بذرها منذ البداية؟ لأن ما بُذر منذ البداية فى كل نفس هو أن الله له ابن وهو الكلمة، والحكمة، والقوة، وهو صورته وبهاؤه، وتبعاً لهذا فهو كائن دائماً، وأنه هو من الآب وأنه المماثل، وأنه له أزليّة الولادة من الجوهر، ولا توجد هنا أيّة فكرة عن كونه مخلوقاً أو مصنوعاً. ولكن «وفيما الناس نياماً جاء عدوّه»^{١٥}، زرع زوان تقول إن الابن «مخلوق»، وأنه «كان هناك وقت لم يكن فيه موجوداً»، وأنه «كيف يمكن أن يكون؟». وعندئذ انتشرت هرطقة أعداء المسيح الأثيمة حالاً كالزوان وهى خالية من كل فكر قويم، وصاروا يطوفون مثل لصوص ويتجاسرون ويقولوا: «كيف يمكن أن يكون الابن كائناً مع الآب على الدوام؟» لأن الناس يصبحون أبناء من الناس بعد مضى فترة من الزمن، وإذ يبلغ الأب ثلاثين عاماً يبدأ الابن عندئذ ميلاده. وعلى العموم كل ابن إنسان لم يكن له وجود قبل أن يولد. ومرة يهملون: «كيف يمكن أن يكون الابن كلمة، أو أن يكون الكلمة صورة الله؟ لأن كلمة الناس تتكون من مقاطع وتدل فقط على مشيئة المتكلم، ثم تتوقف وتتلاشى فى الحال»^{١٦}.

٣٥ - إن أولئك إذن - كما لو كانوا قد نسوا البراهين التى سبق أن قيلت ضدهم - يورطون أنفسهم أيضاً فى أمور الكفر وعدم الإيمان شاغلين عقولهم بمثل هذه الأفكار. ولكن كلمة الحق تدحضهم هكذا: إن كانوا يجادلون بخصوص إنسان ما، فدعهم يفكرون بطريقة بشرية بخصوص كلمة هذا الإنسان وبخصوص ابنه. أما إذا كانوا يفكرون بخصوص الله خالق البشر فدعهم لا يفكرون بعد فى هذا الأمر بطريقة بشرية، بل يدركون أن له طبيعة أخرى أعلى من طبيعة البشر. لأنه مثلما يكون الذى يلد، هكذا يكون بالضرورة المولود منه



أيضاً. ومثلما يكون «أب الكلمة» هكذا يكون أيضاً كلمته. وعلى هذا فبما أن الإنسان يولد فى وقت ما. وحيث إن الإنسان قد وُجد من العدم، لذلك فإن كلمته تتوقف ولا تبقى. أما الله فهو ليس كالإنسان لأن هذا ما قاله الكتاب^{١٦}. لكنه «هو كائن»^{١٧}. وهو الموجود دائماً، ولهذا فإن كلمته أيضاً كائن وأزلي مع الآب مثل إشعاع النور.

وكلمة البشر تتكون من مقاطع وهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً، بل تعبر فقط عن قصد المتكلم. وبمجرد أن تخرج من الفم تضيع ولا تظهر بعد حيث إنها لم تكن موجودة إطلاقاً قبل أن ينطق بها، ولذلك فهى لا تحيا ولا تعمل شيئاً. وهى ليست إنساناً إطلاقاً. بل يحدث لها هذا - كما سبق أن قلت - لأن الإنسان الذى ولدها طبيعته نفسها من العدم. أما كلمة الله فهو ليس مجرد كلمة منطوقة مثلما قد يقول أحد، ولا هو همس كلمات. وليس «الابن» هو أمر صادر من الله، بل هو كإشعاع النور مولود كامل من كامل. ولهذا فهو الله كما أنه صورة الله. لأنه مكتوب «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{١٨}. فى حين أن كلام البشر لا يستطيع أن يعمل شيئاً، ولهذا فإن الإنسان لا يعمل بواسطة الكلمات، بل بيديه. لأن يديه لهما وجود أما كلمته ليس لها وجود فعال. لكن كلمة الله كما يقول الرسول: «لأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاحِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ

^{١٦} انظر يهوديت ٨: ١٦

^{١٧} انظر خر ٣: ١٤

^{١٨} يو: ١



قَدَامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيَّ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا»^{٥١٩}. فهو إذن خالق «وَيَغْيِرُهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٥٢٠}، ولا يمكن أن شيء يكون بدونه.

٣٦. فلا ينبغي إذن أن يتسائل أحد: لماذا لا يكون كلمة الله مثل كلمتنا نحن؟... لأن الله ليس مثلنا كما سبق القول. بل لا يجب التساؤل: كيف يكون الكلمة من الله؟ أو كيف يكون هو إشعاع الله؟، أو كيف يلد الله؟، وما هي طريقة ولادته؟ فإن مَنْ يجرؤ على مثل هذه الأقوال يكون مجنوناً. لأن هذا أمر لا يُنطق به، وهو خاص بطبيعة الله، ومعروف له ولابنه فقط لأن مَنْ يسأل هكذا يطلب تفسيراً بالكلام. لأنه يشبه مَنْ يسأل «أين الله؟» وكيف يكون الله؟، وما هو نوع طبيعة الآب؟ وكما أن مثل هذه الأسئلة تدل على عدم تقوى، وعلى جهل بالله، هكذا فإنه ليس من اللائق التجاسر بمثل هذه الأقوال عن ميلاد ابن الله، ولا أن يُقاس الله ورحمته بطبيعتنا وعجزنا.

ولا يحق لأحد أن ينحرف بفكرة بعيداً عن الحق. وإن كان أحد يرتبك وهو يفتش ويبحث في هذه الأمور، فلا يجب أن ينكر المكتوب. لأنه من الأفضل في حالة الارتباك أن نصمت ونؤمن، بدلاً من ألا نؤمن بسبب هذه الحيرة. ذلك لأن الذي يتحير يستطيع بطريقة ما أن يجد غفراً طالما أنه قد هدأ كلياً بعد أن تساءل. أما ذلك الذي - بسبب حيرته - يفكر في نفسه تلك الأفكار غير الملائمة، ويتكلم عن الله بأمور لا تليق به، فإن إدانته تكون بغير مغفرة بسبب تطاوله.

لأنه في مثل هذه الارتباكات يمكن للشخص أن يجد بعض الراحة بواسطة الكتب الإلهية حتى أنه من ناحية يمكنه أن يستوعب تلك الأقوال المكتوبة

^{٥١٩} عب ٤: ١٢، ١٣

^{٥٢٠} يو ٣: ١



استيعاباً صحيحاً، ومن ناحية أخرى يمكنه أن يتخذ من طريقة الكلام مثلاً له لأنه كما أن ما نقوله هو قولنا ونابع منا وليس عملاً ناتجاً من خارجنا. هكذا بالمثل أيضاً كلمة الله هو من ذات الله ونابع منه، وليس مصنوعاً، ومع ذلك فهو ليس مثل كلمة البشر، حيث إنه في مثل هذه الحالة سنضطر أن نفهم الله كإنسان.

لاحظ إذن أن كلام الناس كثير ومختلف ويزول كل يوم بسبب أن الكلام السابق لغيره لا يبقى بل يتلاشى. وهذا يحدث لأن الناطقين بهذا الكلام وأعمالهم زائلة، وأفكارهم تتلاحق وتتابع، وهم ينطقون الكلام وفقاً للأفكار التي يتفكرون بها ويتدارسونها أولاً بأول إلى أن يكون لديهم كلمات كثيرة، ولكن بعد هذه الكلمات الكثيرة لا يتبقى منها شيء إطلاقاً، لأنه بمجرد أن يكف المتكلم عن الكلام فسرعان ما يتلاشى. أما كلمة الله فهو واحد، وهو هو نفسه، كما هو مكتوب «إِلَى الْأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُبَيَّنَّةٌ فِي السَّمَاوَاتِ»^{٥٢١}. دون أن يتغير، وليس هو سابقاً أو لاحقاً لغيره، بل يبقى كما هو على الدوام. لأنه من المناسب، بما أن الله واحد فصورته أيضاً تكون واحدة، وكلمته أيضاً واحد، وكذلك أيضاً حكمته واحدة.

٣٧. ولهذا اتعجب أنه طالما أن الله واحد، فكيف يُدخل هؤلاء صوراً، وحكمات، وكلمات متعددة بحسب بدعهم واختراعاتهم، ويصرون على أن كلمة الآب الذاتى بالطبيعة هو غير الابن، وأنه بالكلمة قد صُنِعَ الابن أيضاً. أما مَنْ هو ابن بالحقيقة فيقولون عنه أنه كلمة بالاسم فقط، مثلما قيل إنه كَرَمَة، وطريق، وباب، وشجرة حياة. ويتشدقون أيضاً أنه يلقب بالحكمة بالاسم فقط، وأن



حكمة الآب هو حقيقة ذاتية أخرى مصاحبة له في الوجود بغير ولادة. والذي عن طريقه صنع الابن ودعاه حكمة أيضاً بحسب مشاركته في الحكمة. وهم لا يقتصرون في هذا على كلمات فقط، بل نجد أن آريوس صنف شعراً في كتابه «ثاليا»، واستريوس السفسطائي^{٥٢٢} كتب ما سبق أن قلناه هكذا: «للم يقل بولس المبارك أنه كرّز بالمسيح قوة الله وحكمة الله، بل «قوة الله وحكمة الله»، بدون أداة تعريف، وكرّز أن قوة الله الذاتية شيء آخر، وهي قوة الطبيعة الموجودة معه بغير ولادة، وأنها هي التي ولدت المسيح وخلقت العالم كله. وبخصوصها يعلم في رسالته إلى أهل رومية ويقول: «لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته»... وكما أنه لا يستطيع أحد أن يقول أن الألوهية المشار إليها هنا هي المسيح، بل هي ذات الآب، كذلك أظن أن قوته السرمدية وألوهيته ليست هي الابن الوحيد الجنس، بل الآب الذي ولدنا. ويعلم أنه توجد قوة أخرى وحكمة أخرى لله، وأنها هي التي تتضح من خلال المسيح. وبعد قليل يعلم استريوس نفسه: «إن قوته السرمدية وحكمته التي تعبّر عنها التأملات الحقيقية أنها بلا بداية، وإنها غير مولودة هي حتماً واحدة بذاتها. لأنه توجد قوات كثيرة قد خلقت واحدة فواحدة بواسطة الله، والتي من بينها المسيح هو البكر والوحيد الجنس، وجميعها - بطريقة مماثلة - تعتمد على من يمتلكها. فجميعها تدعى بحق قواته المخلوقة التي يستخدمها، كما يقول النبي أن الجراد الذي أرسل من الله بسبب الخطايا البشرية قد سماه الله ليس قوة، بل «قوة

^{٥٢٢} استريوس: ويسمى أيضاً استريوس الكيادوكي (ق٣-٤م) كان هرطوقياً تلميذاً مثل آريوس للوكيانوس مؤسس مدرسة إنطاكية ومن أوائل من كتب ضد تعاليم القديس أنثاسيوس ودفاعه عن ألوهية الابن.



عظيمة^{٥٢٣} . والمطوب داود فى كثير من مزاميره يحث ليس الملائكة فقط، بل القوات لتسبح الله^{٥٢٤} .

٣٨ . والآن ألا يكونون مستحقين لكل مقت لمجرد قولهم هذا؟ لأنه إن كان هو - بحسب ما يعتقدون - ليس ابناً بسبب ولادته من الآب ومن ذات جوهره، بل يسمى كلمة بسبب الأشياء المدركة، ويسمى حكمة بسبب الأشياء التى نالت حكمة، ويسمى قوة بسبب الأشياء التى اكتسبت قوة، فإنه بالتالى ينبغى أن يسمى ابناً بسبب أولئك الذين نالوا البنة. وربما حتى وجوده يكون بسبب الأشياء التى لها وجود، وذلك بحسب بدعتهم.

إذن، فمنَ يكون هو هذا؟ لأنه لن يكون هو واحداً من هذه الأشياء، حتى لو كانت هذه الأشياء هى أسماء له فقط، وكان له وجود خيالى فحسب، وكانت هذه الاسماء قد أُضيفت عليه بواسطتنا. بل بالحرى فإن هذا يُعتبر حماقة شيطانية قصوى، وربما أكثر من ذلك، لأنه يريدون أن يكونوا هم أنفسهم موجودين حتماً بينما يظنون أن كلمة الله هو موجود بالاسم فقط. فكيف لا تكون أقوالهم هذه عبارات متناقضة إذ يقولون إن الحكمة موجودة مع الآب، ولكنهم يرفضون أن تكون هذه الحكمة هى المسيح؟ ويقولون إنه توجد قوات خالقة وحكمات كثيرة، وأن الرب هو واحد من بين هذه، وهم يقارنونه «بالدودة»، و «الجرادة»^{٥٢٥}؟ وأيضاً أليسوا خبيثاء إذ أنهم حينما يسمعون ممناً أن الكلمة موجودة مع الآب، فإنهم يتذمرون محتجين ويقولون «ألستم بذلك تتحدثون عن اثنين غير مخلوقين؟» وهم

^{٥٢٣} انظر يوثيل ٢: ٢٥

^{٥٢٤} انظر مز ١٠٣: ٢١

^{٥٢٥} راجع فصل ٣٧.



أنفسهم عندما يتحدثون عن «حكيمته غير المخلوقة» لا يرون أن الاتهام الباطل الذي يوجهونه ضدنا إنما يتجه ضدهم؟.

فكيف إذن، لا تكون بدعتهم هذه حماقة بالغة أيضاً، وهى التى بمقتضاها يقولون أن «الحكمة غير المخلوقة» الموجودة مع الله هى الله نفسه؟ فإن الذى يشترك فى الوجود، لا يشترك فى الوجود مع نفسه، بل مع شخص ما، مثلما يقول البشيريون عن الرب أنه كان موجوداً مع التلاميذ، بمعنى أنه لم يكن موجوداً مع نفسه، بل مع التلاميذ، إلا إذا كانوا يقولون إن الله مركب، أى لديه حكمة مختلطة، أو متممة لجوهره، وهى أيضاً غير مخلوقة مثله وهؤلاء الهراطقة يقدمونها على أنها بديل لخالق الكون، وذلك لكى «يسقطوا عن الابن خاصية الخلق». لأنهم يتلاعبون بكل الأمور لكى لا يفكروا عن الرب باستقامة.

٢٩. فأين وجدوا فى الكتاب الإلهى إطلاقاً، أو ممن سمعوا أنه يوجد كلمة آخر غير الابن نفسه، لكى يشكّلوا مثل هذه الأقوال فى مخيلتهم؟ لأنه مكتوب «أَلَيْسَتْ هَكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَةَ؟»^{٥٢٦}. وجاء فى سفر الأمثال «سَأَعَلِّمُكُمْ كَلِمَاتِي»^{٥٢٧}. فإن هذه وصايا وأوامر قد تكلم بها الله للقديسين عن طريق كلمته الذاتى، الوحيد، الحق، والتى بخصوصها يقول المرنم «مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ شَرٌّ مَنَعْتُ رِجْلِي، لِكَيْ أَحْفَظَ كَلَامَكَ»^{٥٢٨}. وقد أوضح المخلص أن هذه «الكلمات» هى شىء آخر غيره هو ذاته، وذلك حينما يقول بنفسه «الْكَلَامُ الَّذِي أَكَلَّمُكُمْ بِهِ»^{٥٢٩}. فليست إذن مثل هذه «الكلمات» مواليد أو

^{٥٢٦} أر ٢٣: ٢٩

^{٥٢٧} أم ١: ٢٣

^{٥٢٨} مز ١١٩: ١٠١

^{٥٢٩} يو ٦: ٦٣



أبناء، ولا توجد كلمات خالقة بمثل هذا العدد، ولا صور للإله الواحد بمثل هذا العدد. وليس كثيرون صاروا بشرًا من أجلنا، وليس من بين العدد الكثير واحد صار جسدًا بحسب يوحنا، بل إن يوحنا بشرٌ به ككلمة الله الوحيد قائلًا: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» و «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ»^{٥٢٠}.

لهذا فإن شهادة الآب التي تؤكد أن الابن الوحيد، وشهادة القديسين الذين فهموا هذا ويقولون إن الكلمة واحد ووحيد الجنس، هذه الكلمات تشير إلى ربنا يسوع المسيح بمفرده وإلى وحدته مع الآب، وأن الأعمال التي قد صارت به إنما تشهد بنفس الأمور لأن «كل الأشياء» المنظورة وغير المنظورة «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٥٢١}.

إنهم لا يفكرون عن أى شخص أيًا كان، بل هم يصورون لأنفسهم كلمات وحكمات لم يشر الكتاب لا إلى اسمها ولا إلى عملها، بل هم وحدهم الذين يطلقون عليها هذه الاسماء. ويخترعون أفكارًا وظنونيًا معادية للمسيح ويسئون استخدام اسم «الكلمة» و «الحكمة». وإذا يصورون لأنفسهم أفكارًا أخرى ينكرون بها كلمة الله الحقيقي وحكمة الآب الحقيقية الفريدة. وهكذا فإن هؤلاء التعساء يسيرون فى إثر خطوات المانويين^{٥٢٢}، ذلك لأنهم وإن كانوا يرون أعمال الله فإنهم ينكرون الإله الكائن الوحيد والحقيقى، ويصورون لأنفسهم إلهاً آخر لا يستطيعون إثباته بأى عمل ولا بأية شهادة من الأقوال الإلهية.

^{٥٢٠} يو ١: ٤، يو ١: ٣

^{٥٢١} يو ١: ٣

^{٥٢٢}

المانويين: هم أتباع بدعة "مان" الذى كان فيلسوفًا ورسامًا مجوسيًا وقيل أنه أصبح مسيحيًا وعاش وعلم فى القرن الثالث (٢١٥-٢٧٧م)، وتعاليمهم هى خليط من المسيحية والوثنية.



٤٠. فإن لم يكن هناك من الأقوال الإلهية حكمة أخرى غير هذا الابن، وإن كنا لم نسمع من الآباء شيئاً مثل هذا، بل هم قد اعترفوا وكتبوا أن الحكمة موجودة أزلياً مع الآب حيث إنها هي وجوده الذاتى وخالقة العالم هذه - حسبما يقول الآباء - يلزم أن تكون هي الابن نفسه، وهو الموجود مع الآب أزلياً. فهي أيضاً خالقة كما هو مكتوب «كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعَتْ»^{٥٣٣}. ولأن استيريوس نفسه - كما لو كان قد نسى ما سبق أن كتبه - فإنه فيما بعد - ودون أن يقصد مثلاً فعل قيافا أيضاً - وقف ضد اليونانيين، لم يتكلم عن حكومات كثيرة ولم يسمها جرادة^{٥٣٤}، ولكنه أعترف بحكمة واحدة فقط عندما كتب ما يلي: لوحد هو الكلمة الإلهي، أما الكائنات العاقلة فهي كثيرة. ووحد هو جوهر الحكمة وطبيعتها، أما الأشياء الحكيمة والحسنة فهي كثيرةا وبعد قليل يقول أيضاً لمن هم أولئك الذين يستحقون أن يلقبهم هؤلاء بلقب أبناء الله فهم طبعاً لا يقولون عنهم أنهم كلمات لا أنه توجد حكومات أكثر، فإن هذا غير ممكن إذ أن الكلمة واحد. وقد ثبت أن الحكمة واحدة، ولا يمكن أن يوزع «جوهر الكلمة» على عدد كثير من الابناء ولا أن يعطى لهم لقب الحكمة.

إذن فليس من المستغرب أبداً أنه عندما يحارب الآريسيون ضد الحق فإنهم يصطدمون ببعضهم بعضاً، إذ تتعارض أفكارهم فيما بينها. فأحياناً يقولون أن الحكومات كثيرة، وأحياناً أخرى يقولون أن الحكمة واحدة وأحياناً يوحّدون بين الحكمة والجرادة، وأحياناً أخرى أنها غير موجودة مع الآب وأنها من ذاته. وأحياناً أخرى أن الآب واحد غير مخلوق. ومرة أخرى يقولون إن حكمته وقوّته غير مخلوقتين، وهم يحاربوننا لأننا نقول إن كلمة الله كائن دائماً، بينما هم أنفسهم

^{٥٣٣} مز ١٠٤ : ٢٤

^{٥٣٤} عن هذه التسمية انظر فقرة ٣٧، راجع أيضاً فقرة ٣٨.



يقولون إن الحكمة كائنة مع الله أزلياً، ويتناسون أقوالهم نفسها. وهكذا يعانون من الدوار فى الأمور، ذلك لأنهم اخترعوا ما لا وجود له وأنكروا الحكمة الحقيقية، مثلما فعل المانويون الذين ابتدعوا لأنفسهم إلهاً آخر وأنكروا الله الكائن حقيقة.

٤١. لكن فلتسمع الهرطقات الأخرى وليسمع المانويون^{٥٣٥} أن أب المسيح هو واحد، وهو رب الخليقة وصانعها بكلمته الذاتى. وعلى وجه الخصوص فليسمع أصحاب الجنون الآريوسى أن كلمة الله هو واحد، وهو الابن الوحيد والذاتى الحقيقى الذى هو من جوهره، وله وحدة الألوهة مع أبيه بلا انفصال كما قلنا مراراً وتكراراً. لأننا تعلمنا هذا من المخلص نفسه. ولو لم يكن الأمر كذلك فلماذا يخلق الآب بواسطته ويعلن نفسه بواسطته للذين يريدهم والذين ينير عليهم؟ أو لماذا يسمّى باسم الابن مع الآب عند إتمام المعمودية؟^{٥٣٦} فإن قالوا أن الآب غير كافٍ بذاته فيكون هذا التعبير كفراً، أما إن كان كافياً بذاته (لأنه من الصواب قول هذا) فما هو الاحتياج للابن لخلق العالم أو لإتمام المعمودية المقدسة؟ لأنه آية مشاركة هناك بين المخلوق والخالق؟ ولماذا يحسب المخلوق مع الخالق عند إنجاز كل الأشياء؟ أو لماذا تقولون إن الإيمان بخالق واحد وبمخلوق واحد هو إيمان مسلمٌ لنا؟ لأنه إن كان الأمر هكذا لكى نتحد نحن بالألوهة فما الحاجة إلى المخلوق؟ أما إن كان هذا بغرض أن نتحد مع الابن - وهو مخلوق حسب قولكم، يكون من غير اللازم - وفقاً لمعتقداتكم - ذكر اسم الابن عند إتمام المعمودية، لأن الله الذى تبناه وجعله ابناً قادراً أن يتبنانا ويجعلنا أبناء. ومن جهة أخرى فإن كان الابن

^{٥٣٥} انظر الشاهد رقم ٥١ فى هذا الفصل ص ٧٩.

^{٥٣٦} انظر مت ٢٨: ١٩.



مخلوقاً . ولأن طبيعة المخلوقات العاقلة هي واحدة . فليس باستطاعة مخلوق أن يقدم معونة لمخلوق آخر، حيث إن الجميع محتاجون لنعمة الله.

لقد تكلمنا فيما سبق عن الآية: «كل شيء به كان». وحيث إن سياق الحديث قد جعلنا نتحدث عن المعمودية المقدسة، فمن الضروري أن نقول . كما أعتقد وأؤمن . إن اسم الابن يسمى مع الآب ليس ببساطة ولا مصادفة. وذلك ليس لأن الآب غير كافٍ بذاته، بل حيث إن الابن هو كلمة الآب وحكمته فإنه موجود دائماً مع الآب، لأنه هو بهاءؤه. لهذا فمن المستحيل عندما يعطى الآب نعمة ألا يعطيها بالابن، لأن الابن موجود في الآب مثلما يوجد الشعاع في الضوء. وذلك ليس لأن الله معوذ أو ضعيف، بل كآب «بالحكمة أسَّس الأرض»^{٥٢٧}، وصنع كل الأشياء بالكلمة المولود منه، ويختتم على المعمودية المقدسة بالابن. وحيث يكون الآب هناك يكون الابن أيضاً، كما أنه حيث يكون النور هناك أيضاً يكون الشعاع. وأى عمل يعمل الآب فإنه يعمل بالابن، ويقول الرب نفسه «ما أرى الآب يصنعه أصنعه أنا أيضاً»^{٥٢٨}. وهكذا أيضاً عندما تُعطى المعمودية فإن مَنْ يعمِّد الآب يعمِّد الابن أيضاً، ومَنْ يعمِّد الابن فهذا يتم بالروح القدس.

وأيضاً عندما تتير الشمس قد يقول شخص إن الشعاع ينير، وذلك لأن النور واحد ولا يمكن أن يتجزأ ولا أن ينفصل الشعاع عنه. وهكذا أيضاً حيث يكون الآب أو يُسمَّى، وحيث إن الآب يسمَّى في المعمودية، فبالضرورة أن يسمَّى الابن أيضاً معه.

^{٥٢٧} أم ٣: ١٩

^{٥٢٨} انظر يو ٥: ١٩



٤٢ . ولذلك أيضاً عندما وعد القديسين تكلم هكذا: «وَالْيَهُ تَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنَزَلاً»^{٣٩}. وأيضاً «لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا.. كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»^{٤٠}. والنعمة المعطاه هي واحدة، وهي معطاه من الآب بالابن كما يكتب بولس في كل رسالة «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»^{٤١}. لأنه يلزم أن يكون النور مع الفجر وأن يُشاهد الشعاع في نفس الوقت مع نوره الخاص به. واليهود كذلك إذ أنكروا الابن فليس لهم الآب أيضاً، لأنهم تركوا «ينبوع الحكمة» كما قال باروخ^{٤٢} موبخاً إياهم، وأبعدوا عن أنفسهم الحكمة النابعة من هذا ينبوع أى ربنا يسوع المسيح. لأن الرسول يقول: «فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ»^{٤٣}. أما هم فكانوا يقولون «لَيْسَ لَنَا مَلِكٌ إِلَّا قَيْصَرٌ»^{٤٤}. وقد لقي اليهود ما يستحقونه من عقاب بسبب إنكارهم، فقد تلاشت مدينتهم وأفكارهم معها. أما هؤلاء الآريوسيون فإنهم يخاطرون بفقدان إتمام السرِّ وأعنى به المعمودية. لأنه إن كان إتمام السر يُعطى باسم الآب والابن وهم لا يقرون بأب حقيقى بسبب إنكارهم للابن الذى هو منه، الذى له الجوهر ذاته، منكبين الابن الحقيقى ويسمون لأنفسهم ابناً آخر، إذ أنهم يصيغونه فى مخيلتهم على أنه مخلوق من العدم، ألا يكون طقس المعمودية الذى يتممونه فارغاً تماماً وعديم الجدوى، إذ أن له مظهر خارجى، أما فى الحقيقة فإنه ليس له شىء يعين على التقوى؟ لأن الآريوسيين لا

^{٣٩} انظر يوحنا ١٤: ٢٣.

^{٤٠} انظر يوحنا ١٧: ٢١ و ٢٢.

^{٤١} روم ١: ٧، ١ كور ١: ٣، أف ١: ٢.

^{٤٢} انظر باروخ ٣: ١٢.

^{٤٣} ١ كور ١: ٢٤.

^{٤٤} يوحنا ١٩: ١٥.



يَعْمَدُونَ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ، بَلْ بِاسْمِ خَالِقٍ وَمَخْلُوقٍ، وَبِاسْمِ صَانِعٍ وَمَصْنُوعٍ. وَمِثْلَمَا يَخْتَلِفُ الْمَخْلُوقُ عَنِ الْإِبْنِ، هَكَذَا فَإِنَّ تِلْكَ الْمَعْمُودِيَّةَ الَّتِي يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ تَخْتَلِفُ عَنِ الْحَقِيقَةِ رَغْمَ أَنَّهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِأَنَّهُمْ يَسْمُونَ اسْمَ الآبِ وَالْإِبْنِ بِسَبَبِ كَلِمَاتِ الْكِتَابِ. فَلَيْسَ مَنْ يَقُولُ بِبَسَاطَةِ «يَا رَبِّ» هُوَ الَّذِي يُعْطَى الْمَعْمُودِيَّةَ، بَلْ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي مَعَ الْاسْمِ الَّذِي يَدْعُوهُ، عِنْدَهُ أَيْضًا إِيْمَانٌ مُسْتَقِيمٌ. لِهَذَا السَّبَبِ فَإِنَّ الْمَخْلُصَ لَمْ يَأْمُرْ فَقَطْ بِالْعِمَادِ، بَلْ قَالَ أَوَّلًا «تَلْمَذُوا» ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ «وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالْإِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»^{٥٤٥}، لِكَيْ يَأْتِيَ الْإِيْمَانُ الْمُسْتَقِيمُ مِنَ التَّعْلِيمِ وَمَعَ الْإِيْمَانِ يَأْتِيَ إِتِمَامُ الْمَعْمُودِيَّةِ.

٤٣ - وَهَنَّاكَ هَرَطَقَاتٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ^{٥٤٦} تَذَكُرُ الْأَسْمَاءَ فَقَطْ، وَلَكِنْ بَدُونَ اعْتِقَادَ مُسْتَقِيمٍ - كَمَا سَبَقَ أَنْ قِيلَ - وَبَدُونَ إِيْمَانِ سَلِيمٍ. وَلِذَلِكَ فَالْمَعْمُودِيَّةُ الَّتِي يَعْطُونَهَا عَدِيمَةُ الْجَدْوَى وَتَعُوزُهَا التَّقْوَى، حَتَّى أَنْ مَنْ يَعْمَدُونَهَا يَتَلَوُّثُ بِإِلْحَادِهِمْ بَدَلًا مِنْ أَنْ يُفْتَدَى. وَهَكَذَا الْوَثْنِيُّونَ أَيْضًا فَرِغَمَ أَنَّهُمْ يَنْطَقُونَ بِاسْمِ اللَّهِ بِشَفَاهِهِمْ، إِلَّا أَنَّهُمْ يَرْزَحُونَ تَحْتَ وَزْرِ الْإِلْحَادِ لَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْكَائِنَ بِالْفِعْلِ اللَّهُ الْحَقُّ أَبَا رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. وَالْمَانُويُّونَ أَيْضًا وَالْفَرِيْجِيُّونَ وَاتِّبَاعُ السَّامُوسَاطِيِّ، رَغْمَ أَنَّهُمْ يَسْتَخْدِمُونَ الْأَسْمَاءَ فَهَمْ لَيْسُوا أَقْلَ هَرَطَقَةٍ. وَهَكَذَا أَيْضًا كُلُّ الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ بِتَعَالِيمِ آريُّوسَ بَدْوَرِهِمْ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ قَرَأُوا الْكِتَابَ، أَوْ ذَكَرُوا الْأَسْمَاءَ إِلَّا أَنَّهُمْ هُمْ أَنْفُسُهُمْ يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ يَنَالُونَ الْمَعْمُودِيَّةَ بِوَاسِطَتِهِمْ. وَهُمْ أَكْثَرُ كُفْرًا وَإِلْحَادًا مِنَ الْهَرَطَقَاتِ الْآخَرَى وَفَوْقُونَهَا قَلِيلًا قَلِيلًا، وَيَعْطُونَهَا تَبْرِيرًا بِهِذَرِهِمْ وَثَرْتَرَتِهِمْ. لِأَنَّ هَذِهِ الْهَرَطَقَاتُ تَكْذِبُ عَلَى الْحَقِّ، وَذَلِكَ إِمَّا أَنَّهُ تَخَطَّى بِخُصُوصِ جَسَدِ الرَّبِّ

^{٥٤٥} مت ٢٨: ١٩

^{٥٤٦} يشير القديس أناسيوس في موضع آخر من كتاباته إلى هذه الهراطقات ويدعوها أساطيرًا، وذلك في مقابل التعليم الإلهي المستقيم. انظر تَجَسُّدُ الْكَلِمَةِ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، فَصْلُ ١/٣.



زاعمة أن الرب لم يتخذ جسده من مريم، أو أنه لم يحدث له موت إطلاقاً، ولم يصير إنساناً قط، بل أنه ظهر فقط كإنسان ولكنه لم يكن إنساناً حقيقياً، وظهر وكأن له جسداً دون أن يكون له جسد. وأنه ظهر كإنسان كما يبدو في حلم^{٥٤٧}. أما الآريوسيون فهم يكفرون بالآب ذاته لأنهم يجدفون على ألوهيته، رغم أنهم يسمعون الكتب تشهد لألوهة الآب في الابن كصورة له، ويقولون إن هذه الألوهة مخلوقة. وهذا القول «إنه لم يكن كائناً»، ينقلونه معهم في كل مكان مثل وحل في حقيبة، وينفثون هذا القول مثلما تنفث الحية سمها. ومن ثم إذن بما أن التعليم النابع منهم يثير الأشمئزاز والمقت، فإنهم في الحال يصنعون حماية بشرية كدعامة لجيفة هرطقتهم، حتى أن الساذج عندما يراها أو يقبلها وهو خائف مرتعد فإنه لا يدرك الهلاك المميت لأقوالهم الفاحشة وضلالهم. فكيف لا يكون الذين ضلوا بواسطتهم مستحقين للشفقة والثناء؟ وكيف لا يكون من الصواب ذرف الدمع السخين على هؤلاء؟، لأنهم يخونون منفعتهم الذاتية في سبيل خيال سريع للاستمتاع بملذات يفقدون بها رجاءهم الآتي؟ لأنهم لن يحصلوا على شئ مادام إيمانهم عند معموديتهم كان باسم غير الكائن^{٥٤٨}. وإذا يربطون أنفسهم بال مخلوق فلن ينالوا من المخلوق أية معونة. وإذ يؤمنون بمن هو مختلف عن الآب وغريب عن جوهره، فإنهم لن يتحدوا مع الآب طالما ليس لهم الابن الذاتى النابع منه بالطبيعة، الذى هو فى الآب، والآب فيه، كما قال هو نفسه^{٥٤٩}. ولكن حيث إن

^{٥٤٧} هذه هى تعاليم بدعة الخياليين: التى ظهرت فى القرن الأول الميلاد وانتشرت فى القرن الثانى الميلادى، والخياليون هم أول من علّم تعاليمًا منحرفة ضد السيد المسيح، قائلين بأن جسده ليس جسداً حقيقياً من دم ولحم بل مجرد خيال. وقد كتب ضدهم القديس يوحنا رسائله (انظر ١ يوحنا ٢: ٢٠، ٢ يوحنا ٧).

^{٥٤٨} أى الذى ليس هو كائناً أزلياً مع الآب.

^{٥٤٩} انظر يوحنا ١: ١٠



التعساء خُدِعوا من هؤلاء فقد ظلُّوا هكذا مقفرين وعراة من اللاهوت. لأن الأمور الأرضية الوهميَّة لن تتبعهم عندما يموتون. لأنهم عندما يرون الرب الذي أنكروه، وهو جالس على عرش أبيه، ويدين الأحياء والأموات. فلن يتمكن أحد منهم أن يلتمس مساعدة أى واحد من أولئك الذي خدعهم. لأنهم سيبصرون هؤلاء أنفسهم أيضاً وهم يدانون، فيندمون على ما ارتكبوه من إثم وتجديف!

الفصل التاسع عشر

شرح نصوص : سادساً:

«الرب قناني (خلقني) أول طرقه لأجل أعماله»

أمثال ٨: ٢٢

٤٤ . لقد سبق أن عالجت النص الذي جاء في الأمثال داحضين خرافاتهم الملفقة الخارجة من قلوبهم، لكي يعرفوا أنه من غير اللائق أن يقولوا إن ابن الله مخلوق، وأن يتعلموا أيضاً أن يقرأوا جيداً النص الذي جاء في سفر الأمثال والذي يحمل المعنى المستقيم. لأنه قد كُتب «الرب قناني (خلقني) أول طرقه لأجل أعماله»^{٥٠}. وحيث إنها أمثال وكتبت على شكل مثل للتعبير، فليس من الواجب تفسير آية عبارة بطريقة ارتجالية أو ببساطة هكذا، بل يجب أن نتقصى أولاً عن الشخص ثم ننسب المعنى إليه بورع وتقوى. لأن كل ما يُقال بأمثال لا يُقال بطريقة واضحة، بل يُعبر عنه بطريقة غامضة، مثلما علّم الرب نفسه في الإنجيل بحسب يوحنا قائلاً: «قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا بِأَمْثَالٍ، وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ حِينَ لَا أَكَلِّمُكُمْ أَيْضاً بِأَمْثَالٍ، بَلْ عَلَانِيَةً»^{٥١}. ولذلك ينبغي كشف معنى القول والتقصي عنه لكونه خفياً، وألاً يُفسر ببساطة كما لو كان قد قيل علانية، لكي لا نضل عن الحقيقة عندما نُسيء الفهم.

إذن، فإن كان المكتوب يشير إلى ملاك أو أي كائن آخَر من المخلوقات، كما لو قيل عن أي واحد متناً نحن المصنوعون. فإنه يمكن أن يُقال «خلقني (قناني)»،

^{٥٠} أم ٨: ٢٢

^{٥١} انظر يوحنا ١٦: ٢٥



ولكن إن كان الكلام عن حكمة الله الذى به قد خُلقت جميع المخلوقات، فما الذى يجب أن يفهمه الواحد منا سوى أنه عندما يُقال «خَلَقَ» فإنه لا يقصد شئ آخر مُضاد للفظ «وَلَدَ». ولا يحسب الحكمة بين المخلوقات كأننا ننسى أنه هو الخالق والمصور أو نكرر الفرق بين الخالق والمخلوقات. ولكن الحكمة لها معنى آخر يبدو مخفياً فى الأمثال، وليس ظاهراً علانية، وهى التى أوحى إلى القديسين أن ينطقوا بالوحي الإلهي. بينما هى تُعطى فى الأمثال بعد قليل معنى موازياً لـ «قنى»، فتقول بالفاظ أخرى «الْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»^{٥٢}. وواضح أن بيت الحكمة هو جسدنا الذى عندما اتخذ الكلمة صار إنساناً. وقال عنه يوحنا بحق «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً»^{٥٣}. وبواسطة سليمان تقول الحكمة عن ذاتها بإدراك وتبصّر: ليس إننى أنا مخلوق، بل قالت: «الرب قناني أول طريقه من أجل أعماله» دون أن تقول: «إنه قناني لكى أوجد، وليس لأنى لبداية وميلاد كالمخلوق».

٤٥ - لأن الكلمة هنا لم يتحدّث من خلال سليمان مشيراً إلى جوهر ألوهيته ولا إلى ميلاده الأزليّ والحقيقي من الآب، ولكنه يشير إلى ناسوته وعمل تدبير خلاصنا. ولهذا - كما سبق أن قلت - فإنه لم يقل إنى «مخلوق» أو «صرت مخلوق»، بل قال فقط «قنى» أو «خلق»، بمعنى أن الأشياء الصائرة حيث إنها ذات جوهر مخلوق، فإنها تنتمى إلى المخلوقات، ويُقال عنها إنها تُخلَق، وبديهي فإن المخلوق يُخلَق، ولكن اللفظة المذكورة «خلق» في الآية السابقة لا تعنى الجوهر أو الولادة إطلاقاً. بل توضح أن شيئاً آخر قد طرأ على ذلك الذى يشير إليه، فليس كل ما يُقال عنه إنه يخلق يكون مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر.

^{٥٢} أم ١:٩.

^{٥٣} يوحنا ١:١٤.



٤٦ - إذن، فتلك الأشياء ذات الجوهر المخلوق بالطبيعة، تُسمّى مخلوقات وتُخلق. وما ذكرناه من آيات الكتاب يكفى لإثبات ذلك. وقد قيلت هنا للتذكير والتنبية. ولكن الكتاب مملوء بأمثاله. أما عندما يُقال اللفظ «خَلَقَ» فهو لا يُقال عن الجوهر إطلاقاً، ولا يعنى الولادة. فداود يترنم: «يُكْتَبُ هَذَا لِلدَّوْرِ الْآخِرِ، وَشَعْبٌ سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ»^{٥٦٢} ويقول أيضاً: «قَلْباً نَقِيّاً اخْلُقْ فِيَّ يَا اللَّهُ»^{٥٦٣}. ويقول بولس فى رسالته إلى أهل أفسس: «مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً»^{٥٦٤}. وأيضاً: «وَتَلْبَسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللَّهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ»^{٥٦٥}.

فإن داود لم يشر إلى أى شعب مخلوق بحسب الجوهر، ولا كان يتضرع لى يحصل على قلب آخر غير القلب الذى كان له. بل كان يقصد التجديد ونوال الحياة بحسب الله. وبولس أيضاً لم يقصد شخصين مختلفين مخلوقين فى الرب بحسب الجوهر، ولا كان يوصينا بأن نلبس إنساناً آخر، لكنه دعا الحياة بحسب الفضيلة أنها «الإنسان بحسب الله»، أما الاثنان المخلوقان فى المسيح فيقصد بهما شعبين مُجدّدين به. وهذا مشابه لما يقوله إرميا: «خلق الله خلاصاً لأجل زرع جديد الذى به سيتجولّ الناس فى أمان»^{٥٦٦}. وعندما قال هذا لم يقصد أى جوهر خاص بمخلوق، بل هو يتبأ بالخلاص المتجدّد بين البشر، ذلك الخلاص الذى صار

^{٥٦٢} مز ١٠٢: ١٨.

^{٥٦٣} مز ٥١: ١٠.

^{٥٦٤} أف ٢: ١٥.

^{٥٦٥} أف ٤: ٢٤.

^{٥٦٦} إر ٣٨: ٢٢ سيعينية.



بالمسيح لأجلنا. وحيث إن هناك فرقاً بين المخلوقات وبين القول المذكور «خَلَقَ»^{٥٦٧} ، فإن وجدتم الرب يُدعى مخلوقاً في أى موضع في الكتاب فاعظموه لنا وحاربونا. أما إن لم يكن قد كُتب في أى موضع أنه مخلوق سوى ما قاله عن ذاته في الأمثال «الرب خَلَقَنِي» فادخلوا إذن من الفرق السابق ذكره.

ومن الآن فصاعداً لا تستمعوا إلى لفظ «خَلَقَ» على أن معناه هو «مخلوق»، بل افهموا به الطبيعة البشرية الخاصة بالرب، لأن لهذه الطبيعة خاصية مميزة لها وهي أنها مخلوقة. وكيف لا تكونون ظالمين ما دمتم عندما تسمعون لفظ «خَلَقَ» من داود ومن بولس لا تفهون به الجوهر والكيان، بل التجديد بينما عندما تسمعون لفظ «خَلَقَ» من الرب فإنكم تحسبون جوهره في عداد المخلوقات؟ وأيضاً عندما تسمعون القول: «الْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا. نَحَتَتْ أَعْمِدَتَهَا السَّبْعَةَ»^{٥٦٨} فإنكم تفهون بيتاً بمعنى مجازي. أما لفظ «خَلَقَ» فتقبلونه كما هو^{٥٦٩} ، وتحولونه إلى معنى «مخلوق» فكونه هو نفسه خالقاً ليس كافياً لإقناعكم، وكذلك لم تخشوا كونه هو وحده مولود من الآب الذاتي، بل تحاربون بغير اكتراث كما لو كنتم تسجلون هذه الألفاظ ضده، وتعتبرونه أنه أقل بكثير من البشر.

٤٧ . لأن نفس العبارة توضح أيضاً أنه إختراع منكم أن تقولوا إن الرب مخلوق. لأن الرب، حيث إنه يعرف جوهره وأنه هو الحكمة وحيد الجنس ومولود الآب وأنه مختلف عن الأشياء الصائرة والمخلوقة بالطبيعة، وأنه محب للبشر، فهو يقول الآن: «الرب خلقتني أول طريقه» كما لو كان يقول «الآب هيأ لي جسداً»^{٥٧٠} وخلقني

^{٥٦٧} باليونانية (إكتيسى) ἔκτισεν.

^{٥٦٨} أم ١:٩.

^{٥٦٩} أي حرفياً وليس مجازياً.

^{٥٧٠} انظر عب ١٠:٥.



للبشر من أجل خلاص الناس. لأنه كما أننا عندما نسمع من يوحنا: «الكلمة صار جسداً» فإننا لا نفهم من ذلك أن الكلمة كله جسد، بل أنه لبس جسداً صائراً إنساناً. وعندما نسمع «صار لعنة لأجلنا»^{٥٧١}. وأيضاً «لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة، خطيئة لأجلنا»^{٥٧٢}. فأننا لا نفهم من كل هذا أنه هو نفسه قد صار لعنة وخطية، بل تحمل اللعنة الموجهة ضدنا كما قال الرسول: «افتدأنا من لعنة»^{٥٧٣}. ومثلما قال إشعياء «حمل خطايانا»^{٥٧٤}، ومثلما كتب بطرس «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة»^{٥٧٥}. لهذا فإذا سمعنا في الأمثال لفظ «خلق» فلا يجب أن نفهم أن الكلمة مخلوق بحسب الطبيعة، بل إنه لبس الجسد المخلوق. وأن الله خلقه من أجلنا و «هياً له جسداً مخلوقاً من أجلنا» كما هو مكتوب^{٥٧٦}، لكي ما نستطيع أن نتجدد ونؤله.

أيها الأغبياء ما الذي خدعكم إذن لكي تقولوا إن الخالق مخلوق؟ أو من أين اشتريتم لأنفسكم هذا الاعتقاد الجديد الذي تتفاخرون به؟ فالأمثال تقول «خلق» ولكنها لا تقول إن «الابن مخلوق» بل «مولود» ووفقاً لما سبق أن اتضح من تمييز الأسفار المقدسة بين «خلق» و «مخلوق» فهي تعتبر أن الابن بطبيعته الذاتية هو الحكمة الوحيدة الخالصة وأنه خالق المخلوقات. وحينما تقول الأمثال «خلق» فهي لا تشير إلى جوهره، بل تؤكد أنه صار أول كل طريقه. وهكذا يكون لفظ

^{٥٧١} غلا ٣: ١٣.

^{٥٧٢} ٢ كور ٥: ٢١.

^{٥٧٣} غلا ٣: ١٣.

^{٥٧٤} انظر إش ٥٣: ٤.

^{٥٧٥} ١ بط ٢: ٢٤.

^{٥٧٦} عب ١٠: ٥.



«خَلَقَ» متعارضاً من لفظ «مولود»، وما تقوله عنه الأمثال إنه «أول طريقه» يتعارض مع كونه الكلمة الوحيد الجنس.

٤٨ . لأنه لو كان مولوداً فكيف تسمونه مخلوقاً؟ لأنه لا أحد يقول إنه يلد ما يخلقه. ولا أحد يسمى المولود الذاتى مخلوقاً. ومرةً أخرى فإن كان هو وحيد الجنس فكيف يصير هو نفسه «أول الطرق»؟ لأنه من الضروري أنه إن كان هو نفسه قد خُلِقَ أول كل طريقه فهو لا يكون بعد موجوداً وحده، بل يكون معه أولئك الذين خُلِقوا بعده. فرأوبين الذى كان أول الأبناء لم يكن الوحيد، بل الأول زمنياً، ولكنه بحسب الطبيعة والقرابة كان واحداً بين أولئك الذين وُلدوا بعده. إذن فإن كان الكلمة هو «أول الطرق» فإنه سيكون مثلما تكون الطرق أيضاً، وتكون هذه الطرق مثلما يكون الكلمة أيضاً، حتى إن كان من جهة الزمن، يُخْلَق هو الأول بينها. ولأن بداية المدينة هى مثل أجزاء المدينة الأخرى، فإن الأجزاء نفسها تكون مرتبطة ببداية المدينة تماماً، وتكون كلها مدينة واحدة مثل الأعضاء الكثيرة التى تكوّن جسداً واحداً. ولا يكون جزء من المدينة صانعاً وجزء آخر مصنوعاً . أى يكون خاضعاً للأول . بل كل المدينة تخضع لحكم ورعاية ذلك الذى قام بصنعها وصياغتها وتشكيلها أيضاً.

إذن فإن كان الرب أيضاً يُخْلَق هكذا أول جميع الأشياء، فمن الضروري أن يكون هو مع كل الأشياء الأخرى خليفة واحدة. ولا يختلف عن الأشياء الأخرى حتى إن كان هو أول جميع الأشياء. ولا يكون هو رب أجزاء الخليقة الأخرى حتى إن كان هو أقدم منها زمنياً. بل يكون قد خلقه مثل المخلوقات الأخرى كلمة خالق واحد ورب واحد. وعلى وجه العموم فإن كان هو مخلوقاً فكيف يمكن أن يُخْلَق هو وحده باعتباره الأول ليكون بداية الجميع؟ بينما يبدو مما سبق أنه لا يوجد بين المخلوقات ما له طبيعة راسخة وثابتة وله الأولوية فى الوجود. بل كل منها يأخذ وجوده مع بقية المخلوقات حتى لو اختلفت عن الأشياء الأخرى فى المجد.. لأن



أى نجم من النجوم ولا أى كوكب من الكواكب العظمى يظهر الواحد منها كالأول والآخر كالثانى، بل إنها دُعيت جميعها إلى الوجود فى يوم واحد وبنفس الأمر^{٥٧٧}. وهكذا تشكَّلت هيئة ذوات الأربع والطيور والأسماك والحيوانات والنباتات. وهكذا أيضاً قد خُلِقَ جنس البشر على صورة الله. لأنه وإن كان آدم وحده قد خُلِقَ من التراب، إلا أنه توجد فيه كل ذرية الجنس البشرى^{٥٧٨}.

٤٩ - ومن خليفة العالم الظاهرة نعرف بوضوح أن «أموره غير المنظورة المدركة بواسطة المصنوعات»^{٥٧٩}، لا نرى كل واحد منها منفصلاً عن الآخر إذ لا يوجد بينها أول وآخر، بل أنها خُلِقَتْ سوياً بحسب نوعها. لأن الرسول لم يحصِ كل واحد منفصلاً فيقول مثلاً سواء كان ملاكاً أم عرشاً أم سيادة أم سلطاناً، بل إنه أشار إليها كلها معاً بحسب الدرجة بقوله «سَوَاءٌ كَانَ عُرُوشاً أَمْ سِيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينَ»^{٥٨٠}. فإنه هكذا تكون خَلْقَةُ المخلوقات. فكما سبق أن قلت إنه إن كان الكلمة مخلوقاً فلم يكن من اللازم أن يكون هو أولها بل يكون مع سائر القوات الأخرى، حتى وإن تفوّق فى المجد عن الآخرين بدرجة أكبر. وهذا ما يمكن أن نجده فى القوات الأخرى لأنها وإن كانت قد خُلِقَتْ كلها فى نفس الوقت ولا يوجد أول أو ثان، إلا أنها تختلف بعضها عن بعض فى المجد، فيقف البعض عن اليمين والبعض حول العرش والبعض الآخر عن اليسار، والجميع يسبحون معاً ويقفون فى خدمة الرب.

^{٥٧٧} أى الأمر الذى خلقت به جميعها.

^{٥٧٨} انظر أيضاً تَحْسُدُ الْكَلِمَةِ فصل ١/٦.

^{٥٧٩} انظر روم ٢٠:٢٠.

^{٥٨٠} انظر كور ١٦:١٦.



إذن فإن كان الكلمة مخلوقاً لما كان هو أول الآخرين ولا بدايتهم، أما إن كان قبل الجميع كما هو واقع فعلاً، وهو نفسه وحده أول وابن، فلا يترتب على ذلك أن يكون هو بداية الجميع بحسب الجوهر، لأن أول الجميع يُحسب في عداد الجميع. وإن كان هو ليس بداية ولا خليفة فإنه يكون واضحاً تماماً أنه يختلف عن المخلوقات في الجوهر وأنه مغاير لها. وهو مثال وصورة الله الفريد الحق إذ هو نفسه أيضاً فريد. لذلك فالكتب لم تضعه بين المخلوقات، بل إن داود يوبخ أولئك الذين يتجاسرون أن يفكروا في أنه واحد من مثل هؤلاء عندما قال: «لَا مِثْلَ لَكَ بَيْنَ الآلِهَةِ»^{٥٨١}، وأيضاً «مَنْ يُشَبِّهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللَّهِ»^{٥٨٢}، أما باروخ فيقول: «هذا هو إلها ولن يُقارن به آخر»^{٥٨٣}. لأن الكلمة يَخْلُقُ بينما المخلوقات تُخْلَقُ، وهو كلمة جوهر الآب ذاته وحكمته. بينما المخلوقات التي لم تكن موجودة قبلاً قد صُنِعَتْ بواسطة الكلمة نفسه.

٥٠. أما تلك الثثرة التي تدأبون على ترديدها بقولكم إن الابن مخلوق، فهذا أمر غير صحيح بل هو من نسج خيالكم وحده، وقد أدان سليمان هذا الأمر وكثيراً ما كذّبه. لأنه لم يذكر أن الابن مخلوق، بل هو مولود وهو حكمة الله بقوله «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الْأَرْضَ»^{٥٨٤} و «الْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»^{٥٨٥}. ومثل هذا القول عندما يُفحص فهو يثبت مدى كفركم، لأنه مكتوب «الرّب خلقني أول طريقه من أجل أعماله». فإن كان هو موجوداً قبل الجميع فإنه يقول «خلقني» ليس لكي

^{٥٨١} انظر مز ٨٦: ٨.

^{٥٨٢} مز ٨٩: ٦.

^{٥٨٣} باروخ ٣: ٣٦.

^{٥٨٤} أم ٣: ١٩.

^{٥٨٥} أم ٩: ١٠.



أصنع الأعمال بل « من أجل الأعمال »، وإن لم تكن عبارة خلقتني تشير إلى شئ لاحق له فسيبدو هو كلاحق للأعمال حيث إنه عندما خُلِقَ وجد الأعمال التي قد صار من أجلها، قائمة قبله. فلو كان الأمر هكذا فكيف يظل هو موجوداً قبل جميع الأشياء؟ وكيف أن « كل شئ به كان؟ » وكيف تتحد فيه كل الأشياء وتتماسك؟ وما أنتم تقولون إن الأعمال التي من أجلها خُلِقَ وأُرْسِلَ، اتحدت وتماسكت قبله. ولكن حقيقة الأمر ليست هكذا . حاشا! إن فكر الهرطقة كاذب، لأن كلمة الله ليس مخلوقاً بل خالقاً. وعندئذ فهو يتكلم بواسطة الأمثال فيقول « خَلَقْنِي » عندما لبس الجسد المخلوق، وهناك شئ آخر يمكن استنتاجه من نفس اللفظ. لأنه بالرغم من كونه ابناً وله أب هو الله إذ أنه هو مولوده الذاتي، إلا أنه يدعو الآب رباً ليس لأنه كان عبداً، بل لأنه اتخذ شكل عبد. لأنه من ناحية كان يلزم . لكونه الكلمة من الآب . أن يدعو الله أباً. فهذه هي خاصية الابن تجاه الآب، ومن الناحية الأخرى عندما يأتى لينجز العمل آخذاً صورة عبد فإنه يدعو الآب رباً. وقد علّم هو نفسه هذا الاختلاف بتمييز حسن عندما قال في الأناجيل: «أحمدك أيها الآب» وبعد ذلك «رب السماء والأرض»^{٥٨٦}. لأنه يقول إن الله هو أبوه ولكنه يدعو رب المخلوقات، إذن يتضح من هذا بجلاء أنه عندما لبس الجسد المخلوق كان عندئذ يدعو الآب رباً. وكذلك في صلاة داود أوضح الروح القدس نفس الاختلاف عندما قال في المزامير «أَعْطِ عَبْدَكَ قُوَّتَكَ، وَخَلِّصِ ابْنَ أَمَتِكَ»^{٥٨٧}. لأن ابن الله الحقيقي بالطبيعة هو شئ وأبناء الأمة الذين هم من طبيعة المخلوقات شئ آخر. لذلك فهو وحده كابن تكون له قوّة الآب. أما أبناء الأمة فهم في حاجة إلى الخلاص.

^{٥٨٦} مت ١١: ٢٥.

^{٥٨٧} مز ٨٦: ١٦.



٥١ . فَإِنْ كَانُوا يَهْذُونَ بِسَبَبِ أَنَّهُ سُمِّيَ وَلَدًا ، فَلْيَعْرِفُوا أَنَّ اسْحَقَ دُعِيَ وَلَدًا لِأَبْرَاهِيمَ^{٥٨٨} ، وَابْنِ الشُّونْمِيَّةِ سُمِّيَ وَلَدًا^{٥٨٩} . وَحَيْثُ إِنَّا عَبِيدُ فَمَنْ الصَّوَابُ إِذْنُ أَنَّهُ عِنْدَمَا صَارَ هُوَ مِثْلُنَا ، يَدْعُو هُوَ نَفْسَهُ الْآبَ رَبًّا كَمَا نَدْعُوهُ نَحْنُ . وَقَدْ صَنَعَ هَذَا لِمَحِبَّتِهِ لِلْبَشَرِ ، لِكَيْ نَتَشَجَّعَ نَحْنُ الَّذِينَ بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ عَبِيدُ . نَتَشَجَّعُ بِقَبُولِنَا رُوحَ الْإِبْنِ . أَنْ نَدْعُو الْآبَ أَبًا بِحَسَبِ النِّعْمَةِ ، وَهُوَ رَبُّ لَنَا بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ . وَكَمَا أَنَّا حِينَمَا نَدْعُو الرَّبَّ أَبًا لَا نُنْكِرُ عِبُودِيَّتَنَا لَهُ بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ لِأَنَّا نَحْنُ عَمَلُهُ «وَهُوَ صَنَعَنَا لَا نَحْنُ»^{٥٩٠} ، هَكَذَا أَيْضًا عِنْدَمَا اتَّخَذَ الْإِبْنُ شَكْلَ عَبْدٍ وَقَالَ «الرَّبُّ خَلَقَنِي أَوَّلَ طَرَفِهِ» فَدَعَاهُمْ إِذْنُ لَا يَنْكُرُونَ أَرْزَلِيَّةَ أَلُوْهِيَّتِهِ وَأَنَّهُ «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ» ، وَ «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ» ، وَ «بِهِ خُلِقَتْ كُلُّ الْأَشْيَاءِ» .

^{٥٨٨} تَكَ ٢١: ٨ .

^{٥٨٩} ٢ مَل ٤: ١٨ .

^{٥٩٠} انْظُرْ مَز ١٠٠: ٣ .

الفصل العشرون

شرح نصوص: سادسا

«الرب قناني (خلقني) أول طريقه لأجل أعماله»

أمثال ٨: ٢٢

(تابع)

أما العبارة الواردة في الأمثال - كما سبق أن قلت - فهي لا تشير إلى جوهر الكلمة، بل إلى ناسوت الكلمة. لأنه إن كان يقول إنه قد خُلِقَ «لأجل الأعمال» فإنه لا يريد أن يشير إلى جوهره، بل إلى التدبير الذي صار لأجل أعماله، وهو الأمر الذي يكون تالياً لوجوده. لأن تلك الأشياء الصائرة والمخلوقة قد صُنِعت أولاً و أساساً من أجل أن تكون وأن تُوجد، وثانياً أن يكون لهذه الأشياء أن تعمل بما يأمرها به الكلمة مثلاً يمكن أن يرى مثل هذا الأمر في جميع الأشياء.

لأن آدم خُلِقَ لا لكي يعمل بل لكي يوجد أولاً كإنسان، لأنه بعد ذلك تلقى أمراً أن يعمل. ونوح خُلِقَ ليس من أجل الفلك، بل ليوجد أولاً ويصير إنساناً، لأنه بعد ذلك تلقى أمراً أن يصنع الفلك. ومن يبحث ويفتش فإنه سيجد نفس الشيء مع كل واحد من المخلوقات. لأن موسى العظيم أيضاً قد كان إنساناً أولاً وبعد ذلك عُهد إليه بقيادة الشعب. وهكذا هنا أيضاً من الممكن أن نفهم نفس الشيء لأنك ترى أن الكلمة لم يُخلق لكي يكون له وجود، بل «في البدء كان الكلمة»، ولكنه بعد ذلك أُرسل «لأجل الأعمال» وتدبير التجسّد لأجل خلاصها لأنه من قبل أن تُخلق «الأعمال» كان الابن كائناً دائماً ولم تكن هناك أيّة حاجة لكي يُخلق، وعندما خُلقت «الأعمال» وصارت الحاجة ماسّة بعد ذلك إلى تدبير إصلاحها،



عندئذ قدّم الكلمة ذاته لكى ينزل ويصير مشابهاً «للأعمال». وهذا ما يوضح لنا معنى لفظ «خَلَقَ»^{٥٩١}. ولأنه يريد أن يثبت التشابه فإنه يقول مرّة أخرى بإشعياء النبى: «والآن هكذا يقول الرب الذى جبلنى من الرحم لأكون له عبداً. لأرجع إليه يعقوب وأسرائيل. وسأجمع إليه وأتمجد أمام الرب»^{٥٩٢}.

٥٢ . فأنت ترى هنا أنه لا يُجبل لكى يُوجد ، بل من أجل تجميع الأسباط التى كانت موجودة قبل أن يُجبل. فكما أن هناك لفظ «خَلَقَ»^{٥٩٣} ، هكذا هنا لفظ «جَبَلٌ»^{٥٩٤} ومثلما هناك عبارة من «أجل الأعمال» ، هكذا هنا عبارة من «أجل التجميع» حتى تبدو لفظتنا «خَلَقَ» و «جَبَلٌ» أنهما تأتيان بعد وجود الكلمة. وكما أن الأسباط التى من أجلها جُبل كانت موجودة قبل أن يُجبل ، هكذا يتضح أن «الأعمال» التى من أجلها «خَلَقَ» قد وُجدت أيضاً. وعندما «كان الكلمة فى البدء» لم تكن «الأعمال» موجودة بعد ، كما سبق أن أشرت. وعندما صارت «الأعمال» وأصبحت الحاجة ملحة ، عندئذ قيلت لفظة «خَلَقَ» وكما أن أى ابن فقدت أملاكه وسبى عبيده بسبب إهمالهم ونسَطُوا الأعداء عليهم ، فإن إقتضت الحاجة فريما يرسله أبوه لاستردادها وتجميعها. وعندما يتوجّه لهذا الأمر فإنه قد يرتدى رداء مشابهاً لردائهم ، ويتشكّل بشكلهم كى لا يتعرّف عليه المستولون عليها أنه السيد فيهربوا ، وبهذا يتعذر عليه أن ينزل ويكتشف الكنوز التى خبئها تحت الأرض. وعندئذ إذا سأله أحد ، لماذا أنت هكذا ، فإنه قد يُجيب قائلاً: «جبلنى أبى هكذا وأعدنى لأجل أعماله». وكأنه بهذا القول لا يعنى أنه عبد ولا أنه واحد من

^{٥٩١} أصلها اليونانى اكنيسى ἔκτισε .

^{٥٩٢} إش ٤٩ : ٥ سعيية.

^{٥٩٣} باليونانية اكنيسى ἔκτισε .

^{٥٩٤} باليونانية إيلاسى ἐπλασε .



أعماله. ولا يتحدث عن بدء ميلاده، بل عن المهمة الموكَّلة إليه فيما بعد «من أجل الأعمال». وينفس الطريقة أيضاً فإن الرب قد لبس جسداً، «وُجِدَ في الهيئة كإنسان»^{٥٩٥}. فلو أنه سئل من الذين رأوه وتعجبوا لكان يقول لهم «الرب خلقني أول طريقه لأجل أعماله» و «جبلني لكي أجمع إسرائيل» وهذا ما يقوله الروح في المزامير «تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ»^{٥٩٦}. وهذا الأمر هو ما يشير به الرب عن ذاته قائلاً: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلَكِي عَلَى صِهْيُونَ جَبَلِ قُدْسِي»^{٥٩٧}. وكما أنه حينما «أشرق جسدياً»^{٥٩٨} على صهيون لم يكن هذا له بداية وجود أو ملك، بل لكونه كلمة الله وملكاً أبدياً، فإنه حُسِبَ مستحقاً من الناحية البشرية أن تُشرق مملكته في صهيون أيضاً، لكي بعد أن يفديهم ويفدينا من الخطيئة المتملئة عليهم، يجعلهم تحت سلطان مملكة أبيه. وهكذا إذ قد أقيم من أجل الأعمال، فإن هذا ليس من أجل الأشياء التي لم تكن موجودة بعد، بل من أجل الأشياء التي كانت موجودة عندئذ وكانت في حاجة إلى إصلاح.

٥٣. إذن فإن الكلمات «خَلَقَ» و «جَبَلَ» و «أَقَامَ» لها نفس المعنى ولا تعنى وجود الابن ولا أن جوهره مخلوق، بل تعنى التجديد الذي صار لأجلنا كعمل خير منه. وبينما كان يقول هذه الكلمات، فإنه كان يعلم في نفس الوقت أنه كان كائناً قبل هذه الأشياء وذلك عندما قال: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»^{٥٩٩}. وأيضاً «لَمَّا

^{٥٩٥} في ٢: ٨

^{٥٩٦} مز ٨: ٦

^{٥٩٧} مز ٢: ٦

^{٥٩٨} «أشرق جسدياً» هونفس التعبير الوارد في ثيوطوكية الاثنين (المعرب).

^{٥٩٩} يو ٨: ٥٨



السبب الذي من أجله قد صار إذ ذُكِرَ «وَحَلَّ فِيْنَا»^{٦٠٤} وعندما يقول الرسول أيضاً: «الذي إذ كان في صورة الله» فإنه لم يذكر السبب إلّا عندما أخذ صورة عبد. لأنه حينئذ أشار كنتيجة لذلك قائلاً: «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّليْبِ»^{٦٠٥}. ولهذا فقد صار جسداً متخذاً صورة عبد.

٥٤. وكثيراً ما تحدّث الرب نفسه بأمثال، ولكن عندما كان يشير إلى نفسه كان يقول بطريقة مطلقة: «أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبُ فِيَّ»^{٦٠٦}، و «أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ»^{٦٠٧}، «الَّذِي رَأَيْتَنِي فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{٦٠٨}، «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ»^{٦٠٩} و «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»^{٦١٠}، دون أن يذكر السبب في كل قول ولا التساؤل «لماذا»، لكي لا يبدو تالياً لتلك الأشياء التي من أجلها صار أيضاً.

لأنه من الضروري أن يكون السبب قبل مجيئه، والذي بدونه حتى هو نفسه لا يكون ممكناً أن يصير، فمثلاً بولس «الرسول المفرز للإنجيل الذي سبق فوعد به بأنبيائه»^{٦١١}، كان الإنجيل الذي صار خادماً له، سابقاً عليه. ويوحنا الذي كان قد عيّن لكي يُعدّ الطريق فقد كان الرب سابقاً عليه. أما الرب فلأنه لم يكن له سبب قبله لكي يكون كلمة سوى أنه مولود من الآب وحكمته الوحيد، فإنه صار

^{٦٠٤} يو ١: ١٤ نص الآية في الأصل يونان حرفياً ليس بيننا بل خيم أو سكّن فينا.

^{٦٠٥} في ٢: ٨، ٦.

^{٦٠٦} يو ١٤: ١٠.

^{٦٠٧} يو ١٠: ٣٠.

^{٦٠٨} يو ١٤: ٩.

^{٦٠٩} يو ٨: ١٢.

^{٦١٠} يو ١٤: ٦.

^{٦١١} انظر روا ١: ١، ٢.



إنساناً ، عندئذ فقط ذُكرَ السبب الذي كان مزماً من أجله أن يلبس الجسد . لأن حاجة البشر تسبق صيرورته إنساناً ، هذه الحاجة التي بدونها ما كان ليرتدى الجسد . إن الحاجة التي بسببها قد صار الرب نفسه إنساناً هو ما يشير إليه هو نفسه عندما قال : «لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لِأَعْمَلِ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي . وَهَذِهِ مَشِيئَةُ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي : أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لَا أَتْلِفُ مِنْهُ شَيْئاً ، بَلْ أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ . لَأَنَّ هَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ الَّذِي أَرْسَلَنِي : أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى الْإِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ، وَأَنَا أَقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ»^{٦١٢} . وكما يقول أيضاً «أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لَا يَمُوتُ فِي الظُّلْمَةِ»^{٦١٣} . ويقول أيضاً : «لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لِأَشْهَدَ لِلْحَقِّ»^{٦١٤} . وقد كتب يوحنا : «لَأَجْلِ هَذَا أَظْهَرَ ابْنُ اللَّهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ»^{٦١٥} .

٥٥ - إذن فقد جاء المخلص إلى العالم من أجل الشهادة ، ولكي يقاسى الموت من أجلنا ، وقيم البشر ، وينقض أعمال إبليس ، وكان هذا هو سبب حضوره بالجسد . لأنه بغير هذا ما كان للقيامة أن تتحقق لو لم يكن هناك موت . وكيف يكون هناك موت إن لم يكن هناك جسد ؟ والرسول نفسه تعلّم هذا من الرب عندما قال : «فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا ، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ ، أَيُّ إِبْلِيسَ ، وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلِّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ»^{٦١٦} . وأيضاً «فَإِنَّهُ إِذِ الْمَوْتُ بِإِنْسَانٍ ،

^{٦١٢} يوحنا ٦ : ٣٨ — ٤٠

^{٦١٣} يوحنا ١٢ : ٤٦

^{٦١٤} يوحنا ١٨ : ٣٧

^{٦١٥} ١ يوحنا ٣ : ٨

^{٦١٦} عب ٢ : ١٤ ، ١٥



بِإِنْسَانٍ أَيْضاً قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ»^{٦١٧}، وأيضاً لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه إذ كان ضعيفاً بالجسد. فإن الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح»^{٦١٨}. ويقول يوحنا: «لَأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ»^{٦١٩}. والمخلص أيضاً قد تكلم عن نفسه قائلاً: «لِيَدِينُونِي أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لَا يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ»^{٦٢٠}.

إذن فالمخلص لم يأت لأجل ذاته بل لأجل خلاصنا ولكي يبطل الموت ولكي يدين الخطية، ولكي يعيد أبصار العميان، ولكي يقيم الجميع من بين الأموات. فإن كان قد أتى ليس لأجل لذاته بل لأجلنا فهو إذن لم «يُخْلَقْ»^{٦٢١} لأجل نفسه بل لأجلنا. وإن كان لم يُخلق لأجل ذاته بل لأجلنا فلا يكون هو نفسه مخلوقاً بل هو يقول هذا حيث إنه أرتدى جسداً. وهذا المفهوم هو ما تعنيه الكتب المقدسة. وهذا هو ما نتعلمه من الرسول لأنه يقول في رسالته إلى أهل أفسس: «وَتَقْضَى حَائِطَ السَّيَاحِ الْمُتَوَسِّطِ (أَيِ الْعِدَاوَةِ). مُبْطِلاً بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ، لِكَيْ يَخْلُقَ الْاِثْنَيْنِ فِي نَفْسِهِ إِنْسَاناً وَاحِداً جَدِيداً، صَانِعاً سَلَاماً»^{٦٢٢}. فلو أن الاثنين خُلِقَا في نفسه ووُجِدا في جسده، فمن الطبيعي أن كان يلبس الاثنين في نفسه، فإنه يكون كما لو كان هو نفسه الذي يُخلق. لأن الذين يخلقهم يتحدثون به ويكون

^{٦١٧} ١ كرو ١٥: ٢١

^{٦١٨} روم ٨: ٣، ٤

^{٦١٩} يوح ٣: ١٧

^{٦٢٠} يوح ٩: ٣٩

^{٦٢١} أى لم يُخلق بالجسد

^{٦٢٢} أف ٢: ١٤، ١٥



هو فيهم كما يكونون هم فيه. هكذا إذن فما دام قد خُلق الأثنان فيه فيكون من الملائم تماماً أن يقول «الرب خلّقني». فلأنه يأخذ على عاتقه ضعفاتنا يُقال عنه أنه يَضْعُفُ رغم أنه هو لا يَضْعُفُ لأنه قوّة الله، وقد صار خطية ولعنة من أجلنا، بالرغم من أنه غير خاطئ، ولكنه يقال هذا لأنه حمل خطايانا ولعنّتنا. وهكذا إذ قد خُلّقنا فيه فيقال أيضاً «خلّقني من أجل الأعمال» رغم أنه هو غير مخلوق.

٥٦. وبحسب فكر أولئك يعتبر جوهر الكلمة مخلوقاً بسبب قوله «الرب خلّقني»، وبالتالي لكونه مخلوق فهو لم يُخلَق من أجلنا، وإن لم يكن قد خُلِق من أجلنا فنحن لم نُخلَق به، وإن لم نُخلَق به فلن يكون هو لنا في داخلنا، بل سيكون من خارجنا كما لو كنا نقبل منه التعليم مثلما نقبله من معلّم. ولو كان الأمر هكذا معنا لما فقدت الخطية سلطانها على الجسد، بل لظَلَّت ملتصقة به وليست بعيدة عنه. غير أن الرسول يعارض تعليم هؤلاء بإعلانه لأهل أفسس قبل ما سبق أن أقتبسنا بقليل قائلاً: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع». فإن كنا قد خُلّقنا في المسيح فلا يكون هو الذي خلّقنا، بل نحن الذين خُلّقنا بواسطته. لذا فالقول «خلّق» هو من أجلنا نحن وبسبب احتياجنا. فإن الكلمة رغم أنه خالق، احتمل أيضاً لقب المخلوقين. ولم يكن هذا لقبه الخاص. إذ أنه هو الكلمة، ولكن اللقب «خلّق» هو خاص بنا نحن المخلوقين بواسطته.

وأيضاً كما أن الآب كائن دائماً فإن كلمته كائن دائماً أيضاً، ولأنه كائن دائماً فهو يقول «وكنّت أنا موضع بهجته، فرحاً في حضرته كل يوم»^{٦٢٣} وأيضاً «أنا في الآب والآب في»^{٦٢٤}. هكذا فإنه حينما صار إنساناً تابعاً لجنسنا البشري

^{٦٢٣} أم ٣: ٨

^{٦٢٤} يو ١٠: ١٤



مثلاً، قال «الرب خلّقني» لكي يستطيع أن يطرد الخطية بعيداً عن الجسد بسكناه فيه ولكي نحصل نحن على فكر حر^{٦٢٥}.

إذن فماذا كان يناسبه أن يقول عندما صار إنساناً. أيقول « في البدء كنت إنساناً؟» ولكن هذا ليس لائقاً به وليس حقيقياً. وكما أنه لم يكن من الواجب أن يقول هذا القول، فمن المناسب ومما يميّز صفات الإنسانية أن يقول «خلّقه» و«صنّعه». ولهذا يُضاف أيضاً سبب قوله: «خلّق» وهو حاجة «الأعمال». وحيث إنه بذك السبب فإن هذا السبب بلا شك يعطى المعنى الصحيح تماماً للفقرة المكتوبة، وخاصة أنه هنا في لفظ «خلّق» يذكر السبب أى «الأعمال». بينما أنه عندما يشير بصورة مطلقة إلى الميلاد من الآب فإنه يضيف في الحال: «قبل كل الجبال ولَدَنِي»^{٦٢٦}. فهو لم يَقُلْ لماذا وُلِدَ مثلما حدث في عبارة «خلّقتني» حيث ذَكَرَ «من أجل الأعمال». بل إنه يقول بصورة مطلقة «وَلَدَنِي»، كما جاء في القول: «في البدء كان الكلمة». لأنه حتى وإن لم تكن الأعمال قد خُلِقتْ، إلا أن كلمة الله كان كائناً، «وكان الكلمة الله». أما صيرورته إنساناً فما كانت لتحدث لو لم تكن حاجة البشر هي السبب. فتبعاً لذلك لا يكون الابن مخلوقاً، لأنه لو كان مخلوقاً لما قال «وَلَدَنِي». لأن المخلوقات هي أعمال الصانع من خارجه، أما المولود فليس من خارجه وليس عملاً، بل هو مولود جوهر الآب الذاتى. لذا فبينما «الأعمال» هي مخلوقات إلّا أن كلمة الله هو ابن وحيد الجنس.

^{٦٢٥} حر من الخطية.

^{٦٢٦} أم ٨: ٢٥.

الفصل الحادى والعشرون

شرح نصوص: سادساً:
«... أول طريقه لأجل أعماله»
أمثال ٨: ٢٢

٥٧ - إن موسى عندما تكلم عن الخليقة لم يَقُلْ «فى البدء وُلِدَ» ولا «فى البدء كان» بل قال: «فى البدء خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»^{٦٢٧} وداود لم يترنم بالقول «يداك ولدتانى»، بل «يَدَاكَ صَنَعَتَانِي وَأَشْأَتَانِي»^{٦٢٨}. فهو يقول فى كل مكان «صنع» عن المخلوقات، فى حين يتكلم عن الابن عكس ذلك. فهو لم يَقُلْ عن الابن «صَنَعْتُ» بل «وَلَدْتُ»^{٦٢٩}. و«ولدنى» و«فاض قلبى بكلمة صالحة»^{٦٣٠}. فبينما يقول عن الخليقة: «فى البدء خَلَقَ» يقول عن الابن: «فى البدء كان الكلمة». وهذا الاختلاف راجع إلى أن المخلوقات قد صُنِعَتْ ولها وجود فى مرحلة زمنية محددة. ولذا فإن ما قيل عنها «فى البدء خَلَقَ» مساو للقول «منذ البدء خلق» كما أن الرب إذ قد عرف ما صنع علّم الفريسيين موبخاً إياهم قائلاً: «الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى»^{٦٣١}. لأن المخلوقات أتت إلى الوجود وَخُلِقَتْ من بداية ما، قبل

^{٦٢٧} تك ١: ١

^{٦٢٨} مز ١١٩: ٧٣

^{٦٢٩} مز ٧: ١ و ١٠١: ٣

^{٦٣٠} مز ٤٥: ٢ (سبعينية)

^{٦٣١} مت ١٩: ٤



أن يكون هناك أى وجود. وهذا هو ما قصده الروح القدس أيضاً بقوله فى المزامير: «وأنت يارب منذ البدء أسست الأرض»^{٦٣٢}.

ويقول أيضاً: «اذْكُرْ جَمَاعَتَكَ الَّتِي اقْتَنَيْتَهَا مِنْذُ الْقَدَمِ»^{٦٣٣}. وواضح أن ما نشأ فى زمن، فإن لحظة خلقه هى بداية وجوده، وأن الله اقتنى الجماعة فى وقت معين. فإن القصد من القول «خَلَقَ» فى عبارة «فى البدء خَلَقَ» أنه بدأ يخلق. وموسى نفسه أوضح هذا بعد إتمام عمل كل الأشياء قائلاً: «وبارك الله اليوم السابع وقدهس لأنه فى هذا اليوم استراح من أعماله التى بدأ أن يخلقها»^{٦٣٤}. إذن فإن المخلوقات قد بدأت أن تُخْلَقَ، أما كلمة الله فحيث إنه ليس له بداية وجود فإنه لم يبدأ أن يُوجَد ولا بدأ أن يصير، بل إنه كائن دائماً والأعمال لها بداية لصنعها، وبدايتها تسبق صيرورتها فى الوجود أما الكلمة فإنه ليس من بين الأشياء التى تصير، بل بالأحرى هو خالق هذه الأشياء التى لها بداية. ووجود المخلوقات يرجع إلى صيرورتها. ومن بداية ما، يبدأ الله بصنع هذه الأشياء بواسطة الكلمة، لكى يكون معروفاً أن هذه الأشياء ليس لها وجود قبل أن تصير. أما الكلمة فإن وجوده ليس له بداية أخرى سوى فى الآب الذى هو بلا بداية كما يعترفون هم، فالابن أيضاً كائن بلا بداية فى الآب، إذ أنه فى الواقع هو مولود الآب وليس مخلوق بواسطة الآب.

٥٨. هكذا فإن الكتاب الإلهى يفرّق بين «المولود» وبين «المصنوعات»، ويوضح أن المولود هو ابن ليس مبتدئاً من أية بداية، بل هو أزليّ. أما الشئ المصنوع فلأنه من عمل الذى صنعه من الخارج، فلهذا يشير إلى أن له بداية خَلَقَ. ويوحنا عندما كان يعلم عن ألوهية الابن وهو يعرف الفرق بين اللفظين لم يَقُلْ «فى البدء قد صار» أو

^{٦٣٢} مز ١٠٢: ٢٥

^{٦٣٣} مز ٧٤: ٢

^{٦٣٤} تلك ٢: ٣ سبينية



«فى البدء قد صُنِعَ» بل قال «فى البدء كان الكلمة»، ولفظ «كان» يتضمن «المولود» لكى لا يظن أحد أن هناك فرقاً زمنياً، بل ليؤمنوا أن الابن أزليٌّ وكائن دائماً. ومع كل هذه البراهين، فكيف لم تستوعبوا أيها الآريوسيون الأقوال التى جاءت فى سفر التثنية وتتجاسرون أن تكفروا بالرب مرةً أخرى بقولكم إنه «مصنوع» أو «مخلوق» بينما هو «مولود»؟ وأنتم تزعمون أن «المولود» و «المصنوع» لهما نفس المعنى. ومن هنا - مع ذلك - سيتضح أنكم غير عارفين كما أنكم عديمى التقوى. لأن القول الأول هو هذا: «أليس هذا هو أبوك الذى أوجدك وصنعك وخلقك»^{٦٣٥}. ويقول بعد قليل فى نفس الأنشودة: «تركت الله الذى وَلَدَكَ ونسيت الله الذى أطعمك»^{٦٣٦}. وهذه الفكرة غريبة للغاية، فهو لم يَقُلْ أولاً وَلَدَ لثلا يبدو القول غير مختلف عن «صنع»، وَلَوْجَدَ هؤلاء مبرراً أن يقولوا إن موسى منذ البدء ذَكَرَ أن الله قد قال: «لنصنع إنساناً»^{٦٣٧}، وبعد ذلك قال «تركت الله الذى وَلَدَكَ» كما لو أن الألفاظ غير مختلفة. أى أن «المولود» و «المصنوع» هما نفس الشئ. ولكن بعد أن ذَكَرَ لفظيَّ «أوجدَ» و «صَنَعَ» أضاف أخيراً «وَلَدَ» لكى يظهر أن العبارة تحمل تفسيرها فيها. لأن اللفظ «صَنَعَ» يشير فى الحقيقة إلى طبيعة البشر. أى أنهم أعمال ومصنوعات. أما لفظ «وَلَدَ» فيوضح محبة الله للبشر التى صارت للناس بعد أن خلقهم. ولأن الناس أظهروا جحوداً لمحبة الله للبشر هذه، لهذا وبخهم موسى وقال أولاً: «هل تكافئون الرب بهذه الأمور؟» ثم أضاف: «أليسَ هُوَ أَبَاكَ وَمُقْتَنِيكَ هُوَ عَمَلُكَ وَأَنْشَأَكَ»^{٦٣٨}. وقال ثانياً: «دَبَّحُوا لأَوْتَانٍ لَيْسَتْ لَإِلَهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا،

^{٦٣٥} تث ٣٢: ٦

^{٦٣٦} تث ٣٢: ١٨

^{٦٣٧} تك ١: ٢٦

^{٦٣٨} تث ٣٢: ٦



أَحْدَاثٍ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قَرِيبٍ، لَمْ يَرْهَبْهَا آبَاؤُكُمْ. الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ تَرَكْتَهُ،
وَنَسِيتَ اللَّهَ الَّذِي أَبْدَاكَ»^{٦٣٩}.

٥٩. فإن الله لم يخلقهم بشراً فقط بل دعاهم أيضاً أبناء لأنه ولدَهم. لأن لفظ «وَلَدَ» له معنى هام. لأنه يشير إلى ابن كما قال بواسطة النبي «وَلَدْتُ بَنِيًّا وَنَشَأْتَهُمْ»^{٦٤٠}. وعموماً فإن الكتاب عندما يريد أن يشير إلى «ابن» يُعَبِّرُ عنه ليس بواسطة اللفظ «خَلَقْتُ»، بل حتماً بواسطة اللفظ «وُلِدْتُ». ويتضح هذا من قول يوحنا: «أَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ، الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ، وَلَا مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللَّهِ»^{٦٤١}. وهذا النص واضح لأنه حين يذكر عبارة «أن يصيروا» يقول إن هؤلاء أبناءه ليس بحسب الطبيعة بل بحسب التبني. ثم يقول «وُلِدُوا» لأن هؤلاء قد حصلوا على لقب ابن بالكامل. ولكن الشعب كما يقول النبي تمرّد على الذي فعل معه «الخير»^{٦٤٢}. فهذه هي محبة الله للبشر أنه بالنسبة لأولئك الذين صنعهم فقد صار لهم أباً أيضاً بعد ذلك بحسب النعمة. وقد صار لهم أباً - كما قال الرسول - عندما حصل الناس المخلوقون على «روح ابنه في قلوبهم صارحاً: أبانا أيها الآب»^{٦٤٣}. فهؤلاء هم الذين قبلوا الكلمة ونالوا منه سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. لأنه لم يكن في إمكانهم - حيث إنهم مخلوقات بالطبيعة - أن يصيروا أبناء بآية طريقة أخرى إلا بأن يتقبّلوا روح الابن الحقيقي حسب الطبيعة. لذا فلكى يحدث هذا فقد «صار الكلمة جسداً»

^{٦٣٩} تث ٣٢: ١٧، ١٨.

^{٦٤٠} إش ١: ٢.

^{٦٤١} يو ١: ١٢، ١٣.

^{٦٤٢} انظر إش ١: ٣.

^{٦٤٣} غل ٤: ٦.



لكى يجعل الإنسان قادراً على تقبل الألوهية، ويمكن أن نتعلم هذا المفهوم أيضاً من ملاخى النبى الذى قال: «ألم يخلقكم إله واحد ؟ أليس لكم أب واحد»^{٦٤٤}. وهنا وضع أولاً «خَلَقَ» وثانياً لفظ «أب» لكى يثبت هو أيضاً أننا كنا منذ البدء مخلوقات بحسب طبيعتنا وأن الله هو خالقنا بواسطة الكلمة وبعد ذلك جعلنا أبناء، وهكذا صار الله الخالق هو أبونا أيضاً.

إذن فإن «الآب» هو خاص «بالابن»^{٦٤٥} وليس بالخلقية، كما أن «الابن» خاص بالآب. ويتضح من هذا أننا لسنا أبناء بالطبيعة. أما الذى جاء وسطنا فهو ابن بالطبيعة. وأيضاً فإن الله ليس أبانا بالطبيعة، بل هو أب الكلمة الساكن فينا والذى به نصرخ «أبانا أيها الآب». وبنفس الطريقة فإنه يدعو الذين يرى ابنه فيهم، أبناء له ويقول: «وَلَدْتُ» حيث إن الولادة تدل على الابن حقاً، أما «الصنع» فهو لفظ يدل على «الأعمال». لهذا فإننا نحن لم «نُولد أولاً» بل «صُنِعنا» كما هو مكتوب «لنصنع إنساناً»، وبعد ذلك بواسطة قبولنا نعمة الروح قال: إننا «نُولد». لهذا فإن موسى العظيم قال بمعنى جيد فى أنشودته، أولاً: «أوجد» وبعد ذلك «وَلَدَ»، لثلاً عند سماع لفظ «وَلَدَ» ينسون طبيعتهم من البداية، وبهذا يعرفون أنهم من البدء مخلوقات. وعندما يقال إن الناس يولدون كأبناء بالنعمة فإنهم مع ذلك هم أيضاً مصنوعات بالطبيعة.

٦٠. إن المخلوق ليس فى الواقع هو «المولود»، بل هما يختلفان أحدهما عن الآخر فى الطبيعة وفى معنى الألفاظ نفسها. والرب نفسه أوضح هذا فى الأمثال. لأنه عندما قال: «الرب خلقنى أول طريقه»^{٦٤٦}، أضاف: «لكنه قبل كل الجبال

^{٦٤٤} مل ٢: ١ سبعينية

^{٦٤٥} أى أن الآب هو أب للابن وليس للخلقية.

^{٦٤٦} أم ٢٢: ٢



وَلَدَنِي^{٦٤٧}. فَإِنْ كَانَ الْكَلِمَةُ مَخْلُوقٌ بِالطَّبِيعَةِ وَبِالْجَوْهَرِ، وَالْمَوْلُودُ يَخْتَلِفُ عَنِ الْمَخْلُوقِ
فَمَا كَانَ لَهُ أَنْ يُضِيفَ «وَلَدَنِي» بَلْ لَكَانَ قَدْ أَكْتَفَى بِلَفْظِ «خَلَقَ» مَا دَامَ هَذَا اللَّفْظُ
يَعْنِي أَيْضًا «وَلَدَ». وَلَكِنَّهُ هُنَا يَقُولُ «خَلَقَنِي أَوَّلَ طَرَقِهِ لِأَجْلِ أَعْمَالِهِ». وَأَضَافَ عِبَارَةَ
«وَلَدَنِي» لَيْسَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ، بَلْ بَعْدَ رِبْطِهَا بِأَدَاةِ الرِّبْطِ «لَكِنْ»، بِذَلِكَ يُعْطَى
حِمَايَةٌ كَافِيَةٌ لِلْفِظِ «خَلَقَ» قَائِلًا: «لَكِنَّهُ قَبْلَ كُلِّ الْجِبَالِ وَلَدَنِي»، لِأَنَّ عِبَارَةَ
«وَلَدَنِي» إِذْ تَأْتِي مَعَ لَفْظِ «خَلَقَ» فَإِنَّهَا تَضْفِى عَلَيْهِمَا مَعْنًى مُعَيَّنًا يُوَضِّحُ أَنَّ لَفْظَ
«خَلَقَ» إِنَّمَا قِيلَ لَغَرَضٍ مُعَيَّنٍ. أَمَّا عِبَارَةُ «وَلَدَنِي» فَهِيَ تَتَّخِذُ وَضْعًا قَبْلَ «خَلَقَ». لِأَنَّهُ لَوْ
كَانَ قَدْ قِيلَ بِالْعَكْسِ تَمَامًا: «الرَّبُّ وَلَدَنِي» ثُمَّ أُرْدِفَ بِالْقَوْلِ: «وَلَكِنْ قَبْلَ كُلِّ
الْجِبَالِ خَلَقَنِي»، لَكَانَ لَفْظُ «خَلَقَ» سَابِقًا عَلَى لَفْظِ «وَلَدَ». وَهَكَذَا يَقُولُهُ أَوَّلًا
«خَلَقَ». وَيَقُولُهُ: «وَلَدَنِي قَبْلَ الْكُلِّ» يَشِيرُ إِلَى أَنَّ ذَاتَهُ هِيَ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرِ الْكُلِّ. وَقَدْ
أَتَضَحَّتِ الْحَقِيقَةُ فِيمَا سَبَقَ مِنْ أَقْوَالٍ إِنَّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَخْلُوقَاتِ لَمْ يَصِرْ أَى وَاحِدٍ
مِنْهَا قَبْلَ غَيْرِهِ، بَلْ إِنْ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقَتْ مَعًا فِى نَفْسِ الْوَقْتِ وَبِنَفْسِ الْأَمْرِ
الْوَحْدِ. وَلِهَذَا فَإِنْ لَفْظُ «وَلَدَنِي» لَا يَرْتَبِطُ بِهِ أَلْفَاظُ مِثْلُ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِلَفْظِ «خَلَقَ»،
وَلَكِنْ لَفْظُ «خَلَقَ» يَرْتَبِطُ بِهِ «أَوَّلَ طَرَقِهِ»، أَمَّا لَفْظُ «وَلَدَنِي» فَلَمْ يَقْلْ مَعَهُ «فِى الْبَدءِ
وَلَدَنِي»، بَلْ «قَبْلَ الْكُلِّ وَلَدَنِي»، فَهَذَا الَّذِى هُوَ قَبْلَ الْكُلِّ لَا يَكُونُ أَوَّلَ الْكُلِّ،
بَلْ هُوَ شَيْءٌ آخَرَ غَيْرِ الْكُلِّ. فَإِنْ كَانَ مُخْتَلِفًا عَنْ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، الَّتِي مِنْ بَيْنِهَا يُعْتَبَرُ
هُوَ أَوَّلُ الْجَمِيعِ، فَيَتَضَحُّ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُظْهَرُ بَوُضُوحٍ أَنَّهُ بِمَا
أَنَّ الْكَلِمَةَ مُخْتَلِفٌ عَنِ الْكُلِّ وَكَائِنٌ قَبْلَ الْكُلِّ، فَإِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يُخْلَقُ «أَوَّلَ طَرَقِهِ
مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِهِ» بِسَبَبِ التَّجَسُّدِ. كَمَا قَالَ الرَّسُولُ: «الَّذِى هُوَ الْبَدَاءَةُ، بِكُرٍّ مِنْ
الْأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ»^{٦٤٨}.

^{٦٤٧} أم ٨: ٢٥

^{٦٤٨} كور ١: ١٨



٦١. وإن كان يوجد هذا الفرق بين «خَلَقَ» و «وَلَدَنِي»، وبين «أول الطرق» و «قبل الكل»، فإن الله أولاً هو خالق البشر وقد صار فيما بعد أباً لهم بسبب كلمته الساكن فيهم. والعكس بالنسبة للكلمة، إذ أن الله هو أبوه بالطبيعة. لكنه صار فيما بعد خالقه وصانعه عندما لبس الكلمة الجسد الذ خُلِقَ وصُنِعَ، وصار إنساناً. لأنه كما أن البشر الذين حصلوا على روح الابن صاروا به أولاداً، هكذا كلمة الله عندما لبس هو أيضاً جسد البشر، فيقال حينئذ إنه خُلِقَ وصُنِعَ. إذن فلو كنا نحن أبناء بالطبيعة يكون هو أيضاً مخلوقاً ومصنوعاً بالطبيعة. ولكن إن كنا نحن أبناء بالتبني وبالنعمة فمن الواضح أن الكلمة حينما صار إنساناً بفضل النعمة، قال: «الرب خَلَقَنِي». وبعد ذلك حينما لبس ما هو مخلوق فإنه صار مشابهاً لنا بحسب الجسد، ولهذا فمن الصواب أن يُدعى أيضاً «أخانا» و «بكرنا». لأنه بما أن البشر قد هلكوا بسبب مخالفة آدم، فإن جسده كان أول ما تم تخليصه وتحريره إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا إذ قد صرنا متحدين بجسده قد خلصنا على مثال جسده وبهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات وإلى أبيه لأنه هو يقول: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ»^{٦٩}. و «أَنَا هُوَ الْبَابُ»^{٦٥}. ويجب على الجميع «أن يدخلوا بي». من أجل ذلك يُدعى «بكر من بين الأموات لا لأنه مات أولاً». إذ أننا قد متنا قبله. بل لأنه قد أخذ على عاتقه أن يموت لأجلنا، وقد أبطل هذا الموت، فإنه هو الأول الذي قام كإنسان، إذ قد أقام جسد لأجلنا. وتبعاً لذلك حيث إن الجسد قد أُقيم، هكذا نحن أيضاً ننال القيامة من بين الأموات منه وبسببه.

^{٦٩} يوحنا ١٤ : ٦

^{٦٥} يوحنا ١٠ : ٧



٦٢. وإن سُمي أيضاً «بكرٌ كُلُّ خَلِيقَةٍ»^{٦٥١}، لكنه لم يلقب بكرًا كمساوٍ للمخلوقات، أو أولهم زمنيًا [لأنه كيف يكون هذا وهو نفسه الوحيد الجنس بحق؟]. لأنه بسبب تنازل الكلمة إلى المخلوقات فإنه قد صار أخًا لكثيرين. وهو يعتبر «وحيد الجنس» قطعًا إذ أنه وحيد وليس له إخوة آخرون والبكر يسمى بكر بسبب وجود إخوة آخرين. لذلك فلم يُذكر في أى موضع في الكتب «بكر الله» ولا «مخلوق الله» بل دُكر «الوحيد الجنس» و «الابن» و «الكلمة» و «الحكمة».

وهذه تشير إلى علاقته الخاصة المتميزة بالآب. وهكذا كُتب «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لَوَحِيدٍ مِنَ الْآبِ»^{٦٥٢} و «أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ»^{٦٥٣} و «كَلِمَتِكَ يَا رَبِّ دَائِمٌ إِلَى الْأَبَدِ»^{٦٥٤} و «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ»^{٦٥٥} و «الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ»^{٦٥٦} و «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»^{٦٥٧} و «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»^{٦٥٨}.

أما لفظ «البكر» فيشير إلى التنازل إلى الخليقة، لأنه بسببها سُمي بكرًا. ولفظ «خُلِقَ» يشير إلى النعمة «من أجل الأعمال» فإنه يُخلق من أجلها. فإن كان هو «الابن الوحيد» تمامًا مثلما هو في الحقيقة، فإن لفظ بكر تحتاج إلى تفسير، لأنه

^{٦٥١} كرا: ١٥

^{٦٥٢} يو: ١٤

^{٦٥٣} ايو: ٩

^{٦٥٤} مز: ١١٩: ٨٩ (سبعينية)

^{٦٥٥} يو: ١

^{٦٥٦} ١ كرا: ٢٤

^{٦٥٧} مت: ٣: ١٧

^{٦٥٨} مت: ١٦: ١٦



لو كان «بكرًا» لما كان «وحيدًا» لأنه غير ممكن أن يكون هو نفسه «وحيدًا» و «بكرًا» إلّا إذا كان يشير إلى أمرين مختلفين. فهو «الابن الوحيد» بسبب الولادة من الآب، ولكنه يسمى «بكرًا» لسبب التنازل إلى الخليقة وجعله الكثيرين أخوة له. فإن كان اللفظان متعارضان أحدهما مع الآخر، فإن في إمكان أى شخص أن يقول إن اصطلاح «الوحيد الجنس» متعلّق بالكلمة وذلك بسبب عدم وجود كلمة آخر أو «حكمة» آخر، بل إنه هو وحده ابن الآب الحقيقي. لأنه كما قيل سابقاً فإن اصطلاح وحيد الجنس لم يذكر مرتبطاً بأى سبب، بل دُكر بصورة مطلقة أنه: «الابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الْآبِ»^{٦٥٩}. أما اصطلاح البكر فهو مرتبط بالخليقة التي أشار إليها بولس عندما قال: «فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ»^{٦٦٠}. فإن كانت كلّ المخلوقات قد خُلِقَتْ بواسطته فإنه يكون مختلفاً عن المخلوقات، ولا يكون مخلوقاً بل هو خالق المخلوقات.

٦٣. إذن فهو لم يُدعَ «بكرًا» بسبب كونه من الآب، بل بسبب أن الخليقة قد صارت به. وكما كان الابن نفسه كائنًا قبل الخليقة وهو الذى به قد صارت الخليقة، هكذا أيضاً فإنه قبل أن يُسمى «بكر كل الخليقة» كان هو الكلمة ذاته عند الله. ولكن حيث إن الكافرين لم يفهموا هذا صاروا يجولون قائلين: «إن كان هو بكر كل خليقة فمن الواضح أنه هو نفسه أيضاً واحد من الخليقة». يالهم من حمقى! فإن كان هو بكر كل الخليقة جمعاء فهو إذن مغاير لكل الخليقة، لأنه لم يَقُلْ إنه كان بكر بقية الخلائق لكى لا يظن أنه مثل واحد من الخلائق، بل قد كتب «بكر كل خليقة» كى يتضح أنه مختلف عن الخليقة. فرأوبين مثلاً لم يُدعَ بكر جميع أولاد يعقوب، بل بكر يعقوب وبكر إخوته،

^{٦٥٩} يوا: ١٨

^{٦٦٠} كرا: ١٦



لكى لا يُظن أنه شخص آخر ولا ينتمى إلى أولاد يعقوب^{٦٦١}. أما بخصوص الرب نفسه فلم يقل الرسول: «لكى يصير بكر الجميع»، لئلا يُظن أنه يلبس جسداً مختلفاً عن جسدنا، بل قال: «هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ»^{٦٦٢} وذلك بسبب مشابهة الجسد. فلو كان الكلمة واحداً من بين الخلائق، لكان الكتاب قد قال عنه إنه بكر المخلوقات الأخرى. أما الآن حيث يقول القديسون إنه «بكر كل خليفة» فإنه يتضح العكس تماماً لأنه غير كلّ الخليفة، وأن ابن الله ليس بمخلوق. لأنه إن كان مخلوقاً فسيكون هو بَكْرًا بالنسبة لنفسه.

فكيف يكون ممكناً أيها الأريسيون أن يكون هو الأول لذاته والثانى بالنسبة لنفسه؟ وبعد ذلك، فإن كان هو مخلوقاً، وكل الخليفة قد صارت به وتتكوّن فيه، فكيف يستطيع أيضاً أن يخلق الخليفة وأن يكون فى نفس الوقت واحداً من أولئك الذين خلّقوا فيه؟ فبدعتهم هذه تظهر منافية للعقل وسقيمة، فهم يحيّدون عن الحق، لأنه قد دُعى «بَكْرًا بين أخوة كثيرين» بسبب علاقة الجسد. وسُمى «البكر من بين الأموات» لأن قيامة الموتى تتبع منه وتلى قيامته. وقد دُعى «بكر كل الخليفة» من أجل محبة الآب للبشر التى بسببها، ليس أن الكلّ فقط قد تَكَوَّنَ بكلمته، بل إن الخليفة نفسها - التى تحدّث عنها الرسول أنها «تَتَوَقَّعُ اسْتِعْلَانُ أَبْنَاءِ اللَّهِ»^{٦٦٣}، هى أيضاً سوف «سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ»^{٦٦٤}. وهكذا فبعد أن تتحرر الخليفة فسيكون الرب أيضاً هو بكرها

^{٦٦١} انظر تك ٣٥: ٢٣

^{٦٦٢} ر ٨: ٢٩

^{٦٦٣} ر ٨: ١٩

^{٦٦٤} انظر ر ٨: ٢١



وبكر كل الأولاد المولودين، لكى بتسميته «الأول» فإن الذين يتبعونه يظلون مرتبطين به كبداية لهم.

٦٤- واعتقد أن الكافرين أنفسهم سيخجلون من مثل هذا الرأى، لأنه لو أن الأمر لم يكن هكذا مثلما قلنا، بل هم يريدونه أن يكون - بحسب الجوهر - مخلوقاً بين الخلائق. وبهذا المعنى يفسرون «بكر كل الخليقة»، فدعهم إذن يعترفون أنهم - فى هذه الحالة - سيفهمونه أنه أخ ومشابه للكائنات الغير ناطقة والتي بلا نفس. لأنه الأشياء هى أيضاً أجزاء من كل الخليقة، لذلك يكون البكر بالضرورة هو الأول من الناحية الزمنية فقط، أما من ناحية النوع والتشابه فيكون هو والجميع شئ واحد. فكيف إذن لا يفوقون كل كفر عندما يقولون هذا؟ ومن سيحتملهم عندما يتكلمون هكذا؟ وكيف يستطيع أحد ألا يشمئز منهم بسبب أنهم يتفكرون فى مثل هذه الأمور؟

لأنه واضح للجميع أنه دعي «بكر الخليقة» ليس بسبب نفسه كما لو كان مخلوقاً، ولا بسبب أن له علاقة ما من جهة الجوهر مع كل الخليقة، بل لأن الكلمة - منذ البدء - عندما خَلَقَ المخلوقات، تنازل إلى مستواها حتى يتيسر لها أن تأتى إلى الوجود. لأن المخلوقات ما كان ممكناً لها أن تحتل طبيعته - التى هى بهاء الآب الخالص - لو لم يتنازل ويعضدها ويمسك بها ويحضرها إلى الوجود بسبب محبة الآب للبشر. ونكرر أيضاً أنه بنزول الكلمة، قد صار به تبنّى الخليقة نفسها به، لكى يصير هو بكرها فى كل شئ كما سبق أن قيل، سواء فى الخلق أم فى دخوله إلى العالم نفسه من أجل الكل لأنه مكتوب «وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقولون لنسجد له كل ملائكة الله»^{٦٥}. فليسمع أعداء المسيح وليمزقوا



أنفسهم بشدة. لأن إدخاله إلى العالم ساهم في تسميته «بكر» الكل، حتى يكون هو ابن الآب الوحيد الجنس بسبب أنه هو الوحيد الذي من الآب، كما أنه «بكر» الخليقة من أجل تبني الجميع. ولأنه هو بكر بين الأخوة، وقد قام من بين الأموات ليكون هو باكورة الراقدين^{٦٦٦}، لذلك كان من الواجب أن يكون متقدماً في كل شيء، لهذا فقد «خُلق أول الطرق». لكي إذ نتبعه ندخل بواسطته وهو القائل «أنا هو الطريق» و «الباب» ونشترك في معرفة الآب، فإننا نسمع الكلمات: «طوبى للكاملين طريقاً»^{٦٦٧} وأيضاً «طوبى للأتقياء القلب، لأنهم يعاينون الله»^{٦٦٨}.

٦٥. وهكذا إذ قد ظهر الحق واتضح أن الكلمة من جهة طبيعته ليس مخلوقاً بالطبيعة، فمن المناسب الآن أن نوضح كيف قيل عنه «أول الطريق». لأنه حيث إن الطريق الأول الذي كان من خلال آدم، قد ضاع وانحرفنا إلى الموت بدل الفردوس وسمعنا القول: «إنك من التراب وإلى التراب تعود»^{٦٦٩}، لذا فإن كلمة الله المحب للبشر لبس - بمشيئة الآب - الجسد المخلوق لكي يُحيى بدم نفسه هذا الجسد الذي أماته الإنسان الأول بسبب تعديّه، كما قال الرسول: «وكرّس لنا طريقاً حياً حديقاً بالحجاب أي جسده»^{٦٧٠}. وهو ما شار إليه في موضع آخر حينما قال: «إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً»^{٦٧١}. فإن كان كل شيء قد صار خليفة جديدة فمن الضروري أن يكون

^{٦٦٦} انظر ١ كور ١٥: ٢٠.

^{٦٦٧} مز ١١٩: ١

^{٦٦٨} مت ٥: ٨

^{٦٦٩} تكم ٣: ١٩

^{٦٧٠} عب ١٠: ٢٠ انظر أيضاً كتاب تَحْسُدُ الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٢٥/د.

^{٦٧١} ٢ كور ٥: ١٧



هناك شخص هو بكر هذه الخليقة. ولا يمكن أن يكون هو الإنسان الضعيف الترابي، وهى حالتنا نحن بسبب التعدى. لأنه فى الخليقة الأولى قد صار البشر عديمى الايمان وهلكت الخليقة الأولى بسببهم، ولذا صارت هناك حاجة إلى آخر وهو الذى يقوم بتجديد الخليقة الأولى والذى يحفظ الخليقة الجديدة التى ستُخلق. فليس هناك أحد غير الرب - الذى هو بداية الخليقة الجديدة - قد خُلِقَ (كما قيل سابقاً) ليكون أول الطريق، وذلك من محبته للبشر، وهكذا يكون من الصواب أن يقول: «الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله» لكى لا يحيا الإنسان فيما بعد بحسب الخليقة الأولى. وإذ توجد بداية خليقة جديدة والمسيح هو بدء طريقها، إذن فلنقتف أثره لأنه هو الذى قال لنا: «أنا هو الطريق». وأيضاً يعلم الرسول المغبوط فى رسالته إلى أهل كولوسى قائلاً: «وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ الْكَنِيسَةِ الَّذِي هُوَ الْبِدْءُ، بِكْرٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ، لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ»^{٦٧٢}.

٦٦ - لأنه إن كان المسيح - كما قيل - يعتبر بداية بسبب القيامة من الأموات، إذ قد حدثت القيامة عندما لبس جسدنا وبعد أن سلّم ذاته للموت من أجلنا، فإنه يكون واضحاً أن ما قاله هو: «خلقنى أول طريقه» يشير ليس إلى جوهره بل إلى وجوده الجسدى. لأن الموت خاص بالجسد. وكما أن الموت صفة خاصة للجسد، هكذا أيضاً فإن الوجود الجسدى يكون خاصاً بالقول: «الرب خلقنى أول طريقه». لأنه هكذا خُلِقَ الْمُخَلَّصُ بحسب الجسد وصار أول الذين صاروا من جديد وأتخذ باكورتنا التى هى الجسد البشرى الذى لبسه، وبعده يأتى الشعب الآتى الذى خُلِقَ كما قال داود: «يُكْتَبُ هَذَا لِلدَّوْرِ الْآخِرِ، وَشَعْبٌ سَوْفَ يُخْلَقُ يُسَبِّحُ الرَّبَّ»^{٦٧٣}. ويقول فى المزمور الحادى والعشرين: «الجيل الآتى سيُخَبِّرُ عن الرب. وسيُعلنون بره

^{٦٧٢} كور: ١٨

^{٦٧٣} مز: ١٠٢: ١٨



للشعب الذى سيُولد الذى صنعه الرب»^{٦٧٤}. لأننا لن نسمع بعد: «يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ»^{٦٧٥}، بل نسمع: «حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا»^{٦٧٦}. وهكذا نستطيع أن نقول: «لأننا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ»^{٦٧٧}. ومرة أخرى حيث إن عمل الله - أى الإنسان - الذى خُلِقَ كاملاً، قد صار ناقصاً بسبب المخالفة، وصار ميئاً بالخطيئة، فلم يكن لائقاً أن يظل عمل الله ناقصاً. ولأجل هذا توسل جميع القديسين قائلين فى المزمور ١٣٧: «يارب جازهم بسببى.. يارب لا تتخلَّ عن أعمال يدك»^{٦٧٨}. لأجل هذا فإن كلمة الله الكامل قد لبس الجسد الناقص. ولهذا يُقال إنه «خُلِقَ من أجل الأعمال»، لكى بعد أن يوفى الدين بدلاً منا يكملّ بنفسه ما هو ناقص عند الإنسان. فالإنسان ينقصه الخلود والطريق إلى الفردوس. وهذا يتضح ما قاله المخلص: «أَنَا مَجْدُّكَ عَلَى الْأَرْضِ. الْعَمَلُ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِأَعْمَلِ قَدْ أَكْمَلْتُهُ»^{٦٧٩} وأيضاً «الْأَعْمَالُ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلَهَا. هَذِهِ الْأَعْمَالُ بَعَيْنَهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي»^{٦٨٠}، إن الأعمال التى يتحدث عنها هنا أن الآب قد أعطاها له ليكملها، هى تلك التى خُلِقَ من أجلها كما يقول فى الأمثال: «الرب خلقنى أول طريقه لأجل أعماله». وهذا كإنه يقول: «الآب أعطانى الأعمال» و «الرب خلقنى لأجل الأعمال».

^{٦٧٤} انظر ٢٢: ٣٠ و ٣١ (مز ٢١ بالسبعينية).

^{٦٧٥} تك ٢: ١٧

^{٦٧٦} يو ١٤: ٣

^{٦٧٧} انظر أف ٢: ١٠

^{٦٧٨} مز ١٣٨: ٨ (مز ١٣٧ بالسبعينية)

^{٦٧٩} يو ١٧: ٤

^{٦٨٠} يو ٥: ٣٦



٦٧. إذن يامحاربي الله، متى أخذ الأعمال لكي يكملها؟ فمن هذا أيضاً سيتضح معنى اللفظ «خَلَقَ». فإن قلتم إن هذا حدث في البدء عندما صنع الأشياء من العدم، يكون هذا كذباً وغير حقيقي، ذلك لأن الأعمال لم تكن قد وجدت بعد. وواضح أنه يقول إنه أخذ «أعمالاً» كانت موجودة عندئذ. وليس من التقوى أن نقول إن هذا حدث قبل الزمن الذي صار فيه الكلمة جسداً، لكي لا يبدو أن مجيئه إلى العالم كان عديم النفع، لأن مجيئه كان لأجل هذه «الأعمال». إذن علينا أن نداوم القول إنه عندما صار إنساناً، فإنه عندئذ فقط أخذ «الأعمال». لأنه عندئذ أكملها أيضاً شافياً جراحنا ومانحاً إيانا القيامة من الأموات. لأنه إن كانت «الأعمال» قد أُعطيت عندئذ للكلمة أي عندما صار جسداً، فإنه يكون واضحاً أنه عندما صار إنساناً فإنه حينئذ أيضاً «خلق لأجل الأعمال». إذن فلفظ «خَلَقَ» لا يشير إلى جوهره - كما قلنا مراراً - بل إلى ولادته بالجسد. ولأن الأعمال صارت ناقصة ومشوهة بسبب التعدى، لذا يُقال عنه إنه «خلق» من جهة الجسد، لكي بعد أن يُكْمَل هذه الأعمال ويتم صنعها يُحضر الكنيسة إلى الآب كما قال الرسول: «لَا دَسَّ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ، بَلْ تَكُونُ مُقَدَّسَةً وَبِلَا عَيْبٍ»^{٦٨١}.

إذن فقد كَمُلَ فيه الجنس البشري وأُعيد تأسيسه كما كان في البدء، بل بالأحرى بنعمة أعظم من الأول. لأننا بعد القيامة من بين الأموات لن نخاف الموت بعد، بل سنملك في السموات مع المسيح على الدوام. وهذا لأن كلمة الله الذاتى عينه، الذى من الآب، قد لبس الجسد وصار إنساناً. لأنه لو كان مخلوقاً ثم صار إنساناً فإن الإنسان يبقى كما كان دون أن يتحد بالله. لأنه كيف يمكن لمخلوق أن يتحد بالخالق بواسطة مخلوق؟ لأن أى معونة يمكن أن يحصل عليها متماثلون



من مماثلهم ما داموا هم أيضاً محتاجين إلى نفس المعونة^{٦٨٢} ؟ وإن كان الكلمة مخلوقاً فكيف يمكن أن يبطل حكم الله ويصفح عن الخطيئة وهو أمر كتب عنه الأنبياء أنه خاص بالله ؟ لأن «مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ، غَافِرُ الْإِثْمِ، وَصَافِحٌ عَنِ الدُّنْبِ»^{٦٨٣}. فإن الله قال: «لَأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ»^{٦٨٤}، والبشر قد صاروا مائتين. إذن فكيف يكون في إمكان المخلوقين أن يبطلوا الخطيئة ؟ فإن الرب نفسه هو الذي أبطلها كما قال هو نفسه: «إن لم يحرركم الابن»^{٦٨٥}، وأوضح حقاً أن الابن الذي حرّر ليس مخلوقاً وليس من بين المخلوقات، بل هو الكلمة الذاتى وصورة جوهر الآب، وهو الذى «أصدر الحكم»^{٦٨٦}، فى البداية، وهو الذى صَفَحَ عن الخطايا. قيل بواسطة الكلمة «أنت من التراب وإلى التراب تعود» هكذا أيضاً قد تحققت الحرية بالكلمة نفسه وفيه، وبه قد صار إبطال الدينونة.

٦٨. ولكنهم يقولون إنه يمكن أن يكون المخلص مخلوقاً ومع ذلك يقول الله مجرد كلمة ليبطل بها اللعنة. ومن المحتمل أن يسمعوا نفس الشئ من آخر يقول: «كان فى الإمكان ألاّ يأتى الابن إلى العالم على الإطلاق، وأن يتكلم الله فقط ويبطل النعمة»^{٦٨٧}. ولكن يلزم التفكير فى تحديد ما هو ملائم للبشر وليس فى ما

^{٦٨٢} يعبر القديس أنثاسيوس عن نفس هذه الحقيقة بعبارة أخرى، انظر تَحَسُّدُ الْكَلِمَةِ، المرجع السابق، فصل ٧/١٣، فصل ٥/٢١.

^{٦٨٣} ميخا ٧: ١٨.

^{٦٨٤} تك ٣: ١٩.

^{٦٨٥} انظر يوحنا ٨: ٣٦.

^{٦٨٦} يقصد أن الكلمة هو الذى أصدر حكم الموت «لأنك من التراب وإلى التراب تعود».

^{٦٨٧} سبق أن حاجج كلسوس المسيحيين بهذا القول. انظر أوريجينوس فى رده على كلسوس ٣/٤ غير أن هذه الحجة وردت على لسان الآريوسيين، كما سبق أن أشار إليها القديس أنثاسيوس من قبل وفندها فى كتابه تَحَسُّدُ الْكَلِمَةِ، المرجع السابق، فصل ٤٤.



يكون في استطاعة الله. لأنه كان قادراً أن يهلك البشر المخالفين قبل فلك نوح، ولكنه فعل هذا بعد الفلك. وكان يستطيع بدون موسى أن يُخرج الشعب من مصر بكلمة فقط، ولكن كان من المفيد أن يفعل هذا بواسطة موسى. وكان يستطيع الله أيضاً أن يخلص الشعب بغير القضاة ولكن كان من مصلحة الناس أن يقيم لهم قاضياً في كل عصر. وكان من الممكن أن يقيم المخلص بيننا منذ البداية، أو بعد أن جاء كان يمكنه ألا يستسلم لبيلاطس. لكنه جاء عند إنقضاء الدهور، فعندما سأله قال: «أنا هو»^{٦٨٨}. لأن ما صنعه كان هو بعينه النافع للبشر. ولم يكن من المناسب أن يكون هناك شئ آخر. وبرعايته قد صنع أيضاً ما هو نافع ولازم.

إذن فهو قد «جاء لا لكي يُخدم، بل لكي يخدم وأن يصنع لنا خلاصاً»^{٦٨٩}. وبالتأكيد كان يستطيع أن يملأ الشريعة من السماء غير أنه رأى أنه لصالح البشر أن يملئها من سيناء. وهذا ما قد صنعه بالفعل حتى يستطيع موسى أن يرتقى الجبل ويتمكن أولئك الذين يسمعون الكلام عن قرب أن يؤمنوا أكثر. ويمكن أيضاً أن ندرك صواب ما قد فعله من الآتى:

ولو أن الله قال كلمة واحدة - بسبب قدرته - وأبطل بها اللعنة، لظهرت قوة الذى أعطى الأمر ولكن الإنسان كان سيظل كما كان آدم قبل العصيان، لأنه كان سيحصل على النعمة من الخارج دون أن تكون متحدة مع الجسد (فهذه كانت الحالة عندما وُضِعَ في الجنة) بل ربما صارت حالته الآن أسوأ مما كان في الجنة بسبب أنه قد تعلّم كيف يعصى. فلو كانت حالته هكذا وأغوى مرة أخرى بواسطة الحية لصارت هناك حاجة مرة أخرى أن الله يأمر ويبطل اللعنة وهكذا

^{٦٨٨} يو ١٨: ٥

^{٦٨٩} مت ٢٠: ٢٨



تستمر الحاجة إلى ما لا نهاية، وَلَظَلَّ البشر تحت الذنب لسبب استعبادهم للخطية - إذ هم يقتربون الأثم - ولظلوا على الدوام فى حاجة لمن يعفو عنهم ولما خلصوا قط. ولكونهم أجساداً بحسب طبيعتهم فإنهم يظلون مقهورين دائماً بواسطة الناموس لسبب ضعف الجسد^{٦٩٠}.

٦٩. ومرةً أخرى (نقول)، لو كان الابن مخلوقاً لظل الإنسان مائتاً كما كان قبلاً، حيث إنه لم يتحد بالله. فإنه لا يستطيع مخلوق أن يوحد المخلوقات مع الله، إذ أنه هو نفسه فى حاجة لمن يوحد بالله. وليس فى وسع جزء من الخليقة أن يكون خلاصاً للخليقة إذ هو نفسه فى حاجة إلى الخلاص. ولكى لا يحدث هذا أرسل الله ابنه وصار ابن الإنسان بأخذه الجسد المخلوق. وحيث إن الجميع كانوا خاضعين للموت، وكان هو مختلفاً عن الجميع فقد قدّم جسده الخاص للموت من أجل الجميع. إذن حيث إن الجميع ماتوا بواسطة هكذا قد تمّ الحكم (إذ أن الجميع ماتوا فى المسيح). وهكذا فإن الجميع يصيرون بواسطة أحراراً من الخطية ومن اللعنة الناتجة عنها، ويبقى الجميع على الدوام قائمين من الأموات ولايسين عدم موت وعدم فساد. وكما قلنا مراراً وتكراراً فإن الكلمة بلبسه للجسد بدأ يُبطل منه كَلِيَّة كل لدغة من لدغات الحية، ويقطع منه أى شئ ينبع من حركات الجسد، ويُبطل معها أيضاً الموت الذى يتبع الخطية^{٦٩١} كما قال الرب نفسه: «لأنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ»^{٦٩٢}. وحيث إن أعمال إبليس^{٦٩٣} قد نُقِضَتْ

^{٦٩٠} سبق أن أوضح القديس أنثاسيوس نفس هذا التعليم بأسلوب مشابه وذلك في إطار دفاعه عن تَجَسُّد الكَلِمَة، انظر كتاب تَجَسُّد الكَلِمَة، المرجع السابق، فصل ٨/٤٤.

^{٦٩١} يُجمل القديس أنثاسيوس في هذه الفقرة تعليمه ودفاعه عن ألوهية الابن المتجسد موضعاً عمله الخلاصى من أجل البشرية كلها. ويمكن مقارنة هذا الجزء بما ورد في كتابه «تَجَسُّد الكَلِمَة» الفصل ٢٠، حيث لخص فيه القديس أنثاسيوس سبب ظهور كلمة الله في الجسد.

^{٦٩٢} يوحنا ١: ٣٠



من الجسد فقد تحررنا جميعاً بسبب علاقتنا بجسده، وصرنا متحدين مع الكلمة، ولأننا متحدون مع الله فلن نمكث كثيراً بعد على الأرض، بل كما قال هو نفسه: «حيث يكون هو هناك نكون نحن أيضاً»^{٦٩٤}. وعندئذ لن نخاف الحيّة بعد لأنها أبطلت بواسطة الجسد بعد أن طردها المخلص عندما سمعت «أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ»^{٦٩٥}. وهكذا طُرد خارج الفردوس وألقى في النار الأبدية. ولن نحترس بعد من المرأة التي خدعتنا لأنه في «الْقِيَامَةِ لَا يُزَوَّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ بَلْ يَكُونُونَ كَمَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ»^{٦٩٦} وستكون خليفة جديدة في المسيح يسوع «لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى»^{٦٩٧}. بل سيكون المسيح الكلّ في الكل^{٦٩٨}، وحيث يكون المسيح فأى خوف أو خطر يكون هناك؟

٧٠. ولكن كل هذا لم يكن ممكناً أن يحدث لو أن الكلمة كان مخلوقاً فالشيطان إذ هو مخلوق فإنه يواصل الحرب دائماً ضد المخلوق، وحيث إن الإنسان موجود في وسط الصراع فهو خاضع للموت، إذ ليس له من بواسطته وعن طريقه يتحد بالله لكي يتحرر من كل خوف. ولذلك فإن الحق يوضح أن الكلمة لا ينتمى إلى المخلوقات، بل بالحرى هو نفسه خالقهم. ولذلك فقد لبس الجسد البشرى

^{٦٩٣} ١ يوح ٣ : ٨

^{٦٩٤} انظر يوح ١٤ : ١٣

^{٦٩٥} مت ٤ : ١٠

^{٦٩٦} مت ٢٢ : ٣٠

^{٦٩٧} انظر غلا ٣ : ٢٨.

^{٦٩٨} انظر ١ كور ١٥ : ٢٨



المخلوق، لكي بعد أن يجده كخالق فإنه يؤله هذا الجسد في ذاته^{٦٩٩} هو نفسه، وهكذا يدخلنا جميعاً إلى ملكوت السموات على مثال صورته. لأنه ما كان للإنسان أن يتأله^{٧٠٠} لو أنه اتحد بمخلوق أو لو أن الابن لم يكن إلهاً حقيقياً. وما كان للإنسان أن يقف في حضرة الآب لو لم يكن الذي لبس الجسد هو بالطبيعة كلمته الحقيقي.

وكما أنه لو لم يكن الجسد الذي لبسه الكلمة جسداً بشرياً لما كنا قد تحررنا من الخطيئة واللعنة (حيث إنه في هذه الحالة لا يكون هناك شئ مشترك بيننا وبين ما هو غريب)^{٧٠١}، هكذا لم يكن للإنسان أن يؤله لو لم يكن الكلمة هو ابن طبيعي حقيقي وذاتي من الآب. لهذا إذن صار الاتحاد هكذا: أن يتحد ما هو بشرى بالطبيعة بهذا الذي له طبيعة الألوهة، ويصير خلاص الإنسان وتأليهه مؤكداً. لذلك فإن الذين ينكرون أن الابن هو بالطبيعة من الآب وأنه مولوده الذاتي من جوهره، فلينكروا أيضاً أنه قد حصل على جسده البشري الحقيقي من مريم الدائمة البتولية. لأنه لن يكون لنا نحن البشر أى ربح بعد، إن لم يكن الكلمة هو ابن الله الحقيقي بالطبيعة، وإن لم يكن الجسد الذي اتخذه هو جسد حقيقي. ولكنه بالتأكيد قد اتخذ جسداً حقيقياً برغم ما يهذى به فالنتينوس^{٧٠٢}، ذلك لأن

^{٦٩٩} كثيراً ما يشدد القديس أنثاسيوس على هذه الحقيقة الخلاصية باستخدام هذا التعبير، وذلك في مثالاته ضد الآريوسيين ٣٩/١، ٤٧/٢، ٥٩/٢، ٣٣/٣، وأيضاً تجسّد الكلمة ٣/٥٤، وهذا التعبير عند الآباء بصفة عامة لا يعنى أن الإنسان يصير بطبيعته إلهاً بل يعنى أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة، التي هي شركة حياة الثالوث.

^{٧٠٠} راجع أيضاً رسائل القديس أنثاسيوس إلى أدلفيوس ٤، وإلى سراجيون عن الروح القدس ٢٤:١، والدفاع عن الإيمان ١٤.

^{٧٠١} يقصد بـ «ما هو غريب»، الطبيعة الإلهية التي تختلف عن طبيعتنا البشرية المخلوقة.

^{٧٠٢} فالنتينوس: هو الممثل الرئيسى للغنوسية في القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء — أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساساً من إيريناوس وهيبوليتوس.



الكلمة هو إله حق بالطبيعة رغم هذيان مجانين الأريوسية^{٧٠٢}. فهو بهذا الجسد قد صار بدء خليقتنا الجديدة لأنه قد خُلِقَ كإنسان لأجلنا وقد كَرَّسَ لنا ذلك الطريق كما قد كُتِبَ.

٧١. إذن فالكلمة ليس مخلوقاً، لأن ألفاظ «المخلوق» و «المصنوع» و «العمل» تعنى نفس الشيء. فلو كان «مخلوقاً» لكان أيضاً «مصنوعاً» و «عملاً» لهذا فإنه لم يقل «خلقني عملاً» و «صنعتني مع الأعمال» لكى لا يُظن من الناحية الأخرى - حسب نية الكافرين - أنه صار أداة من أجلنا. وأيضاً لم يعلن: «خلقني قبل الأعمال»، لتلا وهو كائن قبل الكل «مولود»، ثم يقال أنه أيضاً «مخلوق قبل الأعمال»، فإن اللفظ «مولود»، واللفظ «خُلِقَ» يظهران كأن لها نفس المعنى. ولكنه قال بتمييز دقيق: «من أجل الأعمال» كأنه يقول «الآب صنعني جسداً لكى أصير إنساناً»، حتى يظهر من هذا أيضاً انه ليس «عملاً»، بل هو «مولود». لأنه كما أن مَنْ يدخل إلى المنزل لا يعتبر جزءاً من المنزل، بل هو مختلف عن المنزل^{٧٠٣}، هكذا مَنْ يُخلق من أجل الأعمال فإنه بالطبيعة مغاير للأعمال. لأنه لو كان كلمة الله «عملاً». وفقاً لمعتقداتكم أيها الأريوسيون - فبأية «حكمة» إذن وبأية «يد» قد وُجد هو أيضاً؟ لأن كل الكائنات قد وُجدت بيد الله وحكمته. فإن الله نفسه يقول «وَكُلُّ هَذِهِ صَنَعْتُهَا يَدِي»^{٧٠٤}. وداود يرتل قائلاً: «مِنْ قَدَمِ أَسَسْتَ الْأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدِكَ»^{٧٠٥}. ويقول أيضاً فى المزمور المئة والثانى والأربعين: «تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْقَدَمِ.

^{٧٠٢} انظر فصل ١:١٤ وفصل ١٧:١٥.

^{٧٠٣} يذكر القديس أنطاسيوس تشبيهاً مماثلاً عن دخول أحد الملوك العظام مدينة عظيمة وسكنه في أحد منازلها، انظر «نَجَسْد»

الكلمة» المرجع السابق، فصل ٣/٩.

^{٧٠٤} إش ٦٦: ٢

^{٧٠٥} مز ١٠٢: ٢٥



لَهَجَتْ بِكُلِّ أَعْمَالِكَ. بِصَنَائِعِ يَدَيْكَ أَتَأَمَّلُ»^{٧٠٧}. إذن فإن كانت يد الله هي التي صنعت الصنائع، وقد كُتِبَ: «كل الأشياء قد صارت بالكلمة وبغيره لم يكن شئ مما كان»^{٧٠٨}، وأيضاً: «رَبُّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ»^{٧٠٩}، وأيضاً «وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ»^{٧١٠}، فإنه من الواضح أن الابن لا يمكن أن يكون «عملاً» ولكنه هو يد الله وحكمته. وقد عرف هذا الذين صاروا شهوداً في بابل أي حنانيا وعزريا وميصائيل، وهم يدحضون الكفر الآريوسي لأنهم قالوا: «بارك الرب يا جميع أعمال الرب»^{٧١١}. وقد اعتبروا كل ما في السماء وعلى الأرض والخلقة جمعاء أنها «أعمال» أما الابن فإنهم لم يذكره بين الأعمال لأنهم لم يقولوا: «بارك أيها الكلمة وسبحي أيتها الحكمة». وهذا يوضح أن كل الأشياء غيرهما تُسَبِّح وهي «أعمال»، أما الكلمة فهو ليس «عملاً» ولا ينتمى إلى الأشياء التي تُسَبِّح، بل هو مُسَبِّح مع الآب ومعبود ويُعترف به إلهاً لأنه هو كلمة الآب وحكمته وهو خالق «الأعمال». وقد قال الروح هذا أيضاً في المزامير بتمييز بديع للغاية: «لأن كلمة الرب مستقيمة وكل أعماله موثوق بها»^{٧١٢}، كما يقول أيضاً في مزمور آخر «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالُكَ يَا رَبُّ! كُلُّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»^{٧١٣}.

^{٧٠٧} مز ١٤٣: ٥

^{٧٠٨} انظر يوا ٣: ١

^{٧٠٩} اكو ٨: ٦

^{٧١٠} كو ١: ١٧

^{٧١١} دا ٣: ٥٧ سبينية

^{٧١٢} مز ٣٣: ٤ سبينية

^{٧١٣} مز ١٠٤: ٢٤



٧٢. فإن كان الكلمة «عملاً» فإنه يكون قد وُجد بواسطة الحكمة، ولما ميّزه الكتاب عن «الأعمال»، ولما سمّى الكتاب تلك «أعمالاً» بينما يُبشّر به هو أنه كلمة الله وحكمته الذاتية. أما الآن فإن الكتاب إذ يميّزه عن «الأعمال» فإنه يوضح أن الحكمة هي خالقة «الأعمال» وهي ليست «عملاً» ونفس هذا التمييز قد استخدمه بولس عندما كتب إلى العبرانيين: «لأنَّ كَلِمَةَ اللَّهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ، وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمَخَاجِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقُلُوبِ وَنِيَّاتِهِ. وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيِ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا».^{٧١٤} لأنه ها هو يدعو الكائنات «خليقة» أما الابن فيعرفه أنه «كلمة الله» الذي هو مختلف عن المخلوقات. وهو يقول أيضاً: «كل شيء مكشوف وعريان أمام عيني ذاك الذي نقدم له الحساب»، وهذا يعنى أنه غير كل الكائنات.

لهذا إذن فهو الذى يدين، أما كل واحد من الكائنات فهو مسئول أن يقدم حساباً أمامه. وهكذا فإن كل الخليقة تتن معاً من أجل أن تتحرر من عبودية الفساد^{٧١٥}، وبهذا يظهر أن الابن هو غير المخلوقات لأنه لو كان مخلوقاً لكان واحداً من أولئك الذين يتنون ويحتاج إلى مَنْ يعطيه التبني ويحرره أيضاً مع الكائنات الأخرى. فإن كانت كل الخليقة تتن معاً من أجل التحرر من عبودية الفساد، إلا أن الابن ليس من بين الذين يتنون ولا من بين الذين يحتاجون إلى الحرية، بل هو الذى يُعطى التبني والحرية للجميع كما قال لليهود فى تلك الأيام: «وَالْعَبْدُ لَا يَبْقَى فِي الْبَيْتِ إِلَى الْأَبَدِ، أَمَّا الْابْنُ فَيَبْقَى إِلَى الْأَبَدِ. فَإِنْ حَرَرَكُمُ

^{٧١٤} عب ٤: ١٢، ١٣

^{٧١٥} انظر روم ٨: ٢١، ٢٢



الْإِبْنُ فَيَا الْحَقِيقَةَ تَكُونُونَ أَحْرَارًا»^{٧١٦}. فمن ذلك يصير واضحاً أكثر من النور أن كلمة الله ليس مخلوقاً، بل هو ابن الآب الحقيقي الأصل بالطبيعة.

إذن فيما يتعلق بالعبارة «الرب خلقني أول الطرق»، وإن كنا نتناولها بإيجاز فإن هذا يكفي كما أعتقد ليعطى مادة للعارفين لكي يعدوا ردوداً على البدعة الآريوسية. ولكن عندما قرأ الهراطقة الآية المكتوبة بعدها: «أسسني قبل أن يكون الدهر»^{٧١٧}، أسأوا التفكير بخصوصها وظنوا أنه يشير بها إلى ألوهية الكلمة، وليس إلى حضوره الجسدي، لذا فمن الضروري أن نشرح هذه الآية لكي نثبت ضلالهم.

^{٧١٦} يو ٨: ٣٥، ٣٦

^{٧١٧} أم ٨: ٢٣

الفصل الثانى والعشرون

شرح نصوص: سادساً:

«أسسنى قبل الدهر»

أمثال ٨: ٢٢-٣٠

٧٣ - مكتوب «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الْأَرْضَ»^{٧١٨}. فإن كانت الأرض إذن قد تأسست بالحكمة فكيف تأسس هذا الذى أسسها؟. ولكن هذا النص قد قيل بأسلوب الأمثال. ويجب أن نبحث عن المقصود من هذا لكى نعرف أن الله خلق الأرض وأسسها بالحكمة لكى تكون ثابتة وطيدة وتظل باقية. والحكمة نفسها تأسست لأجلنا لكى تصير بداية وأساس خليقتنا الجديدة وتجديدنا. وهنا أيضاً لا يقول فى هذه النصوص إنه «قبل الدهر (العالم) قد صنعى كلمة أو ابناً لكى لا يبدو أن له بداية صنع، فقبل كل شئ يجب أن نبحث إن كان هو ابناً وأن نفتش الكتب بخصوص هذا الأمر. فهذا ما أجاب به بطرس، عندما سئل الرسل، قائلاً: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ»^{٧١٩}. فإن أب الهرطقة الآريوسية^{٧٢٠} سأل هذا السؤال أيضاً فى البداية: «إِنْ كُنْتُ ابْنُ اللَّهِ»^{٧٢١} لأنه عرف أن هذا هو الحق وأساس إيماننا، وإنه إن كان هو الابن فيكون هذا هو نهاية حكم الشيطان الاستبدادى،

^{٧١٨} أم ٣: ١٩

^{٧١٩} مت ١٦: ١٦

^{٧٢٠} أب الهرطقة الآريوسية هو الشيطان.

^{٧٢١} مت ٤: ٦



أما إن كان مخلوقاً فإنه يكون واحد من ذرية آدم الذى خدعه الشيطان، وبذلك فلا يكون لديه داعٍ لأى اكتراث.

وكان يهود ذلك الزمان ساخطين لأنه دعا نفسه ابن الله وكان يقول إن الله أبوه. لأنه لو كان قد دعا نفسه واحداً من بين المخلوقات أو لو كان قد قال: «إنى مصنوع» لما اندهشوا وهم يسمعون ولما ظنوا أن هذه الأقوال تجديف، ما داموا يعرفون أن الملائكة كانت تظهر لأبائهم أيضاً. ولكن حينما دعا نفسه ابناً بدأوا يعتبرون أن هذا اللقب لم يكن يميز المخلوق بل يميز الألوهية وطبيعة الآب.

٧٤. وكان ينبغى على الآريوسيين - محاكاة لأبيهم الشيطان - أن يبحثوا هذا الأمر بدقة. لو كان قد قال: «أسسنى كلمة أو ابناً» وأن يفكروا كما يفكرون. ولكن إن لم يكن قد قال هكذا فلا ينبغى أن يبتدعوا لأنفسهم أموراً لا وجود لها. لأنه لم يقل: «قبل الدهر أسسنى كلمة أو ابناً» بل قال ببساطة «أسسنى» لكى يوضح - كما قلت - إنه يقول هذا فى أمثال ليس عن نفسه بل عن هؤلاء الذين يُبْنَوْنَ فوقه. ولأن الرسول قد عَرَفَ هذا لذا فإنه يكتب: «فَإِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاساً آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»^{٧٢٢} وأيضاً «فَلْيَنْظُرْ كُلُّ وَاحِدٍ كَيْفَ يَبْنِي عَلَيْهِ»^{٧٢٣} ومن الضروري أن يكون الكلام مماثلاً لتلك الأشياء التى تُبنى عليه حتى يمكنها أن تتلائم معه وتتحد به. ولكونه الكلمة، فإنه من حيث كونه كلمة حقاً فلا يوجد هناك مَنْ يماثلونه حتى يمكن أن يتحدثوا معه - وذلك لأنه وحيد الجنس - ولكنه بصيرورته إنساناً فقد صار له مماثلون وهم الذين إرتدى جسدهم المماثل لجسده. وتبعاً لذلك فإنه «تأسس» بحسب بشريته لكى يمكننا نحن أيضاً أن نبْنَى فوقه كحجارة كريمة ونصير هيكلاً للروح القدس الساكن

^{٧٢٢} ١كو٣: ١١

^{٧٢٣} ١كو٣: ١٠



فيما. وكما إنه هو أساس حقاً، فنكون نحن الحجارة التي تبنى عليها، وأيضاً يكون هو الكرامة ونصير نحن أغصانه ليس بحسب جوهر اللاهوت . لأن هذا مستحيل حقاً . بل بحسب بشريته، لأن الأغصان يلزم أن تكون مشابهة للكرمة، حيث إننا نحن مشابهون له بحسب الجسد.

وأيضاً حيث إن الهراطقة يفكرون بطريقة بشرية فمن الملائم أن ندحض أقوالهم بأمثال بشرية. فهو لم يقل: «قد جعلني أساساً» لكي لا يجدوا في هذا القول حجة وقحة للكفر زاعمين إنه مصنوع وأن له بداية وجود، بل قال إنه: «أسسني». فالذي يؤسس إنما يؤسس بسبب الحجارة التي توضع فوقه وهذا يحدث ليس كيفما أتفق، بل بنقل الحجارة من جبل أولاً ثم بعد ذلك توضع في عمق الأرض. وطالما كانت الحجارة موجودة في الجبل فهي لا تكون قد تأسست بعد، إلّا عندما تستدعى الحاجة فيتم نقلها وتوضع في عمق الأرض، وعندئذ لو كانت تستطيع أن تتكلم ل قالت: «الآن أسسني هذا الذي نقلني من الجبل إلى هنا». إذن فالرب عندما «أسس» لم يكن هذا هو بداية وجوده (لأنه قبل التأسيس كان هو كلمة)، لكن عندما لبس جسدا الذي أخذه كقطعة من جسد مريم عندئذ يقول: «أسسني» كما لو كان قد قال: «لكوني الكلمة فقد ألبسني جسداً ترابياً». لأنه هكذا تأسس من أجلنا. أخذاً ما يخلصنا على عاتقه. لكي بإتحادنا معه في الجسد، وارتباطنا به بسبب مشابهة الجسد نبقى غير مائتين وغير قابلين للفساد وبه نصل إلى إنسان كامل^{٧٢٤}.



٧٥ - أما العبارات: «قبل الدهر» و «قبل أن يصنع الأرض» و «قبل أن ترسى الجبال»^{٢٢٥} فلا يتبغى لأحد أن ينزعج بسببها، لأنه ربطها بتناسق تام مع لفظ «أسس» ولفظ «خلق». لأن هذا ينسجم أيضاً مع التدبير بحسب الجسد. لأنه رغم أن النعمة التي صارت نحونا من المخلص وقد ظهرت كما قال الرسول^{٢٢٦} وقد حدث هذا عندما أقام بيننا، إلّا أن هذه النعمة قد أُعدت قبل أن يخلقنا بل حتى من قبل أن يخلق العالم. والسبب في هذا صالح ومذهل. فلم يكن من اللائق أن يفكر الله بخوصنا بعد أن خلقنا لكي لا يظهر إنه يجهل الأمور التي تتعلق بنا. فإنه الجميع إذن - عندما خلقنا بكلمته الذاتى ولأنه كان يعرف أمورنا أكثر منا ويعرف مقدماً أننا رغم أنه قد خلقنا صالحين إلا أننا سنكون فيما بعد مخالفين للوصية، وأننا سنطرد من الجنة بسبب العصيان - ولأنه هو محب البشر وصالح فقد أعد من قبل تدبير خلاصنا بكلمته الذاتى الذى به أيضاً خلقنا. لأننا حتى إن كنا قد خُدعنا بواسطة الحية وسقطنا فلا نبقى أموات كليّة بل يصير لنا بالكلمة الفداء والخلاص الذى سبق إعداده لنا لكي نقوم من جديد ونظل غير مائتين، وذلك عندما «خلق» هو من أجلنا «بدء الطرق» وصار «بكر الخليقة» و «بكر إخوة» وقام «باكورة الأموات»

إن بولس الرسول المغبوط يعلم بهذا كتفسير للنص الذى جاء فى الأمثال: «قبل الدهور» و «قبل أن تكون الأرض»، وذلك عندما كتب إلى تيموثاوس قائلاً: «اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله، الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أُعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع

^{٢٢٥} أم ٢٣ - ٢٥

^{٢٢٦} انظر تيطس ٢: ١١



الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ، وَأَنَارَ الْحَيَاةَ^{٧٢٧}. بل وقال لأهل أفسس: «مُبَارَكُ اللَّهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قَدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيْنَنَا لِلتَّبَنِّي يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ»^{٧٢٨}.

٧٦. وكيف اختارنا قبل أن نُخْلَقَ، إن لم نكن ممثلين فيه من قبل كما قال هو نفسه؟ وعموماً، كيف سبق فعيننا للتبني قبل يَخْلُقَ البشر إن لم يكن الابن نفسه قد «تأسس قبل الدهور» آخِذاً على عاتقه تدبير خلاصنا؟ أو كيف يضيف الرسول قائلاً: «لِنَا نَصِيْباً، مُعَيَّنِينَ سَابِقاً»^{٧٢٩} لو لم يكن الرب نفسه قد تأسس قبل الدهور، حتى يكون له قصد من أجلنا أن يأخذ على عاتقه نصيب الدينونة الكامل من أجلنا عن طريق الجسد وبهذا نكون نحن متبنون فيه؟ وكيف حصلنا على النعمة «قبل الأزمنة» بينما لم يكن قد خُلِقْنَا بعد، بل خُلِقْنَا فِي الزَّمَنِ، لو أن النعمة التي وصلت إلينا لم تكن مودعة في المسيح؟ لهذا ففي الدينونة عندما ينال كل واحد بحسب عمله، يقول: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»^{٧٣٠}. كيف إذن أو بواسطة مَنْ أَعَدَّ الْمَلَكُوتَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقْنَا، إن لم يكن بواسطة الرب الذي «تأسس قبل الدهر» لأجل هذا الغرض، لكي بنياننا عليه كحجارة ملتئمة، نشترك في الحياة والنعمة الممنوحين معه؟ ولقد حدث هذا مثلما يحدث عموماً باستقامة لمن يفكر بتقوى. وذلك لكي نستطيع أن نحيا - كما سبق أن قلت - مادمنًا قد قمنا من الموت المؤقت. وهذا لم

^{٧٢٧} ١٠ : ٨ - ١٣

^{٧٢٨} أف ١ : ٣ - ٥

^{٧٢٩} أف ١ : ١١

^{٧٣٠} مت ٢٥ : ٣٤



يكن فى إمكاننا أصلاً حيث إننا بشر من تراب، لو لم يكن رجاء الحياة والخلاص قد أُعد فى المسيح من «قبل الدهور». إذن فمن الإنصاف، إذ إنحذار الكلمة إلى جسدنا و «خَلَقَ فيه أول الطرق من أجل أعماله» فإنه تأسس تماماً حسب مشيئة الأب التى كانت فيه كما قيل: «قبل الدهر» و «قبل أن تكون الأرض» و «قبل أن ترسى الجبال» و «قبل تدفق الينابيع»^{٧٣١} لكى عندما تزول الأرض والجبال والطبيعة المنظورة فنحن لا نعتق ونبلو مثل هذه المخلوقات، بل سنتمكن أن نحيا بعدها، إذ قبل أن توجد هذه الأشياء قد أُعد لنا حياة وبركة روحية بواسطة الكلمة نفسه حسب الاختيار. لأنه هكذا سيكون لنا ليس حياة مؤقتة بل نبقى أحياء فى المسيح بعد هذه الأشياء، إذ أن حياتنا كانت قد تأسست وأُعدت بالمسيح يسوع قبل هذه الأشياء.

٧٧ - ولم يكن من اللائق إذن أن تؤسس حياتنا بأى طريقة أخرى سوى أن تؤسس فى الرب الذى هو كائن منذ الأزل، والذى به قد خُلقت العالمين، لكى نستطيع نحن أيضاً أن نرث حياة أبدية إذ أن هذه الحياة كائنة فيه ولأن الله صالح، وهو صالح على الدوام وهو يعرف طبيعتنا الضعيفة التى تحتاج إلى معونته وخلاصه، لذا فقد خطط هذا. وذلك مثلاً لو كان مهندس حكيمًا يريد أن يبنى منزلاً فإنه يخطط فى نفس الوقت كيفية تجديده مرة أخرى لو تدمر يوماً ما بعد أن يتم بناؤه، وهو يُعد لهذا من قبل عندما يخطط، ويعطى للقائم على العمل الاستعدادات اللازمة للتجديد، وهكذا يكون استعداد مسبق للتجديد قبل بناء المنزل. وبنفس الطريقة فإن تجديد خلاصنا قد تأسس فى المسيح قبلنا، لكى يمكن إعادة خلقنا من جديد فيه، فالإرادة والتخطيط قد أُعدا منذ الأزل، أما

^{٧٣١} انظر أم ٢٢: ٨-٢٥



العمل فقد تحقق عندما استدعت الحاجة وجاء المخلص إلى العالم. لأن الرب نفسه سيكون في السماء من أجلنا أجمعين وسيأخذنا معه إلى الحياة الأبدية.

هذا إذن يكفي لكي يوضح أن كلمة الله ليس بمخلوق، بل إن العبارة لها معنى مستقيم. وبما أنه عند استقصاء معنى هذه العبارة يتضح أن لها معنى مستقيماً من جميع وجهات النظر إذن يلزم أن نتحدث بتوسع في هذا المعنى، لعل الأغبياء يخلطون من كثرة كلامنا. فهم في حاجة من جديد لما سبق أن قيل لأن جوهر الموضوع يدور حول نفس المثل ونفس الحكمة، فالكلمة لم يَقُلْ إنه هو نفسه مخلوق بالطبيعة بل قال في الأمثال: «الرب خلقتي». ومن الواضح أن هذا القول له معنى غير صحيح ولكنه يشير إلى أمر مستتر يمكننا أن نكشف عنه بإزاحة الغطاء عن المثل. لأنه من ذا الذي عندما يسمع الحكمة الخالقة تقول: «الرب خلقتي أول طريقه»، ولا يبحث في الحال عن مغزى هذا القول، لأنه يفكر متمعناً كيف يمكن أن الخالق يُخلق؟ ومنْ عندما يسمع ابن الله الوحيد الجنس يقول إنه «قد خُلِقَ أول الطرق»، لا يفتش عن معنى هذا، لأنه يعجب كيف أن الابن الوحيد الجنس يمكن أن يكون الأول لآخرين؟ إنه حقاً لغز. غير أن «الرجل ذو الفهم سيفهم المثل والحديث الغامض وأقوال الحكماء والغازهم»^{٧٢٢}.

٧٨ . والآن فإن ابن الله الوحيد وحكمته الذاتى هو خالق وبارئ جميع الكائنات لأنه مكتوب «بحكمة صنعت كل الأشياء»، «ملأه الأرض بخليقتك»^{٧٢٣} حتى أن المخلوقات تكون موجودة فقط بل يكون هذا الوجود صالحاً. ولهذا سرُّ الله أن تتنازل حكمته إلى مستوى الخليقة حتى تطيع الحكمة صورتها

^{٧٢٢} أم ١: ٥، ٦

^{٧٢٣} مز ١٠٤: ٢٤ سبعينية



بشكل ما على الجميع معاً وعلى كل منها على حدة، حتى يتضح أن المخلوقات متصفة بالحكمة وأنها أعمال الله الجديرة به. لأنه كما أن الحكمة الموجودة فينا هي صورة الحكمة التي هي الابن - كما أن كلمتنا هي على صورة الكلمة الذي هو ابن الله - وبهذه الحكمة ينبغي أن يكون لنا المعرفة، والفهم ونصير مستقبلين للحكمة الخالقة وبواسطة الابن - الحكمة - نستطيع أن نعرف أباه. لأنه مكتوب: «وَمَنْ يَعْتَرِفْ بِالْإِبْنِ فَلَهُ الْآبُ أَيْضاً»^{٧٣٤} و «مَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي»^{٧٣٥} حيث إنه قد خلق فينا نموذجاً مثل هذا للحكمة، وهو موجود أيضاً في جميع «الأعمال»، فمن الطبيعي أن يأخذ الحكمة الحقيقي والخالق (أى الابن) ما يختص بنموذجه (أى الجسد) ويقول: «الرب خلقني لأجل أعماله».

لأن ما تقوله الحكمة التي في داخلنا، هو ما يقوله الرب نفسه كأنه خاص به. وهو يقول هذا ليس لكونه غير مخلوق - إذ أنه هو الخالق - بل سبب صورته المخلوقة في «الأعمال» فهو يقول هذا (الكلام) كما لو كان قد قيل عنه. وكما قال الرب نفسه «مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي»^{٧٣٦} وبسبب أن صورته موجودة فينا. فبرغم أنه ليس من بين المخلوقات، إلّا أنه بسبب أن صورته ونموذجه قد خُلِقَ في «الأعمال» فإنه يقول كأنه يتكلم عن نفسه: «الرب خلقني أول طرقة لأجل أعماله». ولهذا فقد صار نموذج الحكمة هذا في «الأعمال»، لكي بواسطتها يعرف العالم الكلمة خالقه وبواسطته يُعرف الأب كما سبق أن قلت. وهذا ما قاله بولس: «إِذْ مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لِأَنَّ مِنْذُ خَلَقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ

^{٧٣٤} ١ يوحنا ٢: ٢٣

^{٧٣٥} مت ١٠: ٤٠

^{٧٣٦} مت ١٠: ٤٠



وَقَدَّرْتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلَاهُوُّهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ^{٧٣٧}. لذلك فإن الكلمة ليس مخلوقاً بالجواهر ولكن ما جاء في الأمثال إنما يشير إلى ما هو بداخلنا نحن والذي يُسمى حكمة.

٧٩ . وإن كانوا يرفضون الإيمان، حتى بعد هذا الكلام، فليقولوا لنا إن كانت هناك أية حكمة موجودة في المخلوقات أم أن المخلوقات ليس فيها أية حكمة! وإن لم تكن هناك حكمة فكيف يلوم الرسول قائلاً: «لَأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ بِالْحِكْمَةِ»^{٧٣٨}. وإن لم تكن هناك حكمة فكيف توجد حكومات كثيرة في الكتاب المقدس^{٧٣٩} لأنه «الْحَكِيمُ يَخْشَى وَيَجِيدُ عَنِ الشَّرِّ»^{٧٤٠} و «بِالْحِكْمَةِ يُبْنَى الْبَيْتُ»^{٧٤١} وجاء في سفر الجامعة: «حِكْمَةُ الْإِنْسَانِ تُبَيِّرُ وَجْهَهُ»^{٧٤٢}. وهو يوبخ المتهورين قائلاً: «لَا تَقُلْ لِمَاذَا كَانَتْ الْأَيَّامُ الْأُولَى خَيْرًا مِنْ هَذِهِ؟ لَأَنَّهُ لَيْسَ عَنْ حِكْمَةٍ تَسْأَلُ عَنْ هَذَا»^{٧٤٣} وإن كانت الحكمة موجودة كما قال ابن سيراخ: «وسكبها على جميع أعماله فهي مع كل ذي جسد على حسب عطيته وقد منحها للذين أحبوها»^{٧٤٤}، فإن مثل هذا الانسكاب لا يكون سمة خاصة لجوهر الحكمة الذاتي والوحيد الجنس بل هو سمة لتلك الحكمة

^{٧٣٧} روا ١٩: ٢٠،

^{٧٣٨} اكو ١: ٢١

^{٧٣٩} سفر الحكمة ٦: ٢٤ سبعينية

^{٧٤٠} أم ١٤: ١٦

^{٧٤١} أم ٢٤: ٣

^{٧٤٢} جا ٨: ١

^{٧٤٣} جا ٧: ١٠

^{٧٤٤} ابن سيراخ ١: ٩-١٠



التي صُوِّرت في العالم. فلماذا يكون غير مُصدق أن كانت الحكمة الخالقة الحقيقية - التي هي نموذج الحكمة والمعرفة المنسكبة (المخلوقة) في العالم - تتحدّث عن نفسها وتقول: «الرب خلقني من أجل أعماله»؟ لأن الحكمة الموجودة في العالم ليست خالقة بل هي الحكمة المخلوقة داخل الأعمال، تلك الحكمة التي بها: «السَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللَّهِ، وَالْأَفْلَاقُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ»^{٧٤٥}. أما الناس فإن كانوا يحملون هذه الحكمة بداخلهم فإنهم سيدركون حكمة الله الحقيقية، ويعرفون أنهم قد تشكّلوا بحق على صورة الله.

ومثلما يحدث حيثما يريد أحد الملوك أن ينشئ مدينة لابنه، فإن الابن الذي يقوم بالإنشاء. ينقش اسمه على كل الأعمال التي يُجرى بنائها وذلك من أجل الأمن لكي تُحفظ الأعمال بسبب ظهور اسمه على كل عمل ولكي يستطيعوا أن يتذكروه هو وأبيه من الاسم. وعند الانتهاء من إنشاء المدينة فإذا سأله أحد عن المدينة وكيف أنشأت فإنه سيجيب «أنشئت لأنها هذه هي إرادة أبي بالفعل. وخطط لها بدقة في كل عمق واسمى قد خُلِقَ في الأعمال». وعندما يقول هذا فإنه لا يعنى أن جوهره قد خُلِقَ بل يعنى أن صورته قد انطبعت من خلال اسمه.

وعلى نفس المنوال إذ نطبق على المثال، فإن الحكمة الحقيقية تُجيب على المندehشين من الحكمة الموجودة داخل الخليقة قائلة: «الرب خلقني من أجل الأعمال» لأن «انطباع الصورة الموجودة فيها هو انطباع صورتي، ولأجل ذلك فأنا قد تنازلت إلى الخليقة».

٨٠ - ومرة أخرى لا ينبغي أن يُدهش أحد لو أن الابن تحدث عن المثال المطبوع فينا كما لو كان يتحدّث عن نفسه (لأن تكرار نفس الكلام لا يجب أن يبعث



على الضجر والملل)، حيث إن شاول حينما كان يضطهد الكنيسة التي يوجد فيها مثاله وصورته فإن الابن تحدّث كما لو كان هو المُضطهَد قائلاً: «شَاوُلُ شَاوُلُ، لِمَاذَا تُضْطَهِدُنِي»^{٧٤٦}. لذلك (كما سبق القول)، لو كان نموذج الحكمة ذاته الموجود في الأعمال هو الذي قال: «الرب خلّقني لأجل الأعمال» لما اندهش أحد. وهكذا فإن كان الحكمة الحقيقي الخالق وكلمة الله الوحيد يتحدّث عن صورته كما لو كان يتحدّث عن ذاته بقوله: «الرب خلّقني لأجل الأعمال»، فلا يجب أن يجهل أحد أن المقصود هو الحكمة المخلوقة في العالم وفي الأعمال، ويظن أن لفظ «خلّق» قد قيل عن جوهر الحكمة..... كي لا يبدو بمزجه الخمر بالماء^{٧٤٧} إنه يسلب الحقيقة. فالحكمة نفسها جالبة وخالقة، ولكن نموذجها مخلوق بداخل الأعمال كنموذج للصورة نفسها تماماً، وهو يقول: «أول الطريق» حيث إن مثل هذه الحكمة صارت كنوع من البداية وكمُرشد إلى معرفة الله. فلو أن أحداً سار في أول هذا الطريق حافظاً إياه بخوف الله، كما قال سليمان: «بَدَأُ الْحِكْمَةَ مَخَافَةَ الرَّبِّ»^{٧٤٨} فإنه عندما يتقدّم بالفكر مدركاً عمل الحكمة الخالقة الذي في الخلق، سيدرك بها أباه أيضاً كما قال الرب نفسه: «الَّذِي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{٧٤٩} وكما كتب يوحنا: «وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالْإِبْنِ فَلَهُ الْآبُ أَيْضاً»^{٧٥٠} والابن يقول: «قبل الدهر أسس»^{٧٥١}، حيث إن الأعمال تبقى في نموذجها راسخة دائماً. وثلاً عندما يسمع

^{٧٤٦} أع ٩: ٤

^{٧٤٧} انظر إش ١: ٢٢

^{٧٤٨} أم ٩: ١٠

^{٧٤٩} يو ١٤: ٩

^{٧٥٠} ١ يو ٢: ٢٣

^{٧٥١} أم ٨: ٢٣ سبينية



أحد عن الحكمة المخلوقة فى الأعمال يظن أن الحكمة الحقيقية ابن الله هو مخلوق بالطبيعة، فإنه يُضيف بالضرورة «قبل أن تكون الجبال» و «قبل أن تكون الأرض» و «قبل المياه» و «قبل كل الجبال ولدنى»^{٧٥٢} وإذ يشير بهذه إلى كل الخليقة فإنه يوضح بقوله: «قبل كل الخليقة» فإن لم يُخلق بحسب الجوهر مع الأعمال. لأنه لو كان قد خُلِقَ من أجل الأعمال وهو الموجود قبل الأعمال، فواضح أنه كائن قبل أن يُخلق، فهو إذن ليس مخلوقاً بحسب الطبيعة والجوهر، بل كما أضاف هو نفسه أنه موجود. أما فيما يختلف «المخلوق» عن «المولود» وكيف يتميز عنه بحسب الطبيعة فهذا قد سبق بيانه من قبل.

٨١ - وحيث إنه أضاف قائلاً: «عندما أعدّ السموات كنت أنا فى نفس الوقت معه»^{٧٥٣} ينبغى أن نعرف أنه لم يَقُلْ هذا كما لو أن الآب أعد السماء أو السحب العليا بدون الحكمة، لأنه لا ريب أن جميع الأشياء قد خُلقت بالحكمة، وبغيرها لم يكن شئ ما. وما قاله يعنى هذا أن «كل الأشياء قد صارت بى وبواسطتى، وعندما صار هناك احتياج أن تُخلق الحكمة لأجل الأعمال، فإنى أنا كائن مع الآب حسب الجوهر، لكن بالتنازل إلى المخلوقات قد طبعت صورتى على الأعمال، حتى يكون العالم كأنه فى جسد واحد غير متمرد بل يكون متوافقاً مع نفسه. فكل الذين يتأملون المخلوقات بفكر مستقيم بحسب الحكمة المعطاة لهم يستطيعوا أن يقولوا: «كل الأشياء تثبت بتدبيرك»^{٧٥٤}. أما الذين يستهينون بهذا الأمر فيلزم أن يسمعوا: «وَيَبَيِّنَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلَاءَ»^{٧٥٥} لأن: «إِذْ

^{٧٥٢} انظر أم ٨ : ١ - ٢٢

^{٧٥٣} أم ٨ : ٢٧ سبينية

^{٧٥٤} مز ٩١ : ١١٩ سبينية

^{٧٥٥} رو ١ : ٢٢



مَعْرِفَةَ اللَّهِ ظَاهِرَةً فِيهِمْ، لِأَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ، لِأَنَّ مُنْذُ خَلَقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلَاهُوَّتُهُ مُدْرَكَةٌ بِالْمَصْنُوعَاتِ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلَا عُدْرِ لَأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يَمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَالِهٍ»^{٧٥٦} بل «عَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الْأَبَدِ. آمِينَ»^{٧٥٧}. وهم بالتأكيد سيخجلون عندما يسمعون: «لأنه إذا كان (العالم) في حكمة الله (وفقاً لما شرحناه سابقاً) لم يعرف الله بالحكمة، استحسّن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة»^{٧٥٨} لأن الله لا يريد بعد - مثلاً حدث في العصور السابقة - أن يُعرف عن طريق صورة وظل الحكمة الموجودة في المخلوقات بل جعل الحكمة الحقيقية ذاتها تتخذ جسداً وتصير إنساناً وتعانى موت الصليب، لكي يتمكن جميع الذين يؤمنون أن يخلصوا بالإيمان به. وطبعاً إن الحكمة ذاتها هي التي أظهرت نفسها من قبل في صورتها الموجودة في المخلوقات، والتي يُقال عنها إنها قد خُلقت، وهكذا فقد أظهرت أباهاً أيضاً بواسطة ذاتها. وفيما بعد فإن نفس الحكمة التي هي الكلمة «قد صار جسداً» كما قال يوحنا. وبعد إبطال الموت وتخليص جنسنا فإنه أكثر من ذلك أظهر أباه أيضاً من خلال نفسه بقوله: «إعط هؤلاء لكي يعرفونك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته»^{٧٥٩}.

^{٧٥٦} رو ١: ١٩ - ٢١

^{٧٥٧} رو ١: ٢٥

^{٧٥٨} كو ١: ٢١

^{٧٥٩} انظر يو ١٧: ٣. راجع أيضاً فصل ٣ من كتاب "تَحْسُدُ الْكَلِمَةُ"، المرجع السابق، وأيضاً فصل ٢/٤ حيث يشير القديس أثناسيوس إلى الفرق بين الإعلان الإلهي عن طريق الخليفة كظل للإعلان الإلهي الحقيقي في شخص يسوع المسيح عندما اتخذ جسداً.



٨٢. إذن فكل الأرض امتلأت بمعرفته، لأن معرفة الآب من خلال الابن ومعرفة الابن من خلال الآب هي معرفة واحدة. والآب يفرح بالابن وبهذا الفرح عينه يبتهج الابن بالآب قائلاً: «كنت أنا موضع فرح، وكنت أفرح كل يوم قدامه»^{٧٦٠}. وهذا يبرهن مرةً أخرى أن الابن من ذات جوهر الآب وليس غريباً عنه. فهو إذن لم يوجد من أجلنا كما يدعى الكافرون، وهو ليس من العدم لأن الله لم يتخذ لنفسه موضوعاً للفرح من خارجه، بل من الواضح أن هذه الكلمات هي عن ذاك الذي هو خاص به ومماثل له. فمتى إذن لم يكن الآب يفرح؟ لأنه إن كان يفرح دائماً فلا بد أن ذلك الذي كان يفرح به كان كائناً دائماً. فبماذا يفرح الآب إلّا بأن يرى نفسه في صورته التي هي كلمته؟ وحتى إن كان يبتهج ببني البشر عندما أكمل خلق المسكونة كما كتب في الأمثال^{٧٦١} نفسها، ولكن هذا أيضاً له معنى مناسب، لأنه ابتهج ليس لأن الفرح أضيف إليه، بل أيضاً لأنه رأى الأعمال صائرة حسب صورته، ولهذا يكون فرح الله هو بسبب صورته. وأيضاً كيف يبتهج الابن إلّا وهو يرى نفسه في الآب؟ فهذا مماثل لقوله: «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{٧٦٢}، «أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِي»^{٧٦٣}

إذن يا أعداء المسيح، لقد ظهر أن مجادلتيكم باطلة من جميع النواحي، وعبثاً عرضتم في تباهٍ آراء غير مستقيمة وأدعتموها في كل مكان عن القول «الرب خلقني أول طريقه» وأسأتم فهم معناه، وبدلاً من التمسك بفكر سليمان أعلنتم بدعتكم. وها هو رأيكم يتضح أنه خيال فقط، أما قول سفر الأمثال وكما سبق

^{٧٦٠} أم ٨: ٣٠ سيعينية

^{٧٦١} أم ٨: ٣١

^{٧٦٢} يو ١٤: ٦

^{٧٦٣} يو ١٤: ١٠



أَن أَشْرْنَا إِلِيهِ مِنْ أَقْوَالٍ ، فَهُوَ يَبْرَهْنُ أَنَّ الْآبْنَ لَيْسَ مَخْلُوقًا بِحَسَبِ الطَّبِيعَةِ
وَالْجَوْهَرِ ، بَلْ هُوَ مَوْلُودُ الْآبِ الْذَاتِي وَهُوَ حَكَمَتُهُ وَكَلِمَتُهُ الْحَقِيقِي ، وَ«كُلُّ شَيْءٍ بِهِ
كَانَ ، وَبَعْدَئِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ»^{٧٦٤} .

المقالة الثالثة

(الفصول ٢٣-٣٠)

الفصل الثالث والعشرون

شرح نصوص (يو١٤:١٠)

«أنا في الآب والآب في»

١- يبدو أن الآريوسيين^{٧٦٥} المهووسين إذ قد قرروا أن يقبلوا آراء آريوس ويحتضنوها وأن يصيروا مقاومين للحق ومخالفين له فإنهم يسعون بإصرار لكي يجعلوا كلمات الكتاب: «عندما يصل الشرير إلى عمق الشر يسلك باحتقار» (أم١٨:٣س) تنطبق عليهم. فهم لا يتوقفون عندما ندحض ضلالهم، ولا يخلجون من جراء شكوكهم، فإنهم في كفرهم، لا يخلجون أمام جميع الناس (انظر إر٣:٢).

لأنهم في كل مرة يستشهدون بالنصوص الآتية «الرب خلقتني» (أم٢٢:٨)^{٧٦٦}، «صائراً أعظم من الملائكة» (عب١:٤)^{٧٦٧}، «والبكر» (رو٨:٢٩، كو١٥:١)^{٧٦٨} و «كونه أميناً للذي أقامه» (عب٣:٢)^{٧٦٩} على أنها تبرر تعاليمهم مع أن لها تفسيراً مستقيماً وثبت تقوانا من جهة المسيح، فأنا لا أفهم كيف لا يزال هؤلاء الناس - بتأثير سم الحية - لا يبصرون ما ينبغي أن يبصروه ولا يفهمون ما يقرأونه وكأنهم إذ يتقيأون من عمق قلبهم عديم التقوى، فإنهم بدأوا يحرفون معنى كلمات الرب: «أنا في الآب والآب في» (يو١٤:١٠)، قائلين « كيف يمكن أن يُحتوى الواحد الآخر والآخر يُحتوى في الأول ؟ أو كيف يمكن أن يُحتوى الآب الذي هو أعظم، في

^{٧٦٥} الآريوسيين: هم أتباع آريوس الذين كانوا يؤمنون وينادون بتعاليمه. وكثيراً ما استخدم آباء الكنيسة هذا اللقب لوصف هؤلاء الأتباع فيخلاف القديس أثناسيوس نجد أن القديس ايبانيوس أسقف قبرص على سبيل المثال قد أطلق عليهم هذه الصفة (المهووسين) (انظر ضد الهرطقات ٢:٢، ضد الآريوسيين المهووسين ١٣، ٣ PG 42.201,220,401

^{٧٦٦} انظر المقالة الثانية فصل ١٩.

^{٧٦٧} انظر المقالة الأولى فصل ١٣.

^{٧٦٨} انظر المقالة الثانية فصل ٢١.

^{٧٦٩} انظر المقالة الثانية فصل ٤.



الابن الذي هو أصغر منه»^{٧٠} أو أى غرابة أن يكون الابن في الآب، طالما أنه مكتوب عنا نحن أيضاً «به نحيا ونتحرك ونوجد» (أع ١٧، ٢٨).

هذه الضلالة في التفكير ناتجة عن إنحراف ذهنهم، فهم يظنون أن الله مادي، ولا يعرفون مَنْ هو «الآب الحقيقي» (ولا مَنْ هو الابن الحقيقي)، ولا ما هو «النور غير المنظور والأزلي»، وشعاعه غير المنظور، ولا يفهمون ما هو الكيان غير المنظور والرسم غير المادي، و الصورة غير المادية»^{٧١}.

لأنهم لو عرفوا، لما جَدَّفُوا على رب المجد ولا سَخَرُوا منه، ولما فسرُوا الأمور غير المادية بطريقة مادية، ولما حَرَّفُوا الكلمات المستقيمة.

فقد كان يكفي عند سماعهم كلمات الرب أن يؤمنوا بها حيث إن الإيمان البسيط هو أفضل من الإحتمالات^{٧٢} التي يفترضونها هم بفضولهم.

ولكن حيث إنهم قد حاولوا تشويه هذه الآيات لخدمة هرطقتهم فقد أصبح من الضروري أن نفند ضلالهم، من ناحية، وأن نوضح المعنى الحقيقي للآيات من ناحية أخرى، وذلك لأجل سلام المؤمنين وحفظهم. لأنه عندما يقول «أنا في الآب والآب فيّ» فهذا لا يعني كما يظن هؤلاء أن الواحد يفرِّغ ذاته في الآخر ليملاً الواحد منهما الآخر، كما يحدث في الأواني الفارغة، حتى أن الابن يملأ فراغ الآب، والآب فراغ الابن، وكأن كلياً منهما ليس تاماً ولا كاملاً في ذاته، فهذه هي خاصية الأجساد. لأن مجرد ذكر مثل هذا القول، هو أكثر من الكفر لأن الآب هو تام وكامل، والابن كذلك هو ملء اللاهوت. وما يحدث مع القديسين عندما يحلّ الله فيهم، ويقويهم، هذا لا يحدث في حالة الابن، إذ هو قوّة الآب وحكمته. فالمخلوقات

^{٧٠} انظر عب ٣: ١ الذي يصف الابن قائلاً: «الذي وهو بماء مجده ورسم جوهه...».

^{٧١} أى استخدام أدلة محتملة الحدوث بدلاً من الإثباتات.



بإشتراكها في الابن، تتقدّس في الروح، أما الابن نفسه فهو ليس ابناً بالمشاركة، بل هو المولود الذاتي للآب.

لأنه هو الحياة التي تأتي من الآب كما من نبع، وكل الأشياء تحيا وتقوم على هذه الحياة. لأن الحياة لا تحيا من حياة أخرى وإلاّ فهي لا تكون عندئذٍ حياة، لكن الابن بالحرى هو الذي يُعطي حياة لكل الأشياء.

٢. دعونا نفحص إذًا ما يقوله السفسطائي أستيريوس^{٧٧٢}، المدافع عن الهرطقة فهو إذ يتمثّل باليهود يكتب ما يلي: إنه واضح جدًا أنه قد قال: أنا في الآب والآب أيضاً فيّ، لهذا السبب فلا الكلمة التي كان يقولها هي كلمته بل كلمة الآب، ولا الأعمال هي خاصة به بل خاصة بالآب، الذي أعطاه القوة. فلو كان (استيريوس) الذي قال هذا القول هو طفل صغير لالتمسنا له العذر بسبب صغر سنه، ولكن لأن مَنْ كتب هذا يسمى حكيماً ويزعم أن له معرفة كبيرة فكم يكون مقدار اللوم الذي يستحقه؟ ألاّ يثبت استيريوس نفسه أنه غريبٌ تمامًا عن الرسول طالما هو ينتفخ بكلام الحكمة الإنسانية المقنع^{٧٧٣}، ويظن بهذا أنه يستطيع أن ينجح في خداعه، بينما هو لا يفهم ما يقوله. ولا ما يقرّره^{٧٧٤}. لأن ما قد قاله الابن هو خاص فقط بمن هو ابن ولائق به، فهو كلمة جوهر الآب وحكمته وصورته. وهذا الذي قاله الابن، يجعله استيريوس خاصاً أيضاً بكل المخلوقات ومشاركاً بين الابن والمخلوقات. ويقول هذا المخالف إن الذي هو قوّة الآب، ينال

^{٧٧٢} أحد أتباع آريوس وتلاميذه.

^{٧٧٣} انظر ١ كور ٤: ٢

^{٧٧٤} انظر ١ تيمو ١: ٧



قوة، ويواصل كُفْرَه فيقول إن الابن صار ابناً^{٧٧٥}. فيقول إن الابن صار ابناً في الابن وأن الكلمة أخذ سلطان الكلمة. وأيضاً إن الابن لم يكن يريد أن يتكلم بما تكلم به عن نفسه على أنه ابن، بل يكون هو الآخر قد تعلّمه، ويكون استريوس بهذا قد وَضَعَ الابن مع بقية المخلوقات من جهة التعلّم. لأنه لو أن الابن قد قال هذه الكلمات: «أنا في الآب والآب فيّ» كي يبيّن أن الكلمات التي يقولها والأعمال التي يعملها لم تكن له بل للآب، سيكون كداود الذي قال «إني سأسمع ما يتكلم به الرب الإله»^{٧٧٦} وكسليمان الذي قال «كلماتي قد قيلت من الله»^{٧٧٧} وأيضاً كموسى الذي كان خادماً لأقوال الله. لأن كل واحد من هؤلاء الأنبياء لم يتكلم مما له بل مما أخذه من الله قائلين: «هكذا يقول الرب». وحيث إن الأعمال التي عملها القديسون كما اعترفوا هم أنفسهم لم تكن أعمالهم الخاصة بل أعمال الله الذي أعطاهم القوة، فإيليا وإليشع مثلاً يطلبان إلى الله أن يقيم هو الأموات. وعندما طهّر إليشع نعمان من البرص قال له «لكي تعرف أنه يوجد إله في إسرائيل»^{٧٧٨}، وصموئيل أيضاً صلّى في أيام الحصاد لكي يُرْسِلَ الله المطر. والرسول قالوا إنهم يصنعون العجائب لا بقوتهم الخاصة بل بنعمة الرب.

^{٧٧٥} خلاصة فكر استريوس أن الابن ليس من جوهر الآب ولذلك فهو يقول عن الابن إنه ينال القوة من الله مثل باقي المخلوقات وليس هو قوة الله ذاتها كذلك أن الابن ليس ابناً لله بالطبيعة بل هو يصير ابناً بالتبني مثل باقي المخلوقات — وهذا هو معنى كلمة “في ابن” أي لم يكن هو ابناً لله أصلاً وكذلك لا يكون الابن هو كلمة الله بالطبيعة بل يأخذ سلطان الكلمة مثل الأنبياء الذين أتت إليهم كلمة الله وهم مخلوقين.

^{٧٧٦} مز ٨٤: ٨ (س)

^{٧٧٧} انظر ١ مل ١٠: ٢٤ (س)

^{٧٧٨} انظر ٢ مل ٥: ١٥



فمن الواضح إذًا أنه بحسب استيربوس أن هذه الآية عامةً للكل حيث يستطيع أي واحد من الكل أن يقول « أنا في الآب والآب فيّ »، وتبعاً لذلك فلا يكون بعد ابن واحد لله وهو الكلمة وهو الحكمة بل يكون مثل الآخرين واحداً بين كثيرين.

٣. لكن لو كان الرب كذلك لما كانت كلماته هي « أنا في الآب والآب فيّ »، بل بالأحرى كان قد قال « أنا أيضاً في الآب والآب فيّ »، لكي لا يكون له أي شيء خاص به أو مميز به كإبن عن الآب، بل يكون له نفس النعمة المشتركة مع جميع المخلوقات. ولكن الأمر ليس كذلك، كما يظن هؤلاء. وإذا هم لا يفهمون أنه إبن حقيقي من الآب فإنهم يفترون عليه، الذي هو الابن الحقيقي والذي يليق به وحده أن يقول « أنا في الآب والآب فيّ ». لأن الابن هو في الآب . بحسب ما يُسمَح لنا أن نعرف . لأن كل كيان الابن هو من جوهر الآب ذاته. كمثال الشعاع من النور، والنهر من الينبوع. حتى أن مَنْ يرى الابن يرى ما هو خاص بالآب، ويعرف أنه بسبب أن كيان الابن هو من الآب لذلك فهو في الآب. لأن الآب هو في الابن حيث إن الابن هو من الآب وخاص به مثلما أن الشعاع هو من الشمس، والكلمة هي من العقل والنهر من الينبوع. ولذلك فإن مَنْ يرى الابن، ويرى ما هو خاص بجوهر الآب، يدرك أن الآب هو في الابن. وحيث إن ذات الآب وألوهيته هي كيان الابن، لذلك فإن الابن هو في الآب والآب في الابن. لهذا السبب كان من الصواب أن يقول أولاً: «أنا والآب واحد»^{٧٧٩}، وبعد ذلك يضيف «أنا في الآب والآب فيّ»^{٧٨٠} لكي يوضح وحدانية الألوهة من ناحية ووحدة الجوهر من الناحية الأخرى.

٧٧٩
يو ١٠: ٣٠

٧٨٠
يو ١٤: ١٠



٤. إذاً فهما واحد، ولكن ليس مثل الشيء الواحد الذي يمكن أن ينقسم إلى جزئين، كما أنهما ليسا مثل الواحد الذي يسمى بإسمين، فمرة يسمى الآب ومرة أخرى يسمى هو نفسه ابنه الذاتي، فهذا ما قال به سابيلْيوس^{٧٨١} وبسببه حُكِمَ عليه كهرطوقي.

لكن هما اثنان لأن الآب هو الآب ولا يكون هو نفسه ابناً أيضاً، والابن هو ابن ولا يكون هو نفسه أباً أيضاً. لكن الطبيعة هي واحدة، لأن المولود لا يكون غير مشابه لوالده لأنه هو صورته^{٧٨٢}، وكل ما هو للآب هو للابن^{٧٨٣}. ولهذا فالابن ليس إلهاً آخرًا، لأنه لم ينشأ من خارج (الآب) وإلاّ فسيكون هناك آلهة كثيرون لو أن إلهاً نشأ غريباً عن ألوهية الآب. لأنه رغم أن الابن كمولود هو متمايز عن الآب إلاّ أنه بكونه إلهاً هو كالآب تماماً. فهو والآب كلاهما واحد من جهة الذات الواحدة والطبيعة الواحدة والألوهة الواحدة. وكما سبق أن قلنا حيث إن الشعاع هو النور وليس في المرتبة الثانية بعد الشمس، ولا هو نور آخر، ولا هو ناتج من المشاركة مع النور، بل هو مولود كليّ وذاتي من النور ومثل هذا المولود هو بالضرورة نور واحد ولا يستطيع أحد أن يقول إنه يوجد نوران، فرغم أن الشمس والشعاع هما اثنان إلاّ أن نور الشمس الذي ينير بشعاعه كل الأشياء، هو واحد.

^{٧٨١} سابيلْيوس: ظهر في روما في أوائل القرن الثالث وعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم أقنوم واحد وليسوا ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد. وقال إن أقنوم الآب أعطى الناموس في العهد القديم ثم تجسد هذا الأقنوم وظهر باسم المسيح ثم ظهر هو نفسه باسم الروح القدس، أي أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية في التاريخ لأقنوم واحد، وليس ثلاثة أقانيم متميزة لهم جوهر واحد.

^{٧٨٢} الابن فقط هو صورة الله الآب بسبب وحدة الجوهر الإلهي.

^{٧٨٣} انظر يو ١٦: ١٥



هكذا أيضاً ألوهة الابن هي ألوهة الآب، ولهذا أيضاً فهي غير قابلة للتجزئة، ولذا فإنه يوجد إله واحد وليس آخر سواء. وهكذا حيث إنهما واحد، والألوهية نفسها واحدة، فكل ما يقال عن الآب يقال أيضاً عن الابن ما عدا أن يُلقَّب بالآب. فمثلاً يقال عن الابن - كما يقال عن الآب - إنه هو الله، وكما جاء «وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ»^{٧٨٤}، وإنه ضابط الكل. وهذا ما توضحه الآيات فهو «الذي كان والكائن والذي يأتي الضابط الكل»^{٧٨٥}. وهو «الرب»، كما أن هناك «رب واحد، يسوع واحد»^{٧٨٦}. وأنه هو النور كما قال عن نفسه «أَنَا هُوَ النُّورُ»^{٧٨٧}. وأنه يمحو الخطايا كما خاطب اليهود «وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَابْنَ الْإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا»^{٧٨٨}، ويمكنك أن تجد أقوال أخرى كثيرة. لأن الابن نفسه يقول «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»^{٧٨٩}. وأيضاً يقول «وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ»^{٧٩٠}.

٥. إن مَنْ يسمع تلك الأقوال التي تقال عن الآب سيرى أنها تقال أيضاً عن الابن. كما أنه سيدرك أن الابن في الآب عندما يكون ما يقال عن الابن، يقال هو نفسه عن الآب. ولماذا يكون ما يقال عن الآب هو نفسه ما يقال عن الابن إلا لأن الابن هو مولود من جوهر الآب؟ ولأن الابن مولود من جوهر الآب، لهذا يحق له أن يقول إن

٧٨٤

يو ١: ١

٧٨٥

رؤ ١: ٨

٧٨٦

١ كو ٦: ١

٧٨٧

يو ٨: ١٢

٧٨٨

لو ٥: ٢٤

٧٨٩

يو ١٦: ١٥

٧٩٠

يو ١٧: ١٠



خصائص الآب هي خصائصه أيضاً، لذلك فبطريقة مناسبة ومتوافقة مع قوله «أنا والآب واحد»^{٧٩١}، يضيف قائلاً: «لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»^{٧٩٢}.

وأكثر من ذلك فقد أضاف مرة أخرى «الَّذِي رَأَى فَقَدْ رَأَى الْآبَ»^{٧٩٣}. وفي هذه الأقوال الثلاثة يوجد نفس هذا المعنى الواحد. فالذي يدرك هذا المعنى أي أن الابن والآب هما واحد يعرف جيداً أن الابن هو في الآب والآب في الابن، لأن ألوهة الابن هي ألوهة الآب، وهذه الألوهة هي في الابن، ومن يدرك هذا، فإنه يقتنع أن «من رأى الابن فقد رأى الآب»، لأن ألوهة الآب تُرى في الابن.

وهذا ما يمكن أن نفهمه من مثال صورة الملك^{٧٩٤}، حيث يوجد شكل الملك وهيئته في الصورة، والهيئة التي في الصورة هي التي للملك، لأن ملامح الملك في الصورة، هي مثله تماماً حتى أن من ينظر إلى الصورة يرى الملك فيها، وأيضاً مَنْ يرى الملك، يدرك أنه هو نفسه الذي في الصورة. وبسبب عدم اختلاف الملامح، فإن مَنْ يريد أن يرى الملك بعد أن يكون قد رأى الصورة، فكأن الصورة يمكن أن تقول له: «أنا والملك واحد»، لأنني أنا في الملك والملك فيّ، وما تراه أنت فيّ هذا تراه فيه، وما قد رأيته فيه تراه فيّ. وتبعاً لذلك فمن يسجد للصورة فهو يسجد للملك أيضاً من خلالها، لأن الصورة لها شكله وهيئته. إذًا بما أن الابن أيضاً هو صورة

^{٧٩١} يو ١٠: ٣٠

^{٧٩٢} يو ١٠: ٣٨

^{٧٩٣} يو ١٤: ٩

^{٧٩٤} يستخدم ق. أناسيوس هذا المثال نظراً لما اعتاد عليه الوثنيون من السجود لصورة الإمبراطور باعتباره شخصية إلهية يجب أن يقدم لها التكرم والذباتح.



الآب فينبغي أن يكون مفهوماً بالضرورة أن ألوهة الآب هي كينونة الابن وهذا هو ما قيل عنه «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللَّهِ»^{٧٩٥} ، و «الآبَ فِيَّ»^{٧٩٦} .

٦. وصورة الألوهة ليست جزءاً من كلٍ، بل إن ملء ألوهة الآب هو كيان الابن، فالابن هو إله كامل. لذلك أيضاً إذ هو مساوٍ لله، فإنه «لم يحسب المساواة بالله إختطافاً»^{٧٩٧} . وأيضاً حيث إن ألوهة الابن وصورته ليست شيئاً آخر غير ألوهية الآب لذا يقول «أنا في الآب». لذلك «اللَّهُ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ»^{٧٩٨} . لأن الابن هو من ذات جوهر الآب، وبواسطة الابن تصالحت الخليقة مع الله. وهكذا فالأعمال التي عملها الابن هي أعمال الآب لأن الابن هو صورة ألوهة الآب الذي به عُمِلَتِ الأعمال. ولذا فمَنْ ينظر إلى الابن يرى الآب لأن الابن يوجد ويُرَى داخل ألوهة الآب. وصورة الآب التي في الابن تُظهر الآب الكائن فيه. ولذلك فالآب هو في الابن. وهكذا فإن ألوهة الآب والخاصية الذاتية لأبوة الآب للابن، تُرينا أن الابن هو في الآب، وتوضح أنه أزلياً غير منفصل عنه. وأيضاً فمَنْ يسمع ويرى أن ما يقال عن الآب يقال أيضاً عن الابن ويدرك أن هذه الخصائص لم تتراكم لاحقاً مضافة إلى جوهر الابن بالنعمة أو بالمشاركة، بل لأن كيان الابن هو مولود من ذات جوهر الآب، عندئذٍ سوف يفهم حسناً الآيات «أنا في الآب والآب فيَّ» وأيضاً «أنا والآب واحد».

إذاً فالابن هو كالآب تماماً لأن له كل ما هو للآب. لذلك فعندما يُذكر الآب يشار ضمناً أيضاً إلى الابن معه. لأنه إن لم يكن هناك ابن فلا يستطيع أحد أن

^{٧٩٥} في ٦:٢

^{٧٩٦}

يو ١٠:١٤

^{٧٩٧}

انظر في ٦:٢

^{٧٩٨}

٢ كرو ١٩:٥



يقول إن هناك آب. بينما حينما ندعو الله صانعاً فهذا ليس بالضرورة إعلاناً من أن مصنوعاته قد أتت إلى الوجود، لأن الصانع موجود قبل وجود مصنوعاته ولكن حينما ندعو الله أباً فنحن نعني في الحال وجود الابن. لذلك فمن يؤمن بالابن يؤمن بالآب أيضاً. لأنه يؤمن بمن هو من جوهر الآب ذاته. وهكذا يكون إيمان واحد بإله واحد. ومن يسجد للابن ويكرمه، فهو - في الابن - يسجد للآب ويكرمه. إذ أن الألوهة هي واحدة، ولذلك فالإكرام والسجود اللذان يقدمان إلى الآب في الابن وبه، هما واحد. ولهذا فالذي يسجد إنما يسجد لإله واحد، لأنه يوجد إله واحد وليس آخر سواه. ولذلك فحينما يسمّى الآب بأنه الإله الوحيد، كما هو مكتوب «ويوجد إله واحد»^{٧٩٩}، «وأنا هو - أنا أكون»^{٨٠٠}، وأيضاً «ليس إله معي»^{٨٠١}، «أنا الأول وأنا الآخر»^{٨٠٢}، يكون كل هذا بالصواب قد كُتب. لأن الله واحد وهو الوحيد وهو الأول، ولكن هذا لا يقال بقصد إنكار وجود الابن، حاشا، لأن الابن هو في ذلك الواحد والوحيد والأول، لكونه الكلمة الوحيد والحكمة والشعاع الذي من ذاك الواحد والوحيد والأول.

فالابن أيضاً هو الأول إذ هو ملء لاهوت الأول والوحيد. إذ هو إله كامل وتام. فهذه الأقوال التي أشرنا إليها عن «الإله الواحد والوحيد والأول» لم تُقل لاستبعاد الابن، بل لكي تستبعد أنه يوجد إله آخر غير الآب وكلمته. هذا هو إذاً معنى كلام النبي وهو واضح وظاهر لكل.

٧٩٩ مر ٢٩:١٢

٨٠٠ خر ١٤:٣

٨٠١ تث ٣٩:٣٢

٨٠٢ إش ٦:٤٤

الفصل الرابع والعشرون

شرح نصوص (يو ١٧: ٣)

«أنت الإله الحقيقي وحدك

ويسوع المسيح الذي أرسلته»

٧. ولكن بسبب أن عديمي الإيمان يستخدمون هذه الآيات أيضاً ويجدّفون على الرب، ويَسَخَرُونَ منا قائلين: لطالما أن الله يدعى الواحد والوحيد والأول، فكيف تقولون إن الابن هو الله؟ لأنه لو كان هو الله لما كان الله قد قال «ليس إله معي»^{٨٠٣} ولا «إلهنا واحد»^{٨٠٤}. لذلك فمن الضروري أن نوضح معنى هذه الآيات، بقدر الإمكان، لكي يعرف الجميع من شرحنا لهذه الآيات أيضاً أن الأريوسيين هم في الحقيقة محاربون لله.

لأنه لو كان الابن منافساً للآب إذًا لكانت هذه الكلمات قد قيلت ضده، ولو أن الآب ينظر إلى الابن مثلما حدث لداود حينما سمع عن أدونيا وأبشالوم^{٨٠٥}، إذًا لكان قد نطق بهذه الآيات عن نفسه، ثلثا عندما يقول الابن عن نفسه إنه إله، يجعل البعض يتمردون على الآب، أما إن كان مَنْ يعرف الابن، يعرف الآب بالحرى، والابن هو الذي يكشف له الآب، فإنه يرى بالحرى الآب في الكلمة،

^{٨٠٣} تث ٣٢، ٣٩

^{٨٠٤} تث ٦، ٤

^{٨٠٥} انظر ٢ صم ١٥: ١-١٩، ٤١، ١ مل ١: ٥ للآخر.

يشير القديس أثناسيوس هنا إلى تمرد أبشالوم وأدونيا، أولاد داود الاثنين، على أبيهما لاغتصاب الملك منه، وهو يذكر هذا المثل من العهد القديم، لكي يبين أن الابن ليس منافساً للآب كما ينافس الابنان المتمردان أباهم في الملك، ويحاولان أن يعيدا الشعب عنه.



كما هو مكتوب، وإن كان الابن في مجيئه لم يمجّد نفسه بل مجّد الآب، إذ قال لواحد قد جاء إليه، «لماذا تدعوني صالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ»^{٨٠٦}، ورداً على سؤال مَنْ سألته ما هي الوصيّة العظمى في الناموس قال «اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ»^{٨٠٧}. وقال للجموع «لَأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي»^{٨٠٨}، وعلم التلاميذ قائلاً «أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي»^{٨٠٩} وأيضاً «الذي يكرمني يكرم الذي أرسلني»^{٨١٠} فإن كان موقف الابن تجاه أبيه هو هكذا، فما هو التناقض الذي يمنع أى واحد من أن يتخذ مثل ذلك المعنى السليم عن هذه الآيات؟

ومن الناحية الأخرى إن كان الابن هو كلمة الآب فَمَنْ يكون بهذه الدرجة من الحماسة - عدا أولئك الذين يحاربون المسيح - حتى يظن أن الله قد تكلم هكذا لكي يظعن في كلمته وينكره؟ فحاشا أن يكون تفكير المسيحيين هكذا! لأن هذه الآيات لم تُكتب ضد الابن، بل لكي تستبعد الآلهة الكاذبة التي اخترعتها البشر. والدليل على ذلك يكمن في معنى هذه الآيات.

٨ وبسبب أن أولئك الذين يعبدون الآلهة الكاذبة، يبتعدون عن الإله الحقيقي، لذلك فلأن الله صالح ومعتني بالبشر فهو ينادي الضالين مرةً أخرى، ويقول: «أنا هو الإله وحدي» و «أنا هو» و «ليس إله معي»، ومثل كل هذه الآيات، وذلك لكي يحكم على الأشياء التي لا كيان لها، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى يحول

^{٨٠٦} لو ١٩: ١٨

^{٨٠٧} مر ٢٩: ١٢

^{٨٠٨} يو ٣٨: ٦

^{٨٠٩} يو ٢٨: ١٤

^{٨١٠} يو ٢٣: ٢٣، ٢٠: ١٣



البشر إلى نفسه. وكما لو افترضنا أن شخصاً ما أثناء النهار وبينما الشمس ساطعة يرسم رسماً بدائياً للشمس على قطعة من الخشب، ثم يقول عن ذلك الرسم أنه سبب النور الساطع، فإن كانت الشمس عندما ترى هذا الرسم يمكنها أن تقول «أنا هي نور النهار وحدي وليس هناك نور آخر للنهار سواي»، بينما يقول الرسّام هذا ليس عن شعاعها، بل عن رسمه الرديء على الخشب وعن خياله الباطل الذي زَيَّف الحقيقة.

هكذا الأمر أيضاً بخصوص الآيات: «أنا هو»، «أنا هو الإله وحدي» و «ليس إله معي»، فالله يقول هذا لكي يجعل الناس يتركون الآلهة الكاذبة ولكي يعرفوا بالحري أنه هو الإله الحقيقي، وحينما قال الله هذا، فبلا شك أنه قاله بواسطة كلمته الذاتية، هذا إن لم يضيف اليهود المعاصرون^{٨١١} قائلين إنه لم يقل هذا بواسطة كلمته. ولكن بالرغم مما يهذي به أتباع الشيطان هؤلاء، فإن الله قد تكلم بواسطة كلمته لأن كلمة الرب قد صارت إلى النبي، وهذا هو ما سمعه النبي من (الكلمة). فإذا كان هذا قد قيل بواسطة الكلمة إذًا فلا يقول الله شيئاً أو يفعله إلاّ ويقوله ويفعله بالكلمة. لذلك فيا محاربي الله إن هذه الآيات ليست موجهة ضد الابن، بل ضد الأشياء الغريبة عن الله، والتي ليست منه. لأنه بحسب الرسم الذي سبق وأشرنا إليه، إن كانت الشمس قد تكلمت بتلك الكلمات فإنها لم تقلها كأن شعاعها غريب عنها إذ أن شعاعها يُظهر نورها ولكنها تكون قد قالتها لكي تكشف الخطأ وتصححه. لذلك فمثل تلك الآيات ليست لأجل إنكار الابن ولا هي قيلت عنه، بل هي قيلت لطرح الضلال بعيداً.

^{٨١١} يستعمل القديس أناسيوس عبارة "اليهود المعاصرون" ليعبر بها عن الآريوسيين (انظر المقالة الأولى فصل ٨).



وبناءً على ذلك فإن الله لم يكلم آدم بمثل هذه الأقوال في البداية، رغم أن الكلمة الذي بواسطته خلقت كل الأشياء كان معه، إذ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك لأن الأوثان لم تكن قد وجدت بعد. لكن حينما قام الناس ضد الحق ودعوا لأنفسهم آلهة مثلما أرادوا، حينئذٍ صارت الحاجة لمثل هذه الأقوال، أي لأجل إنكار الآلهة التي لا كيان لها. بل أود أن أضيف أنها قد قيلت مسبقاً عن حماقة محاربي المسيح هؤلاء، ولكي يعرفوا أن أي إله يفكرون فيه ويكون غريباً عن جوهر الآب، لا يكون إلهاً حقيقياً، ولا هو صورة الآب وابنه، الإله الوحيد.

٩. إذاً فإن كان الآب قد دُعيَ الإله الحقيقي الوحيد فهذا لا يعني إنكار هذا الذي قال «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»^{٨١٢} بل يعني إنكار أولئك الذين ليسوا بطبيعتهم حقيقيين، مثل الآب وكلمته، ولهذا فقد أضاف الرب مباشرةً: «وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتُهُ»^{٨١٣}. وعلى هذا فلو أنه كان مخلوقاً لما كان قد أضاف هذه الكلمة ولما كان قد أحصى نفسه مع الخالق، فأية شركة توجد بين الحقيقي وغير الحقيقي؟

ولكن الابن إذ أحصى نفسه مع الآب، فقد أظهر أنه من طبيعة الآب نفسها، وأعطانا أن نعرف أنه المولود الحقيقي من الآب الحقيقي. وهكذا أيضاً تعلّم يوحنا وعلم هذا كاتباً في رسالته «وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هَذَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ»^{٨١٤}.

٨١٢ يو ١٤: ٦

٨١٣ يو ١٧: ٣

٨١٤ ١ يو ٥: ٢٠



وحينما يقول النبي عن الخليفة «الْبَاسِطُ السَّمَاوَاتِ وَحْدَهُ»^{٨١٥} وأيضاً حينما يقول الله «نَاشِرُ السَّمَاوَاتِ وَحْدِي»^{٨١٦} يصير واضحاً للجميع أن لفظة (وحده) تشير أيضاً إلى الكلمة الخاص بالوحيد، الذي به خُلقت كل الأشياء وبغيره لم يُخلق شئ. لذلك إن كانت كل الأشياء قد خُلقت بالكلمة، ومع ذلك يقول «أنا وحدي» فإنه يعني أن الابن الذي به خُلقت السموات، هو مع ذلك الوحيد.

هكذا إن قيل «إله واحد»، «أنا وحدي»، «أنا الأول» فهذا يعني أن الكلمة كائن في نفس الوقت في ذلك الواحد والوحيد والأول مثل وجود الشعاع في النور. وهذا لا يمكن أن يفهم عن أي كائن آخر سوى الكلمة وحده. لأن كل الأشياء الأخرى خُلقت من العدم بواسطة الابن، وهي تختلف اختلافاً كبيراً جداً فيما بينها من جهة الطبيعة، أما الابن نفسه فهو مولود حقيقي وطبيعي من الآب.

ولهذا فهذه العبارة: «أنا الأول» التي اقتبسها هؤلاء الأغبياء لكي يدعموا بها هرطقتهم، هي بالحرى تفضح نيتهم الشريرة لأن الله يقول «أَنَا الْأَوَّلُ وَأَنَا الْآخِرُ»^{٨١٧} إذًا فإن قلتم إنه الأول بالنسبة للأشياء التي أتت بعده كما لو كان محصى معها، لكي تأتي تلك الأشياء تالية له إذًا فأنتم تُظهرون أنه هو نفسه يسبق الأعمال المخلوقة زمنياً فقط، وهذا يفوق كل كفر. ولكنه لكي يبرهن إنه لم يأخذ بدايته من أي شئ، ولا يوجد شئ قبله ولكي يدحض الأساطير الوثنية، ولكي يبيّن أنه هو البداية والعلّة لكل الأشياء، قال «أنا الأول» أنه واضح أيضاً أن تسمية الابن «بالبكر» هذه لم تُعط فقط له لأجل إحصائه مع المخلوقات، بل لكي تبرهن

^{٨١٥} أيوب ٩: ٨

^{٨١٦} إش ٤٤: ٢٤

^{٨١٧} إش ٤٤: ٦



أن خلق كل الأشياء وتبنيها إنما تم بواسطة الابن. لأنه كما أن الآب هو الأول،
هكذا أيضاً «الابن أيضاً هو الأول كصورة الأول تماماً، ويسبب أن الأول كائن
فيه، وهو أيضاً وليد الآب، الذي به تمّ خلق كل الخليقة وتبنيها.

الفصل الخامس والعشرون

شرح نصوص (يو ١٠: ٣٠، يو ١٧: ١١)

«أنا والآب واحد»، «ليكونوا واحد كما نحن»

١٠. غير أنهم أيضاً يحاولون أن يشكّكوا في هذه الحقائق بواسطة الخرافات الناتجة عن خيالاتهم، فيدّعون أن الابن والآب لا يمكن أن يكونا «واحدًا» أو «متماثلين» بالكيفية التي تُعلّم بها الكنيسة، بل بالكيفية التي يريدونها هم. إذ يقولون إن ما يريده الآب يريده الابن أيضاً، وهو لا يتعارض معه في الفكر أو في القرار، ولكنه موافق له من جميع الوجوه، وهو يعلن التعاليم نفسها مثل الآب ويقول الكلام المتفق والمتناسق مع تعاليم الآب، لذلك فهو - حسب رأيهم - واحد مع الآب. ولقد تجرأ البعض^{١٨} منهم أن يكتب هذا وأن يقوله.

وهل يمكن لأحد أن يقول ما هو أكثر غرابة وعدم معقولية من هذا؟ لأنه لو كان الابن والآب هما واحداً، بحسب رأيهم هذا، وإن كان الكلمة مثل الآب بهذه الكيفية، فينتج عن هذا أن الملائكة أيضاً والكائنات الأخرى الأعلى منا، الرؤساء والسلاطين والعروش والربوبيات، وما نراه نحن مثل الشمس والقمر والنجوم كل هؤلاء سيكونوا أبناء أيضاً مثل الابن، وينبغي أن يقال عنهم أيضاً عندئذٍ أنهم هم والآب واحد، وأن كلاً منهم هو صورة الله وكلمته. لأن ما يريده الله يريدونه هم أيضاً، وهم لا يخالفونه لا في الإرادة ولا في الفعل، بل هم يخضعون لخالقهم في كل شيء. لأن كل هذه الكائنات ما كانت تستطيع أن تبقى في مجدها لو لم تشأ ما شاء الآب أيضاً. فمثلاً إن ذاك الذي لم يبقَ «في مجده»، بل

^{١٨} يشير هنا إلى استيربوس الآريوسي.



ضَلَّ بعيداً، سمع الكلمات: «كيف سقطت من السماء يا يوسفوروس»^{٨١٩} المشرق في الصباح»^{٨٢٠}.

وإن كان الأمر هكذا، فكيف يكون هو وحده الابن الوحيد الجنس والكلمة والحكمة؟ أو كيف، بينما يوجد كثيرون مثل الآب، يكون وحده هو الصورة؟ لأنه يوجد كثيرون مثل الآب بين البشر، فكثيرون جداً صاروا شهداء ومن قبلهم الرسل والأنبياء وقبلهم أيضاً البطارقة، وكثيرون أيضاً، الآن يحفظون وصية المخلص إذ هم رحماء مثل الآب الذي في السموات^{٨٢١} وحفظوا الوصية القائلة «فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللَّهِ كَأَوْلَادٍ أَحْيَاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضاً»^{٨٢٢}. وكثيرون أيضاً تمثلوا ببولس كما تمثل هو أيضاً بالمسيح^{٨٢٣}، ولكن ولا واحد من هؤلاء هو الكلمة، أو الحكمة، أو الابن الوحيد الجنس، أو الصورة. ولم يتجزأ أي واحد منهم أن يقول «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»^{٨٢٤}، أو «أَنَا فِي الْآبِ وَالآبُ فِيَّ»^{٨٢٥}، بل قد قيل عنهم جميعاً «مَنْ مِثْلُكَ بَيْنَ الْأَلِهَةِ يَا رَبُّ»^{٨٢٦} و «مَنْ يُشْبِهُ الرَّبَّ بَيْنَ أَبْنَاءِ اللَّهِ»^{٨٢٧}، ولكن قيل عن الابن وحده إنه الصورة الحقيقية للآب ومن

^{٨١٩} هذه الكلمة وردت هكذا في الترجمة السبعينية للعهد القديم باليونانية وتعني نجم الصباح.

^{٨٢٠} إش ١٢: ١ (س)

^{٨٢١} لو ٦: ٣٦

^{٨٢٢} أف ١: ٥-٢

^{٨٢٣} ١ كو ١: ١١

^{٨٢٤} يو ١٠: ٣٠

^{٨٢٥} يو ١٤: ١٠

^{٨٢٦} خر ١١: ١٥

^{٨٢٧} مز ٨٩: ٦



جوهره، ورغم أننا قد خلقنا حسب الصورة ودعينا صورة الله ومجده^{٨٢٨} فذلك ليس من ذاتنا، بل بسبب صورة الله ومجده الحقيقي الساكن فينا، الذي هو كلمته، والذي صار جسداً لأجلنا فيما بعد، لكي ننال نحن نعمة هذه الدعوة.

١١. وحيث إن فكر الآريوسيين هذا يظهر غير لائق وغير معقول، لذلك فمن الضروري أن يرجع هذا التماثل وهذه الوحدة بين الآب والابن إلى جوهر الابن نفسه، لأنه إن لم يكن سبب التماثل هو وحده الجوهر، فلن يظهر أن الابن يملك شيئاً أكثر من المخلوقات كما سبق القول ولا حتى أنه هو مثل الآب، لكنه سيكون كالآب في التزامه بتعاليم الآب وهو يختلف عن الآب في أن الآب هو آب، أما التعاليم والوصايا فهي للآب. وإن كان الابن هو مثل الآب من جهة التعاليم والوصايا فحينئذٍ - بحسب رأيهم - يكون الآب أباً بالاسم فقط، والابن لن يكون صورة الآب التي لا تتبدل أو بالحري لن يظهر أن له صفات الآب الذاتية وأنه يماثله. لأنه أية مماثلة أو صفات ذاتية يمكن أن يكون لمن هو مختلف تماماً عن الآب؟ فبولس رغم أنه علم بنفس تعاليم المخلص، إلا أنه لم يكن مثله في الجوهر.

فهؤلاء لأن عندهم مثل هذه الأفكار، يتكلمون بافتراءات كاذبة. لكن الابن والآب هما واحد، كما قلنا سابقاً. وبنفس الطريقة فالابن هو مثل الآب ومن ذات الآب كما يمكن أن يرى وأن يفهم المرء أن أي ابن هو من أبيه، وكما يمكن أن يرى أن الشعاع هو من الشمس. إذاً لأن علاقة الابن بالآب هي هكذا، فحينما يعمل الابن يكون الآب هو العامل، وعندما يأتي الابن إلى القديسين فالآب هو الذي يأتي في الابن، كما وعد حينما قال «وإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً»^{٨٢٩}. لأنه في الصورة

^{٨٢٨} انظر ١ كور ١١: ٧.

^{٨٢٩} يوحنا ١٤: ٢٣.



يُرى الآب كما أنه في الشعاع يكون النور. لذلك أيضاً وكما قلنا قبل ذلك بقليل، فحينما يُعطى الآب النعمة والسلام، فالابن أيضاً يعطيها، كما يكتب بولس في كل رسالة له قائلاً «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»^{٨٣٠}. لأنه توجد نعمة واحدة وهى نفس النعمة التي من الآب في الابن، كما أن نور الشمس وشعاعها هما واحد، وكما أن إنارة الشمس تحدث بواسطة الشعاع. وهكذا أيضاً حينما يدعو الرسول لأهل تسالونيكي فهو يقول لهم «وَاللَّهُ نَفْسُهُ أَبُونَا وَرَبُّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ»^{٨٣١} فهو بهذا يحفظ وحدة الآب والابن معاً. فهو لم يَقُلْ يهديان، كما لو كانت هناك نعمة مزدوجة تعطى من مصدرين: هذا وذاك، بل قال «يهدي» لكي يبين أن الآب يهدي بواسطة الابن، كل هذا كان ينبغي أن يخل من هؤلاء عديمو التقوى، ولكنهم لا يخلون.

١٢. لأنه لو لم تكن هناك وحدة (في الجوهر) ولو لم يكن الكلمة هو وليد جوهر الآب كالشعاع من النور، وكان الابن مختلفاً في الطبيعة عن الآب، لكان يكفي أن الآب وحده هو الذي يُعطي، طالما أن أى واحد من المخلوقات لا يشترك مع خالقه في العطاء. ولكن الآن كما هى حقيقة الأمر، فإن مثل هذا العطاء يُظهر وحدة الآب والابن. فلا أحد يصلي إلى الله والملائكة أو إلى أى مخلوق آخر، لكي ينال منهم شيئاً وليس هناك مَنْ يدعو قائلاً «ليت الله والملاك يعطيك» ولكنه يطلب من الآب والابن، بسبب وحدتهما (في الجوهر) ووحدة عطائهما. لأن ما يُعطى إنما يُعطى بواسطة الابن. وليس هناك شئ إلا ويعمله الآب بالابن. لأن مَنْ يطلب هكذا ينال بالتأكيد نعمة. فإن كان رئيس الآباء يعقوب وبينما هو يبارك حفيديه افرايم ومنسى قال «..اللَّهُ الَّذِي رَعَانِي مُنْذُ وُجُودِي إِلَى هَذَا الْيَوْمِ - الْمَلَكُ الَّذِي خَلَصَنِي

^{٨٣٠} روم ١: ٧، ١ كور ١: ٣، أف ١: ٢

^{٨٣١} ١ تس ٣: ١١



مِنْ كُلِّ شَرٍّ، يُبَارِكُ الْغُلَامَيْنِ ..»^{٨٣٢}، فهو لم يُقَرِّنْ أَى من أولئك الذين خَلَقُوا بالطبيعة ملائكة، مع الله خالقهم. كما أنه لم يُهْمَلْ ذِكْرُ الله الذي رعاها، ولكنه طَلَبَ البركة لحفيديه من الملاك. لأنه بقوله «الذي خَلَّصَنِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ، لم يشر إلى ملاك مخلوق، بل إلى كلمة الله، الذي قَرَنَهُ مع الآب في طلبته، الذي بواسطته يَخْلِّصُ الله أولئك الذين يريدهم لأنه إذ يعرف أنه يُدْعَى أيضاً ملاك المشورة العظمى للآب»^{٨٣٣}، قال إنه ليس هناك سواه هو الذي يُعْطَى البركة ويَخْلِّصُ من الشر. ومع أنه استحق أن ينال البركة من الله إلا أنه عندما رغب في مباركة حفيديه، فإنه طلب ذلك من الملاك الذي كان قد سبق وأن طلب منه البركة لنفسه قائلاً: «لَا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي»^{٨٣٤}. إذ أن هذا الملاك كان هو الله بحسب ما ذَكَرَ يعقوب نفسه قائلاً: «لَأَنْتِي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوَجْهِ»^{٨٣٥}. وهذا هو الذي صَلَّى إليه أن يبارك أيضاً ابني يوسف. فما يناسب عمل الملاك إذاً هو أن يخدم أوامر الله، وكثيراً ما كان يذهب أمامهم لكي يطرد الأموريين، وكان يُرْسَلُ ليحرس الشعب في الطريق^{٨٣٦}. لكن ليست هذه هي أعماله بل هي أعمال الله الذي أمره وأرسله، وهو أيضاً الذي يَخْلِّصُ الذين يريد أن يَخْلِّصَهُمْ. لهذا فملاك المشورة لم يكن سوى الرب الإله نفسه الذي قد رآه يعقوب وهو الذي قال له «وَهَا أَنَا مَعَكَ وَأَحْفَظُكَ حَيْثُمَا تَذْهَبُ»^{٨٣٧}.

^{٨٣٢} تك ٤٨: ١٥-١٦

^{٨٣٣} إش ٦: ٩ (س)

^{٨٣٤} تك ٣٢: ٢٦

^{٨٣٥} تك ٣٢: ٣٠

^{٨٣٦} انظر سفر العدد ٢١: ٢٤، عاموس ٩: ٢.

^{٨٣٧} تك ٢٨: ١٥



ولم يكن آخر بل أيضاً كان هو الله الذي لم يسمح للابان أن يخدع يعقوب وأمره ألا يتكلم بالشر معه، ولم يكن أيضاً سوى الله الذي توسل هو إليه قائلاً «نجني من يد أخي عيسو. لأنني خائف منه»^{٨٣٨}، ولأنه أيضاً حينما تحدثت مع زوجاته عن لابان قال: «لكن الله لم يسمح له أن يصنع بي شراً»^{٨٣٩}.

١٣. وداود أيضاً لم يدع إلهاً آخر سوى الله نفسه لكي ينجيه عندما صرخ إليه قائلاً «إلى الرب في ضيقتي صرختُ، فاستجاب لي. يا رب، نج نفسي من شفاو الكذب، من لسان غش»^{٨٤٠}. وأيضاً في اليوم الذي أنقذه فيه الرب من يد جميع أعدائه ومن يد شاول رغم بكلمات الفرح شاكرًا الله هكذا «أحبك يا رب يا قوتي. ٢ الرب صخرتي وحصني ومُنقذي»^{٨٤١}. وبولس بعد أن احتمل اضطهادات كثيرة. لم يقدم الشكر إلى أحد سوى إلى الله وحده إذ قال «ومن الجميع أنقذني الرب الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي»^{٨٤٢}.

كما أن إبراهيم واسحق لم يباركا أحداً سوى الله. فإسحق طلب لأجل يعقوب قائلاً: «والله القدير يباركك ويجعلك مثمراً ويكثرك فتكون جهوراً من الشعوب، ويعطيك بركة إبراهيم»^{٨٤٣}. ولكن إن كان الله وحده وليس سواء هو الذي يبارك وينجي وليس سوى الرب نفسه هو الذي أنقذ يعقوب، وهو الذي أعطى لرئيس الآباء البركة التي طلبها لأحفاده، فمن الواضح أن يعقوب لم يُقرن مع الله.

^{٨٣٨} تك ١١: ٣٢ (ش)

^{٨٣٩} تك ٣١: ٧

^{٨٤٠} مز ١٢٠: ٢

^{٨٤١} مز ١٨: ٢

^{٨٤٢} ٢ تيمو ٣: ١١، ٢ كو ١: ١٠

^{٨٤٣} تك ٢٨: ٣-٤



فِي صَلَاتِهِ . أَحَدَ سَوَى كَلِمَةِ اللَّهِ ، لِأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يَعلنُ الْآبَ ، وَمِنْ أَجْلِ هَذَا دَعَى كَلِمَةَ اللَّهِ بـ «المَلَك»^{٨٤٤} . وَهَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ الرَّسُولُ أَيْضاً حِينَما قَالَ «نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلَامٌ مِنَ اللَّهِ أَبِينَا وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»^{٨٤٥} . فَإِنَّهُ بِهِذَا صَارَتِ الْبَرَكَةُ مُؤَكَّدَةً بِسَبَبِ وَحِدَةِ الْآبِ وَالابْنِ ، وَلِأَجْلِ ذَلِكَ فَالْنِعْمَةُ الَّتِي تَعْطَى مِنْهُمَا هِيَ وَاحِدَةٌ وَهِيَ هِيَ نَفْسُهَا . فَرِغَ أَنْ الْآبَ يَعْطِيَ النِعْمَةَ ، إِلَّا أَنَّهَا تُؤَهَّبُ بِالْابْنِ ، وَرِغْمَ أَنَّ الْابْنَ هُوَ الَّذِي يَهَبُ النِعْمَةَ ، فَالْآبَ هُوَ الَّذِي يَعْطِيهَا بِالْابْنِ وَفِي الْابْنِ . لِأَنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ وَهُوَ يَكْتُبُ إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ «أَشْكُرُ إِلَهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللَّهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ»^{٨٤٦} .

وَهَذَا يُمْكِنُ أَنْ نَرَاهُ فِي مِثَالِ النُّورِ وَالشَّعَاعِ ، لِأَنَّ مَا يَنْيرُهُ النُّورُ إِنَّمَا يَنْيرُهُ بِشَّعَاعِهِ ، وَمَا يَشْعُهُ الشَّعَاعُ فَهُوَ يَأْخُذُهُ مِنَ النُّورِ ، هَكَذَا أَيْضاً حِينَما يُرَى الْابْنُ يُرَى الْآبَ ، لِأَنَّهُ هُوَ شَّعَاعُ الْآبِ ، وَلِذَلِكَ فَالْآبُ وَالْابْنُ هُمَا وَاحِدٌ (فِي الْجَوْهَرِ) .

١٤- وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَشْيَاءِ الصَّائِرَةِ وَالْمَخْلُوقَةِ لِأَنَّ مَا يَعْمَلُهُ الْآبَ ، لَا يَعْمَلُهُ أَى مَلَكٍ أَوْ أَى مَخْلُوقٍ آخَرَ ، لِأَنَّ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ هُوَ عِلَّةٌ فَاعِلَةٌ بَلْ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَخْلُوقَةِ ، وَفَضْلاً عَنْ ذَلِكَ فَلِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ وَمَنْفَصِلَةٌ عَنِ الْإِلَهِ الْوَحِيدِ وَمَخْتَلِفَةٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَهِيَ أَيْضاً مَخْلُوقَةٌ ، فَإِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعْمَلَ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ ، كَمَا أَنَّهَا - كَمَا قُلْتُ سَابِقاً - لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَشْتَرِكَ مَعَ اللَّهِ فِي إِعْطَاءِ النِّعْمَةِ .

^{٨٤٤} ἄγγελος باليونانية والفعل اليوناني ἀγγέλω معناه «يُعلن» أو «يُشير»

^{٨٤٥} روم ٧: ١

^{٨٤٦} ١ كور ٤: ١



ولا يستطيع أحد عندما يرى ملاكاً أن يقول إنه قد رأى الآب لأن الملائكة كما هو مكتوب - هي أرواح خادمة، مرسلّة للخدمة^{٨٤٧}، وهم يبشرون بالعطايا التي تُوهب من الآب بواسطة الكلمة إلى أولئك الذين ينالونها.

كما أن الملاك نفسه عند ظهوره، يعترف أنه قد أُرسِل من سيّده كما اعترف جبرائيل عندما ظهر لزكريا وأيضاً عندما ظهر لمريم والدة الإله. ومن يرى منظر ملائكة يعرف أنه رأى ملاكاً ولم ير الله. فزكريا رأى ملاكاً، وإشعياى رأى الرب ومنوح ابو شمشون رأى ملاكاً، أما موسى فرأى الله وجدعون رأى ملاكاً، أما إبراهيم فقد ظهر له الله. فالذين رأوا الله لم يقولوا إنهم رأوا ملاكاً، كما أن الذين رأوا ملاكاً اعتبروا أنهم قد رأوا الله لأن الأشياء المخلوقة هي بالطبيعة تختلف اختلافاً عظيماً بل بالحري اختلافاً كاملاً عن الله الخالق، ولكن يحدث أحياناً أن يُرى ملاك، والذي يراه يسمع صوت الله، كما حدث في العليقة «وظَهَرَ لَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ بِلَهَيْبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عَلِيْقَةٍ»^{٨٤٨}، وكَلَّمَ اللهُ مُوسَى مِنَ الْعَلِيْقَةِ قَائِلاً: «أَنَا إِلَهُ أَبِيكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ»^{٨٤٩}، ولكن الملاك لم يكن هو إله إبراهيم، بل الذي تكلّم في الملاك هو الله فالذي ظهر هو ملاك، ولكن الله تكلّم فيه. لأنه كما تكلّم الله مع موسى في الخيمة من خلال عمود السحاب هكذا أيضاً يظهر الله ويتكلّم من خلال الملائكة، مثلما تكلّم إلى يشوع بن نون بواسطة ملاك^{٨٥٠}.

^{٨٤٧} عب ١: ١٤

^{٨٤٨} خر ٣: ٢

^{٨٤٩} خر ٣: ٦

^{٨٥٠} يش ١: ٢ (الخ)



فإن ما يتكلّم به الله من الواضح أنه يتكلّم به بواسطة الكلمة وليس بواسطة آخر. فالكلمة ليس منفصلاً عن الآب، وليس له جوهر غير جوهر الآب ولا هو غريب عنه. فالأعمال التي يعملها، هي أعمال الآب وهو الخالق مع الآب، فالعطايا التي يعطيها الابن، هي عطايا الآب. والذي قد رأى الابن، يعرف أنه برؤيته له، لم ير ملاكاً ولا شخصاً أعظم من الملائكة، ولا أى مخلوق على وجه العموم، بل قد رأى الآب نفسه والذي يسمع الكلمة يعرف أنه يسمع الآب نفسه. مثل ذلك الذي يستتير بواسطة الشعاع، يعرف أنه يستتير بواسطة الشمس.

١٥. ولأن الكتاب المقدّس يريدنا أن نفهم هذا الأمر هكذا، فقد أعطانا مثل هذه الإيضاحات، التي تكلّمنا عنها أعلاه، والتي بها يمكننا أن نُخجل اليهود الخائفين من جهة وأن ندحض إدعاءات الوثنيين^{٨٥١} من الجهة الأخرى، الذين يفكرون ويظنون أننا حينما نتحدّث عن الثالث، فنحن نعترف بألّه متعدّدة. لأنه كما يتضح من المثال، نحن لا نقدّم ثلاثة بدايات أو ثلاثة آباء كما يفعل أتباع ماركيون^{٨٥٢} ومانى^{٨٥٣} حيث إننا لن نعرض صورة ثلاثة شمس بل شمس واحدة وشعاع واحد. وهناك نور واحد من الشمس في الشعاع، وهكذا فنحن لا نعرف سوى بداية واحدة ونعترف أن الكلمة خالق الكلّ ليس له مصدر آخر للاهوته سوى لاهوت الإله الوحيد، لأنه مولود منه. وعندئذ يكون الآريوسيون بالبحري هم المتهمين بتعدّد الآلهة أو الإلحاد، لأنهم يهزون بالقول عن الابن إنه مخلوق وغريب

^{٨٥١} لم يفهم الوثنيين التعاليم المسيحية بخصوص الله الواحد مثلث الأقانيم، لهذا فقد اتهموا المسيحيين بأنهم يعبدون آلهة متعدّدة.

^{٨٥٢} ماركيون: عاش في القرن الثاني وعلم تعاليمًا خاطئة عن أن المسيحيين يؤمنون بإلهين: إله العهد القديم وهو إله متشدّد وقاسٍ وإله آخر حنون ومحّب البشر وهو إله العهد الجديد.

^{٨٥٣} ماني: هرطوقي من بلاد فارس علم نفس تعاليم ماركيون تقريباً. وُلد في عام ٢١٥ وخلط في تعاليمه ما بين العبادات الفارسية والمسيحية والديانات الشرقية وكان يؤمن بوجود بدايتين هما النور وهو مبدأ الصلاح والظلمة وهي مبدأ الشر.



عن جوهر الآب وإن الروح القدس أيضاً جاء من العدم. لأنهم إما أن يقولوا إن الكلمة ليس هو الله، أو يقولوا - بسبب ما قد كتب عنه - إنه هو الله. لكنه ليس من ذات جوهر الآب وهكذا يقدمون لنا آلهة متعددة بسبب اختلاف الآلهة في الجوهر. إلا إذا تجاسروا أن يقولوا إن الابن يدعى إلهاً بالمشاركة فقط (في الجوهر) مثل كل المخلوقات الأخرى.

وحتى إن كان هذا هو تصوّرهم فهم مازالوا على كفرهم. حيث إنهم يعتبرون الكلمة كواحد من بين المخلوقات. ولكن لا ندع هذا الفكر يأتي إلى أذهاننا إطلاقاً. لأن الألوهة هي واحدة، وهي كائنة أيضاً في الكلمة. وإله واحد هو الآب، كائن بذاته، إذ هو ضابط الكل وظاهر في الابن حيث إنه يتخلّل كل الأشياء بواسطة، وظاهر في الروح القدس حيث إنه يعمل كل شئ بالكلمة في الروح القدس. لأننا بهذا نعترف أن الله واحد في ثالث، ونقول إن هذا الإيمان بالإله الواحد في ثالث هو أكثر تقوى جداً من التعليم بإله الهرطقة بأنواعه الكثيرة وأجزائه العديدة.

١٦. لأنه إن لم يكن الأمر كذلك، وكان الكلمة مخلوقاً ومصنوعاً من العدم، فهو إما أنه ليس إلهاً حقيقياً، بسبب أنه هو نفسه واحد من المخلوقات، أو إن كانوا يدعونه إلهاً خجلاً من الكتاب المقدس، فينبغي بالضرورة أن يقولوا بوجود إلهين، واحد خالق، والآخر مخلوق ووجب أن يعبدوا ربين، واحد غير مخلوق والآخر مخلوق ومصنوع، وينبغي أن يكون لهم إيمانان بالإله الحقيقي وإيمان بواحد آخر صنعه وصاغوه بأنفسهم ودعوه إلهاً. ويتبع بالضرورة عن هذا عمى عظيم جداً حتى أنهم حينما يسجدون لغير المخلوق فهم يرفضون المخلوق وحينما ينشغلون بالإله المخلوق، فإنهم يتحوّلون عن الإله الخالق، لأنهم لا يستطيعون أن يروا الواحد كائناً في الآخر، لأن طبيعتهما وأفعالهما هي غريبة ومختلفة عن بعضها. وحيث إنهم يفكرون بهذه الطريقة، فحتماً ستقودهم خيالاتهم إلى الاعتقاد بوجود عدد أكثر



من الآلهة، لأن هذه هي محاولات أولئك الذين قد ابتعدوا عن الله الواحد. ولماذا إذًا إن كان للآريوسيين هذه التصورات والآراء، لا يحسبون أنفسهم مع الوثنيين؟ لأنهم مثل هؤلاء تمامًا يعبدون المخلوق بدلاً من الله خالق الكل. وبينما يتحاشون تسميتهم بالوثنيين لكي يخدعوا غير المحنكين، إلا أنهم يضمرون في باطنهم فكرةً مشابهةً لفكر الوثنيين، بل ودائمًا ما يرددون قائلين «نحن لا نعتقد في اثنين غير مخلوقين» معتبرين أن قولهم هذا مليء بكل حكمة مع أنه من الواضح أنهم يقولونه لكي يخدعوا البسطاء. لأنه باعترافهم وقولهم «نحن لا نقول بأثنين غير مخلوقين» فهم يقرون بوجود إلهين مختلفين في طبيعتهما واحد مخلوق، والآخر غير مخلوق، ورغم أن الوثنيين يعبدون إلهاً غير مخلوق وآلهة أخرى كثيرة مخلوقة، فهؤلاء الآريوسيون يعبدون واحداً غير مخلوق وواحداً مخلوقاً، وهم في هذا لا يختلفون عن الوثنيين. لأن الإله الذي يدعونه مخلوقاً هو واحد بين كثيرين، وأيضاً الآلهة الكثيرة عند الوثنيين لها نفس طبيعة هذا الواحد، لأن الواحد والكثيرين هم مخلوقات.

إنهم تعساء وتعاستهم هي بالأكثر ناتجة عن معتقداتهم التي هي ضد المسيح لأنهم قد سقطوا من الحق وقد فاقوا اليهود في حياتهم بإنكار المسيح وهم منغمسين مع الوثنيين، ومبغضين له مثلهم، عابدين الخليقة والآلهة المتعددة، لأنه يوجد إله واحد وليس كثيرون. وواحد هو كلمته وليسوا كثيرين لأن الكلمة هو الله^{٨٥٤}، وهو وحده صورة الآب. ولأنه هو المخلص فإنه جعل اليهود يضطربون من هذه الكلمات: «الآب نفسه، الذي أرسلني، هو يشهد لي، لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته وليست لكم كلمة ثابتة فيكم، لأن الذي أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به»^{٨٥٥}. لذلك جمع بين «الكلمة» و «الهيئة» لكي يوضح أن كلمة الله هو نفسه صورة ورسم وهيئة

^{٨٥٤} انظر يو ١: ١.

^{٨٥٥} يو ٥: ٣٧-٣٨.



أبيه، وأن اليهود الذين لم يقبلوا الذي تكلم إليهم لم يقبلوا الكلمة الذي هو صورة الله. وهذا أيضاً هو ما قد رآه يعقوب رئيس الآباء الذي نال البركة من الله وأعطى اسم إسرائيل بدلاً من يعقوب كما يشهد الكتاب الإلهي، قائلاً: «وَأَشْرَفَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَرَ هَنْوَيْلَ (وجه الله)»^{٨٥٦} وهذا هو نفسه الذي قال: «الَّذِي رَأَيْتُ فَقَدْ رَأَى الْآبَ» و «أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبَ فِيَّ» و «أَنَا وَالْآبُ وَاحِدٌ»^{٨٥٧}.

وهكذا فإن الله واحد والإيمان بالآب والابن هو واحد. لأنه رغم أن الكلمة هو إله، فالرب إلهنا رب واحد. لأن الابن هو خاص بذاك الواحد وغير منفصل عنه بحسب ذاته وخصوصية جوهره.

١٧. ومع ذلك فالأريوسيون إذ لا يخلطون من هذا فإنهم يجيبون: ليس كما تقولون أنتم، بل كما نريد نحن لأنه طالما قد رفضتم آراءنا السابقة، فإننا قد أوجدنا رأياً جديداً، نقول فيه: كما أن الابن والآب واحد، وكما أن الآب هو في الابن والابن في الآب، هكذا أيضاً نكون نحن واحداً فيه.

لأن هذا هو ما كُتِبَ في الإنجيل بحسب يوحنا، وهو ما طلبه المسيح لأجلنا في هذه الكلمات «أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ»^{٨٥٨}. وبعدها بقليل يقول «وَلَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلَاءِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلَامِهِمْ، لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي. وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ. أَنَا

^{٨٥٦} تك ٣٢: ٣١

^{٨٥٧} يو ١٤: ٩-١٠، يو ١٠: ٣٠

^{٨٥٨} يو ١٧: ١١



فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ، وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي»^{٨٥٩}. وبعد ذلك فهؤلاء الرجال الخادعون، كأنهم قد وجدوا حجة يستندون عليها يضيفون ويقولون إن كنا نصير نحن واحداً في الآب، هكذا أيضاً يكون الابن واحداً مع الآب، وهكذا أيضاً يكون هو في الآب، فكيف تستتجون أنتم من قوله «أنا والآب واحد»، و «أنا في الآب والآب في» أن الابن هو من ذات جوهر الآب ومساوٍ له؟ وهذا يتطلب إما أن نكون نحن أيضاً من ذات جوهر الآب أو أن يكون هو غريب عن هذا الجوهر مثلما نحن غرباء عنه].

هكذا يثرثر هؤلاء الناس، ولكني لا أرى في كلامهم الباطل هذا سوى وقاحة غير معقولة وجنون شيطاني، حيث إنهم يقولون مثلما قال الشيطان «نصعد إلى السموات ونصير مثل العلي»^{٨٦٠} لأن ما يُعطى للإنسان بالنعمة هذا يجعلونه مساوياً لألوهة المعطي لأنهم إذ سمعوا أن البشر سيصيرون أبناء لله، ظنوا أنفسهم مساويين للابن الحقيقي بالطبيعة والآن أيضاً إذ يسمعون من المخلص قوله: «لكي يكونوا واحداً، كما نحن»، يخدعون أنفسهم وتصل بهم الوقاحة لدرجة أنهم يظنون أنهم سيوجدون مثلما الابن هو كائن في الآب والآب في الابن، غير معتبرين بسقوط أبيهم الشيطان، الذي سقط نتيجة لمثل هذا التخيل والخداع.

١٨. فإن كان كلمة الله - كما قلنا مرّات عديدة - هو مثلنا ولا يختلف عنا في شئ سوى في الزمن، فهو يكون مساوياً لنا وله نفس الوضع الذي لنا عند الآب ولا ينبغي عندئذ أن يدعى الابن الوحيد ولا الكلمة الوحيد ولا كلمة الآب الوحيد، بل يطلق علينا جميعاً نفس الاسم بصورة مشتركة نحن الذين نمائله، لأنه من الصواب

^{٨٥٩} يو ١٧: ٢٠-٢٣

^{٨٦٠} انظر إيش ١٤: ١٣-١٤.



أن الذين لهم طبيعة واحدة، يكون لهم نفس الاسم، حتى لو اختلفوا الواحد عن الآخر من جهة الزمن لأن آدم كان إنساناً وبولس كان إنساناً وكل مَنْ يولد اليوم هو إنسان، فالزمن ليس هو الذي يغيّر طبيعة الجنس البشري. إذاً فإن كان الكلمة يختلف عنّا فقط من جهة الزمن، فعندئذٍ يجب أن نكون مثله هو. ولكن حقيقة الأمر أننا لسنا الكلمة ولا الحكمة، كما أنه هو ليس مخلوقاً ولا مصنوعاً، وبالتأكيد سيتساءلون: لماذا هو فقط من دوننا يكون هو الكلمة مع أننا جميعاً قد خلقنا بواسطة الله الواحد؟ لكن إن كانت هذه الأمور تتاسبهم لكي يتكلموا بها، فهي لا تتاسبنا لأنه لا يجب أن نفكر في تجاديفهم هذه. ومع ذلك رغم أن هذه الآيات لا تحتاج إلى توضيح إذ أن معناها واضح جداً في إيماننا المستقيم فإننا لكي نوضح ضلالهم هنا أيضاً في فهم هذه الآيات وعدم أرثوذكسيتهم سوف نشرحها بعد قليل وبحسب ما استلمناه من الآباء.

لقد اعتاد الكتاب المقدس أن يستخدم ظواهر الطبيعة كصور وإيضاحات لأجل البشر وهو يفعل هذا لكي يشرح أفعال البشر الإختيارية مما يحدث في الطبيعة، وهكذا يُظهر سلوكهم إما شريراً أو باراً. ففي حالة ما هو شرير مثلاً يأمر قائلاً: «لَا تَكُونُوا كَفَرَسٍ أَوْ بَغْلٍ بِلَا فَهْمٍ»^{٨٦١}، وعندما يلوم أولئك الذين تشبهوا بهذه الحيوانات يقول «إِنْسَانٌ فِي كَرَامَةٍ وَلَا يَفْهَمُ يُشَبِّهُ الْبَهَائِمَ الَّتِي تُبَادُ»^{٨٦٢} وأيضاً يقول «صَارُوا حُصْنًا مَعْلُوفَةً سَائِبَةً»^{٨٦٣}. والمخلص لكي يكشف فكر هيروودس قال «وَقُولُوا لِهَذَا الثَّغْلَبِ»^{٨٦٤}. ومن الجهة الأخرى حذر تلاميذه «هَآ أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَفَنَمِ

^{٨٦١} مز ٣٢: ٩

^{٨٦٢} مز ٤٩: ٢٠

^{٨٦٣} إر ٥: ٨

^{٨٦٤} لو ١٣: ٣٢



فِي وَسْطِ ذُنَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسْطَاءَ كَالْحَمَامِ»^{٨٦٥}. وهو قال هذا لا لكي نصير بالطبيعة حيوانات، أو حيّات، أو حمام لأنه هو نفسه لم يخلقنا هكذا، والطبيعة نفسها لا تسمح بذلك، ولكن لكي نتجنّب الانفعالات الحيوانية الخاصة بأحدها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون واعين لمكر الحيوان الآخر لكي لا نُخدع به، ولكي نكتسب أيضاً وداعة الحمام.

١٩ - وأيضاً فإن المخلّص إذ يتخذ من الأمور الإلهية نماذج يقدمها للإنسان فإنه يقول «فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضاً رَحِيمٌ»، «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ»^{٨٦٦}. وهو قد قال هذا ليس بالطبع لكي نصير مثل الآب، لأنه مستحيل علينا نحن المخلوقين الذين قد خُلِقنا من العدم أن نصير مثل الآب. ولكن كما أنه أمرنا «لا تصيروا كالحصان» لا لئلا نكون كالحيوانات غير الناطقة، بل لكي لا نتمثل بها في نقص العقل، هكذا فقد قال «كونوا رحماء مثل الآب» لا لكي نصير مثل الله، بل لكي عندما نتطلّع إلى أعماله الصالحة فإن ما نفعله من أعمال حسنة إنما نفعله ليس لأجل الناس بل لأجله هو، حتى نأخذ مكافآتاً منه وليس من الناس.

لأنه كما أنه يوجد ابن واحد حسب الطبيعة وهو الابن الحقيقي الوحيد الجنس، هكذا نصير نحن أيضاً أبناء، لكن ليس مثله هو بالطبيعة وبالحق، بل بحسب نعمة ذاك الذي دعانا، ورغم أننا بشر من الأرض، ومع ذلك نصير آلهة ليس مثل الإله الحقيقي أو كلمته، بل كما قد سرّ الله الذي قد وهبنا هذه النعمة؛ هكذا أيضاً نصير رحماء مثل الله، لا بأن نصير مساويين لله ولا بأن نصير صانعي

^{٨٦٥} مت ١٠: ١٦

^{٨٦٦} لوقا ٦: ٣٦، مت ٥: ٤٨



خيرات بالطبيعة وبالْحَقِيقَة ، لأن صُنْعَ الْخَيْرِ فِي ذَاتِهِ لَيْسَ مِنْ أَنْفُسِنَا بَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ -
 بَلْ لِكِي نَوْزَعُ عَلَى الْآخَرِينَ الْخَيْرَاتِ الْمَوْهُوبَةِ لَنَا مِنَ اللَّهِ بِالنَّعْمَةِ ، دُونَ أَنْ نَفَرِّقَ بَيْنَ
 النَّاسِ ، بَلْ مُقَدِّمِينَ خِدْمَتَنَا الرَّحِيمَةَ بِاتِّسَاعٍ لِلْجَمِيعِ . لَأَنَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ وَحْدَهَا
 وَلَيْسَ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ أُخْرَى نَصِيرُ مُتَشَبِّهِينَ بِهِ ، حِينَمَا نَقْدِّمُ لِلْآخَرِينَ الْعَطَايَا الَّتِي نَنَالُهَا
 مِنْهُ . وَكَمَا أَنَّا نَقْدِمُ مَعْنَى وَاضِحًا وَمُسْتَقِيمًا لِهَذِهِ الْآيَاتِ ، هَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ
 أَيْضًا بِالنَّسْبَةِ لِلْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرْتُ مِنْ يَوْحَنَّا ، فَهُوَ لَا يَقُولُ إِنَّا يَنْبَغِي أَنْ نَصِيرَ مِثْلًا
 أَنَّ الْابْنَ هُوَ فِي الْآبِ : فَمَنْ أَيْنَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا طَالَمَا الْابْنُ هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ
 وَحُكْمَتُهُ ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ قَدْ جُبِلْنَا مِنَ الْأَرْضِ ، فَإِنَّ الْابْنَ هُوَ بِالطَّبِيعَةِ وَبِالْجَوْهَرِ هُوَ
 الْكَلِمَةُ وَالْإِلَهَ الْحَقِيقِي . لِأَنَّهُ هَكَذَا يَتَكَلَّمُ يَوْحَنَّا : «وَعَلَّمُ أَنَّ ابْنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ
 وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ هَذَا هُوَ الْإِلَهُ
 الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ»^{٨٦٧} .

ونحن به نصير أبناء بالتبني وبالنعمة ، مشتركين في روحه ، لأنه مكتوب «وَأَمَّا
 كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللَّهِ ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ»^{٨٦٨} .
 لذلك فهو أيضًا الحق لأنه يقول : «أَنَا هُوَ الْحَقُّ»^{٨٦٩} . وفي مخاطبته لأبيه قال : «قَدَّسَهُمْ
 فِي حَقِّكَ . كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ»^{٨٧٠} . أما نحن فبالتمثل به نصير فاضلين وأبناء .

٩. لذلك فهو لم يَقُلْ «لكي يكونوا واحدًا كما نحن» لكي نصير كما هو بل
 كما أنه هو ، وهو الكلمة ، هو في أبيه ، هكذا نحن أيضًا ونحن متخذين أباه مثالاً
 لنا ونحن ناظرون إليه ، نصير واحدًا فيما بيننا في الوفاق ووحدانية الروح . ولا نكون

^{٨٦٧} ٢٠:٥ يو

^{٨٦٨} ١٢:١ يو

^{٨٦٩} ٦:١٤ يو

^{٨٧٠} ١٧:١٧ يو



فِي اخْتِلَافِ مِثْلِ الْكُورِنْثِيِّينَ^{٨٧١} ، بَلْ يَكُونُ لَنَا قَلْبٌ وَاحِدٌ وَنَفْسٌ وَاحِدَةٌ مِثْلَ أَوْلَئِكَ الْخَمْسَةِ آلَافِ الَّذِينَ ذُكِّرُوا فِي سَفَرِ الْأَعْمَالِ^{٨٧٢} وَالَّذِينَ كَانُوا كَوَاحِدٍ . فَتَحْنُ طَبِيعًا لَسْنَا أَبْنَاءَ كَالْأَبْنِ ، وَلَسْنَا آلِهَةً مِثْلَهُ هُوَ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ لَسْنَا مِثْلَ الْآبِ ، بَلْ نَصِيرُ «رَحْمَاءَ كَالْآبِ» . وَكَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْنَا ، فَإِنَّا عِنْدَمَا نَصِيرُ وَاحِدًا ، كَمَا أَنَّ الْآبَ وَالْأَبْنَ هُمَا وَاحِدٌ ، فَتَحْنُ لَنْ نَصِيرَ وَاحِدًا مِثْلَمَا أَنَّ الْآبَ هُوَ فِي الْإِبْنِ بِالطَّبِيعَةِ وَكَذَلِكَ الْإِبْنُ فِي الْآبِ ، بَلْ بِحَسَبِ مَا يَتَّفَقُ مَعَ طَبِيعَتِنَا الْخَاصَّةِ وَمِنْ هَذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَشَكَّلَ وَأَنْ نَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَجِبُ أَنْ نَصِيرَ وَاحِدًا ، مِثْلَمَا تَعَلَّمْنَا أَيْضًا أَنْ نَكُونَ رَحْمَاءَ . لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُتَمَاثِلَةَ هِيَ بِالطَّبِيعَةِ وَاحِدَةٌ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ ، لِأَنَّ كُلَّ ذِي جَسَدٍ يُؤَلَّدُ مِنْهُ جَسَدٌ مِنْ نَوْعِهِ ، أَمَّا الْكَلِمَةُ فَهِيَ مُخْتَلَفَةٌ عَنَّا ، وَلَكِنَّهُ مِثْلُ الْآبِ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ وَاحِدٌ مَعَ أَبِيهِ بِالطَّبِيعَةِ وَالْحَقِّ . وَأَمَّا نَحْنُ فَلَأَنَّا مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ (لِأَنَّ كُلَّ الْبَشَرِ قَدْ جَاءُوا مِنْ وَاحِدٍ ، وَطَبِيعَةُ الْبَشَرِ جَمِيعُهُمْ هِيَ وَاحِدَةٌ) ، فَإِنَّا نَصِيرُ وَاحِدًا بَعْضُنَا مَعَ بَعْضٍ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ ، وَاضْعِينَ أَمَامَنَا مِثَالِ الْوَحْدَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْأَبْنِ مَعَ الْآبِ . وَلِأَنَّهُ كَمَا عَلَّمَنَا الْوَدَاعَةَ بِنَفْسِهِ قَائِلًا «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي» ، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمَتَوَاضِعٌ الْقَلْبِ^{٨٧٣} لَا لِكِي نَصِيرَ مُسَاوِينَ لَهُ ، لِأَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمَكِّنٍ . بَلْ نَنْظُرُنَا إِلَيْهِ نَظْلًا دَائِمًا وَدَعَاءَ . هَكَذَا هُنَا أَيْضًا ، فَهُوَ إِذْ يَرِيدُ أَنْ تَكُونَ لَنَا نِيَّةٌ صَالِحَةٌ بَعْضُنَا نَحْوَ بَعْضٍ وَتَكُونَ أَلْفَتَنَا حَقِيقِيَّةً وَثَابِتَةً وَغَيْرَ مُضْمَحَلَّةٍ ، فَإِنَّهُ يَجْعَلُ لَنَا مِنْ نَفْسِهِ مِثَالًا وَيَقُولُ : «لِكِي يَكُونُوا وَاحِدًا ، كَمَا نَحْنُ» تِلْكَ الْوَحْدَةُ الَّتِي لَا انْفِصَالَ فِيهَا ، أَيْ بِتَعَلُّمِهِمْ مِمَّا تِلْكَ الطَّبِيعَةُ غَيْرِ الْمُنْقَسِمَةِ ، فَإِنَّهُمْ بِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ يَحْفَظُونَ الْوِفَاقَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَمَا سَبَقَ أَنْ قُلْنَا ، فَإِنَّ التَّمَثُّلَ بِالْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ يُمْكِنُ أَنْ

^{٨٧١} انظر ١ كور ١٠: ٢١.

^{٨٧٢} انظر أع ٤: ٣٢.

^{٨٧٣} مت ٢٩: ١١.



يتحقق بين الناس بصورة مأمونة، حيث إنهم يظلون بطبيعتهم غير متغيرين، بينما سلوك الناس هو قابل للتغير، فيمكن للإنسان بنظره نحو غير المتغير بالطبيعة، أن يتجنب ما هو رديء، وأن يعيد تشكيل نفسه على حسب الصورة الأفضل، ولهذا السبب أيضاً يكون للكلمات: «ليكونوا هم أيضاً واحد فينا» معنى مستقيم.

٢٠. فلو أنه كان من الممكن عندئذ أن نصير مثل الابن في الآب، لكان ينبغي أن تكون الكلمات هكذا «لكي يكونوا هم واحداً فيك» مثلما أن الابن هو في الآب، ولكنه لم يقل الكلمات هكذا. بل بقوله «فينا»، أظهر المسافة والاختلاف بيننا وبين الابن إذ أنه هو وحده كائن في الآب كونه هو الكلمة الوحيد والحكمة الوحيد، ولكننا نحن موجودون في الابن وبواسطته موجودين في الآب. وبكلامه هكذا قصد هذا فقط: هكذا يمكن أن يصيروا واحداً فيما بينهم بتمثلهم بوحدتنا، كما أننا واحد بالطبيعة وبالحق، وإلا فإنهم لن يستطيعوا أن يصيروا واحداً إلا إذ تعلموا من الوحدة الموجودة فينا. ويمكن أن نتعلم أيضاً من بولس الرسول هذا المعنى الذي تعطيه كلمة «فينا» عندما نسمعه يقول «فَهَذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ حَوْلَتْهُ تَشْبِيهًا إِلَى نَفْسِي وَإِلَى أَبْلُوسَ مِنْ أَجْلِكُمْ، لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا فِيْنَا أَنْ لَا تَفْتَكِرُوا فَوْقَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ»^{٨٧٤}. وبالتالي فإن كلمة «فينا» لم تذكر عن كينونة الابن في الآب، بل تقدم مثلاً وصورة بدلاً من أن يقول «فليتعلموا منا». لأنه كما أن بولس يقدم مثلاً للوحدة إلى أهل كورنثوس، هكذا تكون وحدة الابن والآب هي مثال تعليم ودرس للجميع، يمكن أن يتعلموا بواسطته عن طريق تطلعهم إلى الوحدة الطبيعية للآب والابن. كيف يجب أن يصيروا فيما بينهم واحداً في الفكر. ولكن إن كانت كلمة «فينا» تحتاج أن تفسر بمعنى آخر فيمكن عندئذ أن تعني



أنه: بواسطة قوّة الآب والابن يصيرون واحداً ويقولون «قولاً واحداً»^{٨٧٥}، لأن هذا غير ممكن بدون معونة الله. وهذا المعنى يمكننا أن نجده أيضاً في الكتاب المقدس مثل «بالله نصنع ببأس»^{٨٧٦} و «بك ندوس أعداءنا»^{٨٧٧}. فواضح إذاً أننا باسم الآب والابن نصير أشداء، ونصير واحداً ممسكين برباط المحبة بقوة. وفي نفس المعنى يقول الرب «وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً، كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ»^{٨٧٨}. فهنا أيضاً لم يقل «لكي يكونوا فيك مثلما أنا فيك». بل قال «كما نحن» والآن هو الذي يقول «كما» لا يقصد أن يتحدث عن وحدة الطبيعة بل يتحدث عن صورة ومثال لما ينبغي أن يكونوا عليه.

٢١. إذاً الكلمة هو في الواقع وبالحقيقة واحد مع الآب في الجوهر. أما نحن فقد أُعْطِيَ لَنَا أَنْ نَنْشَبَّهُ بِهَذِهِ الطَّبِيعَةِ كَمَا سَبَقَ أَنْ قِيلَ لِأَنَّهُ أَضَافَ مِبَاشَرَةً «أَنَا فِيهِمْ وَأَنْتَ فِيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلِينَ إِلَى وَاحِدٍ»^{٨٧٩}. ولذا فالرب هنا يطلب لأجلنا شيئاً أعظم وأكمل. لأنه واضح أن الكلمة قد جاء لكي يكون فينا لأنه قد لبس جسداً. ويقول «وأنت أيها الآب فيّ» فهو يعني «لأنني أنا كَلِمَتُكَ، وحيث إنك أنت فيّ، بسبب كوني كَلِمَتُكَ، وأنا فيهم بسبب الجسد، ومنك يتحقق خلاص البشر فيّ، لذلك أسأل أن يصيروا هم واحداً، بسبب الجسد الذي فيّ وبحسب كماله لكي يصيروا هم أيضاً كاملين إذ يكون لهم وحدة مع الجسد، ولأنهم قد صاروا واحداً في هذا الجسد، فإنهم كما لو كانوا محمولين فيّ، يصيرون جميعاً جسداً واحداً وروحاً

^{٨٧٥} ١كو١: ١٠

^{٨٧٦} مز ١٢: ٦٠س

^{٨٧٧} مز ٤٤: ٥س

^{٨٧٨} يو ١٧: ٢٢

^{٨٧٩} يو ١٧: ٢٣



واحداً^{٨٨٠} لأننا جميعاً، باشتراكنا فيه، نصير جسداً واحداً، لأننا نحصل على الرب الواحد في أنفسنا.

وطالما أن هذه الفقرة لها هذا المعنى فإننا بذلك ندحض هرطقة أعداء المسيح بوضوح أكثر. وإنني أكرر القول، إنه لو كان قد قال ببساطة وبصورة مطلقة «لكي يكونوا واحداً فيك» أو «لكي يصيروا هم وأنا واحداً فيك» لكان أعداء الله قد وجدوا بعض العذر رغم أنه عذر قبيح، ولكن حقيقة الأمر أنه لم يتكلم هكذا بالمرّة بل قال «كَمَا أَلَيْكَ أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا»^{٨٨١}. وبالإضافة إلى ذلك فإنه باستعماله لفظة «كما» فهو يشير إلى أولئك الذين يصيرون مثله كما هو في الآب ولكن عن بعد، عن بعد ليس من جهة المكان ولكن من جهة الطبيعة لأنه من جهة المكان ليس هناك شيء بعيد عن الله، لكن من جهة الطبيعة وحدها فإن كل الأشياء هي بعيدة عن الله. وكما قلت سابقاً فإن استعمال الأداة «كما» لا يعني التطابق، ولا المساواة ولكن يعني التشبه بمثال يُنظر إليه من جهة معيّنة.

٢٢. وهذا ما يمكننا أن نتعلّمه أيضاً من المخلص نفسه، حينما يقول «لأنّه كَمَا كَانَ يُونَانُ فِي بَطْنِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ، هَكَذَا يَكُونُ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي قَلْبِ الْأَرْضِ»^{٨٨٢}. فإن يونان طبعاً لم يكن مثل المخلص، ويونان لم ينزل إلى الجحيم، ولا الحوت كان هو الجحيم كما أن يونان حينما ابتلعه الحوت لم يُخرج أولئك الذين كان الحوت قد سبق وابتلعهم قبّله، بل هو وحده الذي خرج من الحوت حينما قذفه. لذلك فليس في لفظة «كما» هنا أي تطابق أو مساواة، بل

^{٨٨٠} أف ٤: ١٣

^{٨٨١} يور ١٧: ٢١

^{٨٨٢} مت ١٢: ٤٠



شيئان مختلفان، فهي توضح نوعاً من التشابه في حالة يونان من جهة الأيام الثلاثة، وبنفس الطريقة فحينما يقول الرب «كما» فإننا نحن أيضاً لا نصير كالابن في الآب ولا كالآب في الابن، لأننا نحن البشر جميعاً نصير واحداً في الفكر واتفاق الروح مثلما أن الآب والابن واحد.

والمخلص سيكون مثل يونان في بطن الأرض ولكن بما أن المخلص ليس هو يونان، وليس كما أبتلع يونان هكذا نزل المخلص إلى الجحيم لأن الابن مختلف عن يونان، هكذا بنفس الطريقة فإن صرنا نحن أيضاً واحداً، مثلما أن الابن هو في الآب، فسوف لا نصير مثل الابن ولن نكون مساويين له، لأن الحديث عن الابن شيء، والحديث عن شيء آخر. ولهذا السبب فإن لفظة «كما» تنطبق علينا، حيث إن الأشياء التي تختلف عن بعضها في الطبيعة، يمكن أن تصير مشابهة لبعضها البعض حينما ينظر إليها من جهة علاقة معينة تربط بينها. ولذلك فالابن ذاته هو في الآب لأن لهما طبيعة بسيطة^{٨٨٢}، والابن هو ابن الآب حسب الطبيعة، أما نحن فلسنا أبناء للآب حسب الطبيعة. ولهذا فالأمر قد احتاج أن يكون أمامنا نحن البشر مثال كي نكون واحداً ولهذا قال عنا «كما أنك أنت في وأنا فيك». وكأنه يقول «وحينما يصيرون كاملين هكذا حينئذٍ يعرف العالم أنك أنت أرسلتني» لأنني لو لم أكن قد جئت ولبست جسدهم، لما استطاع أحد منهم أن يصير كاملاً، بل لظَلَّ الجميع في الفساد. أيها الآب اعمل إذاً فيهم، وكما أعطيتني أن ألبس هذا الجسد إعط روحك لهم، لكي يصيروا هم أيضاً بالروح، واحداً وأن يصيروا

^{٨٨٢} تعبير أن الطبيعة الإلهية هي طبيعة بسيطة تعني أنها طبيعة واحدة غير منقسمة، أي أنه ليس للآب نصف الطبيعة الإلهية وللأبن نصف الآخر، بل أن لهما نفس الطبيعة الإلهية الواحدة أو كما يقول القديس الإلهي عندما يتحدث عن الروح القدس مشدداً على طبيعته الإلهية وعمله فينا بكونه هو أحد أقانيم الثالوث القدوس ذو الطبيعة الإلهية الواحدة فيقول «البسيط في طبيعته».



مكمّلين فيّ. لأنّ تكميلهم يدلّ على أن كلمتك قد سكّنت بينهم، وعندما يراهم العالم كاملين وحاملين لله، فسوف يؤمن أنك أنت أرسلتني وأنا قد جئت هنا. لأنه من أين يأتيهم الكمال لو لم أكن أنا كلمتك قد أخذت جسدهم، وصرت إنساناً، وقد أكملت الذي أعطيتني إياه أيها الآب إلى النهاية؟ قد اكتمل العمل، لأنّ البشر، وقد أفتدوا من الخطية لا يبقون أموثاً بعد. بل إذ يتألّهون^{٨٨٤} فإنهم بنظرهم إلىّ يصير لهم رباط المحبة فيما بينهم.

٢٣. ونحن إذ قد تكلمنا كثيراً محاولين شرح كلمات هذه الفقرة، فإن يوحنا المبارك في رسالته أظهر معنى هذه الفقرة بكلمات قليلة وأكثر كمالاً من كلماتنا، فهو يُظهر خطأ فهم أولئك الجاحدين، ويعلمنا كيف أن الابن يختلف عنا في الطبيعة، وبذلك يوقف الآريوسيين عن التفكير في أنهم سيصيرون كالابن، ثلثا يسمعون القول «وَأَنْتَ إِنْسَانٌ لَا إِلَهٌ»^{٨٨٥}، «لا تقس نفسك بإنسان غني وأنت فقير»^{٨٨٦}. فيوحنا يكتب هكذا «بِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ نُبْتُ فِيهِ وَهُوَ فِينَا أَنَّهُ قَدْ أَعْطَانَا مِنْ رُوحِهِ»^{٨٨٧}. لذلك، فبسبب نعمة الروح الذي أُعطي لنا نصير نحن فيه وهو فينا. وحيث إن روح الله فينا لذلك فبواسطة سكناه فينا وبسبب حصولنا على الروح نحسب أننا في الله وهكذا يكون الله فينا.

إذا نحن لا نصير في الآب مثلما أن الابن كائن في الآب، لأن الابن ليس كائناً في الآب بمجرد اشتراكه في الروح ولا هو ينال الروح بل بالحري هو نفسه الذي يهبُ الروح للجميع وليس الروح هو الذي يوحد الكلمة مع الآب بل بالحري فإن الروح

^{٨٨٤} هذا التعبير عند الآباء لا يعني أن الإنسان يصير بطبيعته إلهاً، بل يعني أنه يشترك في الحياة الإلهية، حياة البر والقداسة.

^{٨٨٥} حز ٢٨: ٢٠

^{٨٨٦} أم ٢٣: ٤س

^{٨٨٧} ١ يو ٤: ١٣



يأخذ من الكلمة. والابن كائن في الآب، كونه هو كلمته الذاتي وشعاعه، أما نحن فبدون الروح القدس فإننا نكون غرباء عن الله، وعن طريق اشتراكنا في الروح نصير أقرباء لله حتى أن وجودنا في الآب هو ليس منّا، بل هو خاص بالروح الموجود فينا والذي يسكن فينا، ونحن نحفظ به في داخلنا عن طريق الإقرار كما يقول يوحنا «مَنْ اعْتَرَفَ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، فَاللَّهُ يَثْبُتُ فِيهِ وَهُوَ فِي اللَّهِ»^{٨٨٨}.

إذاً فما هي المشابهة وما هي المساواة التي لنا مع الابن؟ بل إن آراء الآريوسيين تُدحض من كل ناحية وخاصةً بكلمات يوحنا، أن الابن هو في الآب بطريقة، أما نحن فنصير في الآب بطريقة أخرى. وأننا لن نصير مثل الكلمة أبدًا، ولا الكلمة سيصير مثلنا، إلا إذا تجاسروا كما يفعلون عادة - فقالوا إن الابن باشتراكه في الروح وبتقدمه في الفضيلة صار هو نفسه في الآب. ولكن حتى مجرد قبول هذا الفكر هو كُفْر شديد لأن الكلمة - كما سبق أن قيل - هو الذي يُعطي الروح، وكل ما هو للروح قد أخذه من الكلمة.

٢٤. إذاً فعندما يقول المخلص « كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » فهو لا يعني بهذا أنه سوف يصير لنا تطابق معه. لأن هذا قد أوضحه في مثال يونان، ولكن كلامه هذا هو طلب إلى الآب لكي يهبُ الروح بواسطته للذين يؤمنون به، والذي به نصير في الله، كما كتب يوحنا وبهذا نكون متحدين فيه. وحيث إن الكلمة هو في الآب، والروح يُعطى من الكلمة فهو يريد أن ننال نحن الروح، لكي عندما نناله يصير لنا روح الكلمة الذي هو في الآب، وبسبب الروح سوف نتمجّد نحن أيضاً ونصير واحداً في الكلمة، ومن خلاله في الآب. وعندما يقول «كما نحن» فهو لا يعني شيئاً آخر سوى أن يسأل أن نصير نعمة الروح



المعطاء للتلاميذ ثابتة بلا تزعزع، لأن ما هو للكلمة بالطبيعة في الآب - كما قلت سابقاً - يريد أن يعطيه لنا بواسطة الروح بلا رجعة. وهذا ما عرفه الرسول، فقال «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ»^{٨٨٩}. لأن «هَيَاتِ اللَّهُ وَدَعْوَتُهُ هِيَ بِلَا نَدَامَةٍ»^{٨٩٠}. إذا فالروح هو الكائن في الله ولسنا نحن بذواتنا، ولكن حيث إننا نصير أبناء وآلهة بسبب الكلمة الذي فينا هكذا أيضاً سنصير في الابن وفي الآب، وسوف نحسب أننا صرنا واحداً في الابن وفي الآب، بسبب وجود ذلك الروح فينا نحن وهو الروح الذي يكون في الكلمة الكائن في الآب، إذاً حينما يسقط إنسان من الروح بسبب شر ما فإنه عندما يتوب ويرجع عن سقطته فالنعمة تظل مستمرة بلا ندامة في أولئك الذين يريدونها. وإلا فإن مَنْ سقط لا يعود الله ساكناً فيه (بسبب أن الروح القدس الباراقليط الذي هو في الله قد هجر هذا الإنسان)، ولكن ذلك الخاطئ يصير في ذلك (الروح الشرير) الذي أخضع نفسه له كما حدث في حالة شاول لأن روح الله فارقه، وبغته روح رديء^{٨٩١}. وعندما يسمع أعداء الله هذا الكلام فيجب عليهم أن يخلعوا ولا يعودوا يساوون أنفسهم بالله، ولكنهم لا يفهمون لأن «الشَّرِيرُ فَلَا يَفْهَمُ مَعْرِفَةً»^{٨٩٢}، ولا يحتملون كلمات التقوى بل يجدونها ثقيلة على مسامعهم.

^{٨٨٩} روم ٨: ٣٥

^{٨٩٠} روم ١١: ٢٩

^{٨٩١} ١ صم ١٤: ١٦

^{٨٩٢} أم ٢٩: ٧

الفصل السادس والعشرون

مقدمة لشرح آيات من الأناجيل

عن التجسّد

٢٦. انظر إنهم لا يملّون من تكرار كلمات الكفر، بل إذ قد تقسّوا مثل
فرعون فإنهم حينما يستمعون إلى ما يشير إلى صفات المخلص البشريّة ويرونه مدوّناً
في الأناجيل أن الابن هو إله كامل مثل الآب، فإنهم يتناسون تماماً مثل بولس
الساموسطي^{٨٩٢}، وبوقاحة لسان يجعجون قائلين: كيف يمكن أن يكون الابن
من الآب بالطبيعة، ويكون واحداً معه في الجوهر؟ وهو الذي يقول «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ
سُلْطَانٍ»^{٨٩٤} و «الآبَ لَا يَدِينُ أَحَدًا بَلْ قَدْ أُعْطِيَ كُلُّ الدِّيُونَةِ لِلابْنِ»^{٨٩٥}، «الآبَ يَحِبُّ
الابن وقد دفع كل شيء في يده، الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية»^{٨٩٦}. وأيضاً «والتفتَ
إِلَى تَلَامِيذِهِ وَقَالَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا
الآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الْإِبْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الْإِبْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ»^{٨٩٧}، وأيضاً «كُلُّ مَا
يُعْطِينِي الْآبُ فَإِلَيَّ يُقْبَلُ»^{٨٩٨}. إنهم يعلّقون على هذه الآيات ويقولون: لو كان الابن

^{٨٩٢} بولس الساموسطي: كان أسقفًا لأنطاكية في القرن الثالث. علّم تعاليمًا خاطئة عن شخص المسيح له المجد، وقال إن الكلمة قد حلّت على طبيعة المسيح البشرية مثل حلول الروح علي شخص عادي وبالتالي فإن المسيح لا يختلف عن أي نبي آخر سوى في الدرجة وكانت تعاليمه هذه أساس لما علّم به نسطور فيما بعد ولقد أدانت ثلاث مجامع في انطاكية تعاليم الساموساطي وعزل عن كرسيه في عام ٢٦٨م.

^{٨٩٤} مت ١٨: ٢٨.

^{٨٩٥} يو ٥: ٢٢.

^{٨٩٦} يو ٣: ٣٥.

^{٨٩٧} لو ١٠: ٢.

^{٨٩٨} يو ٦: ٣٧.



كما تقولون، ابنًا بالطبيعة، لما كان في احتياج أن يأخذ، بل كل شيء يكون له بالطبيعة كابن، أو كيف يكون هو القوة الطبيعية والحقيقية للآب وهو في وقت الآلام قال «الآن نفسي قد اضطربت. ومَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الْآبُ نَجِّنِي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ. وَلَكِنْ لِأَجْلِ هَذَا أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ. أَيُّهَا الْآبُ مَجِّدْ اسْمَكَ. فَجَاءَ صَوْتُ مِنَ السَّمَاءِ: مَجَّدْتُ وَأُمَجِّدُ أَيْضًا»^{٨٩٩}. وأيضًا قال كلمات مشابهة في مرة أخرى «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أُمَكَّنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»^{٩٠٠} وعندما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال «الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي»^{٩٠١}. وبالإضافة إلى كل هذا، يتساءل هؤلاء الأغبياء قائلين: لو كان هو القوة لما كان قد ضَعُفَ، بل لكان قد أعطى قوَّةَ لآخرين بالأحرى، ويضيفون قائلين لو كان هو حكمة الآب الحقيقية والذاتية، فلماذا كُتِبَ عنه: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ»^{٩٠٢}. وبالمثل عندما جاء إلى نواحي قيصرية فيلبس سأل التلاميذ «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا»^{٩٠٣}. وأيضًا حينما جاء إلى بيت عنيا سأل عن لعازر «أَيْنَ دَفِنَ»^{٩٠٤}. وأيضًا قال لتلاميذه «كَمْ رَغِيْفًا عِنْدَكُمْ»^{٩٠٥}. ويقولون: كيف إذاً يكون هو الحكمة وهو ينمو في الحكمة، وكان يجهل الأمور التي كان يسأل عنها الآخرين؟ ويقولون أيضًا: كيف يمكن أن يكون هو كلمة الآب الذاتي الذي بدونه لم يكن الآب أبدًا والذي به يخلق

^{٨٩٩} يو ١٢: ٢٧-٢٨.

^{٩٠٠} مت ٢٦: ٣٩.

^{٩٠١} يو ١٣: ٢١.

^{٩٠٢} لو ٢: ٥٢.

^{٩٠٣} مت ١٦: ١٣.

^{٩٠٤} انظر يو ١١: ١٨.

^{٩٠٥} مر ٦: ٣٨.



الآب كل الأشياء كما تعتقدون أنتم، وهو الذي قال على الصليب «إلهي إلهي لماذا تركتني». وقبل ذلك صلى قائلاً «مجد اسمك»^{٩٠٦} وأيضاً «وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»^{٩٠٧}. واعتاد أن يصلي في البراري وأوصى تلاميذه أن يصلوا لئلا يدخلوا في تجربة، بل وقال لهم «أَمَّا الرُّوحُ فَتَشِيْطُ، وَأَمَّا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ»^{٩٠٨}. وأيضاً «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ»^{٩٠٩}.

وبالإضافة إلى هذا فإن هؤلاء التعساء يدعون أيضاً ويقولون: لو كان الابن بحسب رأيكم هو موجود أزلياً مع الله لما كان قد جهل ذلك اليوم بل لكان قد عرفه باعتباره أنه هو الكلمة، ولما كان قد تركه ذلك الذي هو كائن معه، ولما كان قد سأل أن ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب، ولما كان قد سأل أين ينال المجد طالما أن له هذا المجد مع الآب، ولما كان قد سأل على الإطلاق إذ أن الكلمة ليس في احتياج إلى أى شئ، ولكن حيث إنه مخلوق وواحد من الموجودات لذلك تكلم هكذا وكان محتاجاً إلى ما لم يكن عنده، لأنه معروف عن المخلوقات أنها تسأل الأشياء التي لا تملكها، وتحتاج إليها^{٩١٠}.

٢٧. هذه هي الأشياء التي يدعي بها الجاحدون في أحاديثهم ويتكلمون بها، ولكن طالما هم يفكرون هكذا فكان يمكنهم أن يسألوا بجرأة أكثر قائلين [لماذا صار الكلمة جسداً على الإطلاق؟ ويمكن أن يضيفوا أيضاً «كيف يمكن وهو الله، أن يصير إنساناً»؟] أو كيف يمكن لمن لا جسد له أن يلبس جسداً؟ أو

^{٩٠٦} يو ١٢: ٢٨.

^{٩٠٧} يو ١٧: ٥.

^{٩٠٨} مت ٢٦: ٤١.

^{٩٠٩} مر ١٣: ٣٢.



يمكن أن يتكلموا بطريقة يهودية أكثر من قيافا ويسألون عموماً، لماذا يجعل المسيح نفسه إلهاً وهو إنسان؟ لأن أقوالاً مثل هذه وغيرها قد قالها اليهود وتدمروا عليه. والآن فإن الآريوسيين حينما يقرأونها هم أيضاً لا يؤمنون، وقد سقطوا في التجاديف، والآن فمن يمتحن أقوال هؤلاء وأولئك فبال تأكيد سيجد أن كليهما يتفقان في عدم الإيمان ويتساويان في كفرهما وفي جرأتها ضدنا ويشتركان معاً في محاربتهما لنا، لأن اليهود يقولون «كيف يمكن وهو إنسان أن يكون إلهاً؟»^{٩١٠}. أما الآريوسيون فيقولون لو كان إلهاً حقيقياً من إله، فكيف يمكن أن يصير إنساناً؟ واليهود عثروا عندئذ واستهزؤوا قائلين «لو كان ابن الله، لما كان قد قبل الصليب»؟ والآريوسيون يتفقون مع اليهود ويهاجموننا ويقولون: كيف تتجاسرون أن تقولوا إن الذي هو الكلمة الذاتي من جوهر الآب، هو الذي أخذ جسداً، واحتمل كل هذا؟^{٩١١} وأيضاً، فبينما حاول اليهود أن يقتلوا الرب لأنه قال إن الله أبوه، وجعل نفسه معادلاً لله، وأنه يعمل الأعمال التي يعملها الآب؛ فإن الآريوسيين أيضاً ليس فقط تعلموا أن ينكروا أن الكلمة مساوي لله وأن الله هو الآب الطبيعي للكلمة، بل هم أيضاً يحاولون أن يقتلوا من يؤمنون بهذا. وبينما يقول اليهود «أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه؟»^{٩١٢} فكيف يقول إذا «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»^{٩١٣} و «إِنِّي نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ»^{٩١٤}، فالآريوسيون بدورهم يجيبون بنفس الأقوال ويقولون: كيف يمكن أن الذي ينام ويبكي ويطلب أن يعرف كإنسان، يكون هو الكلمة أو هو الله؟ ولهذا فالفريقان فقدوا صوابهما وأنكرا

^{٩١٠} انظر يوحنا ١٠: ٣٣.

^{٩١١} يوحنا ٦: ٤٢.

^{٩١٢} يوحنا ٨: ٥٨.

^{٩١٣} يوحنا ٦: ٤٢.



أزليّة الكلمة وألوهيته متعلّين بتلك الصفات البشريّة التي نسبها المخلّص لنفسه بسبب الجسد الذي لبسه.

٢٨. إذاً طالما أن هذا الضلال هو يهودي، ويوصف هكذا نسبة إلى يهوذا الخائن، فدعهم إذاً يعترفون صراحةً أنهم تلاميذ قيافا وهيرودس، بدلاً من أن يُلبسوا اليهودية اسم المسيحية، ولينكروا تماماً كما سبق أن قلنا حضور المخلّص في الجسد. لأن هذا الإنكار أقرب إلى بدعتهم. أو إن كانوا يخافون أن يختتنوا ويتهودوا علناً بسبب خضوعهم للملك قسطنطيوس، ولأجل أولئك الذين خُدعوا منهم، إذاً فدعهم لا يقولون ما يقوله اليهود، لأنهم إن تخلّوا عن الاسم فيلزمهم عن حق أن يرفضوا العقيدة المرتبطة بالاسم. لأننا نحن مسيحيون. أيها الأريوسيون - نعم نحن مسيحيون ونحن نتميّز بأننا نعرف جيداً ما تقوله الأناجيل عن المخلّص ونحن لا نرجمه مع اليهود عندما نسمع عن ألوهيته وأزليته، كما أننا لا نعثر معكم، في الكلمات المتواضعة التي قالها من أجلنا كإنسان. إذاً فإن أردتم أن تصيروا مسيحيين فافرضوا جنون آريوس، وآذانكم التي تلوّث بكلمات التجديف طهّروها بكلمات التقوى، عالّمين أنه بمجرد توقّفكم عن أن تكونوا آريوسيين فإنكم ستكفون أيضاً عن خبث اليهود المعاصرين. وعندئذٍ سيسرق عليكم نور الحق ويخرجكم من الظلمة، ولن تعودوا عندئذٍ تعيروننا باعتقادنا بوجود اثنين أزليين. بل ستعترفون أنتم أنفسكم أن الرب هو ابن الله، الحقيقي بالطبيعة وليس مجرد أنه أزلي، بل وتعترفون أنه كائن في الآب، ومع الآب أزلياً لأن هناك موجودات تسمى أزلية، وهو صانعها لأنه مكتوب في المزمور ٧٣: «أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعي أيتها الأبواب الدهرية»، فمن الواضح أن هذه الأبواب (الدهرية = الأزلية) قد صُنعت بواسطة. ولكن إن كان هو خالق حتى الأشياء الدهرية فمن ممّا يمكنه عندئذٍ أن يشك في أنه هو سابق على تلك الأشياء الدهرية؟ وبالتالي يتبرهن أنه الرب، ليس من كونه أزلياً فقط بل ولكونه ابن الله. وكإبن هو غير



منفصل عن الآب ولم يكن هناك زمن ما لم يكن فيه موجوداً، بل كان كائناً على الدوام، ولأنه صورة الآب وشعاعه، فلَهُ أزلية الآب.

والآن فما قلناه أعلاه باختصار يكفي لكي يبرهن على سوء فهمهم للآيات التي تعلّلوا بها وأن ما يتعلّلون به الآن من الأناجيل يعطونه بالتأكيد تفسيراً غير صحيح، ويمكننا أن نرى هذا بسهولة إذا وضعنا أمامنا كهدف ذلك الإيمان الذي نمسك به نحن المسيحيون وأن نستخدمه كقاعدة كما يعلمنا الرسول في قراءة الكتب الموحى بها^{٩١٤}. لأن أعداء المسيح بسبب جهلهم لهذا الهدف، قد ضلّوا عن طريق الحق، واصطدموا بحجر الصدمة^{٩١٥}، معتقدين في أمور لا ينبغي أن يؤمنوا بها.

٢٩. والآن فإن هدف الكتاب المقدس ومميزته الخاصة كما قلنا مراراً هو أنه يحوي إعلاناً مزدوجاً عن المخلص: أي أنه كان دائماً إلهاً وأنه الابن إذ هو كلمة الآب وشعاعه وحكمته، ثم بعد ذلك اتخذ من أجلنا جسداً من العذراء مريم والدة الإله، وصار إنساناً. وهذا الهدف نجده في كل الكتب الموحى بها، كما قال الرب نفسه «فتشوا الكتب، وهي تشهد لي»^{٩١٦}. ولكن لكي لا أكثر في الكتابة بجمع كل الآيات عن هذا الموضوع فسوف أكتفي بذكر عينة من هذه الآيات. فأولاً، يقول يوحنا «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان»^{٩١٧}. وبعد ذلك يقول «والكلمة صار جسداً وحلّ بيننا، ورأينا مجده، مجداً

^{٩١٤} انظر ٢ تيمو ٣: ١٦.

^{٩١٥} انظر روم ٩: ٣٣.

^{٩١٦} انظر يو ٥: ٣٩.

^{٩١٧} يو ١: ١-٣.



كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا^{٩١٨}. ثُمَّ يَكْتُبُ بُولُسُ «الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةَ اللَّهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا لِلَّهِ، لَكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتِ، مَوْتَ الصَّلِيبِ»^{٩١٩}.

ويمكن لأي إنسان أن يبتدئ بهذه الآيات ويجتاز خلال كل الكتاب وسوف يرى كيف أن الآب قال في البدء «لِيَكُنْ نُورٌ»^{٩٢٠}، و «لِيَكُنْ جَلَدٌ»^{٩٢١} و «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ»^{٩٢٢}، ولكن في ملء الأزمنة أرسل ابنه إلى العالم، «لَأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينِ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ»^{٩٢٣}. وكما كُتِبَ «هُوَذَا الْعُذْرَاءُ تَحْبِلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّاثُوثِيلَ الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اللَّهُ مَعَنَا»^{٩٢٤}.

٣٠. إِذَا فَمَنْ يَقْرَأَ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ، سَيَعْرِفُ هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَمِنَ الْأَنْجِيلِ أَيْضاً وَسَيُذَكِّرُكُ أَنْ الرَّبَّ صَارَ إِنْسَانًا، لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا»^{٩٢٥}. والكلمة صَارَ إِنْسَانًا، وَلَمْ يَأْتِ إِلَى دَاخِلِ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ هَذَا ضَرْوَرِي أَنْ نَعْرِفَهُ، لِثَلَا يَضِلُّ هَؤُلَاءِ النَّاسُ عَدِيمِي التَّقْوَى وَمَنْ تَمَّ يَخْدَعُونَ الْآخَرِينَ بِهَذَا الضَّلَالِ ظَانِينَ أَنَّهُ كَمَا اعْتَادَ الْكَلِمَةُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى

^{٩١٨} يوحنا ١: ١٤.

^{٩١٩} في ٢: ٨-٦.

^{٩٢٠} تك ١: ٣.

^{٩٢١} تك ١: ٦.

^{٩٢٢} تك ١: ٢٦.

^{٩٢٣} يوحنا ٣: ١٧.

^{٩٢٤} مت ١: ٢٣.

^{٩٢٥} يوحنا ١: ١٤.



القديسين في العهد القديم، هكذا يأتي الآن أيضاً في إنسان ويقدّسه ويظهر بواسطته كما أظهرَ نفسه في السابقين، لأنه لو كان الأمر كذلك، وأنه ظهر فقط في إنسان، لما كان هذا أمراً غريباً، ولما تعجب أولئك الذين رأوه قائلين «مِنْ أَيْنَ أَتَتْ»^{٩٢٦} و «وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلَهًا»^{٩٢٧} لأنهم قد اعتادوا على مجيء كلمة الله إلى الأنبياء من الكلمات التي تقول «صارت كلمة الرب» إلى هذا أو ذاك من الأنبياء. ولكن الآن، حيث إن كلمة الله، الذي به كان كل شيء، قبل أن يصير ابن الإنسان، ووضع نفسه، آخذاً صورة عبد، لذلك صار صليب المسيح لليهود عثرة أما لنا نحن، فالمسيح هو قوّة الله وحكمة الله^{٩٢٨}.

لأنه كما قال يوحنا «الكلمة صار جسداً». فمن عادة الكتاب أن يدعو الإنسان بلفظة جسد، كما يقول بيوثيل النبي «أسكب روحي على كل جسد»^{٩٢٩} وكما قال دانيال إلى أستياجيس «لست أعبد الأصنام المصنوعة بالأيدي بل الإله الحي الذي خلق السماء والأرض، وله سلطان على كل جسد»^{٩٣٠}. فكل من دانيال ويوثيريل يدعو جنس البشر جسداً.

٣١. ومنذ القديم صار هذا مع كل واحد من القديسين لكي يقدّس أولئك الذين يقبلونه بأمانة، ولكن حينما وُلد أولئك الأنبياء، لم يَقُلْ عندئذٍ أنه الكلمة صار جسداً، ولا حينما تألموا قيل أنه هو نفسه قد تألم. ولكن حينما جاء بيننا من مريم العذراء في نهاية الأزمنة لأجل إبطال الخطية، لأنه هكذا سُرّ الآب أن يرسل

^{٩٢٦} انظر يوحنا ١٩: ٩.

^{٩٢٧} يوحنا ١٠: ٣٣.

^{٩٢٨} انظر ١ كور ٢٤: ٢٤.

^{٩٢٩} يوثيريل ٣: ٤٠.

^{٩٣٠} تيمة دانيال ٥.



ابنه الذاتي «مَوْلُوداً مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ»^{٩٣١} ؛ عندئذ قيل إنه أخذ جسداً وصار إنساناً، وبهذا الجسد تألم لأجلنا كما يقول بطرس «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ»^{٩٣٢} ، لكي يقبل الكل ويؤمنوا أنه كان إلهاً على الدوام، وقد قدس أولئك الذين أتى إليهم، ورتب كل الأشياء حسب مشيئة الآب، وفيما بعد صار لأجلنا إنساناً، وكما يقول الرسول «اللاهوت حل في الجسد»^{٩٣٣} ، وهذا يساوي القول «إنه هو الله، له جسده الخاص به، وقد صار إنساناً لأجلنا مستخدماً هذا الجسد كأداة».

وبناء على هذا فقد قيل عن خواص الجسد أنها خاصة به حيث إنه كان في الجسد، وذلك مثل أن يجوع، وأن يعطش، وأن يتألم، وأن يتعب، وما شابهها من الأمور المختصة بالجسد، بينما من الناحية الأخرى فإن الأعمال الخاصة بالكلمة ذاته مثل إقامة الموتى، وإعادة البصر إلى العميان، وشفاء المرأة نازفة الدم، قد فعلها بواسطة جسده، والكلمة حمل ضعفات الجسد كما لو كانت له، لأن الجسد كان جسده، والجسد خدّم أعمال اللاهوت، لأن اللاهوت كان في الجسد ولأن الجسد كان جسد الله. وحسناً قال النبي «حملها»^{٩٣٤} ولم يقل إنه «شفى ضعفاتها» لئلا إذ تكون هذه الضعفات خارج جسده هو، وهو يشفيها فقط . كما كان يفعل دائماً فإنه يترك البشر خاضعين للموت، ولكنه حمل ضعفاتها، وحمل هو نفسه خطايانا، لكي يتضح أنه قد صار إنساناً لأجلنا، وأن الجسد الذي حمل الضعفات، هو جسده الخاص، وبينما هو نفسه لم يصبه ضرر أبداً «حملة خطايانا

^{٩٣١} غلا ٤: ٤.

^{٩٣٢} ١ بط ٤: ١.

^{٩٣٣} كور ٢: ٩.

^{٩٣٤} إش ٥٣: ٤، مت ٨: ١٧.



في جسده على الخشبة» كما قال بطرس^{٩٣٥} فإننا نحن البشر قد افتدينا من أوجاعنا وامتلاأنا ببر الكلمة.

٣٢. وتبعاً لذلك فعندما تألم الجسد، لم يكن الكلمة خارجاً عنه، ولهذا السبب يقال إن الآلام خاصة بالكلمة، وعندما عمل أعمال الآب لاهوتياً، لم يكن الجسد خارجاً عنه، لكن الرب عمل هذه الأعمال في هذا الجسد نفسه، لهذا فحينما صار إنساناً، قال «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالِ أَبِي فَلَا تُؤْمِنُوا بِي. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالْأَعْمَالِ لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ»^{٩٣٦}. ولذلك فحينما كان هناك احتياج لإقامة حماة بطرس التي كانت مريضة بالحمى، فإنه مدّ يده إليها بشرياً ولكنه أوقف المرض إلهياً^{٩٣٧} وفي حالة الإنسان المولود أعمى فإن ثقل البصاق كان من الجسد ولكن فتح عين الأعمى بالطين إلهياً. وفي حالة لعازر، فلكونه إنساناً فقد دعاه بصوته البشري ولكونه في نفس الوقت إلهياً فقد أقامه من الأموات. وهذه الأمور حدثت هكذا وظهرت هكذا لأنه كان قد اتخذ لنفسه جسداً حقيقياً وليس خيالياً^{٩٣٨}، ولذا كان يليق بالرب بأخذه جسداً بشرياً أن يكون لهذا الجسد كل الخواص التي للجسد، حتى كما نقول إن الجسد كان جسده هكذا أيضاً نقول إن آلام الجسد كانت خاصة به أى بالكلمة رغم أنها لم تمسه بحسب لاهوته. فلو كان الجسد هو جسد خاص بآخر غيره لكانت الآلام قد نُسيبت لهذا الآخر أيضاً، ولكن إن كان الجسد هو جسد

^{٩٣٥} ١ بطر ٢: ٢٤.

^{٩٣٦} يو ١٠: ٣٧-٣٨.

^{٩٣٧} انظر مت ٨: ١٤.

^{٩٣٨} هنا يرد ق. أنثاسيوس أيضاً على بدعة الخياليين التي أنكرت أن التجسد كان حقيقياً، وعلمت بأن الكلمة في تجسده قد اتخذ جسداً خيالياً. ولقد حارب ق. يوحنا هذه البدعة في رسالته الأولى ٤: ٣.



الكلمة «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا»^{٩٣٩} فبالضرورة إذاً أن تُسَبَّ آلام الجسد أيضاً للذي له هذا الجسد^{٩٤٠}. والذي تتسب له هذه الآلام مثل المحاكمة، والجلد والعطش والصلب، والموت وضعفات الجسد الأخرى، فلا بد أن تتسب له بالأحرى النعمة والنعمة.

لهذا السبب إذ كان ضرورياً وملائماً أن لا تُسَبَّ مثل هذه الآلام لآخر بل للرب، حتى تكون النعمة أيضاً منه ولا نصير نحن عابدين لآخر، بل تكون عبادتنا لله حقاً، لأننا لا ندعو مخلوقاً من المخلوقات، ولا إنساناً عادياً، بل ندعو الابن الحقيقي والذي هو الله حسب طبيعته، الذي صار إنساناً وهو في نفس الوقت الرب والإله المخلص.

٣٣. فَمَنْ الذي لا يُعَجَب بهذا الكلام؟ أو مَنْ هو الذي لا يوافق أن هذا الأمر هو إلهي بالحقيقة؟^{٩٤١} لأنه لو كانت أعمال ألوهية الكلمة لم تحدث بالجسد، لما كان الإنسان قد تأله^{٩٤٢}، وأيضاً لو أن الضعفات الخاصة بالجسد لم تتسب للكلمة، لما كان الإنسان قد تحرّر منها تماماً. وحتى لو أنها كانت قد توقفت لفترة قليلة كما قلت سابقاً^{٩٤٣} لظلت الخطية وظلّ الفساد باقياً في الإنسان، كما

^{٩٣٩} يو ١: ١٤.

^{٩٤٠} تضع الكنيسة هذه التعاليم العقائدية الهامة أماناً في صلوات الساعة السادسة عندما نتضرّع لله الكلمة الابن المتجسد والرب يسوع المسيح قائلين «... اقتل أوجاعنا بآلامك المشفية الحية...».

^{٩٤١} يُلَخَّص ق. أثناسيوس في هذا الفصل نتائج هذا الأمر الإلهي الذي هو تجسد الابن الوحيد، وقد شرح في كتابه «تَجَسَّدُ الْكَلِمَةِ» بالتفصيل ما نالته البشرية بظهور الله الكلمة في الجسد. انظر كتاب «تَجَسَّدُ الْكَلِمَةِ» ترجمة د. جوزيف موريس فلتنس، إصدار المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، الفصول ٦-٣٢.

^{٩٤٢} انظر هامش رقم ٢٧ ص ٥٠.

^{٩٤٣} انظر المقالة الثانية ضد الآريوسيين، ترجمة أ. صموئيل كامل، ود. نصحي عبد الشهيد، إصدار مركز دراسات الآباء ١٩٨٧. ١٩٨٧، ٦٥، ٨٦.



كان الحال مع الجنس البشري قبل التجسّد. ولهذا فهناك أمثلة لكثيرين قد تقدّسوا وتطهّروا من كل خطية مثل إرميا الذي تقدّس من الرحم^{٩٤٤} ويوحنا الذي وهو لا يزال جنيناً في البطن ارتكض بابتهاج عند سماع صوت مريم والدة الإله^{٩٤٥}. ومع ذلك فقد «مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذَلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا عَلَى شِبْهِ تَعْدِي آدَمَ»^{٩٤٦}، وهكذا ظلّ البشر مائتين وقابلين للفساد كما كانوا، ومعرّضين للأوجاع الخاصة بطبيعتهم، أما الآن فإذ صار الكلمة إنساناً وجعل الأمور الخاصة بالجسد خاصة به، فلم تُعدّ تلك الأمور تمسك بالجسد بسبب الكلمة الذي قد جاء في الجسد، فقد انهزمت الأوجاع بواسطته ومنذ ذلك الحين فصاعداً لم يبقَ الناس بعد خطاة وأمواتاً بحسب أوجاعهم بل قد قاموا بقوة الكلمة، وصاروا غير مائتين وغير فاسدين وأقوياء دائماً. ومن هنا أيضاً فبينما وُِدّ الجسد من مريم والدة الإله، فإن الكلمة نفسه يقال إنه قد وُِدّ، وهو الذي يعطي بداية الوجود للكائنات الأخرى، لكي ينقل بداية تكويننا إلى نفسه، ولكي لا نرجع فيما بعد كمجرّد تراب إلى تراب، ولكن بارتباطنا بالكلمة الذي من السماء، فإننا نُحمَل إلى السموات بواسطته. لذلك فإنه بطريقة مماثلة قد نقل إلى نفسه أوجاع الجسد الأخرى لكي يكون لنا شركة في الحياة الأبدية - ليس كبشر فيما بعد - بل أيضاً لأننا قد صرنا خاصين بالكلمة.

لأننا لم نُعدّ نموت بحسب بدايتنا الأولى في آدم، بل بسبب أن بدايتنا وكل ضعفات الجسد قد انتقلت إلى الكلمة، فنحن نقوم من الأرض، إذ أن لعنة الخطية قد أُبطلت بسبب ذاك الذي هو كائن فينا، والذي قد صار لعنة لأجلنا. وكما أننا

^{٩٤٤} انظر إر ١: ٥.

^{٩٤٥} انظر يوحنا ١: ٤٤.

^{٩٤٦} روم ٥: ١٤.



نحن جميعاً من الأرض وفي آدم نموت هكذا نحن إذ نُؤلَد من فوق من الماء والروح فإننا في المسيح نُحيا جميعاً. فلا يعود الجسد فيما بعد أرضياً بل يكتسب قوّة بسبب كلمة الله، الذي لأجلنا صار جسداً.

٣٤. ولكي ما نصل إلى معرفة أكثر دقة بخصوص عدم قابلية طبيعة الكلمة للتألم وبخصوص الضعفات التي تُسبب له بسبب الجسد، جيد لنا أن نستمع إلى الطوباوي بطرس لأنه شاهد موثوق فيه عن المخلص. فهو يكتب في رسالته هكذا «فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ»^{٩٤٧}، لذلك أيضاً فحينما يُقال عنه، إنه يجوع، وأنه يعطش، وأنه يتعب، وأنه لا يعرف، وأنه ينام، وأنه يبكي، وأنه يسأل، وأنه يهرب، وأنه يُؤلَد، وأنه يتجنّب الكأس، وعموماً إنه يحتمل كل ما يخص الجسد، فينبغي أن يقال في كل حالة من هذه الحالات إن (المسيح) عندما يجوع ويعطش فإنه يفعل هذا بالجسد لأجلنا، وعندما يُقال إنه لم يعرف وأنه لطم، وأنه تعب، فإنه فعل هذه بالجسد لأجلنا، وأيضاً عندما يُقال إنه صعد وأنه قد وُلِدَ وكان ينمو فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما يقال إنه خاف واختبئ فإن هذا كان بالجسد، وكذلك عندما قال «إِنْ أَمَكَنَّ فَلَتَعْبُرَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»^{٩٤٨}. وعندما يقال إنه ضُربَ وإنه تحمّل فإن كل هذه كانت بالجسد لأجلنا. وعلى وجه العموم فكل مثل هذه الأمور قد تحمّلها بالجسد لأجلنا. ولهذا السبب قال الرسول نفسه إن المسيح عندما تألّم، لم يتألّم بلاهوته، بل «لأجلنا بالجسد»، لكي لا تعتبر هذه الآلام خاصة بطبيعة الكلمة ذاتها، بل هي خاصة بطبيعة الجسد ذاتها. لذلك لا ينبغي أن يَعْتَر أحد بسبب الأمور الإنسانية، بل بالحرى فليعرف، أن الكلمة نفسه بالطبيعة هو غير قابل للتألم، ومع ذلك فسبب الجسد الذي اتخذه تقال عنه هذه

^{٩٤٧} ١ بط: ٤: ١.

^{٩٤٨} مت ٢٦: ٣٩.



الأُمُور، حيث إنها أمور خاصة بالجسد والجسد نفسه خاص بالمخلص، فبينما هو نفسه غير قابل للتألم بالطبيعة، ويظل كما هو دون أن تؤذيه هذه الآلام، بل بالحرى إذ هو يوقفها ويلاشيها، فإن آلام البشر تتغير وتتلاشى في ذلك الذي هو غير متألم، وحينئذ يصير البشر أنفسهم غير متألمين وأحراراً من هذه الأوجاع إلى الأبد كما علم يوحنا قائلاً «وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَاكَ أَظْهَرَ لِكَي يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيئَةٌ»^{٩٩}. ولأن الأمر هكذا فلا يعترض أحد من الهرطقة قائلاً: كيف يقوم الجسد وهو بالطبيعة مائت؟ وإن قام، فلماذا لا يجوع ويعطش ويتألم ويظل مائتاً؟ لأنه قد صار من التراب، فكيف يمكن أن تفارقه حالته الطبيعية؟ عندئذ يستطيع الجسد الآن أن يجاوب هنا الهرطوقي المقاوم ويقول: لأنا من التراب، وبحسب الطبيعة مائت، ولكن فيما بعد قد صرت جسد الكلمة، وهو حمل أوجاعي، مع أنه هو نفسه غير متألم، هكذا صرت أنا حراً من هذه الأوجاع ولم أعد بعد مستعبداً لها بسبب الرب الذي قد حررني منها. لأنك إن كنت تعترض على تحرري من ذلك الفساد الذي هو من طبيعتي، فانتبه أنك بهذا تعترض على كلمة الله قد أخذ صورة العبد الخاصة بي. لأنه كما أن الرب بلبسه الجسد قد صار إنساناً، هكذا نحن البشر فإننا نتأله^{١٠٠} بالكلمة باتحادنا به بواسطة جسده، ولهذا فنحن سنرث الحياة الأبدية.

٣٥. لقد وجدنا أنه من الضروري أن نبث هذه الأمور أولاً لكي حينما نراه يعمل أو يقول ما يليق بالله بواسطة جسده، فإننا نعرف أنه يعمل هكذا لأنه هو الله، وأيضاً إذ رأيناه يتكلم أو يتألم إنسانياً فإننا لا نجهل أنه باتخاذ الجسد صار إنساناً ولذلك فهو عمل هذه الأعمال وتكلم بهذه الكلمات. لأننا عندما نعرف ما

^{٩٩} ١٠٣:٥.

^{١٠٠} انظر هامش ص ٥٠ رقم ٢٧.



هو خاص بكل منهما (الله والإنسان)، نرى ونفهم أن هذه الأمور التي تجري من كليهما، إنما تتم بواسطة واحد^{٩٥١}، فإننا نكون مستقيمين في إيماننا، ولن نضل أبداً. أما إن كان أحد وهو ينظر إلى الأعمال التي يعملها الكلمة إلهياً، ينكر الجسد، أو وهو ينظر إلى تلك الأمور الخاصة بالجسد، ينكر حضور الكلمة في الجسد، أو بسبب ما هو بشري يفكر أفكاراً حقيرة عن الكلمة، مثل هذا يكون كبائع خمر يخلط الخمر بالماء^{٩٥٢} فيحسب الصليب عثرة أو يكون مثل اليوناني، الذي يعتبر الكرازة جهالة^{٩٥٣}. هذا هو إذاً ما أصاب الآريوسيين أعداء الله، لأنهم بنظرهم إلى ما هو بشري في المخلص قد اعتبروه مخلوقاً. لذلك كان يلزمهم أيضاً عندما ينظرون الأعمال الإلهية للكلمة أن ينكروا تجسده، وبذلك فإنهم يصنفون أنفسهم مع المانويين^{٩٥٤}. فليتهم يتعلمون ولو متأخراً أن الكلمة صار جسداً، أما نحن فإذاً نحتفظ بهدف الإيمان، ندرك أن ما يسيئون تفسيره، له تفسير سليم.

^{٩٥١} أى بواسطة شخص واحد، ومن هنا تتضح هنا الأسس السليمة التي اعتمد عليها ق. كيرلس بخصوص تعليمه عن طبيعة السيد المسيح الواحدة والتي استقاها من ق. أناسيوس الرسولي.

^{٩٥٢} إش ٢٢: ١.

^{٩٥٣} ١كو ٢٣: ١.

^{٩٥٤} انظر الهامش رقم ٣١ ص ١٣.

الفصل السابع والعشرون

شرح نصوص يوحنا ٣: ٣٥، مت ١١: ٢٧

«لأن الآب يحب الابن، وقد دفع كل شيء في يده»

«كل شيء قد دفع إلي من أبي»

(٣٥ تكملة) . لأن «الآبُ يُحِبُّ الابْنَ، وَقَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي يَدِهِ»^{٩٥٥}. و «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي»^{٩٥٦}، «أَنَا لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْعَلَ مِنْ نَفْسِي شَيْئًا. كَمَا أَسْمَعُ أَدِينُ»^{٩٥٧}، والآيات المشابهة، لا تُظهر أن الابن لم تكن له هذه الخاصيات من قبل. لأنه كيف لا تكون هذه الخاصيات التي للآب، هي أزلياً لذاك الذي هو كلمة الآب الوحيد وحكمته حسب الجوهر، وهو الذي يقول أيضاً «كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي»^{٩٥٨} «كُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ»^{٩٥٩}؛ لأنه إن كان كل ما للآب هو للابن، والآب له كل هذه دائماً، فمن الواضح أن كل ما هو للابن والذي هو نفسه للآب هذا كان دائماً موجوداً في الابن. إذاً فهو لا يقول هذه الأقوال بسبب أن هذه الخاصيات لم تكن له في وقت ما، بل لأنها كانت له أزلياً من الآب.

٣٦. ولكي لا يضل أحد، عندما يرى أن الابن له كل ما للآب بسبب المماثلة التامة ووحدة الذات التي له مع الآب، ويعتبر أن الابن هو الآب مثل مثل ضلال

٩٥٥ يوحنا ٣: ٣٥.

٩٥٦ مت ١١: ٢٧.

٩٥٧ يوحنا ٣: ٣٠.

٩٥٨ يوحنا ١٥: ١٦.

٩٥٩ يوحنا ١٠: ١٧.



ساييلوس^{٩٦٠}، لذلك فقد قال «أعطى لي»، «أخذت»، «دفع إلي»، لكي يظهر أنه ليس هو الآب، بل كلمة الآب، الابن الأزلي، الذي بسبب مماثلته للآب، فإن ما له هو له أزلياً من الآب، وبسبب أنه الابن فإن له من الآب ما هو له أزلياً. لأن كلمات مثل: «أعطى» و «دفع» وما يشابها لا تقلل من ألوهة الابن، بل بالحرى تُظهره أنه الابن الحقيقي، وهذا ما يمكن أن نتعلمه من هذه الآيات نفسها. ولأنه إن كانت كل الأشياء قد دُفعت له فهو أولاً: آخر مختلف عن كل تلك الأشياء التي أخذها، وثانياً: حيث إنه هو الوارث لكل الأشياء، فهو وحده الابن الذاتي من جوهر الآب. لأنه لو كان واحداً من بين كل الأشياء، لما كان «وارثاً لكل شئ»^{٩٦١}. ولكن كل واحد يأخذ بحسب إرادة الآب وعطيته. ولكن الآن إذ هو الآخذ لكل الأشياء، فهو آخر مختلف عنها كلها وهو الوحيد الذي من ذات الآب. ويمكن أن نفهم أيضاً أن تعبيرات مثل: «أعطى» و «دفع» لا تُظهر أن هذه الأشياء لم تكن له في وقت ما. هذا ما يمكن أن نستنتجه من آية مشابهة وبطريقة مماثلة بخصوص كل الأشياء. فالمخلص نفسه يقول: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته»^{٩٦٢}. والآن بقوله قد «أعطى» هو يعني أنه ليس هو الآب. ولكن بقوله «كذلك» يظهر مماثلة الابن الطبيعية والذاتية للآب، فلو أن الآب في وقت ما لم تكن له حياة، فمن الواضح أن الابن أيضاً لم تكن له حياة في وقت ما، لأنه كما يكون للآب، كذلك يكون للابن أيضاً.

ولكن إن كان من الكفر أن يُقال هذا، فبالحرى يكون من التقوى أن يقال إن الآب له «الحياة» دائماً وعندئذٍ حينما يقول الابن «كما أن الآب له، كذلك

^{٩٦٠} انظر هامش ٧٥٨ ص ٢١٣.

^{٩٦١} عب ٢:١.

^{٩٦٢} يرو ٢٦:٥.



أيضاً يكون للابن»، أُلّا يكون غريباً أنهم يقولون إن «الابن ليس له كذلك» بل هو غير ذلك؟ ولكن الكلمة بالحري هو صادق وكل الأشياء التي يقول إنه قد أخذها، هي له دائماً، وهي له من الآب.

والآب ليس من أحد، ولكن الابن هو من الآب، لأنه كما في حالة الشعاع، إن كان الشعاع نفسه يقول: «النور قد أعطاني أن أضيئ كل الأمكنة، وأنا لست أضيئ من نفسي، بل كما يريد النور» ومع هذا فبقوله هذا هو لا يعني أنه في وقت ما لم يكن يضيئ، بل هو يعني أنني خاص بالنور وكل ما للنور هو لي. هكذا، بل وأكثر من ذلك ينبغي أن نفكر عن الابن، لأن الآب إذ قد أعطى كل شيء للابن فلا يزال الآب له كل الأشياء في الابن، وطالما أن هذه الأشياء هي للابن فهي لا تزال للآب أيضاً لأن ألوهة الابن، هي ألوهة الآب، وهكذا فإن الآب يمارس أعمال عنايته بكل الأشياء في الابن.

٣٧. وإذ أن هذا هو معنى هذه الأقوال التي تتحدث بشرياً عن المخلص، فإن لها أيضاً معاني إيمانية ولأجل هذا الغرض قد فحصنا سابقاً هذه الأقوال، حتى إذا سمعناه يسأل أين وُضِعَ لعازر؟^{٩٦٣}، أو حينما يسأل عند مجيئه إلى نواحي قيصرية «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا»^{٩٦٤}، أو عندما طلب أن يعرف قائلاً «كَمْ رَغِيْفاً عِنْدَكُمْ؟»^{٩٦٥}، و «مَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ أَفْعَلَ بِكُمَا؟»^{٩٦٦}؛ يمكننا عندئذٍ أن نفهم مما سبق وقلناه، المعنى المستقيم لهذه الأقوال، ولا نعثر مثل الآريوسيين أعداء المسيح. إذا ينبغي أولاً أن نسأل الجاحدين، لماذا يظنون أنه يجهل؟ لأن مَنْ يسأل فهو لا يسأل

^{٩٦٣} انظر يو ١١: ٣٤.

^{٩٦٤} مت ١٦: ١٣.

^{٩٦٥} مر ٦: ٣٨.

^{٩٦٦} مت ٢٠: ٣٢.



بالضرورة بسبب أنه يجهل، بل من الممكن أن ذلك الذي يعرف يسأل بخصوص الأمور التي يعرفها. وبالتأكيد فإن يوحنا كان يعرف أن المسيح حينما سأل فيلبس عن عدد الأرغفة لم يكن يجهل ما يسأل عنه لأنه يقول «وَلَيْمَّا قَالَ هَذَا لِيَمْتَحِنَهُ، لِأَنَّهُ هُوَ عِلْمٌ مَا هُوَ مُزْمَعٌ أَنْ يَفْعَلَ»^{٩٦٧}. وطالما عرف ما هو مزعم أن يفعله، لذلك فهو لا يسأل عن جهل ولكنه يسأل عن معرفة. ويمكننا من هذه الحالة أن نفهم الحالات المماثلة. إذاً فحينما يسأل الرب، أين وُضِعَ لعازر فهو لا يسأل عن جهل. ولا أيضاً يسأل عن جهل «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ أَنَّهُ هُوَ»، وإذا هو يعرف الأمر الذي يسأل عنه، فهو يعرف ما هو مزعم أن يفعله. وهكذا بسهولة تبطل حجة أولئك. ولكن إن ظلّوا مصّرين على التمسك بنقطة أنه يسأل، إذاً فينبغي أن نخبرهم أنه ليس هناك جهل في اللاهوت، ولكن عدم المعرفة هو من خصائص الطبيعة البشرية كما سبق أن قلنا. ولكي يتضح أن هذا الأمر هو حقيقي، فلنلاحظ كيف أن الرب الذي سأل، أين وضع لعازر، هو نفسه - وهو لم يكن بعد حاضراً في الموضع بل كان بعيداً - قال «لِعَازَرُ مَاتَ»^{٩٦٨}. وعرف المكان الذي دفن فيه. فكيف يكون ذلك الذي يعتبرونه جاهلاً، هو نفسه الذي سبق فعرف أفكار تلاميذه، وكان يعرف ما في قلب كل واحد، ويعرف ما كان في الإنسان^{٩٦٩} وما هو أكثر من ذلك فهو وحده الذي يعرف الآب ويقول «أَنَا فِي الْآبِ وَالْآبُ فِيَّ»^{٩٧٠}.

٣٨. إذاً فهذا واضح لكل واحد، أن الجسد هو الذي يجهل، أما الكلمة نفسه باعتباره الكلمة، فهو يعرف كل الأشياء حتى قبل أن توجد لأنه حينما صار إنساناً.

^{٩٦٧} يو ٦: ٦.

^{٩٦٨} يو ١٤: ١١.

^{٩٦٩} يو ٢: ٢٥.

^{٩٧٠} يو ١٤: ١٠.



لم يكف عن أن يكون هو الله، ولا بسبب كونه الله، يتجنب ما هو خاص بالإنسان، حاشا بل بالحرى إذ هو الله فقد أخذ الجسد لنفسه، وبوجوده في الجسد فإنه يؤله الجسد^{٩٧١}. وفي الحقيقة فإنه كما سأل أسئلة بالجسد هكذا أيضاً بالجسد أقام الموتى، وأظهر للكل أنه هو الذي يحيي الموتى ويستدعى النفس مرة ثانية، وأكثر من هذا جداً فهو يعرف خفايا الكل، فهو عَرَفَ أين وُضِعَ لعازر، ومع ذلك سأل. وهو فعل هذا لأنه وهو كلمة الله الكلي القداسة والذي احتمل كل الأشياء لأجلنا هكذا احتمل جهلنا، لكي يمنحنا المعرفة الخاصة بأبيه الوحيد الحقيقي، والخاصة به هو نفسه الذي أُرْسِلَ لأجلنا ولأجل خلاص الجميع. ولا يمكن أن تكون هناك نعمة أعظم من هذه. إذًا فحينما يستعمل المخلص الكلمات التي يتعلّلون بها مثل «دفع إليّ كل سلطان»، و «مجد ابنك»، وقول بطرس إنه قد أعطى له سلطان^{٩٧٢}، فنحن نفهم كل هذه الآيات بنفس المعنى أى أنها ينبغي أن نفهم إنسانياً، لأنه بسبب الجسد قال كل هذا. فهو رغم أنه ليس محتاجاً، إلا أنه يقال عنه إن ما أخذه قد أخذه إنسانياً، وأيضاً لكي تبقى هذه النعمة مضمونة مادام الرب نفسه قد أخذها لأن الإنسان المجرد حينما يأخذ، فهو معرض لأن يفقد أيضاً كما ظهر في حالة «آدم» لأنه أخذ وفقد. ولكن لكي تبقى النعمة غير متغيرة وغير قابلة للضياع وتظل محفوظة للبشر بشكل أكيد، لذلك فهو يمتلك العطية لنفسه ولهذا يقول إنه أخذ سلطاناً كإنسان، وهو السلطان الذي كان له دائماً كإله. ويقول «مجدني»، وهو الذي يمجد الآخرين لكي يُظهر أن له جسداً

^{٩٧١} كثيراً ما يكرر القديس أناسيوس وغيره من آباء الكنيسة هذه العبارة، لكنهم لم يقصدوا بالطبع أن الناسوت (أى الجسد) قد تلاشى أو ذاب في اللاهوت، بل أن الجسد قد تمجد بالمجد الإلهي.

^{٩٧٢} انظر أع. ١٠: ٣٨.



يحتاج لهذه الأمور. إذ أنه بإتخاذ الجسد صار إنساناً، لذلك فحينما ينال الجسد هذه الأمور يقال إنه هو نفسه ينالها لأن الجسد هو جسده.

٣٩. إذا فكما قلت سابقاً (مرّات عديدة) لو أن الكلمة لم يكن قد صار إنساناً، لكان يمكن عندئذٍ أن تتسبوا للكلمة . كما ترغبون أنتم . أنه يأخذ، وأنه يحتاج للمجد وأنه يجهل. ولكن إن كان الكلمة قد صار إنساناً (وهو قد صار فعلاً)، وأن الأخذ والاحتياج، وعدم المعرفة هي خاصة بالإنسان، فلماذا نعتبر المُعْطِي كأنه يأخذ والذي يهب الآخرين لماذا نظن أنه في احتياج، ولماذا نفصل الكلمة عن الآب كأنه غير كامل ومحتاج، وننزع النعمة عن الطبيعة البشرية؟ لأنه لو كان الكلمة نفسه، باعتباره الكلمة، قد أَخَذَ وتمجّد، لأجل نفسه، ولو كان هو بحسب لاهوته، هو نفسه الذي قُدّس وأقيم ثانية، فأى رجاء يكون للبشر عندئذٍ؟ لأنهم كانوا سيظلون، كما كانوا عرايا وتعمساء، ومائتين وليس لهم أى انتفاع إطلاقاً من الأمور التي أُعطيت للابن. وأيضاً لماذا جاء الكلمة بيننا وصار جسداً؟ إن كان قد جاء لكي يأخذ هذه الأمور، التي يقول إنه قد أخذها، وأنه كان بدونها قبل ذلك، فبالضرورة كان يجب أن يكون هو نفسه مديوناً بالشكر للجسد، لأنه حينما جاء في الجسد، أخذ عندئذٍ هذه الأمور من الآب، تلك الأمور التي لم تكن له قبل مجيئه في الجسد. وعلى هذا الأساس يظهر أنه هو بالحري الذي ارتقى بسبب الجسد وليس الجسد هو الذي ارتقى بسببه. ولكن هذه الفكرة هي فكرة يهودية. ولكن إن كان الكلمة قد جاء بيننا لكي يفدي جنس البشر، وإن كان الكلمة قد صار جسداً لكي يقدّس البشر ويؤلّهم. (وهو لهذه الغاية قد جاء فعلاً). فلمن لا يكون واضحاً عندئذٍ أن ما يقول الرب إنه أخذه حينما صار جسداً، فهو لم يأخذه لأجل نفسه، لكن لأجل الجسد، لأن العطايا المعطاة بواسطته من الآب تختص بالجسد ولقد كان متحداً بهذا الجسد عندما نطق بهذه الأمور. إذا دعونا نرى ما هي الأمور التي طلبها، وما هي تلك الأمور التي قال هو أنه قد أخذها، لعل



أولئك أيضاً - بهذه الطريقة - يفيقون من غفلتهم. إذًا فهو طلب المجد ومع ذلك قال «كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ»^{٩٧٣}. وبعد القيامة يقول إنه «دُفِعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ»^{٩٧٤}. ولكن حتى قبل أن يقول، كل شيء دفع إليّ، كان هو رب كل شيء «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ»^{٩٧٥} وأيضاً «وَرَبُّ وَاحِدٍ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ»^{٩٧٦}. وحينما طلب المجد، كان هو كما هو «رب المجد» كما يقول بولس «لَأَنْ لَوْ عَرَفُوا لَمَّا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ ..»^{٩٧٧}، إذ هو يملك ذلك المجد الذي طلبه حينما قال «وَالآنَ مَجْدُنِي أَتَتْ أَتِيهَا الْآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ»^{٩٧٨}.

٤٠. وأيضاً السلطان الذي قال إنه أَخَذَهُ بعد القيامة، هذا كان له قبل أن يأخذه أى قبل القيامة، لأنه هو نفسه انتهر الشيطان قائلاً «اذهَبْ يَا شَيْطَانُ»^{٩٧٩} كما أنه أعطى للتلاميذ سلطاناً على الشيطان^{٩٨٠}. ولذا فعند عودتهم قال «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطاً مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ»^{٩٨١}. ويتضح أيضاً أن ما قال إنه قد أَخَذَهُ، هذا كان

^{٩٧٣} لو ١٠: ٢٢.

^{٩٧٤} مت ٢٨: ١٨.

^{٩٧٥} يو ٣: ١.

^{٩٧٦} ١ كو ٦: ١.

^{٩٧٧} ١ كو ٢: ١٨.

^{٩٧٨} يو ١٧: ٥٠.

^{٩٧٩} مت ٤: ١٠.

^{٩٨٠} انظر لو ١٠: ١٩.

^{٩٨١} لو ١٠: ١٨.



له قبل أن يأخذه، وذلك من طرده للشياطين ومن حلّه للذين ربطهم الشيطان كما فعل في حالة ابنه إبراهيم^{٩٨٢}.

ويتضح أيضاً من غفرانه للخطايا بقوله للمفلوج، وللمرأة التي غسلت قدميه: «مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ»^{٩٨٣}. كما يتضح أيضاً من إقامته للموتى، وإعادة البصر للمولود أعمى، واهباً له أن يرى. وكل هذه قد فعلها لا منتظراً أن يأخذ «سلطاناً» بل لأنه يملك السلطان. وقد صار واضحاً من كل هذا أن ما كان له بكونه هو الكلمة فهذا يقول عنه إنه أَخَذَهُ إنسانياً حينما صار إنساناً وقام من الموت. وذلك لكي يصير البشر على الأرض، عن طريقة شركاء للطبيعة الإلهية^{٩٨٤}، ويكون لهم سلطان على الأرواح الشريرة. أما في السموات فإنهم يملكون إلى الأبد لأنهم قد تحرروا من الفساد. وهكذا فينبغي أن نعرف تماماً، أنه ليس شئ مما قال إنه أَخَذَهُ، قد أَخَذَهُ كأنه لم يكن له قبلاً. لأن الكلمة لكونه هو الله كانت له هذه الأشياء دائماً. أما في هذه الآيات فيقال إنه قد أَخَذَ إنسانياً، ولذلك فعندما يأخذ الجسد فيه، فإن ما أخذه يبقى مضموناً لنا لأن ما قاله بطرس إنه «أخذ من الله كرامة .. ومجداً ..»، «وَمَلَائِكَةً وَسَلَاطِينَ وَقُوَّاتٍ مُخَضَّعَةً لَهُ»^{٩٨٥} له هذا المعنى. فإن الرب سأل بسبب كونه إنساناً، وأقام لعازر لكونه هو الله. هكذا فإن كلمة «أخذ» تتحدث عنه إنسانياً، بينما خضوع الملائكة يوضح ألوهية الكلمة.

٤١. كُفُّوا إِذَا يَا أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَلَا تَحَقَّرُوا الْكَلِمَةَ وَلَا تَجَرَّدُوهُ مِنَ الْأُلُوهَةِ الَّتِي هِيَ نَفْسُ أُلُوهَةِ الْآبِ أَيْضاً لِأَنَّهُ إِنْسَانِيًّا أَحْتَاجُ أَوْ كَأَنَّهُ كَانَ يَجْهَلُ، لِئَلَّا تَقْذِفُوا الْمَسِيحَ

^{٩٨٢} انظر لوقا ١٦: ٣.

^{٩٨٣} مت ٩: ٥، لوقا ٧: ٤٨.

^{٩٨٤} انظر ٢ بط ١: ٤.

^{٩٨٥} ٢ بط ١: ١٧، ١ بط ٣: ٢٢.



بمجادلاتكم كما فعل اليهود عندما رجموه لأن هذه الأمور لا تخص الكلمة لكونه هو الله الكلمة، بل هي تخص البشر. كما فعل حينما بصق، وحينما مدّ يده، وحينما دعا لعازر، فنحن لا نقول إن هذه الأعمال الباهرة كانت بشرية، ورغم أنها تُمت بواسطة الجسد، بل كانت أعمالاً خاصة بالله. وهكذا أيضاً رغم أن الأمور البشرية تنسب في الإنجيل للمخلص إلا أننا يجب أن ننظر إلى طبيعة الأمور التي تقال إنها غريبة عن الله، ولا ينبغي أن ننسبها إلى ألوهية الكلمة بل إلى ناسوته. لأنه رغم أن الكلمة صار جسداً، إلا أن الجسد له الآلام الخاصة به. ورغم أن الجسد محمول إلهياً في الكلمة لكن النعمة والقوة هي خاصة بالكلمة. إذاً فقد عمل أعمال الآب بالجسد، ومن الجهة المقابلة حقاً فإن آلام الجسد قد ظهرت فيه أيضاً. فمثلاً طلب أن يعرف وأقام لعازر. منع أمه قائلاً «لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدَ»^{٩٨٦}. ثم بعد ذلك مباشرة حوّل الماء خمرًا لأنه كان إلهًا حقيقياً في الجسد، وكان جسداً حقيقياً في الكلمة. لذلك فمن أعماله أعلن نفسه أنه ابن الله كما أعلن أباه أيضاً. ومن آلام الجسد أظهر أنه اتخذ جسداً حقيقياً وأن الجسد كان جسده الخاص^{٩٨٧}.

^{٩٨٦} يوحنا ٤: ٢.

^{٩٨٧} هنا يلخص ق. أنثاسيوس ما سبق أن تحدث عنه في الفصول ٣٢، ٣٥.

الفصل الثامن والعشرون

شرح نصوص: مر ١٣: ٣٢، لو ٢: ٥٢

معرفة الابن لليوم والساعة،

التقدم في النعمة والحكمة

٤٢. وحيث إن الأمور هي هكذا فدعنا نأتي الآن لكي نبحث الآية «وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ، وَلَا الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ، وَلَا الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ»^{٩٨٨}.

ولكونهم في جهل عظيم من جهة هذه الكلمات فقد أصابهم الدوار بسببها ويظنون أنهم قد وجدوا فيها حجة هامة تسند هرطقتهم. فإن كان هؤلاء الهرطقة قد سبق فقرروا هذا ويسلحون أنفسهم به. فإني أراهم كالعمالقة^{٩٨٩} الذين يحاربون الله. لأن رب السماء والأرض الذي به خلقت كل الأشياء، يطالب بتقديم حساب أمامهم عن اليوم والساعة. والكلمة الذي يعرف كل الأشياء يتهمونه بأنه يجهل اليوم، والابن الذي يعرف الآب يقولون إنه يجهل ساعة من ساعات اليوم. والآن ماذا يمكن أن يكون أكثر حماقة من هذا، أو أي جنون يمكن أن يشابه هذا؟

لأنه بالكلمة قد خلقت كل الأشياء والأزمنة، والأوقات والليل والنهار وكل الخليقة، فهل يقال بعد ذلك إن الخالق يجهل عمله؟ ولكن بمواصلة القراءة في هذا الفصل يتضح أن ابن الله يعرف تلك الساعة وذلك اليوم، رغم أن الآريوسيين قد سقطوا بشدة في جهلهم لأنه بينما يقول (ولا الابن) يشرح للتلاميذ ما يحدث قبل

^{٩٨٨} مر ١٣: ٣٢.

^{٩٨٩} العمالقة هم جنس أسطوري عند الرومان لهم هيئة ممسوخة وقوة تفوق طاقة البشر، عُرفوا أساساً بتصادمهم مع آلهة أوليمبيوس.



ذلك اليوم قائلاً سيكون هذا وذاك، ثم يأتي المنتهى^{٩٩٠}. فالذي يتكلّم عن ما يحدث قبل ذلك اليوم، يعرف بالتأكيد اليوم أيضاً، الذي سوف يأتي بعد كل ما سبق وأخبر به، ولكن لو لم يكن يعرف الساعة، لما كان قد تحدّث عن الأمور التي تسبقها لكونه لا يعرف متى ستكون. ومثل إنسان يريد أن يدلّ أولئك الذين يجهلون مكان منزل ما أو مدينة، فهو يذكر لهم بالتفصيل الأشياء التي تقابلهم قبل المنزل أو المدينة وبعد أن يشرح لهم كل شيء يقول «وبعد ذلك تجدون المدينة أو المنزل مباشرة فهذا المشير يعرف تماماً أين يوجد المنزل أو المدينة - لأنه لو لم يكن يعرف، لما استطاع أن يشرح لهم ما يجدونه قبلها. وحتى لا يتسبب دون قصد في أن سامعيه يضلّون الطريق، أو أنهم يذهبون بعيداً عن المكان بسبب وصفه الخاطئ. هكذا فإن الرب بحديثه عن ما يسبق ذلك اليوم وتلك الساعة فهو يعرف بالضبط، ولا يجهل متى تأتي الساعة ويكون اليوم.

٤٣. والآن فلماذا رغم أنه كان يعرف، لم يخبر تلاميذه بوضوح في ذلك الحين. لا يستطيع أحد أن يفحص ما صمّت الرب عنه، «لأنّ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ؟ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟»^{٩٩١}، ولماذا رغم أنه عَرَفَ، قال «ولا الابن» يعرف. أظن أن هذا لا يجهله أي واحد من المؤمنين: إنه قال هذا مثلما قال الأقوال الأخرى - كإنسان بسبب الجسد فهذا ليس نقصاً في الكلمة، بل هو بسبب تلك الطبيعة البشريّة التي تتصّف بعدم المعرفة.

^{٩٩٠} انظر مت ٢٤.

^{٩٩١} روا ٣٤:١١.



وهذا أيضاً يمكن أن يُرى جيداً إن كان أحد يفحص المناسبة بإخلاص: متى وَلِمَنْ تَكَلَّمَ الْمَخْلُصُ هَكَذَا^{٩٩٢}؟ فهو لم يتكَلَّمْ هَكَذَا حينما خُلِّقَتِ السَّمَوَاتُ بواسطته، ولا حينما كان مع الآب نفسه، الكلمة الصانع كل الأشياء^{٩٩٣}. وهو لم يَقُلْ هذا أيضاً قبل ولادته كإنسان ولكن حينما صار الكلمة جسداً. ولهذا السبب فمن الصواب أن ننسب إلى ناسوته كل شئ تكَلَّمَ به إنسانياً بعد أن تأنس. لأنه من خاصية الكلمة أن يعرف مخلوقاته، وأن لا يجهل بدايتها ونهايتها، لأن هذه المخلوقات هي أعماله. وهو يعرف كم عددها وحدود تكوينها. وإذ هو يعرف بداية كل شئ ونهايته، فإنه يعرف بالتأكيد النهاية العامة والمشاركة للكل. وبالتأكيد فحينما يتكَلَّمَ في الإنجيل عن نفسه إنسانياً قائلاً: «أَيُّهَا الْآبُ، قَدْ أَتَيْتِ السَّاعَةُ. مَجِّدِ ابْنَكَ لِيُمَجِّدَكَ ابْنُكَ»^{٩٩٤}، فواضح أنه بصفته الكلمة، يعرف أيضاً ساعة نهاية كل الأشياء رغم أنه كإنسان يجهلها، لأن الجهل هو من خصائص الإنسان، وخاصة في هذه الأمور.

وبالأكثر فإن هذا لائق بمحبة المخلص للبشر، لأنه منذ أن صار إنساناً لم يخجل - بسبب الجسد الذي يجهل - أن يقول لا أعرف لكي يوضح أنه بينما هو يعرف لأنه هو الله، فهو يجهل جسدياً. ولذلك فهو لم يقل «ولا ابن الله يعرف»، لئلا يبدو أن اللاهوت يجهل، بل قال ببساطة «ولا الابن» لكي تكون عدم المعرفة منسوبة لطبيعة الابن البشرية.

^{٩٩٢} يشدّد ق. أناسيوس على أن الطريقة السليمة في فهم آيات الكتاب المقدس هو أن يسأل المرء عن متى قيلت هذه الآيات وعن مَنْ تحدث وعن السياق العام لها. أنظر أيضاً "المقالة الأولى ضد الآريوسيين" فقرة رقم ٥٤.

^{٩٩٣} انظر أم ٢٧: ٨-٣٠.

^{٩٩٤} يوحنا ١٧: ١.



٤٤. ولهذا السبب فهو يتحدث عن الملائكة أنهم لا يعرفون اليوم والساعة ولكنه لم يواصل ويقول « ولا الروح القدس يعرف » لكنه صمّت لسببين: أولاً: لأنه إن كان الروح يعرف فبالأولى فإن الكلمة لا بد أن يعرف لأن الكلمة الذي يستمد منه الروح المعرفة هو بالأولى يعرف.

ثانياً: وبصمّته عن ذكر الروح أوضح أن قوله « ولا الابن » هو عن خدمته البشرية. وهذا برهان على ذلك: أنه، حينما تكلم إنسانياً قائلاً « ولا الابن يعرف » لكونه هو الله فهو يظهر نفسه أنه يعرف كل الأشياء. لأن ذلك الابن الذي يقال إنه لا يعرف اليوم، يقول هو عن نفسه إنه يعرف الآب لأنه يقول « وكَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الْإِبْنَ إِلَّا الْآبُ »^{٩٩٠}. وكل الناس عدا الآريوسيين يعترفون أن الذي يعرف الآب هو بالأحرى يعرف كل شئ عن الخليقة ومن ضمن هذا الكل نهاية الخليقة. وإن كان اليوم والساعة قد تحدّدا من الآب فواضح، أنهما قد تحدّدا بواسطة الابن وهو نفسه يعرف الأشياء التي قد تحدّدت بواسطته.

لأنه لا يوجد شئ إلا وقد وُجدَ وتحدّد بواسطة الابن لذلك فإذا هو خالق الكون، فهو يعرف إلى أي درجة وإلى أي حدود أراد الآب للكون أن يصير.

وهو يعرف ما هو الحد الزمني للكون. وأيضاً إن كان كل ما للآب هو للابن [وهذا ما قد قاله هو نفسه^{٩٩١}]، ومن خصائص الآب أن يعرف اليوم، فواضح أن الابن أيضاً يعرف اليوم إذ أن له هذه الخاصية من الآب. وأيضاً إن كان الابن في الآب والآب في الابن، والآب يعرف اليوم والساعة، فواضح أن الابن لكونه في الآب ويعرف كل ما هو للآب، هو نفسه أيضاً يعرف اليوم والساعة. وإن كان الابن هو

^{٩٩٠} مت ٢٧: ١١.

^{٩٩١} انظر يوحنا ١٦: ١٥.



أيضاً صورة الآب ذاته، والآب يعرف اليوم والساعة، فواضح أن الابن له هذه المماثلة أيضاً للآب في معرفة اليوم والساعة. وليس غريباً إن كان هو الذي به صارت كل الأشياء^{٩٩٧}، وفيه يقوم الكل^{٩٩٨}، هو نفسه يعرف المخلوقات التي خُلقت، ومتى تكون نهاية كل منها ونهايتها كلها معاً.

ولكن الوقاحة الناتجة عن جنون الأريوسيين اضطررتنا أن نلجأ إلى دفاع طويل هكذا. ولأنهم يحصون ابن الله الكلمة الأزلي بين المخلوقات فليسوا بعيدين عن أن يقولوا أيضاً إن الآب نفسه أقل من الخليفة. لأنه إن كان ذلك الذي يعرف الآب لا يعرف اليوم ولا الساعة، فإني أخشى لئلا تكون معرفة الخليفة أو بالحرى معرفة الجزء الأدنى منها أعظم من معرفة الآب. كما يقولون في جنونهم.

٤٥. ولكن أولئك بسبب أنهم يجدفون على الروح هكذا، فلا ينبغي أن ينتظروا الحصول على الغفران إطلاقاً عن تجديفهم هذا كما قال الرب^{٩٩٩}. وأما المحبون للمسيح والذين يحملون المسيح، فيعرفون أن الكلمة باعتباره أنه هو الكلمة، قال لا أعرف، ليس لأنه لا يعرف، إذ هو يعرف (كل شيء)، ولكن لكي يُظهر الناحية الإنسانية، إذ أن عدم المعرفة خاص بالبشر، وأنه قد اتخذ الجسد الذي يجهل، والذي بوجوده فيه قال بحسب الجسد «لا أعرف».

ولهذا السبب، فبعد قوله «ولا الابن يعرف» وتحدثه عن جهل الناس في أيام نوح، أضاف مباشرة قائلاً: «اسْهَرُوا إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي آيَةِ سَاعَةِ يَأْتِي رَبُّكُمْ»

^{٩٩٧} انظر يو ١: ٣.

^{٩٩٨} انظر كو ١: ١٧.

^{٩٩٩} انظر مت ١٢: ٣٢.



وأيضاً «فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ»^{١٠٠٠}، ولكنني إذ قد صرت مثلكم من أجلكم، قلت «ولا الابن». لأنه لو كان يجهل بكونه هو الله لكان ينبغي أن يقول «اسهروا إذا، لأنني لا أعرف، وفي ساعة لا أعلمها» ولكن في الواقع ليس هذا هو ما قاله. ولكنه بقوله «لا تعلمون» و «في ساعة لا تعلمونها» أوضح بذلك أن الجهل خاص بالبشر، الذين لأجلهم أخذ جسداً مشابهاً لأجسادهم، وصار إنساناً وقال «ولا الابن يعرف» لأنه لا يعرف بالجسد رغم أنه يعرف بكونه هو الله الكلمة.

وأيضاً مثال نوح^{١٠٠١} يكشف وقاحة أعداء المسيح، لأنه في ذلك التشبيه لم يقل «لا أعرف»، بل قال «وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ الطُّوفَانُ»^{١٠٠٢}.

لأن البشر لم يعلموا، أما الذي جاء بالطوفان (والذي هو المخلص نفسه) فقد عَرَفَ اليوم والساعة، التي فيها فتح طاقات السماء وفَجَّرَ ينابيع الغمر، وقال لنوح «ادْخُلْ أَنْتَ وَجَمِيعُ بَيْتِكَ إِلَى الْفُلِّ»^{١٠٠٣} لأنه لو كان لا يعرف لما كان قد سبق فأخبر نوح قائلاً: «بعد سبعة أيام آتي بطوفان على الأرض»^{١٠٠٤}.

ولكنه إذ يستخدم مثال زمن نوح ويعرف يوم الطوفان، إذا فهو يعرف أيضاً يوم مجيئه.

^{١٠٠٠} مت ٢٤: ٢٤، ٤٤.

^{١٠٠١} وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلاّ أبي وحده. وكما كانت أيام نوح كذلك يكون مجيء ابن الإنسان (مت ٣٦: ٣٧).

^{١٠٠٢} مت ٢٤: ٣٩.

^{١٠٠٣} تك ١: ٧.

^{١٠٠٤} انظر تك ٤: ٧.



٤٦. وأيضاً، في مَثَلُ العذارى يظهر بوضوح أكثر مَنْ هم الذين كانوا يجهلون اليوم والساعة بقوله «فَاسْهَرُوا إِذَا لَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ»^{١٠٠٥}. والذي قال قبل ذلك بقليل «لا أحد يعرف ولا الابن»^{١٠٠٦} لا يقول الآن «لا أعرف» بل يقول «أنتم لا تعرفون».

وبنفس الطريقة، عندما سألته التلاميذ عن النهاية، حسناً قال حينئذٍ «ولا الابن» جسدياً، بسبب الجسد، لكي يظهر أنه كإنسان، لا يعرف لأن الجهل هو من خصائص البشر، ولكن إذ هو الكلمة، وهو الذي سوف يأتي، وهو الديان وهو العريس، فهو يعرف متى وفي أية ساعة سيأتي، ومتى سيقال «اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»^{١٠٠٧}. كما أنه إذ صار إنساناً فقد كان يجوع ويعطش ويتألم مع الناس، هكذا مع الناس كإنسان فهو لا يعرف، رغم أنه لكونه هو الله إذ هو كلمة الآب وحكمته فهو يعرف، ولا يوجد شيء لا يعرفه.

وهكذا أيضاً في حالة لعازر فهو يسأل كإنسان بينما كان في طريقه لكي يقيمه، ويعرف من أين سيدعو نفس لعازر مرة ثانية.

وقد كان أمراً أعظم أن يعرف أين كانت النفس أكثر من أن يعرف أين وُضِعَ الجسد، ولكنه سأل إنسانياً لكي يقيمه إلهياً. هكذا أيضاً سأل تلاميذه عندما جاءوا إلى نواحي قيصرية، رغم أنه يعرف حتى قبل أن يجيب بطرس. لأنه إن كان الآب قد أعلن لبطرس الإجابة على سؤال الرب، فواضح أن الاعلان كان بواسطة الابن لأنه يقول «وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الْإِبْنُ إِلَّا الْآبُ، وَلَا مَنْ هُوَ الْآبُ إِلَّا الْإِبْنُ،

^{١٠٠٥} مت ١٣: ٢٥.

^{١٠٠٦} مت ٣٦: ٢٤.

^{١٠٠٧} أف ١٤: ٥.



وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ^{١٠٠٨}. ولكن إن كانت معرفة الآب والابن تُكشف بواسطة الابن، فليس هناك أى مجال للشك في أن الرب الذي سأل بطرس هو نفسه قد استعلن أولاً لبطرس من الآب، وبعد ذلك سألته إنسانياً، لكي يظهر أنه يسأل جسدياً بينما هو يعرف إلهياً ما سوف يقوله بطرس. إذا فالابن يعرف، وهو يعرف كل الأشياء ويعرف أباه، تلك المعرفة التي لا توجد معرفة أعظم أو أكمل منها.

٤٧. هذا يكفي لدحض أولئك، ولكن لكي أوضح أكثر أنهم معادون للحق وأعداء للمسيح، فإني أريد أن أسألهم سؤالاً: يكتب الرسول في الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس: «أَعْرِفُ إِنْسَانًا فِي الْمَسِيحِ قَبْلَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً. أَفِي الْجَسَدِ لَسْتُ أَعْلَمُ، أَمْ خَارِجَ الْجَسَدِ لَسْتُ أَعْلَمُ. اللَّهُ يَعْلَمُ. اخْتُطِفَ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»^{١٠٠٩}.

فماذا يقولون الآن؟ هل عرف الرسول ما قد حدث له في الرؤيا، رغم أنه يقول لا أعرف، أو لم يعرف؟ فإن كان لم يعرف فانتبهوا إذاً، لئلا إذ تتعودون على الخطأ تسقطون في مخالفة الفريجيين^{١٠١٠} الذين يقولون إن الأنبياء وخدام الكلمة الآخرين، لا يعرفون ما يفعلونه، ولا ما يكرزون به.

ولكن إن كان الرسول يعرف، حينما قال لا أعرف، لأنه كان قد أخذ المسيح في داخله. الذي يكشف له كل الأشياء أفلا يكون قلب أعداء الله هؤلاء منحرفاً بالحقيقة ومداناً من نفسه؟ لأنه في الوقت الذي يقول الرسول «لا أعرف» يقولون هم أنه يعرف، بينما حينما يقول الرب «لا أعرف» يقولون هم أنه لا يعرف، لأنه إن كان بسبب أن المسيح كان فيه، عرف بولس ما قد قال عنه إنه لا يعرفه. أفلا

^{١٠٠٨} لو: ٢٢: ١٠.

^{١٠٠٩} ٢ كور: ١٢: ٢.

^{١٠١٠} يقصد البدعة التي ظهرت في منطقة فريجية phrygia بأسيا الصغرى، والتي علّم بها أتباع مونتanos Montanos وتسمى Montanism في القرن الثاني الميلادي.



يعرف المسيح نفسه بالأكثر حتى إن قال «لا أعرف»؟ إذاً فبسبب أن الرسول، قد كشف له الرب، فإنه عرف ما رآه، لهذا يقول «أعرف إنساناً في المسيح» ولأنه يعرف هذا الإنسان، فهو يعرف أيضاً كيف أُخْتُطِفَ هذا الإنسان. وهكذا أليشع الذي رأى إيليا عرف أيضاً كيف أُصعد. ولكن رغم أنه عرف، إلا أنه حينما ظن أبناء الأنبياء أن إيليا قد طرحه الروح على أحد الجبال، فأليشع لأنه يعرف من البداية ما قد رآه، حاول أن يقنع هؤلاء الرجال، ولكن لما ألحوا عليه صمت وتركهم يمضون للبحث عنه^{١٠١١}. إذاً ألم يكن أليشع يعرف وبسبب ذلك صمّت؟ هو يعرف بالتأكيد، ولكنه صمت وكأنه لم يكن يعرف، ولذلك تركهم، لكي عندما يقتنعون لا يشكّون بعد ذلك في صعود إيليا. إذاً فبالأكثر جداً بولس نفسه وهو الشخص الذي أُخْتُطِفَ، لابد أنه كان يعرف أيضاً كيف أُخْتُطِفَ، لأن إيليا عرف ولو كان أحد قد سأله، لكان قد أجابه كيف أُصعد. ومع ذلك فبولس يقول «لا أعرف»، لهذين السببين على الأقل: الأول كما قال هو نفسه لثلاثا بسبب كثرة الإعلانات يظن أحد فيه أكثر مما يراه. والسبب الثاني هو أن مخلصنا قد قال «لا أعرف» فيليق به هو أيضاً أن يقول «لا أعرف» لثلاثا يظهر أن العبد أعظم من سيده، والتلميذ أفضل من معلّمه.

٤٨. من ثم فالذي أعطى لبولس أن يعرف، بالأولى جداً أن يعرف هو نفسه. لأنه طالما تكلم عن الأمور التي تسبق اليوم كما سبق أن قلت - فهو يعرف أيضاً متى يكون اليوم ومتى تكون الساعة، ورغم أنه يعرف إلا أنه يقول «ولا الابن يعرف» فلماذا إذاً قال عندئذٍ «لا أعرف» عن الأمر الذي عرفه لكونه هو الرب؟ ولابد للمرء أن يفكر بعمق حتى يصل إلى النتيجة التي تبدو لي واضحة وهي أن الرب قد تكلم هكذا لأجل منفعتنا، وذلك لكي يمنحنا الفهم الحقيقي لكلامه! ويحرص

^{١٠١١} انظر ٢ مل ٢.



المخلص على منفعتنا من الناحيتين^{١٠١٢}، لأنه قد أعلن لنا من ناحية ما سيأتي قبل النهاية، لكي لا نندهش ولا نرتاع. كما قال هو نفسه. حينما تحدثت هذه الأمور، بل تنتظر النهاية التي تأتي بعدها.

ومن جهة اليوم والساعة فهو لم يرد أن يقول «أعرف» بحسب طبيعته الإلهية و«لا أعرف» بحسب الجسد، وذلك بسبب الجسد الذي كان يجهل، كما قلت سابقاً، لئلا يسألوه أكثر، وعندئذ إما أن يحزن التلاميذ بعدم إجابته لهم، وإما أن يجيبهم لأجلنا حيث إن الكلمة صار جسداً لأجلنا أيضاً. لذلك فلأجلنا قال «ولا الابن يعرف» وهو لم يكن غير صادق بقوله هذا (لأنه إنسانياً، كإنسان، قال «لا أعرف»)، ولا سمح للتلاميذ أن يضطروه إلى الكلام، لأنه بقوله «لا أعرف» فقد أوقف تساؤلاتهم. وهكذا كتب في أعمال الرسل، أنه حينما صعد مع الملائكة، فقد صعد كإنسان ورفع معه إلى السماء الجسد الذي اتخذه وقبل أن يرى التلاميذ هذا سألوه أيضاً متى تكون النهاية ومتى تأتي أنت؟ قال لهم بأكثر وضوح «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه»^{١٠١٣}. وعندئذ لم يقل «ولا الابن» كما سبق وقال إنسانياً، بل قال «ليس لكم أن تعرفوا» لأن الجسد عندئذ كان قد قام وخلع عنه الموت وتأله، ولم يعد يليق به أن يجيب حسب الجسد عندما كان منطلقاً إلى السموات، بل أن يعلم بطريقة إلهية أنه: «ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطاته، ولكنكم ستألون قوة»^{١٠١٤}. وأية قوة هي للآب سوى الابن؟ لأن: «المسيح هو قوة الله وكلمة الله»^{١٠١٥}.

^{١٠١٢} يقصد بالناحيتين أنه يعرف من ناحية وأنه لا يعرف من الناحية الأخرى.

^{١٠١٣} أع ١٧: ٧.

^{١٠١٤} أع ١٧: ٨.

^{١٠١٥} ١ كور ٢٤: ٢.



٤٩. إذا فالابن يعرف لكونه الكلمة، فكأنه يقول: أنا أعرف ولكن هذه المعرفة التي أعرفها ليست لكي أعرفكم بها فحينما كنت جالساً على الجبل قلت حسب الجسد « ولا الابن يعرف » وهذا لأجل منفعتكم ومنفعة الجميع. لأنه نافع لكم أن تسمعوا هكذا عن الملائكة وعن الابن، بسبب أولئك المضلين الذين سوف يظهرون كملائكة رغم أنهم شياطين وسيحاولون أن يتكلموا عن النهاية، فلا ينبغي أن تصدقوهم لأنهم لا يعرفون. وأيضاً حتى إن أخفى ضد المسيح نفسه وقال « أنا هو المسيح » وحاول بدوره أن يتكلم عن ذلك اليوم وعن تلك النهاية، لكي يضل السامعين، فأنتم الذين قد سمعتم مني هذه الكلمات: « ولا الابن »، لا تصدقوه أيضاً. ومن جهة أخرى، لأنه ليس نافعاً للناس أن يعرفوا متى تكون النهاية أو متى يكون يوم النهاية، لئلا عندما يعرفون، يصيرون متهاونين في الفترة المتبقية من الزمن، وينتظرون فقط الأيام التي هي قرب النهاية فقط. لذلك أيضاً صمّت الرب ولم يتكلم عن الوقت الذي سيموت فيه كل واحد لئلا عندما يصير الناس منتفخين بسبب المعرفة، فإنهم يهملون أنفسهم طوال الجزء الأكبر من زمانهم. إذا فالكلمة قد أخفى عنا كلاً من نهاية كل الأشياء، ونهاية كل واحد منا (لأن نهاية كل الأشياء هي نهاية لكل واحد ويمكن أن نستنتج من نهاية كل واحد، نهاية كل الأشياء).

لأنه في الواقع حينما يكون الوقت غير معروف، ونحن ننتظره دائماً، فإننا كمدعويين نتقدم يوماً فيوماً، ممتدين إلى ما هو قدام وناسين ما هو وراء^{١٠١٦} لأن من هو الذي عندما يعرف يوم النهاية لا يكون متراخياً خلال تلك الفترة، ولكن إن كان يجهل اليوم أفلا يصير مستعداً كل يوم؟ لهذا السبب أضاف المخلص قائلاً:

^{١٠١٦} انظر في ١٣:٣.



«اسْمُهِرُوا إِذَا لَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي آيَةٍ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ»^{١٠١٧}، وأيضاً «فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ»^{١٠١٨} لذلك فبسبب المنفعة التي تأتي من عدم المعرفة، قال هذا، وهو عندما يقول هذا، فهو يريد أن نكون نحن مستعدين دائماً. فكأنه يقول: بالنسبة لكم أنتم لا تعرفون ولكن أنا الرب، أعرف متى سأتي، رغم أن الآريوسيين لا ينتظرونني، أنا الذي هو كلمة الآب.

٥٠. فالربّ إذًا، لأنه يعرف ما هو نافع لنا أكثر منا، لذلك طمأن التلاميذ، وهم أيضاً إذ علموا هكذا فإنهم صحّحوا موقف أولئك الذين من تسالونيكي حينما كانوا على وشك أن يضّلوا في هذا الأمر^{١٠١٩}. ولكن حيث إن أعداء المسيح لا يتأثرون بهذا الكلام ورغم أنني أعرف أن لهم قلب أكثر قساوة من فرعون فإني أريد أن أسألهم ثانية عن هذا. سأل الله آدم في الفردوس قائلاً: «آدم، أَيْنَ أَنْتَ؟»^{١٠٢٠}. وسأل قايين أيضاً «أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟»^{١٠٢١}. فماذا تقولون إذًا عن هذا الأمر؟ لأنكم إن ظننتم أنه لا يعلم، ولذلك سأل، فإنكم بذلك تتضمنون إلى جماعة المانويين^{١٠٢٢}، لأن هذا هو تفكيرهم المتجاسر. ولكن إن كنتم تخشون أن يطلق عليكم هذا الاسم جهاراً تضطرون أنفسكم للقول إنه يسأل بينما هو يعرف. فأني غرابة إذًا توجد في هذا التعليم إن كان الابن الذي هو كلمة الله هو الذي قد سأل آدم

^{١٠١٧} مت ٢٤: ٤٢.

^{١٠١٨} لوقا ١٢: ٤٠.

^{١٠١٩} انظر ٢ تس ٢: ٢٠.

^{١٠٢٠} تك ٣: ٩.

^{١٠٢١} تك ٤: ٩.

^{١٠٢٢} المانويين هم أتباع ماني ويؤمنون بالمبدأ الثنائي الذي يقول إن العالم تحكمه قوتان متضادتان: قوّة الخير وقوّة الشر — النور والظلام، الله والمادة. وهم يعتقدون أن المسيح صُلب لأن لديه في داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة كما أنهم لا يؤمنون أن المسيح هو الله الذي تجسّد. انظر هامش ٢٢ ص ٣٦ بالفصل ٢٥.



وقايين، هو نفسه الابن وقد لبس الآن جسداً، يسأل التلاميذ كإنسان؟ إلا إذا كنتم قد صرتم بالطبع مانويين وتريدون عندئذ أن تنتقدوا السؤال الذي وجهه الله لأدم^{١٠٢٣} وتعطوا لأنفسكم الفرصة كاملة للانحراف. ولأنكم قد انكشفتم من كل ناحية، فإنكم لا تزالون تتهامسون متذمّرين من كلمات ق. لوقا، التي كُتِبَتْ باستقامة، ولكن أنتم تسيئون فهمها. وما هي هذه الكلمات؟ ينبغي أن نذكرها، لكي يتضح أيضاً المعنى المنحرف الذي أعطيتموه لها.

التقدم في الحكمة والنعمة:

٥١. يقول القديس لوقا «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ»^{١٠٢٤}. هذه إذاً هي الآية، وحيث إنهم عُثِرُوا فيها، فنحن مضطرون أن نسألهم، مثل الفريسيين والصدوقيين، عن الشخص الذي يتكلم عنه لوقا. والسؤال هو هكذا: هل يسوع المسيح هو إنسان مثل كل الناس الآخرين أم هو الله وقد اتخذ جسداً؟

فإن كان إنساناً عادياً مثل باقي الناس، إذاً فهو كإنسان يتقدم. لكن هذا هو مذهب الساموساطي، الذي تعتقدون به أنتم في الحقيقة رغم أنكم تتكرونه بالاسم بسبب الناس، لكن إن كان هو الله وقد اتخذ جسداً، كما هو هكذا بالحقيقة، لأن الكلمة صار جسداً، ولكونه الله الذي نزل على الأرض، فأي نمو أو تقدم يكون لذلك الكائن المساوي لله؟ أو كيف حصل الابن على ازدياد، وهو كائن على الدوام في الآب؟ لأنه إن كان وهو الكائن دائماً في الآب يتقدم، فماذا يكون هناك بعد الآب حتى يأخذ منه تقدّمه؟ ومن المناسب أيضاً أن نكرّر هنا ما

^{١٠٢٣} انظر تكملة ٩:٣.

^{١٠٢٤} لوقا ٢: ٥١.



قلناه عن «كيف يأخذ» و«كيف يتمجد». فإن كان قد تقدّم حينما صار إنساناً، فيكون واضحاً أنه كان غير كامل، قبل أن يصير إنساناً، ويكون الجسد بالنسبة له قد صار بالحري سبباً لكماله، أكثر مما أعطى هو كمالاً للجسد، وأيضاً إن كان وهو الكلمة يتقدّم، فما الذي يمكن أن يصير إليه أكثر من كونه الكلمة والحكمة والابن وقوة الله؟ لأن الكلمة هو كل هذه، التي إن استطاع أحد أن يشترك فيها كأنها شعاع واحد، فإن مثل هذا الإنسان يصير كاملاً تماماً بين الناس، ومساوياً للملائكة. لأن الملائكة ورؤساء الملائكة، والسيادات، وكل القوات والعروش باشتراكهم في الكلمة ينظرون دائماً وجه أبيه. كيف يكون إذاً أن ذلك الذي يُعطي الكمال للآخرين يتقدّم هو نفسه معهم؟ لأن الملائكة خدّموا ولادته البشرية، والآية المأخوذة من لوقا المذكورة أعلاه قد قيلت بعد خدمة الملائكة هذه، فكيف يمكن أن يأتي هذا الفكر بالمرّة للإنسان؟ أو كيف تتقدّم الحكمة في الحكمة؟ أو كيف من يُعطي النعمة للآخرين كما يقول بولس، في كل رسالة، عارفاً أنه بواسطته تُعطى النعمة: «نِعْمَةُ رَبِّنا يَسُوعُ الْمَسِيحُ مَعَ جَمِيعِكُمْ»^{١٠٢٥}، أقول كيف يتقدّم هو في النعمة؟ لأنهم إما أن يقولوا إن الرسول غير صادق، ويتجرأون أن يقولوا إنه ليس هو الحكمة، وإلاّ فإن كان الابن هو الحكمة، كما قال سليمان وكتب بولس «الْمَسِيحُ قُوَّةُ اللَّهِ وَحِكْمَةُ اللَّهِ»^{١٠٢٦} فأى نوع من التقدّم تقبله الحكمة؟

٥٢. فالبشر لأنهم مخلوقات، عندهم القابلية بطريقة ما أن يمتدّوا للأمام وأن يتقدّموا في الفضيلة. فأخنوخ على سبيل المثال هكذا نُقِلَ، وموسى إزداد وصار

^{١٠٢٥} ٢ تس ٣: ١٨.

^{١٠٢٦} ١ كور ١: ٢٤.



كاملاً، واسحق صار عظيمًا بتقدمه^{١٠٢٧}. والرسول قال إنه يمتد يوم فيوماً إلى ما هو قدام، لأن كل واحد له الفرصة للتقدم ناظرًا إلى الدرجة التي أمامه. أما ابن الله، الذي هو واحد ووحيد، فما هي الفرصة التي له ليمتد؟ لأن كل الأشياء تتقدم بتطلعها إليه، وأما هو فلكونه الوحيد، هو في الآب الوحيد الذي لا يمتد منه إلى الأمام، بل هو ثابت فيه إلى الأبد. إذاً فالتقدم هو خاص بالبشر، أما ابن الله حيث إنه غير محتاج لأن يتقدم لكونه كاملاً في الآب فقد أنقص نفسه لأجلنا، لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدم وننمو. وتقدمنا ليس هو شيئاً آخر غير أن نتخلّى عن المحسوسات وأن نصل إلى الكلمة نفسه، حيث إن تواضعه ليس شيئاً آخر سوى اتخاذه لجسدنا. إذاً فالكلمة باعتباره الكلمة، ليس هو الذي تقدم فهو الكامل من الآب الكامل، وهو لا يحتاج شيئاً بل هو يأتي بالآخرين إلى التقدم، ولكن كتب هنا أنه يتقدم إنسانياً، حيث إن التقدم هو خاص بالبشر، ولذا فالإنجيلي وهو يتكلم بدقة وحذر قد ذكر القامة عندما تحدث عن التقدم، ولكن لكونه هو الكلمة وهو الله، فهو لا يقاس بالقامة، التي تخص الأجساد. إذاً فالتقدم هو للجسد، لهذا ففي تقدمه كان ظهور اللاهوت لأولئك الذين رأوه يزداد فيه أيضاً، وكلما كان اللاهوت ينكشف أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس فهو كطفل حُمِلَ إلى الهيكل، وحينما صار صبيّاً بقي هناك في الهيكل وكان يسأل الكهنة حول ما جاء بالناموس. وكان جسده ينمو شيئاً فشيئاً والكلمة كان يُظهر نفسه (في هذا الجسد). لذا اعترف به بطرس أولاً وبعد ذلك الجميع أيضاً قائلين: بالحقيقة هذا هو ابن الله^{١٠٢٨}.

^{١٠٢٧} تك ٢٦: ١٣.

^{١٠٢٨} انظر مت ١٦: ١٦، ٢٧: ٥٤.



ولكن اليهود القدماء والجدد^{١٠٢٩} معاً يتعمّدون إغلاق عيونهم لكي لا يروا أن التقدّم في الحكمة، ليس هو تقدّمًا للحكمة ذاتها، لكن بالحرى هو تقدّم الناسوت في الحكمة لأن يسوع «كان يتقدّم في الحكمة والنعمة»، ولكي نتكلّم بدقة أكثر نقول إنه هو نفسه قد تقدّم لأنه هو «الْحِكْمَةُ بَنَتْ بَيْتَهَا»^{١٠٣٠}، أى جعل بيته يتقدّم في الحكمة.

٥٣. فماذا يكون هذا التقدّم الذي نتحدّث عنه سوى - كما قلت سابقاً - سوى التآليه والنعمة المعطاة من الحكمة للبشر وإبطال الخطية والفساد منهم بحسب مشابھتهم وانتسابهم لجسد الكلمة؛ لأنه هكذا بازدياد الجسد في القامة كان يزداد فيه ظهور اللاهوت أيضاً ويظهر للكل أن الجسد هو هيكل الله. وأن الله كان في الجسد. ولكن إن جادلوا قائلين إن الكلمة الذي صار جسداً^{١٠٣١} دُعي يسوع، ونسبوا له تعبير «يتقدّم» فيجب أن يسمعوأ أنه حتى هذا لا يقلل نور الآب، الذي هو الابن، بل لا يزال يُظهر أن الكلمة صار إنساناً واتخذ جسداً حقيقياً^{١٠٣٢}. وكما قلنا، إنه تألّم بالجسد، وجاع بالجسد، وتعب بالجسد، هكذا يكون معقولاً أيضاً أن يقال إنه تقدّم بالجسد لأن أى تقدّم مثل الذي شرحناه لا يمكن أن يحدث للكلمة بدون الجسد. لأن فيه كان الجسد الذي تقدّم وهو يُدعى جسده، وذلك لكي ما يظلّ تقدّم البشر مستمراً ولا يضعف، بسبب وجود الكلمة في الجسد. إذًا فالتقدّم ليس للكلمة كما أن الجسد لم يكن هو الحكمة، ولكن

^{١٠٢٩} يقصد باليهود الجدد الآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الابن المتجسد مثلما فعل اليهود.

^{١٠٣٠} أم ١:٩.

^{١٠٣١} انظر يوا ١:١٤.

^{١٠٣٢} هنا يعود ق. أنثاسيوس ليؤكد على حقيقة التجسد في مواجهة بدعة الخياليين التي سبق ذكرها. انظر هامش ٢٨ ص ٦٣.



الجسد صار جسد الحكمة. لذلك فكما سبق أن قلنا . ليست الحكمة كحكمة هي التي تقدّمت في ذاتها، ولكن الناسوت هو الذي كان يتقدّم في الحكمة، بأن يرتفع شيئاً فشيئاً فوق الطبيعة البشرية وبأن يتأله ويصير ظاهراً للجميع كأداة الحكمة لأجل عمل اللاهوت وإشراقه. لذلك فالبشير لم يَقُل: «إن الكلمة تقدّم»، لكن «يسوع» وهو الاسم الذي دُعي به الربّ عندما صار إنساناً حتى يكون التقدّم هو للطبيعة البشريّة، مثلما شرحنا قبلاً.

الفصل التاسع والعشرون

شرح نصوص (مت ٢٦: ٣٩، يو ١٢: ٢٧)

«إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس»

«الآن نفسي قد اضطربت»

٥٤ . لذلك فهم يتأرجحون إلى أعلا وإلى أسفل - كما لو كانوا بهذا يعضّدون هرطقتهم من جديد - ويقولون: انظروا ها قد بكى وقال «الآن نفسي قد اضطربت»^{١٠٣٣} وطلب أن تعبر عنه الكأس^{١٠٣٤}، فكيف إذاً إن كان قد تكلم هكذا يكون هو إلهاً وكلمة الآب؟ نعم يا أعداء الله، قد كُتب عنه أنه بكى، وأنه قال اضطربت، وعلى الصليب قال «إلّوي إلّوي، لَمَّا شَبَقْتَنِي، الَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»^{١٠٣٥} وطلب أن تعبر عنه الكأس. حقاً قد كُتب هذا، لكن أود أن أسألكم - لأنه من الضروري أن أرد على كل إعتراضاتكم - إن كان المتكلم هو مجرد إنسان، فهو يبكي ويخاف الموت لكونه إنساناً، ولكن إن كان هو الكلمة في الجسد (لأنه ينبغي أن لا أمل من تكرار هذا) فمِمَّن يخاف وهو الله؟ أو لماذا يخاف الموت؟ وهو نفسه الحياة، وهو الذي حرّر الآخرين من الموت؟

^{١٠٣٣} يو ١٢: ٢٧.

^{١٠٣٤} انظر مت ٢٦: ٣٩.

^{١٠٣٥} مر ١٥: ٣٤.



أَوْ كَيْفَ ، بَيْنَمَا هُوَ يَقُولُ «لَا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ»^{١٠٣٦} هُوَ نَفْسَهُ يَخَافُ؟ وَكَيْفَ وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ «لَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ»^{١٠٣٧} ، وَشَجَّعَ مُوسَى ضِدَّ فِرْعَوْنَ ، وَقَالَ لِابْنِ نُونٍ «تَشَدَّدْ وَتَشَجَّعْ»^{١٠٣٨} ، كَيْفَ يَشْعُرُ هُوَ نَفْسَهُ بِالْخَوْفِ أَمَامَ هِيرُودَسَ وَبِيْلَاطُسَ؟ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَالَّذِي يُعَيِّنُ الْآخَرِينَ ضِدَّ الْخَوْفِ (لِأَنَّ الْكِتَابَ يَقُولُ «الرَّبُّ مَعِي لِي فَلَا أَخَافُ مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ»^{١٠٣٩} هَلْ يَخَافُ هُوَ الْحُكَّامَ وَالْبَشَرَ الْمَائِتِينَ؟ وَالَّذِي جَاءَ هُوَ نَفْسَهُ لِيُبَيِّدَ الْمَوْتَ ، كَيْفَ يَخَافُ مِنَ الْمَوْتِ؟ أَلَا يَكُونُ أَمْرًا غَيْرَ لَاقٍ وَعَدِيمٍ التَّقْوَى أَنْ يُقَالَ عَنْهُ إِنَّهُ يَخَافُ الْمَوْتَ أَوْ الْجَحِيمَ وَهُوَ الَّذِي ارْتَعَدَ مِنْهُ بَوَابُ الْجَحِيمِ حِينَمَا رَأَوْهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كَانَ حَسَبَ رَأْيِكُمْ أَنَّ الْكَلِمَةَ كَانَ خَائِفًا ، فَلِمَاذَا إِذَا هُوَ قَدْ تَكَلَّمَ عَنْ مَكِيدَةِ الْيَهُودِ قَبْلَهَا بِوَقْتٍ طَوِيلٍ ، لَمْ يَهْرَبْ ، بَلْ حِينَمَا جَاءُوا لِلْقَبْضِ عَلَيْهِ قَالَ «أَنَا هُوَ»^{١٠٤٠} .

لِأَنَّهُ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمَوْتَ ، كَمَا قَالَ «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ أَخُذَهَا أَيْضًا»^{١٠٤١} .

٥٥ . لَكِنْ ااعلموا يا أعداء المسيح ، مِثْلَ الْيَهُودِ غَيْرِ الشَّاكِرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْإِنْفِعَالَاتِ لَمْ تَكُنْ مِنْ خِصَائِصِ طَبِيعَةِ الْكَلِمَةِ ؛ بِكَوْنِهِ الْكَلِمَةُ ، بَلْ كَانَتْ مِنْ خِصَائِصِ الْجَسَدِ الَّذِي اتَّخَذَهُ الْكَلِمَةُ .

^{١٠٣٦} لوقا ١٢: ٤ .

^{١٠٣٧} تكملة ٢٦: ٢٤ س .

^{١٠٣٨} يشوع ١: ٦ .

^{١٠٣٩} مزمور ١١٧: ٦ س .

^{١٠٤٠} يوحنا ١٨: ٥ .

^{١٠٤١} يوحنا ١٨: ١٨ .



لأنه بَقُلْ يقل كل هذا قَبْلَ التجسّد ولكن حينما «صار الكلمة جسداً وصار إنساناً»، حينئذٍ كُتِبَ عنه أنه قال هذا، أى قاله إنسانياً. فالذي كُتِبَ عنه هذا، هو الذي أقام لعازر من الأموات، وحَوَّلَ الماء خمرًا، ووهب النظر للمولود أعمى، والذي قال «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»^{١٠٤٢}. إذاً فإن كانوا يجعلون صفاته الإنسانية سبباً ليفكّروا أفكاراً حقيرة عن ابن الله، ويعتبرونه بالكامل إنساناً من الأرض، وليس من السماء، فلماذا لا يعترفون بأنه هو الكلمة الكائن في الآب، من خلال أعماله. ومن ثم يتخلّون عن كفرهم؟

لأنه قد أعطى لهم أن يروا كيف أن الذي يعمل هذه الأعمال هو نفسه الذي أظهر جسده متألماً بسماحه له بالبكاء والجوع، وأن يُظهر الخواص الأخرى للجسد. لأنه بينما بواسطة مثل هذه (الخواص) عُرِفَ أنه قد أخذ جسداً متألماً رغم أنه هو الله غير المتألم، إلّا أنه من هذه الأعمال أظهر نفسه أنه بالفعل هو كلمة الله الذي صار فيما بعد إنساناً وكأنه يقول «رغم أنكم لا تؤمنون بي حيث ترونني مرتدياً جسداً بشرياً، فآمنوا بالأعمال» (لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الْآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ)^{١٠٤٣}. ويبدو لي أن أعداء المسيح لديهم وقاحة كبيرة وتجديف عظيم لأنهم حينما يسمعون القول «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»^{١٠٤٤} فإنهم يشوّهون المعنى بشدة ويفصلون وحدة الآب والابن وحينما يسمعون أنه بكى، وعرق، وتألم لا ينسبون لها جسده بل يحصونه بسببها مع الخليقة وهو الذي به خُلِقَت الخليقة. إذاً في أى شئ يختلف هؤلاء عن اليهود؟^{١٠٤٥} لأنه كما أن

^{١٠٤٢} يو ١٠: ٣٠.

^{١٠٤٣} يو ١٠: ٣٨.

^{١٠٤٤} يو ١٠: ٣٠.

^{١٠٤٥} لهذا السبب، سبق أن أطلق القديس أناسيوس عليهم لقب "اليهود الجدد أو اليهود المعاصرون" انظر فقرة ٨ على سبيل المثال.



اليهود جدّفوا ناسبين أعمال الله إلى بعزبول، هكذا هؤلاء أيضاً، إذ يحصون الرب الذي صنع تلك الأعمال، مع الخلائق، سوف يقع عليهم مع أولئك (اليهود) نفس الحكم بلا رحمة.

٥٦ - إذاً كان ينبغي على هؤلاء عندما يسمعون «أنا والآب واحد» أن يروا فيه وحدة الألوهية وجوهر الآب ذاته، وأيضاً عندما يسمعون أنه «بكى» وما يماثلها، أن يقولوا إن هذه الأمور هي خاصة بالجسد، وبنوع خاص لأن هذه الأمور لها أساس معقول من كل جهة، أي أن الكلمات الأولى كُتِبَتْ عنه بكونه هو الله والأخرى كُتِبَتْ عنه كإنسان لأن خصائص الجسد لا يمكن أن تصير لمن هو بلا جسد لو لم يكن قد أخذ جسداً قابلاً للفساد والموت.

لأن مريم القديسة التي أخذ منها جسده كانت قابلة للموت، لذلك فمن الضروري حينما كان في الجسد أن يعاني، وأن يبكي، وأن يتعب، فهذه الأمور التي تخص الجسد، تُنسب إليه مع الجسد.

ومن ثم فعندما يقال: بكى، واضطرب، لم يكن الكلمة باعتباره الكلمة هو الذي بكى واضطرب، لكن هذه كانت من خصائص الجسد وأيضاً عندما طلب أن تعبر عنه الكأس فلم يكن اللاهوت هو الذي ارتعد، بل إن هذا الإنفعال أيضاً كان خاصاً بناسوته. وأيضاً فكلمات «لماذا تركتني؟»^{١٠٤٦} هي كلماته، بحسب الشرح السابق، رغم أنه لم يتألم بشئ، لأنه الكلمة غير متألم، وهذا ما أعلنه البشيريون. وحيث إن الرب صار إنساناً فهذه الأمور تحدث وتقال كما من إنسان، لكي يُبطل أوجاع الجسد هذه، ويحرّر الجسد منها، لذلك لا يمكن أن الرب يُترك من الآب، وهو كائن دائماً في الآب قبل أن يتكلم، وأثناء نطقه بهذه



الصرخة، وأيضاً ليس من الجائز أن يقال إن الرب كان مرتعداً وهو الذي هرب من أمامه بوابو الجحيم «والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين وظهروا لأهلهم»^{١٠٤٧}.

لذلك ليستد فم كل هرطوقي ولا يتجاسر أن ينسب الخوف للرب، الذي منه يهرب الموت مثل حيّة، والذي منه ترتعد الشياطين، وبه ينزعج البحر وله تشقّ السماوات، وتترزعزع كل القوات لأنه هوذا حينما قال «لماذا تركتني»؟ أظهر أن الآب كان دائماً فيه حتى في تلك اللحظة. لأن الأرض إذ تعرف ربها الذي تكلم ارتعدت في الحال، وانشقّ حجاب الهيكل، واحتجبت الشمس، وتشققت الصخور وتفتحت القبور. كما قلت سابقاً. وقام الأموات الذين كانوا فيها، والمدهش أيضاً أن أولئك الذين كانوا حاضرين عندئذٍ وكانوا ينكرونه قبلاً، بعد أن رأوا هذه الآيات اعترفوا قائلين «حَقًّا كَانَ هَذَا ابْنُ اللَّهِ»^{١٠٤٨}.

٥٧. وعن قوله «إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ»^{١٠٤٩} إعلموا كيف أنه رغم كلامه هكذا فقد انتهر بطرس قائلاً «لَأَنَّكَ لَا تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ»^{١٠٥٠}، لأنه كان يريد هذه الكأس التي طلب أن تعبر عنه، إذ لأجل هذا قد جاء الكلمة إلى العالم. أما الخوف فهو خاص بالجسد، لذلك فقد نطق بهذا الكلام أيضاً كإنسان، ومع ذلك فالأمران معاً قالمها نفس الشخص^{١٠٥١}، لكي يظهر أن مَنْ

^{١٠٤٧} انظر مت ٢٧: ٥٣.

^{١٠٤٨} مت ٢٧: ٥٤.

^{١٠٤٩} مت ٢٦: ٣٩.

^{١٠٥٠} مر ٨: ٣٣.

^{١٠٥١} مرة أخرى يضع ق. أناسيوس أسس التعليم القديم الذي علّمت به الكنيسة فيما بعد على لسان ق. كيرلس فيما يخص طبيعة المسيح (الخرستولوجي). انظر فقرة ٣٥.



أراد وفَعَلَ هو الله. ولكن حينما صار إنساناً، فقد أخذ جسداً يخاف، ولأجل هذا الجسد ربط إرادته الخاصة بالضعف البشري، لكي بإبادته لهذا الضعف، يُعطى للإنسان مرة أخرى أن يكون شجاعاً أمام الموت. يا له من أمر عجيب حقاً فالمسيح الذي يُلصِق به أعداؤه كلمات الخوف، هو نفسه بواسطة ما يسمونه الخوف، جعل الناس شجعاناً وغير خائفين. وهكذا فالرسل الطوباويون من بعده استهانوا بالموت بقوة بسبب كلماته هذه حتى أنهم لم يبالوا بأولئك الذين حاكموهم، بل أجابوا «يُبَغْيِي أَنْ يُطَاعَ اللَّهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ»^{١٠٠٢}. والشهداء القديسون الآخرون كانوا شجعاناً أيضاً، حتى اعتقدوا أنهم كانوا ينتقلون إلى الحياة، أكثر من كونهم يقاسون الموت، أليس إذاً هو أمر في غير محله أن يعجب أحد بشجاعة خدام الكلمة، ومع ذلك يقول إن الكلمة نفسه كان خائفاً، مع أن خدامه قد احتقروا الموت؟ ولكن من العزيمة الصبورة جداً وشجاعة الشهداء القديسين يظهر أن الألوهة لم تكن هي التي تخاف، بل هو خوفنا ذلك الذي نزعه المخلص. لأنه كما أباد الموت بالموت، وبوسائل بشرية أبطل كل ما للإنسان (من ضعفات) هكذا أيضاً بهذا الذي ظهر وكأنه خوف، نزع خوفنا، وأعطى الناس أن لا يعودوا يخافون الموت فيما بعد.

فكلمته وفعله يحدثان معاً، لأنه إنسانياً قد قال «اعبر عني الكأس» و«لماذا تركتني؟» ولأنه هو الله فقد جعل الشمس تحتجب، والموتى يقومون بقوة لاهوته. وأيضاً إنسانياً قال «الآن نفسي قد اضطربت»^{١٠٠٣}. وإلهياً قال «لي سلطان أن أضعها وكلي سلطان أن أخلدها أيضاً»^{١٠٠٤}. فكونه يضطرب فهذا أمر خاص بالجسد، وأن

^{١٠٠٢} أع ٢٩:٥

^{١٠٠٣} يرو ٢٧:١٢

^{١٠٠٤} يرو ١٨:١٠



يكون له سلطان أن يضع نفسه وأن يأخذها أيضاً حينما يريد، فهذا أمر ليس خاصاً بطبيعة البشر، بل بقوة الكلمة. لأن الإنسان لا يموت بسلطانه الخاص بل باضطرار الطبيعة ورغم إرادته. أما الرب، فلأنه هو نفسه غير مائت، ولكن لأنه أخذ جسداً مائتاً، فله السلطان لكونه هو الله، أن يفصل النفس عن الجسد، وأن يعيدها أيضاً، حينما يريد. ودأود يرتل عن هذا قائلاً « لن تترك نفسي في الجحيم، ولا تدع قدوسك يرى فساداً »^{١٠٥}.

لذلك كان يجب أن الجسد الذي كان قابلاً للفساد ألا يبقى فيما بعد مائتاً حسب طبيعته الخاصة، بل بسبب الكلمة الذي اتخذه يبقى غير قابل للفساد. لأنه كما صار هو في جسدنا، وشابه ما لنا، هكذا نحن، إذ نقبله فإننا ننال منه عدم الموت.

٥٨ - إذاً فلا مبرر لهؤلاء الآريوسيين المجانين، فيما يعثرون به مفكرين أفكاراً حقيرة عن الكلمة، بسبب المكتوب، أنه «اضطرب»، و «بكى» لأنهم يظهرون كأن ليس عندهم مشاعر إنسانية، فهم يجهلون طبيعة البشر وخصائصها. التي بها يكون أمراً عجيبياً جداً أن الكلمة يوجد في مثل هذا الجسد المتألم، وهو لم يمنع أولئك الذين تأمروا عليه، ولا انتقم من أولئك الذين صلبوه، رغم أنه يستطيع، وهو الذي منع الموت عن البعض، وأقام البعض من الموت، وجعل جسده الخاص يتألم، لأنه لهذا قد جاء، كما قلت سابقاً، لكي إذ يتألم في الجسد، يجعل الجسد من الآن فصاعداً غير متألم وغير مائت، ولكي، كما قلنا مرّات عديدة، إنه جعل الأوجاع والأمور الأخرى تأتي عليه هو ولا تصيب الناس فيما بعد، إذا تكون قد أبيت تماماً بواسطته، ويبقى الناس على الدوام غير قابلين للفساد كهيكل



للكلمة. فلو أن أعداء المسيح تفكّروا في هذه الأمور وعرفوا التعليم الكنسي كمرساة للإيمان لما انكسرت بهم سفينة الإيمان^{١٠٥٦}، ولما كانوا هكذا عديمي الحياء لدرجة أنهم يقاومون أولئك الذين يريدون أن يخلصوهم من سقطتهم، ويحسبون أولئك الذين ينصحوهم بالتقوى كأعداء لهم.

ولكن كما يبدو، فإن الهرطوقي هو حقيقةً إنسان خبيث، وقلبه منحرف من كل ناحية إلى الكفر، فرغم فضحهم في كل النقاط، وإظهارهم أنهم محرومون من الفهم تماماً، فإنهم لا يشعرون بأي خجل، بل مثل (الإيدرا) أى منبع الوحش في الأسطورة اليونانية، أنه حينما تموت الحيات السابقة، فالمنبع يلد حيات جديدة، يحارب بها الذي أهلك الحيات القديمة. هكذا أيضاً محاربو الله والكارهون له هم مثل (الإيدرا) أى منبع الوحش، حينما تسقط اعتراضاتهم التي يقدمونها، فهم يخترعون لأنفسهم أسئلة أخرى يهودية وغيبية، وحيل جديدة كما لو أن الحق هو عدوهم، مظهرين بذلك بالأحرى أنهم أعداء المسيح في كل شيء.

^{١٠٥٦} انظر اتيما ١٩٠:١.

الفصل الثلاثون

تكملة الاعتراضات والرد عليها

٥٩. وبعد هذه البراهين الكثيرة ضدهم، والتي يخجل منها حتى الشيطان نفسه الذي هو أبوهم ويتراجع، فإنهم بسبب قلبهم المعوج يدممون باعتراضات أخرى، أحياناً بالهمس وأحياناً أخرى بضوضاء كطنين البعوض. فهم يقولون لنا: لحتى إن فسّرتم هذه الآيات هكذا وانتصرتم في الأفكار والبراهين، لكن يجب أن تقولوا إن الابن قد أخذ وجوده بمشيئة الآب ومسّرته لأنهم بتقديمهم لمشيئة الله ومسّره هكذا يخدعون كثيرين. والآن لو أن أى واحد ممّن يؤمن باستقامة قال هذا ببساطة لما كان هناك سبب للشك في هذا التعبير، لأن القصد المستقيم يكون مهيمناً على استعمال الكلمات، ولكن حيث إن هذا التعبير هو من الهرطقة، فإن كلمات الهرطقة هي موضع شك ما، كما هو مكتوب «تداير الأشرار غاشة وكلامهم خداع»^{١٠٥٧}، حتى لو استعملوا الإشارات^{١٠٥٨} فقط، ولأن لهم قلباً معوجاً فدعونا نفحص قولهم هذا أيضاً. لئلا برغم توبيخهم من كل جهة لا يزالون - مثل نبع الوحوش - ي اخترعون كلمة جديدة، ويمثل هذا الأسلوب الجذاب والمراوغة الخادعة يبذرون أيضاً كفرهم ذلك بطريقة أخرى، لأن هذا الذي يقول: «إن الابن جاء إلى الوجود بالإرادة الإلهية»، يقصد نفس المعنى مثل الآخر الذي يقول: «إنه كان هناك وقت لم يكن الابن فيه موجوداً»، وأيضاً «إن الابن خلّق من العدم»،

^{١٠٥٧} أم ١٢: ٥-٦ س.

^{١٠٥٨} يقصد القديس أثناسيوس أنهم حتى لو لم يصرّحوا بأفكارهم بالكلام واستعملوا الإشارات فقط للتعبير.



وأيضاً «هو مخلوق». ولكن حيث إنهم يخلطون الآن من هذه الأقوال، فإن هؤلاء الماكرين قد حاولوا أن يوصلوا معنى هذه الأقوال بطريقة أخرى، مقدّمين لفظ «المشيئة» مثل حبار^{١٠٥٩} يخفون أفكارهم السوداء، وبذلك يخدعون البسطاء مع أن هؤلاء الهراطقة يحتفظون في أذهانهم ببدعتهم الخاصة لأنه أين وجدوا الألفاظ «بالمشيئة» و «المسرة»، أو في أي سفر قرأوا مثل هذه التعبيرات؟

فليقل لنا هؤلاء الذين هم موضع شك كبير في كلماتهم وهم يخترعون الكفر بقوة. لأن الآب الذي كشف كلمته من السماء أعلن: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»^{١٠٦٠}. وهو الذي قال بواسطة داود «نطق قلبي بكلمة صالحة»^{١٠٦١} وأوصى يوحنا أن يقول «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ»^{١٠٦٢}. ويقول داود في المزمور «عندك ينبوع الحياة، وبنورك نعاين النور»^{١٠٦٣}. ويكتب الرسول «الَّذِي، وَهُوَ بِهِاءٌ مَجْدِهِ»^{١٠٦٤} وأيضاً «الذي إذ كان في صورة الله»^{١٠٦٥} وأيضاً «الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ»^{١٠٦٦}.

٦٠. الجميع في كل مكان يخبروننا عن وجود الكلمة، ولكن لا أحد يخبرنا عن وجوده بالمشيئة ولا عن خلقه بالمرّة، ولكني أتساءل أين وجد هؤلاء «المشيئة» أو

^{١٠٥٩} الحبار حيوان بحري هلامي يمكن أن يأخذ لون الموضع الذي يوجد فيه. ويستخدم القديس أناسيوس هذا التشبيه لتوضيح خداعهم.

^{١٠٦٠} مت ١٧: ٣.

^{١٠٦١} مز ٤٤: ١ س.

^{١٠٦٢} يو ١: ١.

^{١٠٦٣} مز ٩: ٣ س.

^{١٠٦٤} عب ١: ٣.

^{١٠٦٥} في ٢: ٦.

^{١٠٦٦} كوا ١: ١٥.



«المسرة» سابقة على كلمة الله، إلا إذا كانوا قد تركوا الكتب المقدسة، وتمثلوا بانحراف فالانتينوس^{١٠٦٧}؟ لأن بطليموس الفالانتيني زعم أن الله غير المولود، له صفتان هما «الفكر» و «الإرادة»، فهو قد فكّر أولاً ثم أراد فيما بعد. وما فكّر فيه لم يستطع أن يقدمه إلا حينما صارت له قوة الإرادة. ولقد تعلّم الآريوسيون من هذا، جاعلين الفكر والإرادة يسبقان الكلمة. فبالنسبة لهم إذا دعهم ينافسون تعليم فالانتينوس. أما نحن فحينما نقرأ الكتب المقدسة بيقظة فإننا نجد عبارة «كان» تطلق على الابن، وعنه فقط سمعنا أنه كائن في الآب، وأنه صورة الآب. أما في حالة المخلوقات وحدها فقد عرفنا أن الفكر والإرادة سابقة عليها. حيث إنها بالطبيعة كانت غير موجودة في وقت ما ثم وجدت فيما بعد، فداود يرتل في المزمور ١١٣ قائلاً: «أما إلها فقد صنع في السماء وعلى الأرض كل ما أَرَادَهُ»^{١٠٦٨} وفي المزمور ١١٠ «عظيمة هي أعمال الرب مطلوبة حسب كل إرادته»^{١٠٦٩}، وأيضاً في المزمور ١٣٤ «كل ما شاء الرب، صنع في السموات وفي الأرض، في البحار وفي كل اللجج»^{١٠٧٠}. إذا فإن كان الابن مصنوعاً أو شيئاً مخلوقاً، وواحداً بين كثيرين، فيمكن أن يقال عنه كالأخرين إنه صار «بالإرادة». فالكتاب يوضح أن هذه المخلوقات، هكذا أتت إلى الوجود. وأستيريوس^{١٠٧١} المدافع عن هذه البدعة، يقبل هذا، إذ يكتب هكذا «لأنه إما أن يكون من غير اللائق بالنسبة للخالق أن

^{١٠٦٧} فلانتينوس هو أستاذ مصري علّم أولاً في الأسكندرية ثم وسّع مجال تعليمه فذهب إلى روما حيث أسس هناك مدرسة حوالي ١٥٠م ولما حُرِمَ من الكنيسة أنشأ جماعة خاصة مستقلة. وله عدّة كتب ورسائل وأناشيد، ولكن لم يبق منها غير القليل، وهو أحد المراطقة الغنوسيين المشهورين.

^{١٠٦٨} مز ١١٣: ١١س.

^{١٠٦٩} مز ١١٠: ٢س.

^{١٠٧٠} مز ١٣٤: ٦س.

^{١٠٧١} انظر فقرة رقم ٢ في الفصل الثالث والعشرين والهامش التابع لها عن فكر استيريوس.



«يشاء» ثم بعد ذلك «يفعل»، وبالتالي يجب أن يقال إنه «يشاء» فقط وحينئذٍ يجب أن ينسحب هذا على كل الخلائق حتى تُحفظ لله عظمته. أو أن يكون من اللائق به أن «يشاء» أولاً ثم «يفعل» بعد ذلك بالتالي يجب أن ينسحب هذا على أول وأفضل من ولده لأنه بالتأكيد من المستحيل أن يكون لائقاً بنفس الإله الواحد أن يصنع أشياء بإرادته، وفي نفس الوقت يصنع أشياء أخرى «بغير إرادته».

فالفلسفائي قدّم كمبراً عظيماً بقوله إن المولود والمخلوق هما نفس الشيء، وأن الابن هو مولود واحد بين كل المولدات الموجودة وانتهى إلى النتيجة أنه من اللائق أن يقال إن المخلوقات توجد بالفكر والإرادة.

٦١. لذلك، فإن كان الابن هو آخر يختلف عن كل الأشياء المخلوقة - كما قد أوضحنا أعلاه، وبالحري صارت كل الأشياء بواسطته، إذًا فلا ينبغي أن يقال تعبير «بالمشيئة» لوصف طريقة ولادته، وإلا فإنه يكون قد أتى إلى الوجود مثل الأشياء التي صارت بواسطته. فبولس، الذي لم يكن رسولاً من قبل، صار فيما بعد رسولاً «بمشيئة الله»^{١٠٧٢}. ودعوتنا نحن أيضاً هذه هي نفسها لم تكن موجودة في وقت ما، ولكنها الآن قد صارت وهي مسبقة بالمشيئة، كما يقول بولس نفسه أيضاً إنها صارت «بحسب مسرة مشيئته»^{١٠٧٣}. وما كتبه موسى «ليكن نور» ولتظهر اليايسة»، «لنعمل الإنسان»^{١٠٧٤}، أظن، بحسب ما قلناه قبلاً إنه يدل على مشيئة الخالق، لأن الأشياء التي لم تكن موجودة قبلاً بل صارت فيما بعد من أسباب خارجة عنها، هذه يعملها الخالق بمشورته، أما كلمته الذاتي المولود منه بالطبيعة، فهو لا يفكر في ولادته لأن الآب يخلق كل الأشياء الأخرى التي يشاء أن

^{١٠٧٢} انظر ١ كور ١: ١٠.

^{١٠٧٣} أف ١: ٥٠.

^{١٠٧٤} انظر تك ١: ٣، ١١، ٢٦.



يخلقها من خلال الابن، مثلما علّم أيضاً يعقوب الرسول قائلاً «شاء فولدنا بكلمة الحق»^{١٠٧٥}. لذلك فمشيئة الله بخصوص كل الأشياء - سواء تلك التي وُلدت مرةً أخرى أو التي أُوجدت لأول مرة - هي في كلمته الذي فيه يصنع ويلد ثانية، ما يبدو صواباً عنده، كما يكتب أيضاً الرسول إلى تسالونيكي «لأنّ هنّ هِي مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ»^{١٠٧٦}. فإن كانت إرادة الله هي في مَنْ بواسطته قد خُلِق كل شيء (أى الكلمة)، فمن الواضح أن إرادة الله أيضاً هي في المسيح (الكلمة المتجسّد)، فكيف يكون من الممكن أن يكون قد أتى إلى الوجود (في الزمن) بمشيئة وإرادة الله مثل كل المخلوقات؟ لأنه إن كان هو أيضاً قد أتى إلى الوجود بالمشيئة كما تدّعون، فيتبع ذلك أن مشيئة الله ستكون في كلمة آخر يأتي إلى الوجود حسب مشيئة الله، لأننا أوضحنا أن مشيئة الله ليست في الأشياء التي يخلقها، بل هي في هذا (الكلمة) الذي بواسطته وفيه تأتي كل الأشياء المخلوقة إلى الوجود. وبالإضافة إلى ذلك القول، كان الكلمة هو ابن «بالمشيئة»، له نفس معنى القول إنه «كان وقت لم يكن هو موجوداً». إذاً فليكتفوا بقولهم عنه أنه «كان وقت لم يكن هو موجوداً»، لكي يخلّجوا عندما يدركون أن المقصود بهذا هو الأزمنة، ويفهموا أنهم عندما يقولون «بالمشيئة» إنما يضعون الأزمنة قبل الابن لأن المشيئة تسبق الأشياء التي لم تكن موجودة من قبل، كما في حالة كل المخلوقات. ولكن إن كان الكلمة هو خالق المخلوقات. وهو كائن مع الآب، كيف يمكن أن تسبق المشيئة الكائن الأزليّ كما لو لم يكن موجوداً؟ لأنه لو كانت المشيئة سابقة عليه إذاً فكيف خُلقت كل الأشياء بواسطته؟ لأنه بالحرى سيكون هو أيضاً كواحد بين الآخرين، مولوداً ليكون ابناً بالمشيئة،

^{١٠٧٥} يع ١: ١٨.

^{١٠٧٦} ١ تس ٥: ١٨.



كما صرنا نحن أيضاً أبناء بكلمة الحق. وبالتالي فكما قلنا، يلزم البحث عن كلمة آخر، وُجد هو أيضاً بواسطة ووُلدَ مع كل الأشياء التي صارت بحسب مسرة الله.

٦٢. إذاً لو كان هناك كلمة آخر لله، يكون الابن قد وُجدَ بكلمة، ولكن إن لم يكن هناك كلمة آخر (وهذه هي الحقيقة)، ولكن كل الأشياء التي شاء الآب أن توجد قد وُجدت بواسطة، أفلا يكشف هذا الخبث الشديد الذي لهؤلاء الناس؟ فمع أنهم يشعرون بالخبث من القول إنه «مصنوع» وإنه «خليقة» وإن كلمة الله لم يكن موجوداً قبل أن يولد إلا أنهم يؤكدون بطريقة أخرى أنه مخلوق، ويروِّجون للفظ «المشيئة» ويقولون لو لم يكن قد أتى إلى الوجود بالمشيئة، فيكون الله قد وُلد الابن عن اضطرار وضد مسرته فَمَنْ هو إذاً ذاك الذي يفرض الاضطرار على الله، أيها المملوؤن خبثاً، الذين تحرّفون كل شئ لخدمة هرطقتكم؟ لأنه كما أن الذي هو مختلف في الرأي هو ضد المشيئة، هكذا فإن مَنْ هو بحسب الطبيعة يفوق المشيئة، ويسبقها. فالإنسان يمكن أن، يبني منزلاً بواسطة المشيئة ولكنه يلد ابناً بحسب الطبيعة. والمنزل الذي يبنيه الإنسان هو خارج عنه وهو قد بنى نتيجة الفكر، أما الابن فهو مولود من جوهر الوالد نفسه وليس خارجاً عنه. لهذا فهو لا يفكر في وجود ابنه «بالمشيئة» لئلا يبدو أنه هو نفسه موجود «بالمشيئة». إذاً فبقدر ما يعلو الابن عن الخليقة، كذلك يعلو ما هو بالطبيعة على ما هو بالمشيئة. وينبغي على هؤلاء، حينما يسمعون عنه ألا يقيسوا ما هو بالطبيعة بمقياس المشيئة. وهؤلاء إذ ينسون أنهم يسمعون عن ابن الله، فهم يتجاسرون أن يطبقوا اعتراضات بشرية على الله مثل (الضرورة) و (اختلاف الرأي)، لكي يمكنهم بذلك أن ينكروا أنه يوجد ابن حقيقي لله. لكن هؤلاء يجابوننا ويقولون، هل كَوْنُ الله صالحاً ورحيماً، هل هذا يتصل به بواسطة المشيئة أم لا؟ فإن كان بواسطة المشيئة، فينبغي أن نفكر، أنه بدأ أن يصير



صالحاً وأنه كان هناك احتمال بالآ يكون صالحاً، لأن المشيئة والاختيار يعنيان وجود ميل نحو كل من الطرفين، وهذا الميل يخص، الطبيعة العاقلة. ولكن إن كان من غير المقبول تماماً أنه ينبغي أن يسمى صالحاً ورحيماً بالمشيئة، إذاً فليسمعوا هذا الذي قد قالوه هم أنفسهم، لذلك فهو صالح عن الاضطراب وليس بالمشيئة. وأيضاً مَنْ هو الذي يفرض هذا الاضطراب عليه؟ ولكن إن كان من غير المقبول أن نتكلم عن وجود الاضطراب في حالة الله، إذ هو صالح بالطبيعة، فبالأولى جداً وبالحقيقة تماماً يكون الآب أباً للابن بالطبيعة وليس بالمشيئة.

٦٣. ودعهم يجيبوننا على هذا أيضاً (لأنني بسبب عدم حياتهم أريد أن أطرح عليهم سؤالاً آخر، أكثر جراءة ولكن بهدف التقوى، فلتسامحني يا رب). هل الآب نفسه شاء أولاً قبل أن يوجد ثم بعد أن شاء وُجد أم أنه كان موجوداً قبل أن يشاء؟

فحيث إنهم متجاسرون إلى هذه الدرجة في كلامهم عن الكلمة، لذلك ينبغي أن يسمعوا جواباً مماثلاً لكي يعرفوا أن وقاحتهم هذه تصل حتى إلى الآب نفسه.

إذاً فإن كانوا سيفكرون هم أنفسهم بخصوص المشيئة ويقولون إنه حتى الآب هو من المشيئة، فماذا كان هو إذاً قبل أن يشاء، أو ما هو الذي اقتناه أكثر - كما تظنون - بعد أن شاء؟

ولكن إن كان مثل هذا السؤال غير لائق وضار ويصدم السامع بمجرد ذكره (لأنه يكفي فقط أن نسمع اسم الله لنعرف ونفهم أنه هو الكائن الذي يكون)، ألا يكون ضد العقل أيضاً أن يفكر أحد بمثل هذه الأفكار عن كلمة الله، ويقدم إدعاءات بخصوص الإرادة والمسرة؟ لأنه يكفي بالمثل أن نسمع فقط اسم الكلمة، لكي نعرف ونفهم أن ذاك الذي هو الله بغير المشيئة، له كلمته الذاتي بالطبيعة وليس بالمشيئة. وكيف لا يكون أمراً يتجاوز كل جنون أن يفكر الإنسان أن الله الذي يشاء ويعتبر ويختار وله مسرة صالحة، هو بدون كلمة وبدون حكمة، وهو الذي له كليهما؟ ذلك لأنه يبدو أنه يفكر عن نفسه، ويشاء من



جهة ما هو خاص بجوهره. إذًا فلأنه يوجد تجديد كثير في مثل هذا الفكر، فيكون من التقوى أن نقول، إن الأشياء المخلوقة قد وُجدت «بالمسرة» و «المشيئة»، أما الابن فلم يوجد بالمشيئة ولم يصير بعدها كالخليقة، بل هو بالطبيعة المولود الذاتي لجوهر الله. لأنه لكونه كلمة الآب الذاتي، فهو لا يسمح لنا أن نحسب إن المشيئة سابقة عليه هو، إذ أنه هو نفسه مشورة الآب الحيّة، وهو القوّة، وهو خالق الأشياء التي استحسنها الآب. وهذا ما يقوله عن نفسه في الأمثال «لي المشورة والأمان، لي الفهم، لي القدرة»^{١٠٧٧}. لأنه رغم أنه هو نفسه الفهم الذي به هيأ السموات^{١٠٧٨} وهو نفسه القدرة والقوّة «المسيح قوّة الله وحكمته الله»^{١٠٧٩}، فهو هنا قد غيّر الألفاظ وقال لي الفهم، ولي القدرة. هكذا بينما هو يقول «لي المشورة» فيجب أن يكون هو نفسه مشورة الآب الحيّة، كما قد تعلّمنا من النبي أيضاً أنه يصير «ملاك المشورة العظمى»^{١٠٨٠}، ودُعي مسرة الآب الصالحة لأنه هكذا ينبغي أن ندحضهم، طالما هم يفكرون أفكاراً بشرية عن الله.

٦٤. لذلك إن كانت المصنوعات قد صارت «بالمشيئة والمسرة» وكل الخليقة خُلقت بالمشيئة، وبولس دُعي ليكون رسولاً «بمشيئة الله»^{١٠٨١}. ودعوتنا قد صارت بالمسرة والمشيئة^{١٠٨٢}، وكل الأشياء قد أتت إلى الوجود بالكلمة. إذًا فهو خارج عن كل الموجودات التي قد وُجدت بالمشيئة بل بالحرى هو نفسه مشورة الآب الحيّة،

^{١٠٧٧} أم ٨: ٤ س.

^{١٠٧٨} انظر أم ٣: ١٩.

^{١٠٧٩} ١ كو ١: ٢٤.

^{١٠٨٠} انظر إش ٩: ٦ س.

^{١٠٨١} انظر ١ تيمو ١: ١٠.

^{١٠٨٢} انظر أف ١: ٥٠.



والتي بها قد صارت كل هذه الأشياء، والذي به أيضاً يقدم داود تشكرات في المزمور الثاني والسبعين قائلاً: «أمسكت بيدي اليمنى وبمشورتك تهديني»^{١٠٨٣}. كيف يمكن إذاً أن الكلمة الذي هو مشورة الآب ومسرته يوجد هو نفسه «بالمسرة والمشيئة» مثل كل الآخرين؟ إلا إذا كانوا كما قلت سابقاً، يكررون في جنونهم، أنه قد أتى إلى الوجود بواسطة نفسه أو بواسطة واحد آخر. فمن هو إذاً ذاك الذي بواسطته قد أتى هو إلى الوجود؟ دعهم يخترعون كلمة آخر، ودعهم يسمون مسيحاً آخر منافسين تعليم فالانتيوس، لأن الكتاب ليس فيه هذا التعليم بتاتاً. وحتى إذا اخترعوا آخرًا، فبالتأكيد يأتي هذا الآخر أيضاً إلى الوجود بواسطة واحد آخر، وهكذا. وبينما نحن نحسب هكذا ونبحث في تتابع هؤلاء (الذين يخترعونهم)، فإن الهرطقة ذات الرؤوس المتعددة التي للكفار تتضح أنها تؤدي إلى تعدد الآلهة وإلى جنون لا حدود له، التي فيها إذ يرغبون أن يكون الابن مخلوقاً وأنه يوجد من العدم، فإنهم يعنون نفس الشيء بكلمات أخرى، باستعمال تعبير المشيئة والمسرة، والتي تخص بصواب الأشياء الصائرة والمخلوقة. ألا يكون إذاً من عدم التقوى أن تُنسب خصائص هذه المخلوقات إلى خالق الكل؟ أليس تجديفاً أن يقال إن المشيئة كانت في الآب قبل الكلمة؟ لأنه لو كانت المشيئة سابقة في الآب، لن تكون كلمات الابن حقيقية في قوله «أنا في الآب»^{١٠٨٤}، أو حتى لو كان هو في الآب، فإنه مع ذلك يشغل المكان الثاني فقط، ولم يكن يحق له أن يقول «أنا في الآب» حيث إن المشيئة وجدت قبله، والتي بها أتت كل الأشياء إلى الوجود، وهو نفسه وجد بها حسبما تعتقدون. لأنه رغم كونه فائقاً في المجد، إلا أنه ليس هو أصغر واحد من الأشياء التي وجدت بالمشيئة. وكما قد قلنا قبلاً لو كان الأمر

^{١٠٨٣} مز ٧٢: ٢٣-٢٤ س.

^{١٠٨٤} يو ١٠: ١٤.



هكذا ، كيف يكون هو الرب وهم يكونون العبيد؟ ولكنه هو رب الكل لأنه واحد مع الآب في الربوبية ، والخلقية كلها خاضعة له ، حيث إنها خارجة عن الآب الواحد ، وبينما كانت في وقت ما غير موجودة فقد أتت إلى الوجود فيما بعد .

٦٥- وأيضاً إن كانوا يقولون إن الابن وُجدَ بالمشيئة ، فيجب أن يقولوا أيضاً إنه وُجدَ بالفهم ، لأنني أعتبر أن الفكر والمشيئة شئ واحد ولأن ما يشاءه احد هو دائماً ما يفكر فيه أيضاً . والأمر الذي يفكر فيه فهذا هو ما يشاؤه أيضاً . ولذلك فالمخلص نفسه قد جمعهما معاً كشقيقتين حينما قال «لي المشورة والأمان ، لي الفهم ، لي القدرة»^{١٠٨٥} . فالآن القدرة والأمان هما نفس الشئ (لأنهما يعنيان صفة واحدة) ، هكذا يمكن ان نقول إن الفهم والمشورة هما نفس الشئ ، الذي هو الرب . لكن هؤلاء الكفار لا يريدون أن يكون الابن هو الكلمة والمشورة الحية بل ينحرفون بقولهم عن الله إن الفهم والمشورة والحكمة هي حالات ، أحياناً تحدث له وأحياناً أخرى لا تحدث بحسب الطريقة البشرية . ويعملون كل شئ عارضين «الفكر» و «المشيئة» اللذين عند فالانتينوس ، لكي يفصلوا الابن عن الآب ، ويدعونه مخلوقاً بدلاً من أن يكون هو ابن الآب الذاتي . وليسمعوا إذًا ما سمعه سيمون الساحر^{١٠٨٦} : كفر فالانتينوس ليكون معك للهلاك . أو ليصدق كل واحد بالحرى سليمان الذي يقول إن الكلمة هو الحكمة والفهم ، لأنه يقول «الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الْأَرْضَ . أُثْبِتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ»^{١٠٨٧} . وهكذا بالفهم هنا ، كما هو في المزامير : «بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ»^{١٠٨٨} . وكما صنع السموات بالكلمة

^{١٠٨٥} أم ٨: ١٤ س .

^{١٠٨٦} انظر أع ٢٠: ٣٠ .

^{١٠٨٧} أم ٣: ١٩ .

^{١٠٨٨} مز ٣٣: ٦ .



«هكذا كل ما شاء صنع»^{١٠٨٩}. وكما يكتب الرسول إلى التسالونيكين «مشيئة الله في المسيح يسوع»^{١٠٩٠} إذاً فابن الله هو «الكلمة» و «الحكمة»، هو «الفهم» و «المشورة الحية» ومسرة الآب هي فيه وهو حق الآب ونوره وقوته.

لكن إن كانت مشيئة الآب هي الحكمة والفهم، والابن هو الحكمة إذاً فالذي يقول إن الابن وُجدَ بالمشيئة فهو في الواقع يقول إن الحكمة قد أتت إلى الوجود بالحكمة، والابن قد أوجدَ بابن والكلمة خلق بواسطة كلمة. وهذا يتناقض مع الله وهو عكس ما جاء عنه في الكتب المقدسة لأن الرسول يكرز بالابن انه ليس شعاع مشيئة الآب وصورتها بل شعاع جوهره ورسمه نفسه، قائلاً: «الذي، وَهُوَ بِهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»^{١٠٩١}. ولكن إن كان - كما سبق أن قلنا - جوهر الآب وكيانه ليس من المشيئة، فمن الواضح جداً أن ما هو خاص بكيان الآب ليس من المشيئة، لأنه كما يكون الكيان الطوباوي هكذا ينبغي أن يكون أيضاً المولود الذاتي منه. وتبعاً لذلك فالآب نفسه لم يقل هذا هو ابني الذي وجد بمشيئتي ولا قال «الابن الذي اقتنيته بمسرتي» لكن قال ببساطة ابني، وأضاف على ذلك «الذي به سررت»^{١٠٩٢}. ويعني بهذا، أنه هو الابن بالطبيعة، وفيه توجد مشيئتي بخصوص الأشياء التي أسرَّ بها.

٦٦. إذاً حيث إن الابن هو بالطبيعة وليس بالمشيئة، فهل هو كائن بدون مسرة الآب وبدون مشيئة الآب؟ كلا بالتأكيد، بل الابن هو بمسرة الآب، وكما يقول

^{١٠٨٩} انظر مز ١٣: ٦.

^{١٠٩٠} أف ١٨: ٥.

^{١٠٩١} عب ٣: ١.

^{١٠٩٢} مت ١٧: ٣.



هو نفسه، «الآب يحب الابن، ويُريه جميع ما هو يعمل»^{١٠٩٣}، لأنه لم يبتدئ أن يكون صالحاً من المشيئة، ولا هو أيضاً صالح بدون المشيئة والمسرة. لأن ما يكون عليه بطبيعته فذلك أيضاً هو مسرته. هكذا أيضاً ينبغي أن يكون الابن، ورغم أنه لم يوجد «من المشيئة» إلا أنه ليس بدون مسرته، ولا ضد رأيه.

فلأن كيانه الذاتي هو بمسرته، هكذا أيضاً الابن إذ هو من ذات جوهره فهو ليس بدون مسرته. إذاً فليكن الابن هو موضوع مسرة الآب وحب، وهكذا فليفكر كل واحد بتقوى في مسرة الله ومشيئته لأنه بتلك المسرة التي بها الابن هو موضوع مسرة الآب، يكون الآب هو موضوع محبة الابن ومسرته وإكرامه. والمسرة التي من الآب في الابن هي واحدة، حتى أننا هنا أيضاً يمكننا أن نرى الابن في الآب، والآب في الابن. إذاً فلا يُقدّم أحد مع فالانتيونوس من الآن فصاعداً مشيئة سابقة ولا يُقحم أحد نفسه باستخدام هذه المشيئة في الوسط بين الآب الوحيد والكلمة الوحيد. لأنه من الجنون أن توضع المشيئة والرأي بين الآب والابن. فأن يقال «إنه صار إلى الوجود من المشيئة» هذا يختلف عن أن يقال «إن الآب يحب ابنه ويُسرّ به، الذي هو من ذاته بالطبيعة».

لأن القول إنه «صار إلى الوجود بالمشيئة» يعني أولاً أنه في وقت ما لم يكن موجوداً ثم وجد. ويعني ثانياً أن هناك - كما سبق القول - ميلاً في اتجاهين، حتى يمكن للمرء أن يفترض أن الآب كان يستطيع حتى أن لا يريد وجود الابن. ولكن أن يقال عن الابن إنه «يمكن ألا يكون قد وُجد» فهذا إدعاء كفري يصل حتى إلى جوهر الآب، كما لو كان أن مَنْ هو خاصته، لم يكن موجوداً. هذا هو نفس القول بأن «الآب يمكن أن لا يكون صالحاً» وبما أن الآب هو صالح دائماً

^{١٠٩٣} انظر يرو ٢٠:٢٠.



بالطبيعة، هكذا فهو دائماً يلد بالطبيعة. والقول بأن «الابن هو مسرّة الآب» و «الكلمة هو مسرّة الآب»، لا يعني هذا وجود مشيئة سابقة، بل يعني إصالة الطبيعة، وخصوصية الجوهر وتماتله. لأنه كما يمكن أن يقول أحد في حالة الشعاع والنور، إنه ليست هناك في النور مشيئة سابقة على الشعاع، بل هو مولود النور الطبيعي بمسرة النور الذي ولده، وليس بالمشيئة والرأي بل بالطبيعة والحق، هكذا أيضاً في حالة الآب والابن، فيمكن أن نقول بصواب، إن الآب يحب الابن ويُسرّ به، والابن يحب الآب ويُسرّ به.

٦٧. لذلك فلا تدعو الابن أنه عمل المشيئة ولا تُدخلوا تعليم فالانتيوس إلى الكنيسة، بل أن الابن هو المشيئة الحيّة، والمولود بالحق والطبيعة، كالشعاع من النور. لأنه هكذا قد تكلم الآب «نطق قلبي بكلمة صالحة»^{١٠٩٤}، وهكذا الابن بالمثل قال «أنا في الآب والآب في»^{١٠٩٥}. لكن إن كان الكلمة في القلب، فأين المشيئة؟ وإن كان الابن في الآب، فأين المسرّة؟ وإن كان هو نفسه المشيئة فكيف تكون المشورة في المشيئة؟ وهذا غير مقبول لئلا يأتي الكلمة إلى الوجود بكلمة، والابن بابن والحكمة بحكمة، كما سبق وقلنا مراراً. لأن الابن هو كل ما يخص الآب، ولم يكن شئ في الآب قبل الكلمة، لكن المشيئة هي في الكلمة أيضاً وبواسطته تتحقّق كل أغراض المشيئة، كما قد أوضّحت الكتب المقدسة، وأرغب في أن الجاحدين. إذ قد سقطوا في مثل عدم الفهم هذا، حتى أنهم يفكرون هكذا بخصوص المشيئة. أن لا يعودوا الآن يسألون نساءهم اللواتي كن يسألونهن من قبل هكذا قائلين: لهل كان لك ابن قبل أن تلديه؟ وأن يسألوا الآباء «هل

١٠٩٤ مز ٤٤: ١س.

١٠٩٥ يو ١٤: ١٠.



صرتم آباء بالمشورة أم بالقانون الطبيعي لمشيئتكم»؟ أو «هل أولادكم هم مثلكم في الطبيعة والجوهر؟».

لكي يتعلموا الحياء ربما من الآباء، الذين منهم اتخذوا هذه الفكرة عن الولادة، والذين منهم يرجون أن يحصلوا على معرفة هذا الأمر. لأنهم سيجيبونهم «ما نلده ليس هو مثل مشيئتنا بل مثل ذواتنا ونحن لا نصير والدين بمشيئة سابقة بل أن الولادة هي أمر خاص بطبيعتنا، حيث إننا نحن أيضاً صور لآبائنا». إذاً دعهم إما يحكمون على أنفسهم أنهم مخطئون ويكفّوا عن سؤال النساء عن ابن الله، أو أن يتعلموا منهن، أن الابن مولود ليس بالمشيئة، بل بالطبيعة والحق. إنه من اللائق بهم والمناسب لهم أن نوضح أفكارهم بأمثلة بشرية. حيث إن هؤلاء المنحرفين يجادلون في الأمور اللاهوتية بطريقة بشرية، إذاً فلماذا لا يزال أعداء المسيح في حالة جنون؟ لأن هذا الإدعاء - وأيضاً إدعاءاتهم الأخرى - قد اتضح وتبرهن أنها مجرد خيال وخرافات مصنعة وعلى هذا الأساس ينبغي - رغم أنهم تأخروا - برؤيتهم هاوية الحماقة التي سقطوا فيها، أن يقوموا ثانية وأن يهربوا من فخ إبليس، كما ننصحهم نحن. لأن الحق هو محب للبشر وينادي الكل دائماً: إن كنتم بسبب لباس الجسد لا تؤمنون بي، فعلى الأقل آمنوا بالأعمال لكي «تعرفوا أنني في الآب والآب في»^{١٠٩٦} وأيضاً «أنا والآب واحد»^{١٠٩٧}، وأيضاً «الذي رأي فقد رأى الآب»^{١٠٩٨}. والرب هو دائماً محب للبشر، ويريد أن يعين الساقطين كما يسبح داود في المزمور^{١٠٩٩}. لكن الجاحدين لأنهم لا يرغبون في سماع صوت الرب، ولا يحتملون أن يروا السيد

١٠٩٦ يو ١٠: ٣٨.

١٠٩٧ يو ١٠: ٣٠.

١٠٩٨ يو ١٤: ٩.

١٠٩٩ انظر مز ١٤: ٨س.



مُعْتَرِفًا به من الكل أنه الله وابن الله، فهم كتعاء يتجولون مثل الخنافس باحثين عن حجج للكفر مع أبيهم الشيطان. فَأَيَّةُ حجج إذاً يستطيعون أن يجدوها بعد هذا؟ ومن أين يأتون بها إلا إذا استعاروا تجاديف اليهود وقيافا واتخذوا الكفر من اليونانيين، لأن الكتب المقدسة هي مغلقة بالنسبة لهم وقد دحضناهم كعديمي العقل وأعداء للمسيح بما جاء في كل موضع في هذه الكتب.



فهرس لشواهد الآيات الكتابية الواردة بالهوامش

أولاً: العهد القديم

سفر التكوين:

تك ١:٧ ٣٥٤

تك ٨:١٥ ٢٠٣

تك ١٩:٢٤ ١٧٣

تك ٢١:٥ ١٣٦

تك ٢١:٨ ٢٣٣

تك ٢١:٨ ٢٣٣

تك ٢٦:١٣ ٣٦٣

تك ٢٧:٢٩ ١٧٩

تك ٢٧:٣٧ ١٧٩

تك ٢٨:٣-٤ ٣٠٦

تك ٢٨:١٥ ٣٠٥

تك ٣١:٧ ٣٠٦

تك ٣٢:٢٦ ٣٠٥

تك ٣٢:٣٠ ٣٠٥

تك ٣٢:٣١ ٣١٢

تك ٤٨:٥ ١٦٠

تك ٤٨:١٥-١٦ ٣٠٥

تك ٥:٢ (س) ٥٨

تك ١:١ ٢٤٣

تك ٣:١ ٢٠٣

تك ٣:١ ٣٣١

تك ٦:١ ٣٣١

تك ٩:١ ٢٠٢

تك ١١:١ ٢٠٢

تك ١٦:١ ٢٠٣

تك ١٦:١، ١١، ١٥ ٢٠٣

تك ١٦:١ ١٧٠

تك ١٤:١ ١٩٧

تك ١٦:١ ١٩٧

تك ٢٦:١ ٢٤٥

تك ٢٦:١ ٣٣١

تك ٢:١٧ ٢٥٦

تك ٣:١٩ ٢٥٤

تك ٣:١٩ ٢٥٨

تك ٣:٩ ٣٦٠

تك ٤:١ ١٥٩

تك ٤:٩ ٣٦٠



١٦٧.....	تث ٣٢: ٣٩.....	سفر الخروج:
٢٩٤.....	تث ٣٢: ٣٩.....	خر ٣: ١٤.....
٢٩٥.....	تث ٣٢: ٣٩.....	خر ٣: ٢.....
	سفر يشوع:	خر ٣: ٦.....
٣٦٧.....	يش ١: ٦.....	خر ١٣: ٣.....
	سفر القضاة:	خر ١٣: ٤.....
١٩٠.....	قض ١٣: ١٦.....	خر ١٥: ١١.....
	سفر صموئيل الأول:	خر ٢٨: ٢.....
٣٢٤.....	١ صم ١٦: ١٤.....	خر ٢٩: ٤٥.....
٣٢٤.....	١ صم ٢٩: ٧.....	خر ٣٣: ٢٠.....
	سفر ملوك الاول:	سفر العدد:
١٥٨.....	١ مل ١٦: ١٩.....	عد ١١: ٢٥.....
١٤٨.....	١ مل ١٨: ٤.....	سفر التثنية:
١٥٨.....	١ مل ٢٦: ١.....	تث ٤: ٣٢.....
	سفر ملوك الثاني:	تث ٦: ٤.....
٢٣٣.....	٢ مل ٤: ١٨.....	تث ١٥: ١٨.....
١.....	٢ مل ٢٠: ١٨.....	تث ٢٨: ٦٦.....
	سفر أيوب:	تث ٣٢: ٦.....
١٦٠.....	اي ١: ٢.....	تث ٣٢: ٦.....
١٣٦.....	أي ١: ٢.....	تث ٣٢: ٨.....
٢٧٤.....	اي ٢: ٢٣.....	تث ٣٢: ١٧، ١٨.....
٢٩٩.....	اي ٩: ٨.....	تث ٣٢: ١٨.....
٥٢.....	أي ١٨: ٥.....	تث ٣٢: ٣٩.....



سفر المزامير:	مز ٢٤: ١٠	٤٣
مز ٢٤: ١	٢٠٥	١١٠
مز ١: ٢	٥٥	١٤٩
مز ٦: ٢	٢٣٦	١٧٣
مز ٧: ٢	١٨٩	٣١٤
مز ٦: ٥	١٢٨	٢٠٤
مز ٦: ١٣٥	١٩٩	٣٧٥
مز ٦: ٨	٤٩	٥٧
مز ٩: ٩	١٤٧	٢٠٥
مز ٩: ٩	١٧٣	٣٧٥
مز ٧: ١١	١٢٨	١٧٣
مز ١٨: ١٣	١٠٥	١٢٣
مز ١٠: ١٥ (س)	٣٧٢	١٢٢
مز ١٠: ١٦	١٧٧	١٢٣
مز ٨: ١٦	١٤٤	١٢٦
مز ١: ١٩	١٨٤	١١٧
مز ١: ١٩	٢٧٦	١٢٠
مز ٤: ١٩	١٤٢	١٠٢
مز ١: ١٨ - ٢	٣٠٦	٣١٤
مز ٧: ٢٠	١٠٨	٢٢٦
مز ٧: ٢٠	٢٤٣	١٢١
مز ١٠: ٢٣	١٩٠	١٠٨
مز ٩: ٢٣	٢٠٣	٢٤٤



مز ١٠٤: ٢٤..... ٢٠٥	مز ١٠٤: ٢٤..... ٢٠٥	مز ٧: ١٠٢..... ٢٨-٢٦	مز ١٠٤: ٢٤..... ١٦١
مز ١٠٤: ٢٤..... ٢١٦	مز ١٠٤: ٢٤..... ٢١٦	مز ٧: ١٠٢..... ٢٨-٢٦	مز ١٠٤: ٢٤..... ١٩٦
مز ١٠٤: ٢٤..... ٢٦٤	مز ١٠٤: ٢٤..... ٢٦٤	مز ١٠٢: ٢٥..... ٢٥٤	مز ١٠٤: ٢٤..... ٢٠٤
مز ١٠٤: ٢٤..... ١٣٦	مز ١٠٤: ٢٤..... ١٣٦	مز ١٠٢: ٢٥..... ٢٦٣	
مز ١٧: ٨٩ (س)..... ٥٧	مز ١٧: ٨٩ (س)..... ٥٧	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٠٧: ٢٠..... ٢٠٥	مز ١٠٧: ٢٠..... ٢٠٥	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٠: ١..... ١٧٣	مز ١١٠: ١..... ١٧٣	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٠: ١..... ١٧٥	مز ١١٠: ١..... ١٧٥	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٠: ٢ (س)..... ٣٧٦	مز ١١٠: ٢ (س)..... ٣٧٦	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٣: ١١ (س)..... ٣٧٦	مز ١١٣: ١١ (س)..... ٣٧٦	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٦: ٦..... ١٥٨	مز ١١٦: ٦..... ١٥٨	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٩: ١..... ٢٥٤	مز ١١٩: ١..... ٢٥٤	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٩: ١٠١..... ٢١٤	مز ١١٩: ١٠١..... ٢١٤	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١١٩: ٨٩..... ٢١١	مز ١١٩: ٨٩..... ٢١١	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٢٠: ١، ٢..... ٣٠٦	مز ١٢٠: ١، ٢..... ٣٠٦	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٣١: ٢..... ١٤٧	مز ١٣١: ٢..... ١٤٧	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٣٤: ٦ (س)..... ٣٧٦	مز ١٣٤: ٦ (س)..... ٣٧٦	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٣٨: ٨..... ٢٥٦	مز ١٣٨: ٨..... ٢٥٦	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٤٣: ٥..... ٢٦٤	مز ١٤٣: ٥..... ٢٦٤	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ٧١ (س) ويقابل مز ٧٢: ١٧، مز ٧٢: ٥..... ١٠٨	مز ٧١ (س) ويقابل مز ٧٢: ١٧، مز ٧٢: ٥..... ١٠٨	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٤٥: ١٣..... ١٧٣	مز ١٤٥: ١٣..... ١٧٣	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	
مز ١٠٣: ٢٤ (س) مز ١٠٤: ٢٤ في الطبعة الشائعة..... ٧٠	مز ١٠٣: ٢٤ (س) مز ١٠٤: ٢٤ في الطبعة الشائعة..... ٧٠	مز ١٠٢: ٢٨..... ١٠٠	



٢٤٢..... أم ٨:٢٥	مز ١٤:١٣ (أي مز ١٤:١٣)..... ٥٧
١٨٥..... أم ٨:٣٠	سفر أمثال:
٢٣٧..... أم ٨:٣٠	أم ١:٥، ٦..... ٢٧٣
٧٢..... أم ٨:٣٠ (س)	أم ١:٢٣..... ٢١٤
٢٨٠..... أم ٨:٣١	أم ٣:١٩..... ٧٠
٢٢٤..... أم ٩:١	أم ٣:١٩..... ٢١٨
٢٢٧..... أم ٩:١	أم ٣:١٩..... ٢٣١
٢٣١..... أم ٩:١	أم ٣:١٩..... ٢٦٧
٣٦٤..... أم ٩:١	أم ٨:١٠-١١..... ١٣٥
٢٧٧..... أم ٩:١٠	أم ٨:١٢..... ٦٩
٥١..... أم ٩:١٨ (س)	أم ٨:١٤ س..... ٣٨١
١٠٤..... أم ٩:٣٠	أم ٨:١٤ س..... ٣٨٣
٣٧٤..... أم ١٢:٥-٦ (س)	أم ٨:٢٢..... ١٥٣
٢٧٥..... أم ١٤:١٦	أم ٨:٢٢..... ١٥٤
٦١..... أم ١٨:١ (س)	أم ٨:٢٢..... ١٦٩
٢٧٥..... أم ٢٤:٣	أم ٨:٢٢..... ١٨١
٢٤١..... أم ٣٠:٨	أم ٨:٢٢..... ٢٤٧
سفر الجامعة:	أم ٨:٢٢..... ١٣٠
٢٧٥..... جا ٧:١٠	أم ٨:٢٢..... ٢٢٣
٢٧٥..... جا ٨:١	أم ٨:٢٣..... ٢٦٦
١٦١..... جا ١٢:١٤	أم ٨:٢٣-٢٥..... ٢٧٠
سفر إشعياء:	أم ٨:٢٣-٢٥ (س)..... ٥٩
٢٤٦..... إش ١:٢	أم ٨:٢٥..... ٢٠٤



إش ١: ٢٢..... ٣٣٩	أر ١: ٤..... ٢٠٥
إش ٥: ٢..... ٣٦	إر ١: ٥..... ١٨٦
إش ٧: ١٤..... ١٣٣	أر ١: ٥..... ٥٩
إش ١١: ٩..... ١٤٢	إر ٢: ١٢..... ٤٥
إش ٢٥: ٨..... ١٧٧	أر ٢: ١٣..... ٦٩
إش ٢٦: ١٣..... ١٧٤	إر ٥: ٨..... ٣١٤
إش ٤٠: ٨..... ١٢١	إر ١٣، ١٧: ١٢..... ٦٩
إش ٤٠: ٢٨..... ٥٧	أر ٢٣: ٢٩..... ٢١٤
إش ٤٤: ٢٤..... ٢٩٩	سفر دانيال:
إش ٤٤: ٦..... ٢٩٤	دا (سوسنة ٤٢)..... ص ٥٧
إش ٤٤: ٦..... ٢٩٩	دا (سوسنة ٤٢)..... ص ٥٩
إش ٥٣: ٤..... ٣٣٣	دا ٧: ١٠..... ١٠٥
إش ٥٣: ٧..... ١٧٧	سفر هوشع:
إش ٥٣: ٧..... ١٣٣	هو ٧: ١٣..... ٤٥
إش ٥٤: ١٣..... ١٤٢	هو ٧: ١٦ اس..... ٤٥
إش ٥٦: ٥-٤..... ١٣٥	سفر ميخا:
إش ٥٨: ٩..... ١٤٨	ميخا ٧: ١٨..... ٢٥٨
إش ٥٨: ١١..... ٦٩	سفر زكريا:
إش ٦١: ١..... ١١٩	زك ١: ١٢..... ٢٠٣
إش ٦١: ١..... ١٢٥	زك ١: ١٣..... ٢٠٣
إش ٦١: ٨..... ١٢٨	زك ١: ١٧..... ٢٠٣
إش ٦٦: ٢..... ٢٦٣	سفر ملاخي:
سفر إرميا:	ملا ١، ٣: ٢..... ١٢٨



ملا: ٦: ١٠٠.....	مت ٥: ٤٨: ٣١٥.....
ملا: ٦: ١٦٧.....	مت ٥: ٨: ٢٥٤.....
ثانيًا: الأسفار القانونية الثانية:	مت ٦: ٢٥: ٣٠: ١٩٤.....
سفر يشوع بن سيراخ:	مت ٦: ٩: ٩٧.....
ابن سيراخ ١: ٩-١٠: ٢٧٥.....	مت ٨: ١٧: ٣٣٣.....
سفر باروخ:	مت ٩: ٥: ٣٤٧.....
بار ٣: ٣٦: ٢٣١.....	مت ١٠: ١٦: ٣١٥.....
بار ٣: ١٢: ٦٩.....	مت ١٠: ٢٦: ١٩٤.....
بار ٤: ٢٠: ٥٧.....	مت ١٠: ٤٠: ٢٧٤.....
بار ٤: ٢٢: ٥٧.....	مت ١١: ٢٥: ٢٣٢.....
سفر الحكمة:	مت ١١: ٢٧: ١٠٦.....
حك ٩: ٢: ٢٢٥.....	مت ١١: ٢٧: ١٨٨.....
حك ١٣: ٥: ٢٠٦.....	مت ١١: ٢٧: ٣٤٠.....
ثالثًا: العهد الجديد:	مت ١١: ٢٧: ٣٥٢.....
إنجيل متي:	مت ١١: ٢٧: ٥٦.....
مت ١: ٢٧: ٣٣١.....	مت ١١: ٢٨: ١٤٧.....
مت ٣: ١٦: ١١٩.....	مت ١١: ٢٩: ٣١٧.....
مت ٣: ١٧: ١٨٩.....	مت ١٢: ٢٤: ١٢٤.....
مت ٣: ١٧: ٢٥٠.....	مت ١٢: ٢٨: ١٢٤.....
مت ٣: ١٧: ٣٧٥.....	مت ١٢: ٣٣: ٩٩.....
مت ٤: ١٠: ٢٦١.....	مت ١٢: ٤٠: ٣٢٠.....
مت ٤: ١٠: ٣٤٦.....	مت ١٣: ٢٥: ٢٠٨.....
مت ٤: ١١: ١٨٩.....	مت ١٣: ٥٥: ١٢٤.....



٢٧١.....	مت ٢٥: ٣٤	٣٢٦.....	مت ١٦: ١٣
٣٢٦.....	مت ٢٦: ٣٩	٣٤٢.....	مت ١٦: ١٣
٣٣٧.....	مت ٢٦: ٣٩	١٨٠.....	مت ١٦: ١٦
٣٧٠.....	مت ٢٦: ٣٩	٢٥٠.....	مت ١٦: ١٦
٣٢٧.....	مت ٢٦: ٤١	٢٦٧.....	مت ١٦: ١٦
٣٧٠.....	مت ٢٧: ٥٤	٢٠٤.....	مت ١٧: ٥
٣٢٥.....	مت ٢٨: ١٨	٥٢.....	مت ١٧: ٥
٣٤٦.....	مت ٢٨: ١٨	٦٤.....	مت ١٧: ٥
١٤٢.....	مت ٢٨: ١٩	٢٢٥.....	مت ١٩: ٤
٢٢٠.....	مت ٢٨: ١٩	٢٤٣.....	مت ١٩: ٤
٩٧.....	مت ٢٨: ١٩	١٤٩.....	مت ٢٠: ٢٨
إنجيل مرقس:		١٣٤.....	مت ٢٠: ٢٨
٣٢٦.....	مر ٦: ٣٨	٢٥٩.....	مت ٢٠: ٢٨
٣٤٢.....	مر ٦: ٣٨	٣٤٢.....	مت ٢٠: ٣٢
٣٧٠.....	مر ٨: ٣٣	١٤٠.....	مت ٢١: ٣٤
٢٩٣.....	مر ١٢: ٢٩	١٢٩.....	مت ٢٢: ٢٩
٢٩٦.....	مر ١٢: ٢٩	٢٦١.....	مت ٢٢: ٣٠
٣٢٧.....	مر ١٢: ٣٢	١٣٢.....	مت ٢٤: ٣
٣٤٩.....	مر ١٣: ٣٢	٣٥٤.....	مت ٢٤: ٢٢، ٤٤
٣٦٦.....	مر ١٥: ٣٤	٣٥٥.....	مت ٢٤: ٣٦
٣٦٩.....	مر ١٥: ٣٤	٣٥٤.....	مت ٢٤: ٣٩
إنجيل لوقا:		٣٦٠.....	مت ٢٤: ٤٢
٢٠٥.....	لوقا ٢: ٢	٣٥٥.....	مت ٢٥: ١٣



۲۰۵.....	یو:۱	۱۴۵.....	لو:۱۹
۲۰۹.....	یو:۱	۳۶۱.....	لو:۵۱
۲۳۷.....	یو:۱	۳۲۶.....	لو:۵۲
۲۵۰.....	یو:۱	۲۹۱.....	لو:۲۴
۲۹۱.....	یو:۱	۳۰۲.....	لو:۳۶
۳۷۵.....	یو:۱	۳۱۵.....	لو:۳۶
۱۲۳.....	یو:۱	۳۴۷.....	لو:۴۸
۵۵.....	یو:۱	۳۴۶.....	لو:۱۰۱
۳۳۱.....	یو:۱-۳	۳۲۵.....	لو:۱۰۲
۷۰.....	یو:۳	۳۴۶.....	لو:۱۰۲
۱۶۱.....	یو:۳	۳۵۶.....	لو:۱۰۲
۱۹۲.....	یو:۳	۳۵.....	لو:۱۱۲
۱۹۶.....	یو:۳	۳۶۷.....	لو:۱۲
۲۱۰.....	یو:۳	۳۶۰.....	لو:۱۲
۲۸۱.....	یو:۳	۳۱۴.....	لو:۱۳
۳۴۶.....	یو:۳	۲۹۶.....	لو:۱۸
۹۶.....	یو:۳	۱۲۱.....	لو:۲۴
۱۳۶.....	یو:۳	۱۷۶.....	لو:۲۴
۶۰.....	یو:۳	انجیل یوحنا:	
۲۱۵.....	یو:۴	۱۰۸.....	یو:۱
۱۱۲.....	یو:۹	۱۵۴.....	یو:۱
۳۱۶.....	یو:۱۲	۱۶۴.....	یو:۱
۱۱۲.....	یو:۱۲	۱۶۵.....	یو:۱



٣٤٠.....	يو:٣ ٣٥	٢٤٦.....	يو:١٢، ١٣
١٨٥.....	يو:٥ ١٧	١٠٨.....	يو:١ ١٤
٦٤.....	يو:٥ ١٨	١١٤.....	يو:١ ١٤
١٧٢.....	يو:٥ ١٨	١٤٩.....	يو:١ ١٤
٣٢٥.....	يو:٥ ٢٢	١٥٤.....	يو:١ ١٤
٢٩٦.....	يو:٥ ٢٣	١٦٥.....	يو:١ ١٤
٩٥.....	يو:٥ ٢٣	٢٣٧.....	يو:١ ١٤
٣٤١.....	يو:٥ ٢٦	٢٥٠.....	يو:١ ١٤
٣٤٠.....	يو:٥ ٣٠	٣٣١.....	يو:١ ١٤
١٤٥.....	يو:٥ ٣٦	٣٣١.....	يو:١ ١٤
٢٥٦.....	يو:٥ ٣٦	٣٣٥.....	يو:١ ١٤
٣١١.....	يو:٥ ٣٧ - ٣٨	١٢٥.....	يو:١ ١٤
٣٤٣.....	يو:٦ ٦	١٣١.....	يو:١ ١٤
٣٢٦.....	يو:٦ ٣٧	٨١.....	يو:١ ١٤
١١٤.....	يو:٦ ٣٨	١٤٤.....	يو:١ ١٧
٢٩٦.....	يو:٦ ٣٨	٢٥١.....	يو:١ ١٨
٢٣٩.....	يو:٦ ٣٨ - ٤٠	٣٤٨.....	يو:٢ ٤
٣٢٨.....	يو:٦ ٤٢	٣٤٣.....	يو:٢ ٢٥
٣٢٨.....	يو:٦ ٤٢	٣٢٦.....	يو:٢ ٢٧ - ٢٨
١٤٢.....	يو:٦ ٤٥	١٤٣.....	يو:٣ ١٧
١٨٨.....	يو:٦ ٤٦	٢٤٠.....	يو:٣ ١٧
٢١٤.....	يو:٦ ٦٣	٣٣١.....	يو:٣ ١٧
٢٩١.....	يو:٨ ١٢	٣٢٥.....	يو:٣ ٣٥



۱۰۶.....	۳۵:۱۰ یو	۵۸.....	۱۲:۸ یو
۱۷۶.....	۳۶-۳۵:۱۰ یو	۵۸.....	۱۲:۸ یو
۳۳۴.....	۳۸-۳۷:۱۰ یو	۲۶۶.....	۳۶، ۳۵:۸ یو
۱۷۲.....	۳۸:۱۰ یو	۵۹.....	۵۸:۸ یو
۲۹۲.....	۳۸:۱۰ یو	۲۳۶.....	۵۸:۸ یو
۳۶۸.....	۳۸:۱۰ یو	۳۲۸.....	۵۸:۸ یو
۳۴۳.....	۱۴:۱۱ یو	۲۴۰.....	۳۹:۹ یو
۲۳۸.....	۸:۱۲ یو	۲۴۹.....	۷:۱۰ یو
۳۶۶.....	۲۷:۱۲ یو	۲۴۱.....	۱۴:۱۰ یو
۳۷۱.....	۲۷:۱۲ یو	۵۸.....	۱۴:۱۰ یو
۳۲۷.....	۲۸:۱۲ یو	۳۶۷.....	۱۸:۱۰ یو
۱۷۶.....	۳۴:۱۲ یو	۳۷۱.....	۱۸:۱۰ یو
۲۳۹.....	۴۶:۱۲ یو	۲۰۷.....	۳۰:۱۰ یو
۵۸.....	۱۳:۱۳ یو	۲۳۸.....	۳۰:۱۰ یو
۱۹۰.....	۱۳:۱۳ یو	۲۸۹.....	۳۰:۱۰ یو
۲۹۶.....	۲۰:۱۳ یو	۲۹۲.....	۳۰:۱۰ یو
۳۲۶.....	۲۱:۱۳ یو	۳۰۲.....	۳۰:۱۰ یو
۲۲۴.....	۱:۱۴ یو	۳۱۲.....	۳۰:۱۰ یو
۳۴۳.....	۱:۱۴ یو	۳۶۸.....	۳۰:۱۰ یو
۲۵۶.....	۳:۱۴ یو	۳۶۸.....	۳۰:۱۰ یو
۱۰۱.....	۶:۱۴ یو	۹۷.....	۳۰:۱۰ یو
۱۸۴.....	۶:۱۴ یو	۳۳۲.....	۳۳:۱۰ یو
۲۳۸.....	۶:۱۴ یو	۴۱.....	۳۳:۱۰ یو



٢٩٣.....	يو ١٤: ١٠	٢٤٩.....	يو ١٤: ٦
٣٠٢.....	يو ١٤: ١٠	٢٨٠.....	يو ١٤: ٦
٣٨٢.....	يو ١٤: ١٠	٢٩٨.....	يو ١٤: ٦
٩٧.....	يو ١٤: ١٠	٣١٦.....	يو ١٤: ٦
١١٩.....	يو ١٤: ١٦	٦٩.....	يو ١٤: ٦
٣٠٢.....	يو ١٤: ٢٣	٧٢.....	يو ١٤: ٦
٢٩٦.....	يو ١٤: ٢٨	١٤٤.....	يو ١٤: ٩
١٤٠.....	يو ١٤: ٢٨	١٤٥.....	يو ١٤: ٩
٥٨.....	يو ١٤: ٢٨، ٢٩	١٧٩.....	يو ١٤: ٩
٢٦٠.....	يو ١٤: ٣٠	١٨٧.....	يو ١٤: ٩
١٢١.....	يو ١٥: ٢٦	٢٣٨.....	يو ١٤: ٩
١٢٥.....	يو ١٦: ١٣	٢٧٧.....	يو ١٤: ٩
٦٣.....	يو ١٦: ١٤	٢٩٢.....	يو ١٤: ٩
١٢٤.....	يو ١٦: ١٤	٩٧.....	يو ١٤: ٩
١٤٤.....	يو ١٦: ١٥	٤٩.....	يو ١٤: ٩
١٨٠.....	يو ١٦: ١٥	٩٩.....	يو ١٤: ٩
١٩٠.....	يو ١٦: ١٥	٣١٢.....	يو ١٤: ٩- ١٠
٢٩١.....	يو ١٦: ١٥	٢٠٧.....	يو ١٤: ١٠، ١٢
٣٤٠.....	يو ١٦: ١٥	١٤٥.....	يو ١٤: ١٠
١١٩.....	يو ١٦: ٧	٢٠٧.....	يو ١٤: ١٠
١٢٤.....	يو ١٦: ٧	٢٣٨.....	يو ١٤: ١٠
٣٥١.....	يو ١٧: ١	٢٨٠.....	يو ١٤: ١٠
٣١٩.....	يو ١٧: ٢	٢٨٩.....	يو ١٤: ١٠



يو ١٧: ٣..... ٢٩٨.....	يو ٢٠: ٢٢..... ١١٩.....
يو ١٧: ٤..... ١٤١.....	يو ٢٠: ٢٢..... ١٢١.....
يو ١٧: ٤..... ٢٥٦.....	يو ٢٠: ٢٢..... ١٢٤.....
يو ١٧: ٥..... ١٠٥.....	يو ٢٠: ٢٨..... ١٩٠.....
يو ١٧: ٥..... ١٩٩.....	سفر أعمال الرسل:
يو ١٧: ٥..... ٣٢٧.....	اع ١: ٧..... ٣٥٨.....
يو ١٧: ٥..... ٣٤٦.....	اع ١: ٧-٨..... ٣٥٨.....
يو ١٧: ١٠..... ٢٩١.....	اع ٢: ١٧..... ١٨٠.....
يو ١٧: ١٠..... ٣٤٠.....	اع ٢: ٢٢..... ١٧١.....
يو ١٧: ١١..... ٣١٢.....	اع ٢: ٣٦..... ١٥٤.....
يو ١٧: ١٧..... ٣١٦.....	اع ٢: ٣٦..... ١٧٠.....
يو ١٧: ١٧..... ١١٨.....	اع ٢: ٣٦..... ١٧١.....
يو ١٧: ١٨-١٩..... ١١٨.....	اع ٢: ٣٦..... ١٣٠.....
يو ١٧: ٢٠-٢٣..... ٣١٣.....	اع ٢: ٣٧..... ١٧٨.....
يو ١٧: ٢١..... ٣٢٠.....	اع ٥: ٢٩..... ٣٧١.....
يو ١٧: ٢٢..... ١٢٢.....	اع ٨: ٣٤..... ١٣٢.....
يو ١٧: ٢٣..... ٣١٩.....	اع ٩: ٤..... ٢٧٧.....
يو ١٨: ٥..... ٢٥٩.....	اع ١٠: ٢٦..... ١٨٩.....
يو ١٨: ٥..... ٣٦٧.....	اع ١٠: ٣٨..... ١١٩.....
يو ١٨: ٣٧..... ٢٣٩.....	الرسالة إلى أهل رومية:
يو ١٩: ١٥..... ٢١٩.....	رو ١: ٧..... ٢١٩.....
يو ١٩: ١٥..... ٤٨.....	رو ١: ٧..... ٣٠٤.....
يو ١٩: ٣٩..... ١٢٠.....	رو ١: ٧..... ٣٠٧.....



٨٨.....	رو٩:٢٠.....	٢٧٩.....	رو١٩:٢١.....
٣٢٤.....	رو١١:٢٩.....	٢٧٥.....	رو١٩:٢٠.....
٣٥٠.....	رو١١:٣٤.....	١٨٣.....	رو١:٢٠.....
٨٨.....	رو١١:٣٤.....	٥٥.....	رو١:٢٠.....
١٤١.....	رو١٤:٥.....	٢٧٨.....	رو١:٢٢.....
١٩٩.....	رو١٩:٩.....	٣٧.....	رو١:٢٣.....
٢٧٩.....	رو٢٥:١.....	١٧٤.....	رو١:٢٥.....
رسالة كورنثوس الأولى:		١٧٥.....	رو١:٢٥.....
٢١٩.....	١كو٣:١.....	٧٩.....	رو٥:٩.....
٣٠٤.....	١كو٣:١.....	١٢٦.....	رو٥:١٢.....
٣٠٧.....	١كو٤:١.....	١٢٦.....	رو٥:١٢.....
٣١٩.....	١كو١٠:١.....	١١٤.....	رو٥:١٤.....
١٧٨.....	١كو١:٢١.....	٣٣٦.....	رو٥:١٤.....
٢٧٥.....	١كو١:٢١.....	٢٤٠.....	رو٨:٣، ٤.....
٣٣٩.....	١كو١:٢٣.....	٢٥٢.....	رو٨:١٩.....
٢٠٥.....	١كو١:٢٤.....	٢٢٥.....	رو٨:٢٢.....
٢١٩.....	١كو١:٢٤.....	١٧٤.....	رو٨:٢٦.....
٢٥٠.....	١كو١:٢٤.....	١٤٢.....	رو٨:٣.....
٣٥٨.....	١كو١:٢٤.....	١٤٣.....	رو٨:٩.....
٣٦٢.....	١كو١:٢٤.....	١٢٧.....	رو٨:٩.....
٣٨١.....	١كو١:٢٤.....	٢٥٢.....	رو٨:٢٩.....
٥٥.....	كو١:٢٤.....	٣٢٤.....	رو٨:٣٥.....
٣٤٦.....	١كو٢:١٨.....	٥١.....	رو٩:٥.....



٣٠٦..... ١٠:٢كو٢	١٣٠..... ٨:٢كو١
١٢٧..... ١١:٢كو٢	٢٦٨..... ١٠:٣كو١
٥٦..... ١٧:٣كو٢	٢٦٨..... ١١:٣كو١
٢٥٤..... ١٧:٥كو٢	٦٤..... ١٦:٣كو١
٢٩٣..... ١٩:٥كو٢	١١٨..... ١٦:٣كو١
٢٢٨..... ٢١:٥كو٢	٣١٨..... ٦:٤كو١
٣٥٦..... ٢:١٢كو٢	٢٠٤..... ٦:٨كو١
الرسالة إلى أهل غلاطية:	٢٦٤..... ٦:٨كو١
٢٢٨..... غل ٣:١٣	٢٩١..... ٦:٨كو١
٢٤٦..... غل ٤:٦	٣٤٦..... ٦:٨كو١
١٧٤..... غل ٤:٨	٢٠٠..... ١١:٩كو١
٣٣٣..... غل ٤:٤	١٦٢..... ١٣:١٠كو١
الرسالة إلى أهل أفسس:	٣٠٢..... ١:١١كو١
٢١٩..... أف ٢:١	٢٠٠..... ٧:١١كو١
٣٠٤..... أف ١:٢	١١٢..... ٢٥:١كو١
٢٧١..... أف ٣:٥	٢٣٩..... ٢١:١كو١
٣٧٧..... أف ١:٥	١٤١..... ٢٢:١كو١
٢٧١..... أف ١:١١	١٨٤..... ٤١:١كو١
١١٩..... أف ١:١٣	١٨٤..... ٤١:١كو١
٢٤٠..... أف ٢:١٤، ١٥	١٢٦..... ٤٥:١كو١
٢٢٦..... أف ٢:١٥	١١٤..... ٤٧:١كو١
٧٨..... أفسس ٣:١٥	١١٤..... ٤٨، ٤٧:١كو١
١١٣..... أف ٤:١٠	رسالة كورنثوس الثانية:



أف: ٤: ١٣..... ٣٢٠	كو: ١: ١٦..... ٢٥١
أف: ٤: ٢٤..... ٢٢٦	كو: ١: ١٧..... ٢٦٤
أف: ٥: ١- ٢..... ٣٠٢	كو: ١: ١٧..... ٥٦
أف: ٥: ١٤..... ٣٥٥	كو: ١: ١٨..... ٢٤٨
أف: ٥: ٢٧..... ٢٥٧	كو: ١: ١٨..... ٢٥٥
الرسالة إلى أهل فيلبي:	
في ٢: ٥- ١١..... ١٠٧	كو: ١: ١٩..... ٤٨
في ٢: ٦..... ٢٩٣	كو: ٢: ٩..... ٣٣٣
في ٢: ٦..... ٣٧٥	كو: ٢: ١..... ٢٧٩
في ٦: ٧..... ١٢٥	رسالة تسالونيكي الأولى:
في ٦: ٢: ٧..... ١٢٠	١ تس: ٣: ١١..... ٣٠٤
في ٦: ٢: ٨..... ٣٣١	١ تس: ٥: ١٨..... ٣٧٨
في ٦: ٢: ٨..... ٢٣٨	١ تس: ٥: ٢٤..... ١٦٨
في ٢: ٧..... ١٥٥	رسالة تسالونيكي الثانية:
في ٢: ٨..... ١١٢	٢ تس: ١٠: ١٨..... ٣٦٢
في ٢: ٨..... ٢٣٦	رسالة تيموثاوس الأولى:
في ٢: ٩: ١٠..... ١٠٢	١ تيمو: ٧: ٧..... ٩٠
الرسالة إلى أهل كولوسي:	
كو: ١: ١٥..... ١٠٦	١ تيمو: ٢٠: ٢٠..... ١٣٢
كو: ١: ١٥..... ٢٥٠	١ تيمو: ٤: ٤..... ٢٢٥
كو: ١: ١٥..... ٣٧٥	١ تيمو: ٥: ١٦..... ١٦٢
كو: ١: ١٥- ١٧..... ٢٢٦	١ تيمو: ٤: ١، ١٤، ٢..... ٤٩
كو: ١: ١٦..... ٢٠٢	رسالة تيموثاوس الثانية:
	٢ تي: ١: ١٠..... ١٤١
	٢ تي: ٢: ١٣..... ١٦٨



٢٥٣.....	عب ١:٦	٣٠٦.....	٢ تيمو ١١:٣
١٣٨.....	عب ١:٧		الرسالة إلى تيطس:
١٣٩.....	عب ١:٨	٢٧١.....	تي ١:٨-١٠
١٣٩.....	عب ١:١٠-١١	١٦٢.....	تي ٣:٨
١٠٠.....	عب ١:١٢		الرسالة إلى فليمون:
١٤٦.....	عب ١:١٤	١٥٧.....	فل ١٦
٣٠٨.....	عب ١:١٤		الرسالة إلى أهل عبرانيين:
١٤١.....	عب ٢:١-١	١٣٣.....	عب ١:٢٠-٢١
١٤١.....	عب ٢:١-٢	٣٤١.....	عب ١:٢
١٣٤.....	عب ٢:٢	٣٧٥.....	عب ١:٣
٢٣٩.....	عب ٢:١٤، ١٥	٢٠٥.....	عب ١:٣
١٦٦.....	عب ٢:١٤-١٨	٥٧.....	عب ١:٣
١٣٠.....	عب ١:٢-٣	٧٩.....	عب ١:٣
١٥٣.....	عب ٣:٢	١٣٤.....	عب ١:٣-٤
١٥٨.....	عب ٣:٢	١٤٩.....	عب ١:٤
١٦٢.....	عب ٣:٢	١٥٤.....	عب ١:٤
١٦٥.....	عب ٣:٢	١٨١.....	عب ١:٤
١٨٢.....	عب ٣:٢	١٣٠.....	عب ١:٤
١٥٥.....	عب ٣:١، ٢	١٣١.....	عب ١:٤
١٦٣.....	عب ٣:١، ٢	١٤٦.....	عب ١:٥
١٦٦.....	عب ٣:١، ٢	١٣٨.....	عب ١:٥
٢٦٥.....	عب ٤:١٢، ١٣	١٤٥.....	عب ١:٦
٢١٠.....	عب ٤:١٢، ١٣	١٩٠.....	عب ١:٦



١بط٤:١ ٣٣٦

١بط٤:١٩ ١٦٧

رسالة بطرس الثانية:

٢بط ١:٤ ٦٤

٢بط١:١٧ ٣٤٧

رسالة يوحنا الأولى:

١يو٢:٢٠ ١١٩

١يو٢:٢٣ ٢٧٧

١يو٣:٥ ٣٣٨

١يو٣:٨ ٢٣٩

١يو٣:٨ ٢٦١

١يو٣:٢٤ ١١٢

١يو٤:١٣ ٣٢٢

١يو٤:١٥ ٣٢٣

١يو٤:٩ ٢٥٠

١يو٥:٢٠ ٢٩٨

١يو٥:٢٠ ٣١٦

عب٦:٢٠ ١٠٩

عب٧:١٩ ١٤٢

عب٧:٢٢ ١٤٢

عب٧:٢٢ ١٤٩

عب٨:٦ ١٤٢

عب٩:٢٣ ١٤٢

عب٩:٢٤ ١٠٩

عب١٠:٥ ٢٢٨

عب١٣:٨ ١٦٨

عب١٣:٨ ١٢٢

عب١٣:٨ ٩٩

رسالة يعقوب:

يع١:١٨ ٣٧٨

رسالة بطرس الأولى:

١بط٢:٢٤ ١٤٧

١بط٢:٢٤ ٢٨٨

١بط٢:٢٤ ٣٣٤

١بط٣:٦ ١٥٧

١بط٣:٢٢ ٣٤٧

١بط٤:١ ٣٣٣



سفر الرؤيا:

رؤ ١:٤..... ٥٥

رؤ ١:٨..... ٢٩١

رؤ ٨:٩..... ٢٢٥

رؤ ٢٢:٩..... ١٨٩

فهرس الكلمات الواردة بالنص

(١)

٣٥٢, ٣٠١, ٣٠٢, ٣١٣, ٣١٥, ٣١٦,

٣١٧, ٣٢١, ٣٢٤, ٣٥٧, ٣٧٩

أرادة..... ٧٦, ١٨١, ٣٤١, ٣٧٨

أزليّ ٥, ٢٦, ٤٩, ٥٠, ٥٤, ٥٨, ٥٩, ٦١,

٦٢, ٦٧, ٦٨, ٧٣, ٨٥, ١٧٢, ١٧٥,

١٧٩, ٢٤٤

الآب ٨, ٩, ١٢, ١٤, ١٦, ٢٢, ٢٣, ٢٤,

٢٦, ٢٧, ٣١, ٤٤, ٤٨, ٤٩, ٥٠, ٥١,

٥٤, ٥٥, ٥٦, ٥٨, ٥٩, ٦١, ٦٢, ٦٣,

٦٤, ٦٥, ٦٦, ٦٧, ٦٨, ٧٠, ٧١, ٧٢,

٧٣, ٧٤, ٧٥, ٧٧, ٧٩, ٨٠, ٨١, ٨٣,

٨٤, ٨٥, ٨٦, ٨٧, ٨٨, ٨٩, ٩٠, ٩٢,

٩٤, ٩٦, ٩٨, ٩٩, ١٠٠, ١٠٣, ١٠٤,

١٠٦, ١٠٧, ١٠٩, ١١٠, ١١١, ١١٣,

١١٥, ١١٦, ١١٨, ١١٩, ١٢٠, ١٢١,

١٢٣, ١٢٧, ١٢٨, ١٢٩, ١٣٥, ١٣٦,

١٣٩, ١٤٠, ١٤١, ١٤٣, ١٤٤, ١٤٥,

١٤٦, ١٤٧, ١٥٤, ١٥٥, ١٥٦, ١٥٨,

١٦١, ١٦٢, ١٦٣, ١٦٥, ١٦٨, ١٦٩,

١٧٢, ١٧٣, ١٧٦, ١٧٨, ١٧٩, ١٨٠,

١٨٤, ١٨٥, ١٨٧, ١٨٨, ١٨٩, ١٩٠,

١٩٢, ١٩٣, ١٩٤, ١٩٦, ١٩٨, ١٩٩,

ابن ١٢, ١٦, ٤٠, ٤٩, ٦١, ٦٢, ٦٣, ٦٤,

٦٥, ٧٤, ٧٥, ٧٦, ٨١, ٨٥, ٨٦, ٨٧,

٩٦, ١٠٣, ١٠٥, ١١١, ١١٣, ١١٤,

١١٦, ١٢٢, ١٢٣, ١٢٤, ١٣٥, ١٣٦,

١٤١, ١٤٣, ١٥٣, ١٥٥, ١٥٧, ١٥٨,

١٦١, ١٦٢, ١٦٦, ١٦٨, ١٦٩, ١٧٠,

١٧١, ١٧٤, ١٧٦, ١٧٧, ١٧٩, ١٨٠,

١٨١, ١٨٤, ١٩٦, ٢٠٨, ٢١٠, ٢١٢,

٢٢٣, ٢٣٢, ٢٣٥, ٢٣٩, ٢٤٢, ٢٤٤,

٢٤٦, ٢٤٧, ٢٥٠, ٢٥١, ٢٥٢, ٢٥٤,

٢٦٠, ٢٦٢, ٢٦٦, ٢٦٧, ٢٦٨, ٢٧٣,

٢٧٥, ٢٧٨, ٢٨٧, ٢٨٨, ٢٨٩, ٢٩٠,

٢٩٣, ٣٠٣, ٣١٥, ٣١٦, ٣٢٠, ٣٢١,

٣٢٣, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣٢, ٣٤٨, ٣٤٩,

٣٥١, ٣٥٣, ٣٥٤, ٣٦٠, ٣٦٣, ٣٦٨,

٣٧٠, ٣٧٨, ٣٧٩, ٣٨٣, ٣٨٧,

أبناء ٢٠, ٥٢, ٩٧, ١٠٣, ١٠٥, ١٠٦,

١١٢, ١٣٤, ١٣٧, ١٤٦, ١٥٧, ١٥٩,

١٦٠, ١٨٣, ٢٠١, ٢٠٨, ٢١٥, ٢١٦,

٢١٧, ٢٣١, ٢٣٣, ٢٤٦, ٢٤٧, ٢٤٩,



, ٥٩ , ٦١ , ٦٢ , ٦٣ , ٦٤ , ٦٥ , ٦٦ , ٦٧ ,
 , ٦٨ , ٦٩ , ٧٠ , ٧١ , ٧٢ , ٧٣ , ٧٤ , ٧٥ ,
 , ٧٦ , ٨٠ , ٨١ , ٨٢ , ٨٤ , ٨٥ , ٨٦ , ٨٧ ,
 , ٨٨ , ٨٩ , ٩٢ , ٩٣ , ٩٤ , ٩٥ , ٩٦ , ٩٨ ,
 , ٩٩ , ١٠٠ , ١٠٤ , ١٠٥ , ١٠٦ , ١٠٧ ,
 , ١١٠ , ١١٥ , ١٢٥ , ١٣٤ , ١٣٥ , ١٣٦ ,
 , ١٣٨ , ١٤٠ , ١٤١ , ١٤٤ , ١٤٥ , ١٤٦ ,
 , ١٤٧ , ١٤٨ , ١٤٩ , ١٥٣ , ١٥٥ , ١٥٦ ,
 , ١٥٧ , ١٥٨ , ١٦٠ , ١٦١ , ١٦٩ , ١٧٣ ,
 , ١٧٥ , ١٧٨ , ١٧٩ , ١٨٠ , ١٨١ , ١٨٣ ,
 , ١٨٤ , ١٨٥ , ١٨٧ , ١٨٨ , ١٨٩ , ١٩١ ,
 , ١٩٢ , ١٩٣ , ١٩٤ , ١٩٦ , ١٩٧ , ١٩٨ ,
 , ١٩٩ , ٢٠٠ , ٢٠٢ , ٢٠٤ , ٢٠٦ , ٢٠٨ ,
 , ٢٠٩ , ٢١١ , ٢١٢ , ٢١٤ , ٢١٥ , ٢١٦ ,
 , ٢١٧ , ٢١٨ , ٢١٩ , ٢٢١ , ٢٢٨ , ٢٣١ ,
 , ٢٣٣ , ٢٣٤ , ٢٣٦ , ٢٣٩ , ٢٤٢ , ٢٤٣ ,
 , ٢٤٤ , ٢٤٦ , ٢٤٧ , ٢٤٩ , ٢٥٠ , ٢٥١ ,
 , ٢٥٨ , ٢٦٠ , ٢٦٢ , ٢٦٤ , ٢٦٥ , ٢٦٦ ,
 , ٢٦٧ , ٢٧١ , ٢٧٣ , ٢٧٤ , ٢٧٦ , ٢٨٠ ,
 , ٢٨١ , ٢٨٦ , ٢٨٧ , ٢٨٨ , ٢٨٩ , ٢٩٠ ,
 , ٢٩١ , ٢٩٢ , ٢٩٣ , ٢٩٤ , ٢٩٥ , ٢٩٦ ,
 , ٢٩٧ , ٢٩٨ , ٣٠١ , ٣٠٢ , ٣٠٣ , ٣٠٤ ,
 , ٣٠٤ , ٣٠٧ , ٣٠٩ , ٣١٠ , ٣١٢ , ٣١٣ ,
 , ٣١٥ , ٣١٧ , ٣١٨ , ٣٢١ , ٣٢٢ , ٣٢٣ ,

, ٢٠٠ , ٢٠٢ , ٢٠٣ , ٢٠٤ , ٢٠٦ , ٢٠٨ ,
 , ٢٠٩ , ٢١٠ , ٢١١ , ٢١٣ , ٢١٥ , ٢١٦ ,
 , ٢١٧ , ٢١٨ , ٢١٩ , ٢٢١ , ٢٢٤ , ٢٢٧ ,
 , ٢٣١ , ٢٣٢ , ٢٣٣ , ٢٣٧ , ٢٣٨ , ٢٣٩ ,
 , ٢٤١ , ٢٤٢ , ٢٤٤ , ٢٤٦ , ٢٤٧ , ٢٥٠ ,
 , ٢٥١ , ٢٥٢ , ٢٥٣ , ٢٥٤ , ٢٥٦ , ٢٥٧ ,
 , ٢٦٢ , ٢٦٣ , ٢٦٥ , ٢٦٦ , ٢٦٨ , ٢٧٢ ,
 , ٢٧٤ , ٢٧٧ , ٢٧٨ , ٢٨٠ , ٢٨١ , ٢٨٥ ,
 , ٢٨٦ , ٢٨٧ , ٢٨٨ , ٢٨٩ , ٢٩٠ , ٢٩١ ,
 , ٢٩٢ , ٢٩٣ , ٢٩٤ , ٢٩٥ , ٢٩٦ , ٢٩٨ ,
 , ٢٩٩ , ٣٠٠ , ٣٠١ , ٣٠٢ , ٣٠٣ , ٣٠٤ ,
 , ٣٠٧ , ٣٠٨ , ٣٠٩ , ٣١٠ , ٣١١ , ٣١٢ ,
 , ٣١٣ , ٣١٥ , ٣١٦ , ٣١٧ , ٣١٨ , ٣١٩ ,
 , ٣٢٠ , ٣٢١ , ٣٢٢ , ٣٢٣ , ٣٢٥ , ٣٢٧ ,
 , ٣٢٨ , ٣٢٩ , ٣٣٠ , ٣٣١ , ٣٣٣ , ٣٣٤ ,
 , ٣٤٠ , ٣٤١ , ٣٤٢ , ٣٤٣ , ٣٤٥ , ٣٤٧ ,
 , ٣٤٩ , ٣٥١ , ٣٥٢ , ٣٥٣ , ٣٥٥ , ٣٥٦ ,
 , ٣٥٨ , ٣٦٠ , ٣٦١ , ٣٦٣ , ٣٦٤ , ٣٦٦ ,
 , ٣٦٨ , ٣٦٩ , ٣٧٠ , ٣٧٤ , ٣٧٥ , ٣٧٦ ,
 , ٣٧٨ , ٣٧٩ , ٣٨٠ , ٣٨١ , ٣٨٢ , ٣٨٣ ,
 , ٣٨٤ , ٣٨٥ , ٣٨٦ , ٣٨٧

الابن , ٥ , ٦ , ٧ , ٩ , ١٣ , ١٦ , ١٩ , ٢٠ , ٢١ ,
 , ٢٢ , ٢٣ , ٢٦ , ٢٧ , ٢٨ , ٤١ , ٤٢ , ٤٣ ,
 , ٤٤ , ٤٨ , ٤٩ , ٥٢ , ٥٤ , ٥٦ , ٥٧ , ٥٨ ,



الجوهر. ١٢، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٤٤،

٤٩، ٥١، ٦٥، ٦٦، ٧١، ٨٧، ١٠١،

١٠٣، ١٠٦، ١٣٩، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٩،

١٧٩، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٩،

٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٥٣، ٢٧٨،

٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٠،

٣١٢، ٣١٩، ٣٢٥، ٣٤٠، ٣٨٦

الحياة. ٢١، ٢٤، ٦٩، ١١٣، ١٧٦، ١٧٧،

١٩٤، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٧٢،

٢٨٧، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٦٦،

٢٧١، ٢٧٥

الخالق. ٥٦، ٦٦، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٨٢، ٨٧،

٨٩، ٩٦، ٩٧، ١٣٩، ١٨٤، ١٨٧، ٢١٧،

٢٢٤، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧،

٢٧٩، ٢٩٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٩،

٣٧٨

الروح. ١٦، ٣١، ٤٠، ٤٨، ٤٩، ٥٦، ٦٣،

٦٤، ١٠٣، ١١٠، ١١٢، ١١٨، ١١٩،

١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧،

١٣٦، ١٤٣، ١٧٤، ١٨٠، ٢٣٢، ٢٣٦،

٢٤٠، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٨٧،

٢٩٠، ٣١٠، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٢٥، ٣٢٧، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٧

٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣٠، ٣٣٥، ٣٤٠،

٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢،

٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩،

٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٧٧،

٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥،

٣٨٦، ٣٨٧

الأبوة..... ٧٤

الأزلي. ٢٣، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ٧٠، ١٥٦،

٢٢٤، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٧٩

الأقانيم..... ٢٠٦، ٣٠٩

الإيمان. ٥، ١١، ١٢، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٢٦،

٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٩، ٦٥،

١٠١، ١٣١، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧،

١٩٤، ٢٠٨، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٥٥، ٢٧٥،

٢٨٦، ٢٩٥، ٣١٠، ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣٩،

٣٧٣

البر. ١١٠، ١١٧، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨،

٢٢٦، ٢٦٢، ٣٢٢

البنوة..... ٦، ٦١

التغير..... ٩٩، ١٦٨

الثالث. ١٦، ١٩، ٢٠، ٢٤، ٣١، ٦٦، ٦٧،

٦٨، ٨١، ١٣٩، ١٧٢، ٢٠٦، ٢٦٢،

٢٩٠، ٣٠٩، ٣٢١



۱۱۸، ۱۲۰، ۱۲۱، ۱۲۲، ۱۲۳، ۱۲۴،
۱۲۵، ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹، ۱۳۰، ۱۳۱،
۱۳۳، ۱۳۴، ۱۳۷، ۱۳۹، ۱۴۲، ۱۴۳،
۱۴۴، ۱۴۵، ۱۴۷، ۱۴۸، ۱۴۹، ۱۵۳،
۱۵۴، ۱۵۵، ۱۵۶، ۱۵۷، ۱۶۰، ۱۶۱،
۱۶۲، ۱۶۳، ۱۶۴، ۱۶۶، ۱۶۷، ۱۶۸،
۱۷۰، ۱۷۱، ۱۷۲، ۱۷۳، ۱۷۴، ۱۷۶،
۱۷۷، ۱۷۹، ۱۸۰، ۱۸۴، ۱۸۵، ۱۸۶،
۱۸۷، ۱۸۸، ۱۸۹، ۱۹۰، ۱۹۲، ۱۹۳،
۱۹۴، ۱۹۵، ۱۹۶، ۱۹۷، ۱۹۸، ۱۹۹،
۲۰۰، ۲۰۲، ۲۰۳، ۲۰۴، ۲۰۵، ۲۰۶،
۲۰۸، ۲۰۹، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۳، ۲۱۴،
۲۱۵، ۲۱۶، ۲۱۷، ۲۱۸، ۲۱۹، ۲۲۰،
۲۲۳، ۲۲۴، ۲۲۵، ۲۲۶، ۲۲۸، ۲۳۰،
۲۳۱، ۲۳۶، ۲۳۷، ۲۳۹، ۲۴۰، ۲۴۲،
۲۴۳، ۲۴۴، ۲۴۵، ۲۴۶، ۲۴۷، ۲۴۹،
۲۵۰، ۲۵۱، ۲۵۲، ۲۵۳، ۲۵۴، ۲۵۶،
۲۵۷، ۲۵۸، ۲۵۹، ۲۶۰، ۲۶۱، ۲۶۲،
۲۶۳، ۲۶۵، ۲۶۶، ۲۶۷، ۲۶۸، ۲۷۰،
۲۷۲، ۲۷۳، ۲۷۴، ۲۷۵، ۲۷۷، ۲۷۹،
۲۸۰، ۲۸۶، ۲۸۸، ۲۹۰، ۲۹۱، ۲۹۳،
۲۹۴، ۲۹۵، ۲۹۶، ۲۹۷، ۲۹۸، ۲۹۹،
۳۰۱، ۳۰۲، ۳۰۴، ۳۰۶، ۳۰۷، ۳۰۸،
۳۰۹، ۳۱۰، ۳۱۱، ۳۱۲، ۳۱۳، ۳۱۵

الشمس. ۴۵، ۸۱، ۸۵، ۱۰۳، ۱۰۸،
۱۶۱، ۱۷۰، ۱۸۳، ۱۸۶، ۱۸۹، ۱۹۷،
۱۹۹، ۲۰۶، ۲۰۷، ۲۱۸، ۲۸۹، ۲۹۰،
۲۹۷، ۳۰۱، ۳۰۳، ۳۰۹، ۳۱۲، ۳۷۰،
۳۷۱

الطبيعة. ۲۳، ۴۴، ۴۹، ۶۴، ۷۱، ۸۴، ۸۵،
۱۰۳، ۱۰۴، ۱۰۵، ۱۰۶، ۱۳۹، ۱۴۰،
۱۴۵، ۱۵۶، ۱۶۰، ۱۶۶، ۱۷۹، ۱۹۴،
۱۹۵، ۱۹۸، ۱۹۹، ۲۰۵، ۲۱۲، ۲۲۵،
۲۲۷، ۲۲۸، ۲۲۹، ۲۳۳، ۲۴۶، ۲۴۷،
۲۶۲، ۲۷۸، ۲۸۱، ۲۹۰، ۲۹۹، ۳۰۴،
۳۰۷، ۳۱۴، ۳۱۵، ۳۱۷، ۳۱۹، ۳۲۰،
۳۲۱، ۳۲۲، ۳۳۸، ۳۴۳، ۳۴۵، ۳۵۰،
۳۶۵، ۳۷۲، ۳۷۹، ۳۸۶، ۳۸۷

العبودية..... ۱۶۵، ۱۶۷، ۲۳۹

الله. ۱۲، ۱۳، ۱۶، ۲۰، ۲۱، ۲۲، ۲۳، ۲۴،
۲۸، ۳۰، ۳۱، ۴۱، ۴۲، ۴۳، ۴۴، ۴۵،
۵۰، ۵۲، ۵۵، ۵۶، ۵۸، ۵۹، ۶۲، ۶۳،
۶۴، ۶۵، ۶۶، ۶۷، ۶۸، ۶۹، ۷۰، ۷۱،
۷۲، ۷۴، ۷۶، ۷۷، ۷۹، ۸۰، ۸۱، ۸۳،
۸۴، ۸۵، ۸۶، ۸۷، ۸۸، ۹۲، ۹۳، ۹۴،
۹۵، ۹۶، ۹۹، ۱۰۱، ۱۰۲، ۱۰۳، ۱۰۴،
۱۰۵، ۱۰۶، ۱۰۷، ۱۰۸، ۱۰۹، ۱۱۰،
۱۱۱، ۱۱۲، ۱۱۴، ۱۱۵، ۱۱۶، ۱۱۷



,٢٨٠, ٢٧٩, ٢٧٢, ٢٧١, ٢٧٠, ٢٦٨
, ٢٩٨, ٢٩٦, ٢٩٥, ٢٩٣, ٢٩٠, ٢٨٥
, ٣١٦, ٣١٢, ٣١١, ٣٠٧, ٣٠٤, ٣٠٢
, ٣٣٢, ٣٣٠, ٣٢٨, ٣٢٥, ٣٢٤, ٣٢٠
, ٣٤٧, ٣٤٢, ٣٣٩, ٣٣٧, ٣٣٥, ٣٣٣
, ٣٥٩, ٣٥٨, ٣٥٦, ٣٥٥, ٣٥٤, ٣٥٣
, ٣٧٠, ٣٦٨, ٣٦٧, ٣٦٢, ٣٦١, ٣٦٠
٣٨٧, ٣٨٤, ٣٨١, ٣٧٨, ٣٧٣

الملائكة, ١٢, ١٠٨, ١١٠, ١٢٣, ١٣٠,
, ١٣١, ١٣٤, ١٣٥, ١٣٧, ١٣٨, ١٤٠,
, ١٤١, ١٤٥, ١٤٦, ١٤٨, ١٤٩, ١٥٤,
, ١٦٥, ١٨١, ١٨٣, ١٨٦, ١٨٩, ١٩٦,
, ١٩٨, ٢١٣, ٢٦٨, ٢٨٥, ٣٠١, ٣٠٨,
, ٣٠٩, ٣٢٧, ٣٤٧, ٣٤٩, ٣٥٢, ٣٥٨,
٣٦٢, ٣٥٩

الملك ٢٩٥, ٢٩٢, ١٣٩, ٦٧
الملكوت ٢٧١
المولود, ١٩, ٢٠, ٢٣, ٦١, ٦٢, ٦٥, ٧٣,
, ٧٤, ٨٠, ٨٣, ٨٦, ٨٧, ٨٩, ١٣٦,
, ١٣٧, ١٨٤, ١٩٠, ٢٠٩, ٢١٨, ٢٢٩,
, ٢٤٢, ٢٤٤, ٢٤٧, ٢٧٨, ٢٨٧, ٢٩٠,
, ٢٩٨, ٣٣٤, ٣٧٦, ٣٧٧, ٣٧٨, ٣٨١,
٣٨٤

الناسوت ٣٦٥, ٣٦٤, ٣٤٤

, ٣١٦, ٣١٩, ٣٢٠, ٣٢٢, ٣٢٣, ٣٢٦,
, ٣٢٧, ٣٢٨, ٣٢٩, ٣٣٠, ٣٣١, ٣٣٢,
, ٣٣٣, ٣٣٥, ٣٣٧, ٣٣٨, ٣٣٩, ٣٤٤,
, ٣٤٧, ٣٤٩, ٣٥١, ٣٥٢, ٣٥٣, ٣٥٤,
, ٣٥٥, ٣٥٦, ٣٥٨, ٣٦٠, ٣٦١, ٣٦٣,
, ٣٦٤, ٣٦٦, ٣٦٨, ٣٦٩, ٣٧٠, ٣٧١,
, ٣٧٣, ٣٧٤, ٣٧٥, ٣٧٦, ٣٧٧, ٣٧٩,
٣٨٠, ٣٨١, ٣٨٣, ٣٨٤, ٣٨٥, ٣٨٧

المخلوق, ٦, ٢٠, ٣٠, ٤٨, ٩٠, ٩١, ٩٢,
, ٩٣, ٩٤, ٩٥, ٩٦, ١٦٠, ١٧٥, ١٨٩,
, ١٩٥, ٢١٧, ٢٢٠, ٢٢١, ٢٢٤, ٢٢٦,
, ٢٢٨, ٢٣٢, ٢٤٧, ٢٥٤, ٢٦٠, ٢٦١,
٢٦٣, ٢٦٨, ٢٧٨, ٢٧٩, ٣١٠

المسيح, ١, ٩, ١١, ١٢, ١٣, ١٦, ١٨, ٢٣,
, ٢٤, ٣٠, ٣٢, ٣٥, ٣٧, ٣٨, ٣٩, ٤٣,
, ٤٦, ٤٧, ٤٨, ٥٠, ٥١, ٥٥, ٦٥, ٧٠,
, ٧٣, ٨١, ٩٩, ١٠٧, ١٠٩, ١١٠, ١١١,
, ١١٢, ١٢١, ١٢٣, ١٣٠, ١٣١, ١٣٢,
, ١٣٣, ١٣٧, ١٤١, ١٤٤, ١٥٥, ١٥٩,
, ١٦٦, ١٦٨, ١٧٢, ١٧٣, ١٧٥, ١٧٦,
, ١٧٧, ١٧٩, ١٨٠, ٢٠٤, ٢٠٥, ٢٠٨,
, ٢١٢, ٢١٣, ٢١٥, ٢١٧, ٢١٩, ٢٢٠,
, ٢٢١, ٢٢٦, ٢٤١, ٢٥٠, ٢٥٣, ٢٥٤,
, ٢٥٥, ٢٥٦, ٢٥٧, ٢٦٠, ٢٦٤, ٢٦٧,



النور. ٥٨، ٦٢، ٧٢، ٨١، ١٠٣، ١١٢،

١٣١، ١٧٠، ١٨٣، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٠٦،

٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢٦٦، ٢٨٦،

٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٤،

٣٠٧، ٣٠٩، ٣٤٢، ٣٦٠، ٣٧٥، ٣٨٦،

الواحد، ١٢، ١٤، ٢٦، ٢٩، ٧٤، ٨٢، ٩٨،

١٠١، ١١٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ١٤٨،

١٦٥، ١٨٨، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٣، ٢١٥،

٢٢٤، ٢٣٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩٢،

٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢،

٣١٤، ٣٢٠، ٣٧٧، ٣٨٣،

الواحد في الجوهر..... ٢٦

الولادة. ٢٨، ٦٥، ٧٤، ٨٣، ٨٥، ٨٦،

١٠٣، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٤٧، ٢٥١،

٣٨٧

إنسان. ٢٣، ٢٤، ٣٧، ٤١، ٥٠، ٥٨، ٦٢،

٧٧، ١١٢، ١١٥، ١٢٢، ١٧٦، ١٧٨،

١٨٩، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٦٩، ٣١٤، ٣٢٢،

٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥٠، ٣٦١،

٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٣،

إيمان. ١٢، ١٨، ٢٠، ٢٩، ٣٩، ٤٢، ٥٠،

٦٨، ١٣٢، ١٦٧، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٩٤،

٣١٠

(ب)

باكورة..... ٢٥٤، ٢٧٠

(ت)

تجسّد. ١٥٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧،

١٧٦، ١٧٨، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٣،

٢٢٠، ٢٣٠، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٢،

٢٦٣، ٢٧٩، ٢٣٥،

(ج)

جسده الخاص. ١١٤، ١١٦، ١٢٥، ٢٦٠،

٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٨، ٣٧٢،

جوهر. ١٣، ١٦، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٤٤، ٤٩،

٥٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٩، ٧٠، ٧١،

٧٢، ٧٥، ٨٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٨،

١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩،

١٥٦، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٩، ١٧١، ١٧٣،

١٧٩، ١٨٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٥،

٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٧،

٢٣١، ٢٣٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦٩،

٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩،

٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٣،



خضوع..... ٢٣، ١٧٣، ٣٤٧	٣٠٤، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٤١
خطية..... ٢٢٨، ٢٤٠، ٣٣٦، ٣٣٨	٣٧٩، ٣٨٤، ٣٨٦
خليقة، ٤٤، ٩٦، ١٠٦، ١٨٤، ١٨٥، ٢١٠،	(ح)
٢٢٥، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٥٠، ٢٥١،	حكمة، ٤٠، ٥١، ٦٥، ٦٩، ٨٠، ٩٣،
٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٣٧٩	١٠١، ١٣٩، ١٤٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٠،
(ذ)	١٧٨، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤،
ذاتي..... ٢٢، ١١٨	٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٥١، ٢٦٣،
(س)	٢٧٥، ٢٧٩، ٣١١، ٣٢٦، ٣٨١
سيادة..... ١١٤، ٢٣٠	(خ)
(ش)	خادم..... ١٩٨، ٢٠٣
شركاء الطبيعة الإلهية..... ٦٤	خاص، ١٣، ١٦، ٥٦، ٧١، ٧٤، ٨٧، ٩٢،
شعاع..... ٣٠٧، ٣٦٢، ٣٨٤	١١٤، ٢٠٦، ٢١٠، ٢٢٧، ٢٤١، ٢٤٧،
(ص)	٢٥٥، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٧، ٢٨٩،
صورة، ٣٧، ٥٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٩٣، ٩٩،	٣١٢، ٣٢٣، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٢،
١٠٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١١، ١١٢،	٣٤٤، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٣، ٣٦٩، ٣٧٠،
١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٥،	٣٧١، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٧
١٢٨، ١٢٩، ١٤٣، ١٥٥، ١٧٣، ١٧٥،	خالق، ٥٧، ٧٣، ٨٧، ٩٠، ١٠٣، ١٥٥،
١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٣٠،	١٦٤، ١٧٣، ١٧٥، ١٨٥، ١٩٨، ٢٠٣،
٢٣٢، ٢٣٧، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٩٠،	٢٠٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٣٧،
٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٩،	٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٦٤، ٢٧٣،
	٣٠٩، ٣١٠، ٣٢٩، ٣٥٢، ٣٧٨، ٣٨١،
	٣٨٢



١٥٨، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٣،

١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٨،

١٩٢، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧،

٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨،

٢٣١، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٨،

٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٣،

٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣٢٧، ٣٧٥، ٣٧٩

موت. ١١، ٢٥، ٢٧، ٣٩، ١٠٧، ١٧٢،

٢٢١، ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٦٠، ٢٧٩، ٣٣١

مولود. ١٩، ٢٢، ٢٨، ٤٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥،

٧١، ٧٣، ٧٩، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٣،

١٠٦، ١٣٩، ١٦١، ١٦٩، ١٨٢، ١٨٣،

١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٧،

٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥،

٢٦٣، ٢٨١، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٩،

٣٠٩، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٦، ٣٨٧

٣١١، ٣١٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٨،

٣٥٣، ٣٧٥، ٣٧٦

(ط)

طبيعة. ٢٦، ٤٣، ٤٤، ٦٢، ٦٣، ٧٦، ٨٣،

٨٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١١٢، ١٢٣،

١٢٤، ١٢٦، ١٢٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧،

١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٧، ١٨٠، ١٨٤،

١٨٦، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨، ٢٠٩،

٢١٠، ٢١٨، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٤٥، ٢٦٢،

٢٩٨، ٣١١، ٣١٤، ٣٢١، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٣٩، ٣٤٨، ٣٦٧، ٣٧٠، ٣٧٢

(ع)

عرش. ١٢٠، ٢٢٢

(غ)

غير المخلوق. ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧

(و)

وسيط. ١٤٢

(م)

مخلوق. ٥، ١٢، ٢٢، ٢٤، ٥٠، ٥١، ٥٤،

٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٨١، ٨٨،

٩٠، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٣٠، ١٣٦،

١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٧،